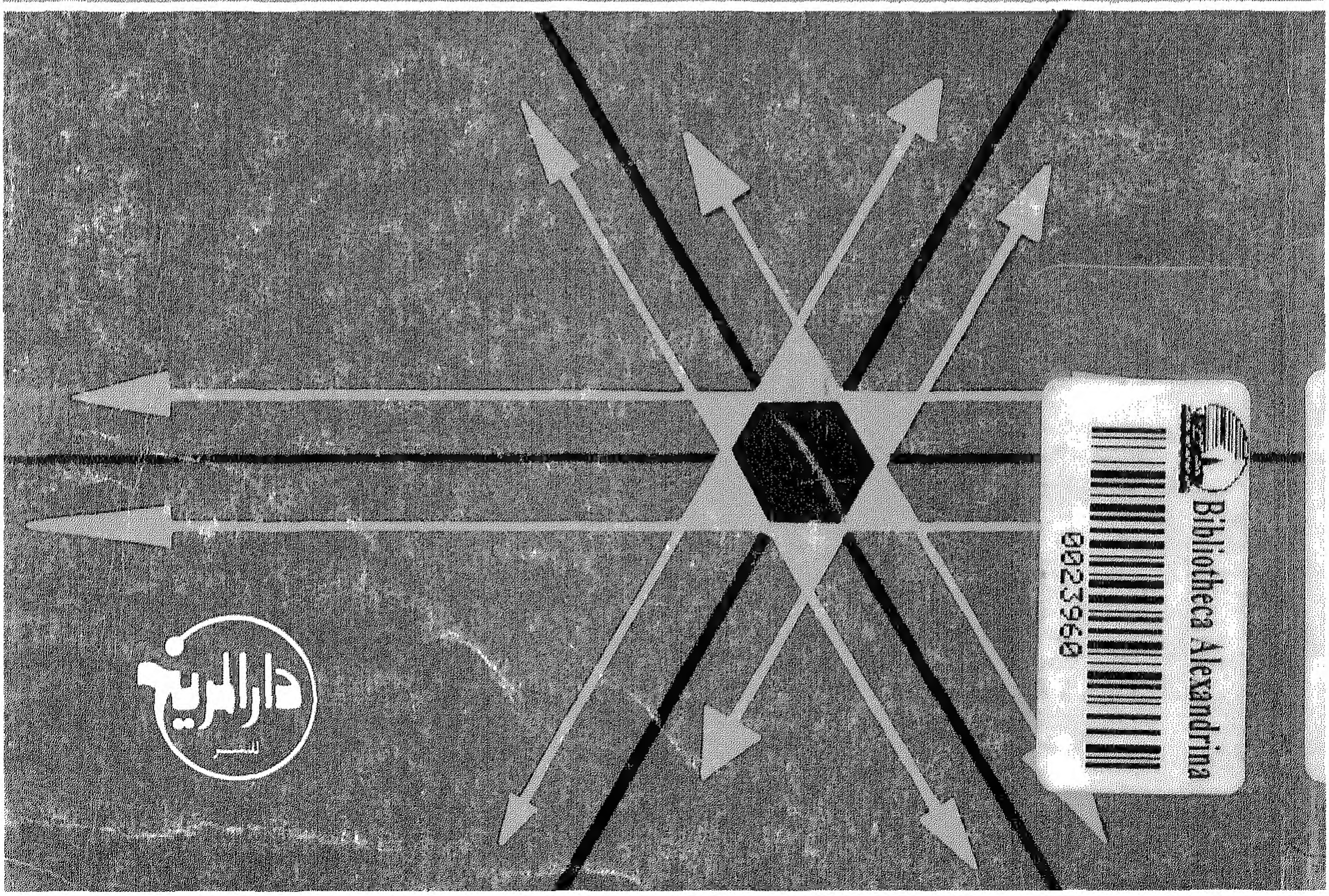
الحرب الوقائية فى استراتيچية إسرائيل العسكرية

تأليف:
جميل عائد الجبورى



دار المريخ للنشر

الحرب الوقائية
فى
استراتيچية إسرائيل
العسكرية

الحرب الوقائية في استراتيجية إسرائيل العسكرية

تأليف: جميل عائد الجبورى

دار المريخ للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ .

[صدق الله العظيم]

إهداء

إلى شهداء الأمة العربية الذين ضحوا بحياتهم في سبيل عروبة فلسطين وإلى أجيال أمتنا العربية المؤمنين بطلوع الفجر مهما طال الليل .

المؤلف

جميل عائد علي الجبوري

المقدمة

منذ ما يقرب من قرن من الزمان ، بدأ الصراع العربى – الصهيونى عندما أفصحت الصهيونية العالمية عن نواياها فى إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وقد استخدمت فى سبيل تحقيق ذلك كافة الوسائل وفى مقدمتها العنف المسلح .

وكانت الحرب هى الوسيلة الأساسية التى لجأت إليها الحركة الصهيونية لإقامة دولة إسرائيل واغتصاب حقوق الشعب الفلسطينى ، هذه الحرب التى أخذت شكلها النظامي وبلغت ذروتها فى ١٥ من مايو عام ١٩٤٨ كانت وسيلة إسرائيل ومازالت فى الوصول إلى أهدافها التوسعية فى المنطقة العربية .

والحرب بمفهومها الواسع أصبحت تعبر عن صراع شامل ينظمه ويحكم قواعده علـم له أصوله وفروعه وأساليب البحث فيه ، فهو لم يقتصر على دراسة المعارك وميادين القتال والأسلحة المستخدمة ، بل يشمل القواعد التى تدار بها المعارك ، ومناهج التفكير التى تتحكم فى استخدام هذه القواعد .

من هنا كانت الأهمية لدراسة أسلوب إسرائيل فى استخدام الحرب كوسيلة لتحقيق أهدافها فى المنطقة العربية من حيث كونها – أى الحرب – الأداة الفعالة الوحيدة التى مازال الصراع يدور بها . فأى أنواع الحرب استخدمتها إسرائيل فى ذلك طيلة ربع القرن الماضى ضد العرب ؟

لقد خاضت إسرائيل أربعه حروب نظامية ضد العرب هى :

١ ــ الحرب العربية – الإسرائيلية الأولى فى عام ١٩٤٨ والتى انتهت لصالح الدولة الصهيونية وأكدت وجودها .

٢ ــ حرب السويس فى عام ١٩٥٦ وهى الحرب التى اشتركت فيها إسرائيل مع بريطانيا وفرنسا فى الهجوم على مصر وأدت إلى تحقيق أهداف جزئية وحيوية لها .

٣ ــ حرب التوسع الإقليمى فى عام ١٩٦٧ وقد أدت إلى تحقيق أهداف إسرائيل التوسعية .

٤ ـــ حرب التحرير العربية فى عام ١٩٧٣ حيث تمكنت مصر وسوريا من تحقيق المفاجأة فى الهجوم ضد إسرائيل لأول مرة واستطاعت أن تجبرها على الوقوف فى موقع الدفاع ثم تمكنت إسرائيل بمساعدة أمريكا من انهيار قوتها العسكرية .

هذه الحروب الأربعة بقدر ما كانت وسائل لتحقيق أهدافها بقدر ما عبرت عن تطور فى إدارة القوة العسكرية فى الصراع العربى – الإسرائيلى ، هذا التطور يخفى خلفه منهاجا عسكريا إسرائيلياً نابعا من العقيدة الصهيونية وأهدافها ، كما هو نابع من مقومات وجود إسرائيل الجغرافية والبشرية والاقتصادية والعسكرية والموقف الدولى أيضا .

لقد تبنت اسرائيل نظرية « الهجوم خير وسيلة للدفاع » ووضعتها موضع التطبيق ، فلم تسمح للعرب بأن يبادروها بالهجوم فى الحروب الثلاثة الأولى . ولم تشن الحرب دون أن تكون قد وضعت الهدف المحدد لها وأعدت لذلك عدته العسكرية وحجته السياسية بمنطقها الدعائى لتبرير عدوانها .

وقد درس قادة إسرائيل تاريخ الحروب التى شهدتها الإنسانية منذ القدم وحتى العصور الحديثة بشكل تفصيلى ونظروا فى وضعهم الاستراتيجى وأهدافهم فاختاروا «الحروب الوقائية » وسيلة من وسائل تحقيق وجود الدولة أولا ثم أهدافها القومية ثانيا . يؤكد ذلك ما جاء فى مؤلفاتهم المشار إليها فى متن هذا الكتاب .

وفى هذا الكتاب الذى اخترته للبحث فى هذا النوع من أنواع الحروب والذى كلف الأمة العربية الكثير من الدماء والأرواح واغتصاب الحقوق منذ ما يزيد على ربع قرن – استعرضت الأسلوب الذى اتبعته اسرائيل فى تطبيق « الحرب الوقائية » ومقارنتها مع « الحرب الوقائية » التى عرفها التاريخ العسكرى . والهدف من ذلك دراسة مقومات العدو الصهيونى وفكره ووسائل تحقيق أهدافه ودور القوة العسكرية فى الصراع العربى الاسرائيلى ولم يكن الوصول إلى نتائج علمية واضحة فى ذلك خاليا من الصعوبات .

إن الصعوبات التى واجهتنى ليست بسيطة أو هينة وخاصة لإنعدام توفر أمهات المصادر الأساسية التى تتناول الفكر الصهيونى العسكرى والتى تكون فى متناول الباحث العربى ذلك أن غالبيتها مازال باللغة العبرية لغة العدو الرئيسى ومصدر التعرف على فكره . ولكننى حاولت أن أسد هذه الثغرة العلمية عن طريق الرجوع إلى المصادر باللغة الانجليزية والمترجمة لكبار القادة والساسة الإسرائيليين . كما أن حساسية الكتابة فى مثل

هذا الموضوع حالت دون تمكنى من الإطلاع على المعلومات الدقيقة عن النواحى العسكرية العربية .

كل هذا كان حافزاً لى للرجوع إلى أكبر عدد ممكن من المصادر للحصول على أكبر قدر من المعلومات وتحليلها للوصول إلى النتائج المحددة لهذا البحث .

ولقد استهدفت من وراء هذا الكتاب اكتشاف العلاقات الارتباطية بين المتغيرات الآتية فى الكيان الاسرائيلى :

١ ـــ السياسية العليا وأهدافها .

٢ ـــ نظرية الأمن الإسرائيلى .

٣ ـــ دور الأداة العسكرية فى تحقيق أهداف السياسة العليا ونظرية الأمن .

٤ ـــ علاقة ما سبق بأسلوب « الحرب الوقائية » للوصول إلى الأهداف وشل قدرة الخصم .

وكان من المقرر أن يطبع هذا الكتاب ليكون فى متناول القارىء العربى منذ فترة غير قصيرة ، ولكن لظروف قاهرة تأخر طبعه . وأمل أن أكون قد أسهمت بذلك فى معرفة خصمنا المغتصب لأرضنا وحقوقنا .

وخير ما أختتم به هذا التقديم قوله تعالى :

﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾ .

جميل عائد على الجبورى

مقدمة الطبعة الثانية

منذ عشر سنوات على وجه التقريب ، أى فى سنة ١٩٧٧ على وجه الدقة ، قدر لهذا الكتاب أن يجد طريقه إلى القارىء العربى ، وعند ذلك حاولت أن أقدم دراسة تحليلية علمية لاستراتيجية إسرائيل العسكرية واستخدامها للحرب الوقائية لتحقيق أهدافها فى الوطن العربى . فمنذ ذلك التاريخ وقعت تطورات ذات أهمية شملت النواحى العسكرية والسياسية والاستراتيجية فى الصراع العربى الإسرائيلى ، وبالتالى كان لها أثرها الفعال فى تطور استخدام إسرائيل للقوة العسكرية . وكان لهذا كله تأثيره على الوضع العربى عموما وعلى قضية الشعب الفلسطينى بصفة خاصة .

ومن أجل أن يؤدى البحث العلمى رسالته فى خدمة الحقوق العربية ويحافظ على أمن وسلامة الوطن العربى فى كل جزء من أجزائه كى تتحقق السيادة العربية والاستقرار على الأرض العربية ، رأيت أن أقوم بمراجعة هذا الكتاب وتنقيحه بما يتفق والتطورات التى استجدت ، كما رأيت أن أضيف إليه فصل جديد تناولت فيه تطوير إسرائيل لاستراتيجية الحرب الوقائية الشاملة ، إلى استخدام أسلوب الردع الاستراتيجى المسبق الذى تستخدم فيه القوة العسكرية لتحقيق أهداف استراتيجية محددة . وذلك لمنع العرب من إحراز أى تفوق استراتيجى .

وفى هذا الفصل تناولت نموذجين تطبيقيين للردع الاستراتيجى المسبق الذى قامت بتنفيذهما إسرائيل :

١ ــ نموذج الهجوم الإسرائيلى الجوى على المفاعل الذرى العراق .

٢ ــ نموذج الغزو الإسرائيلى للبنان .

إن دراسة السلوك العسكرية الذى تمارسه إسرائيل فى اعتداءاتها على الأراضى والشعوب العربية ضرورة تفرضها مصالح الأجيال العربية القادمة التى ستجد من أولويات واجباتها مواجهة هذا الخصم ومقاومته . وستدرك هذه الأجيال أن التفوق العلمى سيكون هو الدرع والحربة لحماية الأرض ، والحقوق العربية . قال تعالى فى

كتابه العزيز ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾ .

هذه الآية يرشد فيها الحق جل وعلا عباده إلى أن القوة المؤمنة هي الرادع الوحيد للأعداء ولا نغالي في التفسير إن قلنا ان نظرية الردع المسبق تقوم على هذا الأساس .

د . جميل الجبوري

الفصل التمهيدى

الحرب كوسيلة لتحقيق أهداف الدولة القومية

١ ــ منذ القدم كانت الحرب وسيلة فعالة من وسائل تحقيق أهداف الدولة سواء كانت هذه الأهداف هجومية أم دفاعية . وقد اختلف ذلك على مر العصور باختلاف طبيعة النظم السياسية نشأة وتطورا . فكانت الحرب وسيلة النظم الفردية المطلقة فى الامبراطوريات القديمة لتوسيع سيطرتها وسلطانها وتحقيق الطموح الشخصى للحاكم . ثم ارتبطت بالنظام السياسى ذاته وخير ما يعبر عن ذلك الحروب التى خاضتها روما لفرض سيطرتها على العالم القديم فى ظل الجمهورية ثم الامبراطورية .

وعقب نشأة العقائد الدينية العالمية مثل المسيحية والإسلام أصبحت للحرب وسيلة لنشر الدعوة وخلق مجتمع جديد وبذلك أصبح ارتباطها بالعقائد والمبادىء أوثق من ارتباطها بالحكام والقادة العسكريين من ذوى الطموح الشخصى .

٢ ــ وعلى الرغم من التطور الذى حدث فى المبادىء والقيم والقوانين فى المجتمعات الإنسانية إلا أن الحرب مازالت تمثل أحد وسائل تحقيق الأهداف القومية للدولة وذلك باستخدام القوة والعنف المسلح لإخضاع إرادة الخصم والسيطرة عليه . ويعرف كارل فون كلاوزفيتز الحرب على ضوء ذلك قائلا :

« الحرب ليست شيئا مختلفا عن المبارزة على نطاق واسع » وإذا ما أردنا أن نجمع النزاعات الخاصة المتعددة التى تتألف الحرب منها فى مفهوم واحد ، يحسن بأن نفكر فى اثنين من المتقاتلين ، يحاول كل منهما بواسطة قوته البدنية إخضاع خصمه لإرادته . إن هدفه المباشر هو إلقاء خصمه أرضا ليعجله عاجزاً عن أية مقاومة .

فالحرب إذن ، وبهذا الشكل ، عمل من أعمال العنف ، يستهدف إكراه الخصم على تنفيذ إرادتنا »[1] .

---

(١) كارل فون كلاوزفيتز – فى الحرب – جـ١ – ترجمة : أكرم ديرى والمقدم الهيثم الأيوبى ، دار الكاتب العربى – القاهرة – د . ت – ص ٨٠ .

ويوضح ذلك بقوله : إن الحرب جزء من العلاقات السياسية ، فهى لا تشكل بالتالى شيئا مستقلا ، ونحن نعرف ولا شك أن العلاقات السياسية بين الحكومات والأمم هى التى تؤدى إلى الحرب . ولكننا نتصور أحيانا أن هذه العلاقات تنقطع مع اندلاع الحرب . وأن وضعاً جديداً يظهر آنذاك ، وهو مختلف تمام الاختلاف عما سبقه ، ويتبع قوانين خاصة به . ولكننا نؤكد على العكس بأن الحرب لا تشكل شيئا سوى استمرار العلاقات السياسية ، مع استخدام وسائل جديدة أخرى .

ونحن نقول وسائل جديدة أخرى تدخل فى الموضوع وتضاف إليه ، لنؤكد بأن الحرب نفسها لا توقف هذه العلاقات السياسية ولا تقلبها إلى شىء مختلف كل الاختلاف . وأن هذه العلاقات تحافظ على روحها مهما كانت الوسائل التى نستخدمها . وأن الخيوط الرئيسية التى تجرى عبر أحداث الحرب ، والتى ترتبط بها ليست سوى خيوط سياسية تتابع مسارها عبر الحرب حتى تحقيق السلم » – ثم يختتم قوله – بأن الحرب أداة من أدوات السياسة ، وهى تحمل بالضرورة طابع هذه السياسة وعليها أن تقيس كل الأمور بالمقياس الذى تستخدمه السياسة وليست إدارة الحرب فى خطوطها العريضة إلا سياسية ، ولكنها سياسة تحمل السيف بدلا من القلم ، دون أن يمنعها ذلك من أن تفكر بناء على قوانينها الخاصة[١] .

فاستخدام القوة لا يكون لذاته وإنما لتحقيق هدف هو بالنسبة للدولة يمثل غاية من غاياتها القومية . ولذلك أوجز كلاوزفيتز علاقة الحرب بالسياسة قائلا : « ليست الحرب إلا استمراراً لسياسة الدولة بوسائل أخرى »[٢] .

٣ ــ وتلجأ الدولة إلى الحرب لتحقيق أهدافها القومية عندما تفشل الوسائل السلمية الأخرى مثل الوسيلة السياسية والضغط الاقتصادى ، والإكراه المعنوى . وعندما يمثل الهدف القومى جزءاً من سياسة الدولة العليا أو يمس أمنها القومى وذلك فى حالات الصراع بين الدول والنظم السياسية المختلفة ، كما هو واقع بالفعل بالنسبة للصراع العربى – الإسرائيلى حيث أنه صراع على حق وشرعية الوجود وليس على مصالح محدودة ، ومن ثم فالحرب وسيلته الأولى لكلا الطرفين المتصارعين . والهدف السياسى

---

(١) كارل فون كلاوزفيتز – فى الحرب – جـ٣ – ترجمة : أكرم ديرى والمقدم الهيثم الأيوبى – الهيئة المصرية للتأليف والنشر – دار الكاتب العربى – القاهرة – ١٩٦٩ – ص ١١٣ ــ ١١٤ .
(٢) كلاوزفيتز – المصدر السابق – الجزء الأول – ص ٧٣ .

من الحرب مهما كان نوعها هو إخضاع العدو ومنعه من تحقيق أهدافه باستخدام القوة والعنف المسلح(١) .

٤ ــ وتختلف الأهداف القومية من دولة إلى دولة أخرى ، ومنشأ هذا الاختلاف فى الأصل اختلاف نظمها السياسية وفلسفاتها ، واختلاف مصالحها التى تتطلع إلى تحقيقها ، كما يتأثر الهدف القومى بالموقع الجغرافى للدولة ومواردها الاقتصادية وعدد سكانها . فقد لجأت ألمانيا النازية إلى استخدام الحرب لتحقيق ما أسمته بالمجال الحيوى للشعب الألمانى(٢) .

كما لجأت إسرائيل إلى الحرب أكثر من مرة لتحقيق أهدافها التوسعية وفرض الصلح والسلام على العرب وعدم الاعتراف بحق الشعب الفلسطينى فى العودة إلى دياره . يوضح ذلك دافيد بن جوريون معبراً عن إيمانه بالحرب كوسيلة لتحقيق أهداف إسرائيل التوسعية قائلا :

« إن الوضع فى فلسطين لا يمكن أن يسوى إلا بالقوة العسكرية ، الحرب حرب ، وبالتالى فإن عودة العرب إلى يافا ليس ظلما وإنما خطيئة كبرى . إن إسرائيل لا يمكن أن تعيش إلا بالقوة والسلاح »(٣) .

٥ ــ كيف يتم تحديد الأهداف القومية للدولة ووسائل تحقيقها وربط ذلك بالسياسة العليا أو ما يطلقون عليه الاستراتيجية العليا ؟

يبنى ذلك فى الأساس بأسلوب التخطيط الشامل بعد دراسة الأهداف القومية ووضع أسبقيتها واختيار الوسائل المتاحة لتحقيقها . والأهداف والقومية لأية دولة تمثل حجر الأساس الذى تبنى عليه استراتيجيتها العليا . وتختلف الأهداف القومية فى طبيعتها ، فقد تكون سياسية أو اقتصادية أو عسكرية ، ولكنها فى مجملها لابد من وجود نوع من التنسيق والترابط بينها وانعدام التعارض لأنها فى النهاية تحقق غاية واحدة .

---

(١) هانزجى مورجنتاو – السياسة بين الأمم – الجزء الأول : ترجمة : خيرى حماد – الدار القومية – القاهرة – سنة ١٩٦٤ – ص ٥٦ وما بعدها .

(٢) انظر تفاصيل ذلك فى كتاب كفاحى لادولف هتلر – المكتبة الأهلية – بيروت – د . ت .

(٣) العميد هيثم الكيلانى – دراسة فى العسكرية الاسرائيلية : معهد البحوث والدراسات العربية العالية – القاهرة – سنة ١٩٦٩ – ص ١١٤ .

وتحديد الأهداف القومية يتطلب تحليل المشاكل والتحديات التى تواجهها الدولة خصوصا عندما يقع التعارض مع الأهداف القومية لدول أخرى . وتقوم القيادة السياسية العليا فى الدولة بتحديد الغاية القومية التى تتفرع إلى أهداف رئيسية أساسية ، تتفرع بدروها إلى أهداف جزئية أو مرحلية فى كل مجال من مجالات التخصص ويوائم كل مستويات التخصص بين الأهداف المحددة والقدرات المتاحة . وتتدرج دراسة ذلك على المستويات المختلفة وتستخدم وسائل عديدة لتحقيق تلك الأهداف كما سبق واتضح .

وتأتى الاستراتيجية العسكرية لتضع تخطيط استخدام القوة العسكرية لبلوغ الغاية التى تم تحديدها ، فترتبط الاستراتيجية العسكرية بالحرب وهى كما ذكرنا من قبل توائم بين الوسائل العسكرية مدعمة بالوسائل الأخرى لتحقيق الأهداف السياسية للحرب .

والاستراتيجية العسكرية فى أعلى مستوياتها تأتى بعد الاستراتيجية الكلية أو ما يطلقون عليها الاستراتيجية القومية مباشرة . وفى المجال العسكرى تنقسم الاستراتيجية العسكرية إلى : الاستراتيجية العليا وهى التى توجه سير الحرب وتضع مخططات لاستخدام كل قدرات الدولة لكسب أهداف الحرب ، غايتها النهائية قهر العدو وتجريده من سلاحه وفرض إرادة الطرف المنتصر عليه .

والاستراتيجية العسكرية البحتة : وتعنى فن توزيع واستخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسة . والاستراتيجية العسكرية البحتة يحددها القائد العسكرى فى نطاق قيادته مع الالتزام بالارتباطات التى توضع له فى هذا المجال[1] .

ويحدد كارل فون كلاوزفيتز غاية الحرب قائلا : تشمل خطة الحرب عادة العمل الحربى كله ، ويصبح هذا العمل بفضلها عملية واحدة ذات هدف واحد نهائى ، تذوب فيه جميع الأغراض الخاصة . ولا تبدأ أية حرب من الحروب - أو يجب على الأقل أن لا تبدأ - إذا كنا نتصرف بحكمة ، دون أن نجد جوابا للسؤال التالى : ما هو الأمر الذى نسعى للوصول إليه بواسطة الحرب ومن خلالها ؟

إن ما نسعى للوصول إليه بواسطة الحرب هو الهدف ، أما ما نبحث عن بلوغه من خلال الحرب هو الهدف الوسيط . وتحدد هذه الفكرة الأساسية سير الحرب كلها ، كما

---

(١) ج . ل . ليدل هارت - الاستراتيجية وتاريخها فى العالم - ترجمة : الهيثم الأيوبى - دار الطليعة - بيروت - سنة ١٩٦٧ - ص ٤٠١ .

تحدد امتداد الوسائل وحدود القدرة التى ينبغى تطويرها . ويظهر تأثيرها على العمل كله ويتغلغل حتى أدق تفاصيله ، إن سحق العدو هو الهدف الطبيعى للعمل الحربى وإن التزامنا بالحدود الفلسفية المطلقة لمفهوم الحرب يجعلنا لانجد لهذه الحرب هدفا آخر . ولكن كل هذه التعديلات غير كافية لتنقلنا من المفهوم الأساسى للحرب إلى الشكل الواقعى الذى تظهر الحرب فيه عادة فى كل مكان . إن معظم الحروب تبدو وكأنها حقد متبادل سيطر على الطرفين المتنازعين ويدفع كل واحد منهما إلى حمل السلاح لحماية نفسه وبث الرعب بين صفوف خصمه والقيام بضربة خاطفة إذا ما سمحت الظروف بذلك . إذن فليس هناك عنصران مدمران بصورة متبادلة يدخلان فى صدام ، ولكن هناك توتر بين عنصرين منفصلين متباعدين[1] ..

وقد أصبح للاستراتيجية العليا فى المجال العسكرى أهمية عظمى فى الحرب الحديثة بعد أن أصبحت حربا شاملة فى جميع المجالات . ونتاج ذلك هو حشد إمكانيات الدولة الاقتصادية والبشرية والعلمية والمعنوية لتحقيق غاية الاستراتيجية العسكرية . وهذا ما تتبناه إسرائيل فى تخطيطها العسكرى كما سيتضح فى هذه الرسالة . ومرجع ذلك أن نشأة إسرائيل وتطورها السياسى والسكانى والجغرافى على جزء من الأرض العربية اعتمد فى الأساس على استخدام العنف المسلح والتي خاضت بسببه البلاد العربية أربعة حروب لمواجهة سياسة إسرائيل العدوانية فى المنطقة واستمرارها فى رفض الاعتراف بحقوق الشعب العربى الفلسطينى . قال دافيد بن جوريون فى مقدمة الكتاب السنوى لحكومة إسرائيل لسنة ١٩٥٠ . « إن إسرائيل لا يمكن أن توافق على إعادة فلسطين إلى أهلها العرب ، فالمشكلة الفلسطينية لا يمكن أن تحل ، إلا بالحرب ، والحرب هذه ستقرر مصير إسرائيل ، فإما زوالها وإما بقاؤها »[2] .

من هنا كان الترابط العضوى بين الحرب كوسيلة من وسائل تحقيق أهداف الدولة القومية وبين طبيعة إسرائيل ونشأتها فى المنطقة العربية وعلاقاتها بدول وشعوب المنطقة . وقد حدد تيودور هرتزل فى مؤلفه « الدولة اليهودية » وسيلة إقامة هذه الدولة بوضوح فقال : « إن تأسيس الدولة الحديثة لايكون بنفس الطريقة التى كانت تقوم عليها منذ

---

(١) كارل فون كلاوزفيتز – مصدر سابق – الجزء الثالث – ص ٧٨ – ٧٩ .

(٢) محمود شيت خطاب (لواء ركن) طريق النصر فى معركة الثأر – الطبعة الأولى – دار الفتح – بيروت – سنة ١٩٦٦ – ص ١٢٨ (نقلا عن مقدمة الكتاب السنوى لحكومة إسرائيل لسنة ١٩٥٠) .

آلاف السنين . ومن السذاجة العودة بمستوى الحضارة إلى الوراء كما يقترح الكثير من الصهيونيين . فلنفترض على سبيل المثال بأننا أجبرنا أن نخلى بلدا ما من الوحوش . يجب علينا أن لا نقوم بهذا العمل وفقا لأسلوب الأوربيين فى القرن الخامس . كأن نأخذ الرمح ونذهب كل على انفراد للبحث عن الدببة . بل يجب علينا تنظيم حملة كبيرة وذات هيبة للصيد ثم نعمل على تجميع الحيوانات ونلقى بالقنابل القاتلة فى وسطها »(١) .

وقد أكد هذا المفهوم « مناحيم بيجن » عندما قلب عبارة الفيلسوف الفرنسى ديكارت الشهيرة التى يقول فيها : « أنا أفكر فأنا إذن موجود » فحورها إلى « نحن نحارب فنحن إذن نكون »(٢) .

وقد بين « دافيد بن جوريون أهمية الحرب كوسيلة لخلق الدولة اليهودية وتحقيق أمنها وأكد ذلك بوضح ألا سبيل إلى ذلك إلا بالقوة . وظل يطالب بدعم جيش الدفاع الإسرائيلى حتى يتمكن من تحقيق أهداف إسرائيل العليا وفى مقدمتها فرض الصلح والسلام الإسرائيلى على العرب »(٣) .

ولما كانت الصهيونية إيديولوجية سياسية اعتمدت العنف المسلح لتحقيق غايتها على إقامة الوطن اليهودى ومنبع ذلك عدم اقتناعها بشرعية ما أقدمت عليه من اغتصاب جزء من الأرض العربية وطرد سكانها منها بالقوة وإحلال مستوطنين يهود محلهم . يؤكد ذلك قول تيود ورهرتزل عندما وقف فى عام ١٨٩٨م ، يخاطب الامبراطور الألمانى قائلا : « نحن لا تربطنا بهذه التربة أية حقوق ملكية صحيحة . لقد مرت أجيال عديدة منذ كانت هذه الأرض يهودية »(٤) .

ولم تكن هناك مندوحة عن استخدام الصراع المسلح بشتى صوره لفرض النموذج الصهيونى . وقد عبر « أوتوواربورج » عن ذلك قائلا : « إن الحق التاريخى الذى تستند عليه ملكيتنا لفلسطين قبل ألفى عام ، لا فاعلية له فى حد ذاته لدى الدول الكبرى »

---

(١) Hertesberg, A, The zonist, IDEA. West Port, Green Wood Press Publishers, 1970, P. 221.

(٢) Begin, M, The revolt (London: W. H. Allenand co. ltd, 1951) P. 46.

(٣) Bengurion, D. Rebirth Destiny of Israel, Philosphical Library. New York. 1954 P. 105.

(٤) الحكم دروزة – ملف القضية الفلسطينية والصراع العربى الاسرائيلى – منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث – بيروت – سنة ١٩٧٣ – ص ١٣ .

لذلك يجب علينا إيجاد صيغة عصرية تدعم هذا الحق وتضاف إليه ، تقوم على تدليلنا – إن لم يكن شرعيا أو قانونيا فبحكم الواقع الفعلى »[1] .

من المعروف أن الصهيونية كأيديولوجية سياسية نشأت وترعرعت فى أوروبا القرن التاسع عشر ، حيث سادت فلسفات القوة والمثالية وقد استوحت الصهيونية السياسية أفكارها من الفلسفات الأوربية فى القرن التاسع عشر حيث نشأت وترعرعت . وغنى عن البيان أنها نشأت كفكرة فى البداية آنذاك فى أعقاب حروب نابليون وبسمرك ، وفى ظل فلسفات هيجل ونيتشه وماركس فأستمدت من هيجل فكرة الدولة كأساس لرسالة الشعب واستمدت من نيتشه فكرة القوة والتفوق الذى يعلو الأنماط العادية من المجتمعات . وأخيراً اتخذت من الفكر الاشتراكى وسيلة لبناء المجتمع المستوطن فى فلسطين على أسس جديدة . كل هذا دون أن تتخلى عن تعصبها العنصرى وسياستها العدوانية[2] .

وهكذا يتضح أن المنطق الذى اعتمدته الصهيونية لإقامة الوطن القومى اليهودى هو منطق فرض الأمر الواقع عن طريق استخدام العنف المسلح لقهر إرداة الخصم . إذ أنه ما كان يمكن لها تحقيق ما تريد دون أن تجابه مقاومة العرب فى فلسطين التى تعتبر جزءاً من الوطن العربى وتنتمى إلى حضارة عريقة هى الحضارة العربية الإسلامية . ومنذ أن قامت إسرائيل ككيان استيطانى يتعارض فى طبيعته وتكوينه وتصوره للمستقبل مع مجرى التاريخ على هذه الارض العربية كان لابد من أن تكون اداتها فى تحقيق اهدافها فى المنطقة عقب تحقيق وجودها هى الأداة العسكرية . ذلك أنه لم يكن يعقل أن يتقبل العرب سكان البلاد الأصليون نشأتها ووجودها على حساب حقوقهم . كما أن وجودها فى حد ذاته يتعارض فى غاياته القومية مع الغايات القومية للوجود العربى الذى يسعى منذ مئات السنين إلى التكامل والاندماج فيما بين أقطاره وشعوبه فى وحدة واحدة . وإذ بهذا الكيان الاستيطانى الدخيل يأتى ليحدث تغييرا سكانيا وسياسيا ودينيا وثقافيا على جزء من أجزائه ، ويفصل بذلك الوحدة الجغرافية بين المشرق العربى والمغرب العربى .

---

(١) مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية – العسكرية الصهيونية – المجلد الأول – مؤسسة الأهرام – القاهرة – سنة ١٩٧٢ – ص ٣٥ .

(٢) انظر فى ذلك : ألن تايلور – الرؤيا والقصد فى الفكر الصهيونى – تهويد فلسطين – تحرير : الدكتور ابراهيم أبو لغد – : مركز الأبحاث – بيروت – سنة ١٩٧٢ – ص ٢٣ وما بعده .

وقيام دولة إسرائيل يعتبر فى – حد ذاته – اغتصاب حق الشرعية العربية على هذا الجزء من الأرض العربية . فحملت هذه السياسة الصهيونية بذور الصراع المصيرى بين العرب والإسرائيليين وتحددت بموجها الغايات القومية المتصادمة للطرفين وكانت الحرب ومازالت أداة إدارة الصراع فيما بينهما .

وقد حدد إعلان قيام دولة إسرائيل الصادر فى ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ الأهداف الأساسية التى قامت إسرائيل من أجل تحقيقها . وهو بذلك تلخيص للايديولوجية الصهيونية ومخططها من إقامة وطن قومى لليهود .

وقد نص الإعلان المذكور على الأهداف الآتية :

١ – « أرض إسرائيل هى مهد الشعب اليهودى ، هنا تكونت هويته الروحية والدينية والسياسية ، وهنا أقام دولته للمرة الأولى وخلق قيما ثقافية لها أهميتها القومية والعالمية ، وقدم للعالم كتاب الكتب الخالد »[1] .

تحدد هذه العبارة ترابطا جغرافيا وتاريخيا بين مفهوم الحيز الجغرافى اللازم لإقامة الدولة وبين السكان المطلوب انتماؤهم إليها . كما أنها لم تعين حدودا لهذا الحيز الجغرافى المقصود من عبارة « أرض إسرائيل » .

ولكن استطرد نص الإعلان على الاستناد إلى القرارات ذات الصبغة الدولية الصادرة عن حكومة الانتداب البريطانى وعصبة الأمم وهيئة الأمم المتحدة . هذه القرارات هى : إعلان وعد جيمس آرثر بالفور – صك الانتداب – قرار التقسيم – مكررة فى كل موضع ذكرت فيه هذه القرارات عبارة « أرض إسرائيل » دون أن تبين الحدود الجغرافية التى حددتها القرارات السالفة الذكر عن حدود الوطن القومى اليهودى والتى أجمعت كلها على أن يقوم على جزء من فلسطين . وهذا يوضح بجلاء الهدف السياسى الغامض من هذه العبارة ذات الأبعاد التاريخية والجغرافية والدينية . وقد تأكد ذلك بعدم وجود

---

(١) انظر النص الكامل لإعلان قيام دولة إسرائيل المنشور فى :
Badi, J. Fundamental Laws of the State of Israel (New York: 1961) PP. 8- 11.

نص قانونى أو دستورى[1] يحدد لإسرائيل حدوداً جغرافية دولية وبالتالى تختلف الآراء حول تفسير أرض إسرائيل .

فالصهيونيون التحريفيون بزعامة « مناحم بيجن » ومن قبله جابوتنسكى كانوا يحددون أرض إسرائيل بفلسطين وشرق الأردن[2] .

المتعصبون من رجال الدين يرون أن سيناء جزء من إسرائيل ، والمعتدلون فقط هم الذين يفسرونها بالأرض الفلسطينية فقط . يؤكد ذلك « هرتزل » فى قوله : « إن أرض سيناء والعريش ، هى أرض اليهود العائدين إلى وطنهم »[3] .

هذا التعدد فى تفسير الحيز الجغرافى كهدف قومى من أهداف الدولة جعلها تسعى دائما لتطبيق مفاهيم التوسع الإقليمى وتوسيع رقعتها الجغرافية كلما سنحت لها الفرصة بذلك فهى أشبه بمخيم متحرك[4] .

٢ ــ وكانت النكبة التى حلت مؤخراً بالشعب اليهودى وأدت إلى إبادة ملايين اليهود فى أوربا ، دلالة واضحة أخرى على الضرورة الملحة لحل مشكلة تشرده عن طريق إقامة الدولة اليهودية فى أرض إسرائيل من جديد ، تلك الدولة التى سوف تفتح أبواب الوطن على مصراعيها أمام كل يهودى ، وتمنح الشعب اليهودى مكانته المرموقة فى مجتمع أسرة الأمم حيث يكون مؤهلا للتمتع بكافة امتيازات تلك العضوية فى الأسرة الدولية ... دولة إسرائيل سوف تفتح أبوابها أمام الهجرة اليهودية لتجميع شمل المنفيين »[4] .

إذن الهدف الثانى الذى يأتى متطابقا مع الهدف الأول هو السعى إلى ملأ الحيز الجغرافى بكم سكانى . وواضح من العبارات المطلقة التى نص عليها الإعلان السالف

---

(١) من المعروف أنه لم يوجد حتى الآن دستور مكتوب لإسرائيل . وقد باءت جميع المحاولات التى بذلت لعمل دستور منذ قيام الدولة حتى الوقت الحاضر بالفشل نظرا للاختلافات الحادة بين القوى السياسية المختلفة .. ومن الجدير بالذكر أن أبرز الخلافات الخلاف على تحديد حدود الدولة الجغرافية .

(٢) Hertsberg, A, OP. Cit, P. 559.

(٣) معين أحمد محمود – الجديد فى العسكرية الاسرائيلية – منشورات عويدات – الطبعة الأولى – بيروت – سنة ١٩٧٢ – ص ٥٣ .

(٤) الدكتور ايلى سالم – النظام السياسى فى اسرائيل – فلسطينيات – المجموعة الثانية – منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث – بيروت – سنة ١٩٦٩ – ص ١٥ وما بعدها .

الذكر أنها تعتبر يهود العالم شعباً واحداً ، ليس ذلك فحسب وإنما تمنحه حق العودة والجنسية معا فى دولة إسرائيل[1] . معيارها فى ذلك الدين اليهودى الذى يحدد انتماء اليهودى لدولة إسرائيل ، وهذا الهدف بدوره يعتبر عاملا من عوامل السعى إلى توسيع رقعة الدولة الجغرافية باستمرار . ويفسر ذلك دافيد بن جوريون قائلا : « إن الخصائص التى تميز إسرائيل عن غيرها من الدول هو أن قانون العودة مرتبط ارتباطا وثيقا بالجنسية . فالمادة الأولى من إعلان الاستقلال ترسى القواعد الرئيسية للدولة التى منها :

« إن دولة إسرائيل مفتوحة للهجرة اليهودية وتجميع المنفيين وتتضمن المادة نداء إلى جميع اليهود المشردين أن يتجمعوا حول الإسرائيليين بطريق الهجرة . دولة إسرائيل الجديدة ليست غاية فى حد ذاتها ، ولكنها خطوة جديرة بالاعتبار على المدى الطويل . فقانون العودة من أهم القوانين الرئيسية للدولة ، لأن الدولة لا تمنح حق الإقامة فى إسرائيل ، وإنما تفسر هذا أنه حق طبيعى له مستمد من كونه يهوديا »[2]

٣ ــ « نمد أيدينا إلى جميع الدول المجاورة وشعوبها عارضين السلام وحسن الجوار ونناشدهم إقامة روابط التعاون والمساعدة المتبادلة مع الشعب اليهودى صاحب السيادة والمتوطن فى أرضه . إن دولة إسرائيل على استعداد للإسهام بقسطها فى الجهد المشترك لأجل تقدم الشرق الأوسط بأجمعه » .

هذه الدعوة تبين مفهوم العلاقات التى تتصورها إسرائيل مع البلاد العربية . فهى تطالب بالاعتراف بشرعية سيادتها على الأرض العربية التى اغتصبتها من سكانها الأصليين . كما أنها تسعى إلى إقامة روابط التعاون والمساعدة المتبادلة فى المجالات الاقتصادية والثقافية باعتبارها جزءاً من منطقة الشرق الأوسط .

٤ ــ « إن دولة إسرائيل مستعدة للتعاون مع وكالات الأمم المتحدة وممثليها على تنفيذ قرار الجمعية العامة الصادر فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ وسوف تتخذ الخطوات الكفيلة

---

(١) انظر قانون العودة الإسرائيلى الصادر عام ١٩٥٠ فى :

Badi, J. Fundamental Laws the Sate of Israel, New York 1961, P. 156.

(٢) الدكتور كمال الغالى – النظام السياسى الإسرائيلى – معهد البحوث والدراسات العربية العالية – القاهرة – سنة ١٩٦٩ – ص٤٨ ــ ٤٩ .

بتحقيق الوحدة الاقتصادية لأرض إسرائيل بكاملها . نناشد الأمم المتحدة أن تساعد الشعب اليهودى فى بناء دولته وأن تستقبل دولة إسرائيل فى مجتمع أسرة الأمم »(١) .

يبين هذا النص أن إسرائيل تسعى للحصول على اعتراف المجتمع الدولى بها . كما أنها تؤكد مرة أخرى على وحدة « أرض إسرائيل » وتطالب المنظمة الدولية بتقديم العون والمساعدة لها كى تتمكن من بناء دولة الشعب اليهودى .

هذه هى الأهداف الأساسية التى حددها إعلان قيام إسرائيل وقد سعت منذ قيامها إلى تحقيقها مستخدمة بذلك وسائل متعددة وفقا لطبيعة ومجال كل هدف من الأهداف السابقة .

ويوضح ابراهام كوهين فى مؤلفه عن إسرائيل والعالم العربى أن إسرائيل حاربت واستخدمت القوة من أجل تحقيق وجودها . ولكنها فشلت حتى الآن فى تحقيق السلام بينها وبين الشعوب المجاورة لها . ثم يبين أن القدرة الذاتية لإسرائيل تكمن فى قوتها فى جميع المجالات . ويركز بإسهاب على ضرورة استخدام القوة لتحقيق أهداف سياسة إسرائيل »(٢) .

هكذا تبين مدى اعتماد إسرائيل على الأداة العسكرية منذ نشأتها ومدى استخدامها لهذه الأداة فى تحقيق أهدافها التى بينها إعلان قيامها واستقراء تاريخها فيما يزيد على ربع قرن والتى خاضت خلاله أربعة حروب ضد العرب يؤكد ذلك اعتمادها منذ البداية على منطق القوة وأسلوب الحرب ، ليس ذلك فحسب ، بل واتخذت من أسلوب الهجوم أساسا للدفاع ، وقد تبنت بذلك نظرية الحرب الوقائية فى مختلف مستوياتها التطبيقية سواء أكانت هذه الحرب تتخذ شكل الهجوم المحدود لتحقيق غرض عسكرى محدد أو تحقيق ردع نفسى للخصم ومنعه من مقاومة وجودها وأهدافها أو اتخذ الهجوم شكل حرب واسعة . وقد كشفت إسرائيل بعد قيام الدولة عن هذه السياسة ، فأتبعت أسلوبين عسكريين يعتمدان أساسا على إثبات « قوة الردع الإسرائيلية » .

الأول – أسلوب محدود ، هو الردع « بالإغارات والضربات الانتقامية » بغرض

---

(١) Badi, J. OP, Cit, PP. 8-10

ملاحظة : النصوص مأخوذة من إعلان قيام دولة إسرائيل .

(2) Cohen, A- Lsrael and the Arab World. New York - Funk and Wagnails: 1970. P. 490.

تحقيق الأمن من خلال تأثير مادى ومعنوى لدى العرب يعجزهم عن تحدى الصهيونية وتثبيت الوجود الصهيونى الإسرائيلى فى المجال العربى والعالمى كأمر واقع يجب الرضوخ له .

الثانى – أسلوب شامل – هو الردع « بالحرب الوقائية » بغرض تحقيق جزء من الأطماع الصهيونية التوسعية ، وذلك تحت ستار « حق الدفاع عن النفس » والقضاء على التهديد العربى الخارجى ، مع تبرير العدوان بأى مبررات »(١) .

وهذا ما حدث فى عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ وهما الحربان النموذجيتان لأسلوب الحرب الوقائية ، التى خاضتهما إسرائيل لتحقيق أهداف سياستها العليا وأهمها – التوسع الإقليمى – فرض السلام الإسرئيلى على العرب – تجميع يهود العالم فى أرض إسرائيل . ويتم لها ذلك عن طريق كسر القوة العسكرية العربية وأضعاف معنوياتها .

إذن كيف استخدمت إسرائيل أسلوب الحرب الوقائية كأداة لتحقيق أهدافها القومية ؟ وهل نجحت فى ذلك ؟ وإلى أى مدى ؟

نحاول من خلال البحث والاستقراء لمفهوم الحرب الوقائية وخصائصها ونماذجها فى التاريخ العسكرى وقياس ذلك على الحروب التى خاضتها إسرائيل ضد العرب أن نصل إلى إجابات تعتمد على الوقائع والحقائق الموضوعية .

---

(١) مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية – العسكرية الصهيونية – المجلد الأول – مؤسسة الأهرام – القاهرة – سنة ١٩٧٢ – ص ١٩٢ .

الفصل الأول
الحرب الوقائية فى التاريخ العسكرى

أولا – مفهوم الحرب الوقائية :

تطور مفهوم الحرب الوقائية عبر التاريخ العسكرى منذ القدم وقد اتخذ هذا النمط من الحروب أشكالا متعددة وأطلق عليها المفكرون العسكريون تسميات مختلفة ، ولكن جوهرها والهدف منها لم يتغير .

فقديما كانت تتحرك الجيوش للغزو والتوسع والاحتلال دون سابق إنذار وتسعى للقضاء على الخصم المنافس مثلما فعلت روما فى قرطاجه فى القرن الثانى قبل الميلاد . ومثلما حدث فى روما للتوسع والانتشار فى حوض البحر الأبيض المتوسط . وقد حدث نفس الشيء فى بداية الفتوح الإسلامية ، حيث كان من أسبابها دفع هجوم محتمل من قبل الروم أو الفرس بعد أن تبين للمسلمين نوايا الدولتين للقضاء على دولة الدين الجديد فى الجزيرة العربية[1] .

ويمكن القول أن المفكر العسكرى الألمانى كارل فون كاوزفيتز كان من أوائل المفكرين العسكريين الذين وضعوا مفهوم وخصائص هذه الحرب وأهدافها وأطلق عليها تعبير الحرب الهجومية فقال :

« يعتبر سحق العدو غاية الحرب . وما تدمير قوته العسكرية سوى وسيلة لتحقيق هذه الغاية ، سواء أتم التدمير بالهجوم أو بالدفاع ويؤدى تدمير القوات المعادية إلى انتقال الدفاع إلى الهجوم . كما يدفع الهجوم إلى احتلال البلاد . إذن فبلاد العدو هى غرض

---

(١) عباس محمود العقاد – حقائق الإسلام وأباطيل خصومه – الطبعة الثالثة – دار القلم – القاهرة – سنة ١٩٦٦ – ص ٢٢٨ وما بعدها .

الهجوم . ولكن ليس من الضرورى أن يشمل هذا الغرض بلاده كلها ، فقد يكون عبارة عن جزء أو مقاطعة أو شريط أرض أو قلعة . ولكل هذه الأغراض قيمة كافية فى مفاوضات الصلح المقبلة حيث يتم الاحتفاظ بها أو مبادلتها »(١) .

إذن فالحرب الهجومية لها ثلاثة أهداف متتالية :

١ ــ سحق العدو وتدمير قواته للتحكم فى إرادته .

٢ ــ احتلال أراضيه كلها أو أجزاء منها .

٣ ــ استخدام النتائج التى أدت إليها الحرب الهجومية من سحق العدو واحتلال أراضيه – استخدام هذه النتائج – فى المساومة على تحقيق الصلح لصالح الطرف المنتصر .

ثم يفصل « كارل فون كلاوزفيتز » طبيعة هذا الهجوم وخصائصه قائلا : « لذا فإن بوسعنا أن نتصور غرض الهجوم الاستراتيجى مع عدد لامنتهى من الدرجات ، ابتداء من احتلال البلاد كلها ، وانتهاء بالاستيلاء على نقطة غير هامة . وما أن يتم بلوغ هذا الغرض ويتوقف الهجوم حتى يبدأ الدفاع (٢)

هكذا يمكن أن نتمثل الهجوم الاستراتيجى كوحدة لا متناهية » (٣)

إذن ما إن يبدأ الهجوم حتى يتقدم لبلوغ الغايات المحددة له وذلك وفقا لغاية الحرب العليا . ولكن مفهوم الحرب الوقائية الحديث أصابه الكثير من التغيير والتطور وذلك وفقا للتغييرات السياسية والعسكرية التى شهدها العالم منذ الحرب العالمية الأولى وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية . وضح ذلك هيثم الكيلانى فقال :

« ظهرت نظرية الحرب الوقائية بعد الحرب العالمية الثانية عندما كانت الولايات

---

(١) كارل فون كلاوزفيتز – مصدر سابق – الجزء الثالث – ص ١٢ .

(٢) من الجدير بالملاحظة أن هذه القاعدة طبقتها اسرائيل بحذافيرها فى أعقاب حرب ١٩٦٧ . فما أن تمكنت قواتها من تدمير القوات العربية لمصر وسوريا والأردن ووقفت على خطوط نار جديدة وملائمة لاستراتيجيتها حتى توقف الهجوم واتخذت موقف الدفاع .. واستمر وضع قواتها فى الأراضى المحتلة على هذا الوضع إلى أن بدأها العرب بالهجوم فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ .

(٣) كارل فون كلاوزفيتز – المصدر السابق – الجزء الثالث – ص ١٢ .

المتحدة الأمريكية منفردة بامتلاك السلاح الذرى . وتقوم نظرية الحرب الوقائية على الفرضية التالية : عندما يملك أحد الخصمين قوة أو سلاحا لا يملكه الخصم الآخر ، فإنه قد يلجأ إلى استباق المعركة للقضاء على قوة خصمه ويمكن تعريف الحرب الوقائية « بأنها الهجوم المدبر من دولة على دولة أخرى ، أى الاعتداء الذى لا يكون نتيجة عدوان ما . والهدف الرئيسى لذلك الهجوم الذى انطلق من طرف واحد هو تدمير القوة العسكرية المسلحة للطرف الآخر ، حتى تتمكن الدولة المعتدية من فرض إرادتها وشروطها . ومما لاشك فيه أن الطرف الذى يوجه الضربة الأولى سوف يحصل بدون شك على التفوق فى المرحلة الأولى على الأقل ، إن لم يكن حتى نهاية المعركة وخاصة فى حالة وجود تخطيط دقيق جيد . ويرى مؤيدو نظرية الحرب الوقائية ، أن خطة الهجوم الاستراتيجى ستتاح لها فرصة كبيرة للنجاح إذا اعتمد منفذوها أسلوب توجيه الضربة الأولى ... وتعتمد الحرب الوقائية على مبدأ المفاجأة وعلى الوقت ، بحيث يمكن للمهاجم أن يعطل ردود الفعل لدى الخصم ، ويبعث الفوضى والرعب فى صفوفه ، ويجعل جميع التدابير والردود والاستعدادات ، والتدخلات الخارجية وكأنها جاءت متأخرة فى غير موعدها المناسب »(١) . وقد أعتمدت اسرائيل على هذه المبادىء في معاركها وحروبها الوقائية .

ووفقا لهذا التعريف تكون الحرب الوقائية مرتبطة بتطور ونشأة السلاح الذرى وكذلك بنظام التوازن الدولى والصراع بين القوتين الأعظم روسيا وأمريكا ، وهى بذلك تدور حول تحقيق هدف أساسى هو منع الخصم من امتلاك القوة التى تمكنه من الوصول إلى حالة التوازن فى التسليح مع الأطراف الأخرى . ولكنها أيضا تسعى إلى تحقيق أهداف أخرى كالتى ذكرها كلاوزفيتز .

ويربط كل من أكرم ديرى والهيثم الأيوبى هذا النوع من الحروب بحالة الصراع المسلح بين العرب وإسرائيل فيقولان : « هذه الاستراتيجية قائمة على أساس تطوير قوة قتالية ضاربة وسريعة ، مستعدة للقيام بهجوم مضاد وقائى ضد الدول العربية قبل أن تزداد القدرة العسكرية لهذه الدول ، وقبل أن تكون أهلا لخوض معركة حاسمة ضدها . وفى سبيل تغطية هذا الهجوم المضاد الوقائى التوسعى على حساب الأرض العربية ، تبث

---

(١) هيثم الكيلانى (عميد طيار) - المذهب العسكرى الاسرائيلى - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث - بيروت - سنة ١٩٦٩ ، ص ٤٤٦ - ٤٤٨ .

سمومها فى الرأى العام العالمى مدعية أنها ضحية لهجوم عربى شامل ومفاجىء يعده خصمها وذلك بعد أن تخلق سلسلة من حوادث التوتر على الحدود تضطر خلالها الجيوش العربية إلى خرق الحالة القائمة »(١) .

إذن فى أعقاب تطور قواعد القانون الدولى العام والتنظيم الدولى اختلف مفهوم وأسلوب الحرب الوقائية . فقديما كما سبق واتضح – لم تكن هناك حاجة لتوجيه إنذار قبل الهجوم أو محاولة التوجه إلى الرأى العام لمخاطبته وتبرير مثل هذا العمل الهجومى على أراضى دولة من الدول . ولكن فى ظل الأوضاع الدولية الراهنة وبعد نشأة الأمم المتحدة وظهور قوة تأثير الرأى العام العالمى فى السياسة الدولية أصبح لزاما على من يعتمد مثل هذا الأسلوب فى تعامله الدولى مع خصومه أن يحاول تبرير عدوانه قبل القيام به .

وبذلك تكون قد أضافت تجارب الصراع العربى – الاسرائيلى المسلح عناصر جديدة لمفهوم الحرب الوقائية نابعة فى الأصل من طبيعة هذا الصراع وخصائصه التى يمكن إيجازها بأنه صراع مصيرى بين وجودين متعارضين . هذه العناصر الجديدة هى :

١ ـــ تسعى الدولة التى تقوم بالتدبير للقيام بالحرب الوقائية إلى خلق المشكلة وإثارتها استعداداً للهجوم .

٢ ـــ تقوم الدولة المذكورة باختلاق الحوادث مع الدول المقصودة بالهجوم لإجبارها على اتخاذ إجراءات يكون من شأنها أن تضع قواتها فى متناول الهجوم المبيت .

٣ ـــ تقوم الدولة المذكورة ببناء قواتها المسلحة وتنظيمها وتسليحها على أسس هجومية تمنحها القدرة على التفوق لتوجيه الضربة الأولى وبسرعة خاطفة .

٤ ـــ قبل بدء الهجوم تحاول هذه الدولة أن تضلل الرأى العام العالمى بالقيام بحملة دعائية لتبرير عدوانها على الدول الأخرى . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى تحاول كسب الوقت عن طريق إثارة الغموض حول بدء العمليات العسكرية وذلك لمنع المجتمع الدولى وخاصة الأمم المتحدة من اتخاذ الإجراءات القانونية الضرورية لمقاومة العدوان ومنعه من تحقيق أهدافه .

---

(١) أكرم ديرى والمقدم الهيثم الأيوبى – نحو استراتيجية عربية جديدة – الطبعة الأولى – دار اليقظة العربية – بيروت – سنة ١٩٦٩ – ص ١٥٤ ـــ ١٥٥ .

كما يربط الدكتور محمد فاروق الهيثمى بين أسلوب الحرب الوقائية وبين حالة التوازن بين الأطراف المتصارعة ويضع هدف محاولة أحد الأطراف فى الصراع منع الأطراف الأخرى من الوصول إلى حالة التوازن أو التفوق كهدف من أهداف الحرب الوقائية ، وهذا ما سعت إليه اسرائيل فى الحروب التى شنتها على الدول العربية فى عام ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧(١) .

وعلى ضوء ما تقدم ذكره لمفهوم الحرب الوقائية يمكننا أن نعرفها بما يأتى : « الحرب الوقائية تعنى فى جوهرها قيام دولة بشن هجوم مدبر على دولة أخرى بينهما صراع لتحقيق هدف من أهدافها السياسية ، هذا الهدف يرتبط بتخطيط سياسة الدولة العليا .

« ومن هنا يأتى الفرق الواضح بين الهجوم المسلح وبين الحرب الوقائية فالحرب الوقائية هى استخدام الأداة العسكرية لتحقيق هدف سياسى عن طريق تحقيق هدف عسكرى فى البداية ، هذا الهدف العسكرى يمكن أن يكون تدمير قوة العدو العسكرية قبل استخدامه لها ، أو تدمير هدف فى أراضيه يجبره على التنازل أمام الخصم أو احتلال أجزاء من أراضيه واستخدام هذه النتائج فى المساومة على تحقيق الصلح لصالح الطرف المنتصر » .

إذن فالحرب الوقائية كأسلوب هجومى من أساليب تحقيق أهداف الدولة العليا عرفها التاريخ العسكرى وقدم لها نماذج مختلفة تطور مفهومها بتطور هذه النماذج ولكنها مرتبطة ارتباطا عضويا بفلسفة الدولة التى تعتمد عليها فى تحقيق أهدافها ونظامها السياسى . سوف يتضح ذلك عند استعراض النماذج التاريخية للحرب الوقائية .

ويبرز فى مجال البحث التساؤل الآتى : هل يمكن أن يكون للحرب الوقائية مبرر شرعى وقانونى تجيزه القوانين والمواثيق الدولية المعاصرة ؟ هذا ما نجيب عليه فى النقطة التالية :

---

(١) الدكتور محمد فاروق الهيثمى – فى الاستراتيجية الاسرائيلية – منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث – بيروت – سنة ١٩٦٨ – ص ١٠٠ وما بعدها .

ثانيا – شرعية الحرب الوقائية على ضوء القانون الدولى :

١ ــ شرعية الحرب فى القانون الدولى :

تعتبر الحرب ظاهرة تتميز بها العلاقات بين الجماعات والدول . وقد تطور تعريفها بتطور قواعد القانون الدولى وارتقائها نحو تحريم الحرب واللجوء إلى القوة فى فض المنازعات الدولية .

وقد عرف الدكتور محمد حافظ غانم الحرب قائلا : « فالحرب فى القانون الدولى التقليدى صراع مسلح بين دولتين أو أكثر ينظمه القانون الدولى ويكون الغرض منه الدفاع عن المصالح الوطنية للدول المتحاربة » – ويوضح ذلك فيقول : يتبين من هذا التعريف ما يلى :

(ا) ان الحرب علاقة دولية فلا تقوم إلا فيما بين الدول ذات السيادة وهذا ما يميزها عن الاضطرابات الداخلية وعن ثورات المستعمرات وعن القتال الذى تقوم به جماعة من الأفراد ضد دولة أجنبية .

(ب) أن القانون الدولى يخضع الحرب لتنظيم مبناه التخفيف من حدتها وجعلها أكثر إنسانية بتحريم الأعمال التى تعد غير ضرورية لتحقيق الغرض من الحرب . وحماية غير المحاربين من ويلات القتال .

(جـ) ان الغرض من الحرب أن تحقق الدولة المحاربة مصالحها الوطنية ، وهذا ما يميز الحرب التقليدية عن الإجراءات الحربية التأديبية التى تقوم بها الدول تحت إشراف المنظمات الدولية والتى يطلق عليها اسم إجراءات قمع .

ولكن الاتجاه الحديث يميل إلى توسيع معنى الحرب بحيث يشمل كل حالة يتم فيها قتال مسلح دولى على نطاق واسع ، وذلك حتى فى الأحوال التى لا تتوافر فيها كل عناصر التعريف السابق الإشارة إليها .

ويقرر الأستاذ « كونز » أن ميثاق الأمم المتحدة جاء موسعا لمعنى الحرب فقد نصت المادة الثانية من الميثاق فى فقرتها الرابعة على أن تمتنع الدول عن استعمال القوة والتهديد فى علاقاتها الدولية . وينبنى على هذا أن قواعد قانون الحرب تنطبق على كل أحوال القتال المسلح الدولى الواسع النطاق سواء أطلق عليها وصف الحرب أو لم يطلق عليها .

وحتى لو كان القتال يدور بين جماعات لا تتمتع بوصف الدولة وفقا لأحكام القانون الدولى . وقد تأكد هذا الرأى فى العرف الدولى الحديث ، فقد طبقت قواعد الحرب فى القتال الذى دار بين الدول العربية وبين اليهود حتى قبل إنشاء إسرائيل فى ١٩٤٨ كما حكمت المحاكم الأمريكية بأن الموقف بعد الاعتداء الفرنسى الانجليزى على مصر فى سنة ١٩٥٦ ومقاومة مصر لهذا الاعتداء يعتبر حالة حرب(١) .

وقد قدم على ماهر تعريفا أكثر دقة وشمولا للحرب فعرفها : « بأنها حالة عداء مسلح بين دولتين فأكثر ومادامت الحرب قائمة فإن الدول المشتبكة فيها تعد أعداء بعضها لبعض . وتوقف بينها كل العلاقات السياسية المألوفة ولا يبقى إلا مقارعة القوة بالقوة »(٢) .

وهذا التعريف يشمل استمرار حالة الحرب حتى بعد انتهاء العمليات العسكرية وتوقفها وقيام اتفاقيات الهدنة بين الأطراف المتحاربة . وهذا يصدق على ما هو قائم بين العرب والاسرائيليين .

إلا أن الدكتور حامد سلطان يقدم تعريفا للحرب يربط فيه بين استخدام القوة المسلحة والغاية من ذلك فيقول « الحرب حالة صراع بين دولتين أو أكثر يستخدم فيه المتصارعون القوة المسلحة بقصد التغلب على بعضهم البعض وفرض شروط الصلح على المغلوب كما يشاؤها الغالب »(٣) .

وبناء على ذلك فقد تضطر الدولة للدفاع عن أحد مصالحها المهددة أو لصد هجوم وقع عليها أو لتحرير جزء أغتصب من إقليمها . كما أنها فى بعض الحالات قد تبادر بالهجوم على الخصم إما رغبة فى حماية مصالحها الحيوية وفرض سيطرتها ونفوذها أو لمنع هجوم تتوقع أن يشنه الخصم عليها . وفى كثير من الحالات يصعب التمييز بين الدفاع والهجوم ، وبناء على ذلك يصعب تحديد المسئولية القانونية فى بدء العمليات الحربية وشرعية الأعمال الحربية .

---

(١) د . محمد حافظ غانم – مبادىء القانون الدولى العام – الطبعة الرابعة – مطبعة نهضة مصر بالفجالة – القاهرة – سنة ١٩٦٤ ص ٦٥٨ – ٦٦٠ .

(٢) على ماهر – القانون الدولى العام – مطبعة الاعتماد – القاهرة سنة ١٩٢٤ – ص ٥٠٧ .

(٣) د . حامد سلطان – أحكام القانون الدولى فى الشريعة الاسلامية – دار النهضة العربية – القاهرة – سنة ١٩٧٠ – ص ٢٤٥ .

ومازالت قواعد القانون الدولى العام ونصوص المواثيق الدولية قاصرة عن تحديد متى تكون الحرب هجومية ، ومتى تكون دفاعية ، ومدى شرعيتها . وعلى سبيل المثال : فان بدء مصر وسوريا للعمليات العسكرية فى ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ ضد احتلال إسرائيل لأجزاء من أراضيها كان عملا حربيا هجوميا ولكن له صفة الشرعية ، على العكس الحرب التى شنتها إسرائيل على كل من مصر وسوريا والأردن فى ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ فإنها كانت حربا هجومية عدوانية .

إذن تحديد الشرعية يختلف باختلاف الدوافع التى تؤدى إلى الحرب ، وقد تطور موقف القانون الدولى من الحرب بتطور قواعده وبنشأة قواعد التنظيم الدولى والمنظمات الدولية . فقبل عصر التنظيم الدولى كانت العلاقات بين الدول تنظمها قواعد عامة وكانت الدولة الحديثة صاحبة السلطة المطلقة فى تحديد مصالحها . على أن القانون الدولى التقليدى كان يأخذ منذ استقرار قواعده فى القرن السابع عشر بمبدأ مشروعية الحرب . ولذلك أسبابه السياسية والاقتصادية والقانونية فى تلك المرحلة التاريخية التى بدأ فيها الصراع الاستعمارى بين الدول الأوربية .

و« نتيجة لذلك تعددت الحروب فى العصر الحديث وتحررت السياسة الدولية من المبادىء القانونية لتسعى وراء المصالح وانتهاز الفرص ، وتعللت كل دولة بسيادتها الوطنية لكى تمتنع عن تطبيق أية قاعدة قانونية مالم تقبلها صراحة »(١) .

٢ ــ شرعية الحرب فى عصر التنظيم الدولى :

بعد الحرب العالمية الأولى وما أسفرت عنه من نتائج مدمرة وويلات نكبت بها الدول المتحاربة وغير المتحاربة على حد سواء شعرت الدول بالحاجة إلى ضرورة قيام تنظيم على مستوى الدول جميعها يسعى إلى تنظيم العلاقات فيما بينها بالوسائل السلمية . وفى ذلك يقول ا . ل . كلود :

« فإن الحاجة إلى التنظيم الدولى – من الناحية الموضوعية – توجد مستقلة عن مشكلة الحرب . ومع ذلك فتبقى حقيقة أن القوة الرئيسية الدافعة للتنظيم الدولى قد صدرت من الباعث على تلافى الحرب .. فإذا سلمنا بالاتجاه المضاد للحرب كمميز

---

(١) د . محمد حافظ غانم – مصدر سابق – ص ٦٤٠ .

للحركه نحو التنظيم الدولى ، فمن الواضح أن المناهج الجماعية نحو السلام ينبغى ان ترتكز على فروض تتعلق بطبيعة الحرب وأسبابها . إن ظاهرة الحرب قد نظر إليها من وجهات نظر مختلفة ، وبطرق شتى ، فقد نظر إليها على اعتبار أنها التمرين الصحى الذى يفيد فى تطور الناس والأمم .

وثمة نظرة أخرى للحرب اعتبرتها حقيقة لا مهرب منها مشتقة بحكم الضرورة من طبيعة الفرد والإنسان الجماعى . بيد أن التنظيم الدولى يمثل انكارا لكلا هذين التفسيرين ، لأنه يفترض أن الحرب ينبغى أن تمنع ، وفى وسع الإنسان أن يحول دون وقوعها . وفيما وراء ذلك ، فالاتفاق بين صانعى وداعمى الوكلات الدولية اتفاق ضئيل جدا بالقياس إلى تحليل مشكلة الحرب . ولقد اقترحت مناهج متعددة من أجل السلام عن طريق التنظيم الدولى ، وصيغة أحكامها ، وبذلت محاولات لوضعها موضع التنفيذ ، وكل منهج منها يرتكز على مفهوم مميز لطبيعة الحرب ، ومن ثم يرتكز اهتمامه فى حل مميز لمشكلة الحرب يلاقى هذا المفهوم وينسجم معه »[1] .

(أ) الحرب على ضوء ميثاق عهد عصبة الأمم :

يمكن القول أن عصبة الأمم عند إنشائها – بعد الحرب العالمية الأولى – وضعت قواعد عامة تحرم بموجبها الحرب وتقيد استخدام القوة المسلحة فى فض المنازعات الدولية وتنظيم العلاقات على أسس سليمة ولكن ، رغم ذلك كله فان ميثاق العصبة خلا من نص صريح يحرم الحرب أو يحدد مشروعية استخدام القوة – ويوضح ذلك الدكتور حافظ غانم فيقول :

« لم يحتو ميثاق عصبة الأمم على نص صريح يحرم بصفة عامة ، ولكنه اعتبر مع ذلك مرحلة جديدة من مراحل التطور جعلت من الحرب عملا غير مشروع فى مجموعة من الحالات .

١ – فالمادة ١٢ من العهد تنص على أن كل حرب سابقة للأوان – أى كل حرب – وتعلن عرض النزاع على التحكيم أو القضاء أو مجلس العصبة أو بعد عرضه للفصل فيه

---

(١) ا . ل . كلود – النظام الدولى والسلام العالمى – ترجمة/ الدكتور عبد الله العريان – دار النهضة العربية – القاهرة – سنة ١٩٦٤ ص ٣٠٠ — ٣٠١ .

بإحدى هذه الطرق ولكن قبل مضى ميعاد ثلاثة شهور من تاريخ صدور قرار التحكيم أو القضاء أو مجلس العصبة تعتبر حربا غير مشروعه .

٢ ــ والمادتان ١٣ و ١٥ تمنعان إعلان الحرب على الدولة التى قبلت قرار التحكيم أو القضاء ، أو التزمت بقرار المجلس الصادر بالإجماع ولو بعد مضى الميعاد المتقدم .

٣ ــ والمادة ١٠ تمنع كل حرب يكون الغرض منها الاعتداء على استقلال الدول أو على إقليمها إخلالا بالتزام الضمان المنصوص عليه فى المادة ١٠ ، ويلاحظ الفرق بين الحالة الأخيرة وهى حالة تحريم تحرير موضوعى للحرب والحالتين السابقتين وهما حالات تحريم شكلى .

ومما تقدم يتبين أن الحرب كانت ممكنة فى ظل عصبة الأمم فى بعض الأحوال :

١ ــ حالة الحرب الدفاعية .

٢ ــ حالة الحرب بعد استنفاذ الإجراءات والأشكال السابق بيانها[1] .

من هذا يتضح مدى العمومية التى غلبت على نصوص عهد العصبة وتأثرها بحق الدولة فى ممارسة سيادتها وحقها فى الدفاع دون أن يبين الحالات التي يمكن أن تكون الحرب فيها دفاعية . هذا بالإضافة إلى أنه ترك للدولة حرية الالتزام من عدمه بالوسائل السلمية الأخرى . إذن لم يستطع عهد العصبة أن يمنع وقوع الحرب العالمية الثانية فيما بعد نظرا لهذا القصور .

(ب) الحرب فى ميثاق بريان – كليوج :

اتضح أن مثياق العصبة لن يفى بالغرض المطلوب فى تحريم الحرب وظلت هناك ثغرات قانونية واضحة تبرر بها الدول لجوءها للقوة لفض المنازعات فيما بينها أو للمحافظة على مصالحها أو لتبرير عدوانها على الدول الأخرى . لذلك أرادت الدول أن تكمل العجز والقصور الملموس فى نصوص ميثاق عصبة الأمم الخاص بتحريم الحرب فأبرمت ميثاق بريان – كيلوج فى ٧ أغسطس سنة ١٩٣٨ ولقد تضمن نصين واضحين بهذا الخصوص :

---

(١) محمد حافظ غانم – مصدر سبق ذكره – ص ٦٤٢ ــ ٦٤٣ .

١ ــ نصت المادة الأولى على أن تعلن الدول المشتركة استنكارها الالتجاء للحرب لتسوية الخلافات الدولية ونبذها إياها فى علاقاتها المتبادلة كأداة للسياسة القومية

٢ ــ ونصت المادة الثانية على أن جميع الخلافات والمنازعات التى يمكن أن تقوم بينها أيا كانت طبيعتها وأيا كان أصلها لا يجوز أن تعالج إلا بالطرق السلمية .

ويبين الدكتور محمد حافظ غانم نقاط الضعف فى هذا الميثاق قائلا : « على أنه يمكننا أن نوجه أشد النقد إلى الميثاق إلى حد اعتباره وثيقة تافهة عديمة الجدوى[1] » ومبعث ذلك كله خلو الميثاق من نص ملزم يتوقف على مخالفته إنزال العقاب بالمخالف ووجود سلطة تملك القوة لتطبيق ذلك العقاب .

(جـ) الحرب فى ميثاق الأمم المتحدة :

جاء ميثاق الأمم المتحدة فى أعقاب حرب شاملة مدمرة هى الحرب العالمية الثانية . فأكد هدفه الأول وهو منع الحرب والمحافظة على السلام . ولقد نصت « المادة ٤/٢ يمتنع أعضاء الهيئة جميعا فى علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة الأراضى أو الاستقلال السياسى لأى دولة » ، أو على أى وجه آخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة « كما نصت المادة ١/١ على حفظ السلم والأمن الدولى ، وتحقيقا لهذه الغاية تتخذ الهيئة التدابير المشتركة الفعالة لمنع الأسباب التى تهدد السلم ولإزالتها ، وتقمع أعمال العدوان وغيرها من وجوه الإخلال بالسلم وتتذرع بالوسائل السلمية ، وفقا لمبادىء العدل والقانون الدولى ، لحل المنازعات الدولية التى قد تؤدى إلى الإخلال بالسلم أو لتسويتها »[2] .

على أن الميثاق أوضح أنه ليس فيه ما يضعف أو ينتقص الحق الطبيعى للدول فى الدفاع عن النفس ، وذلك وفقا لنص المادة الحادية والخمسين : ليس فى هذا الميثاق ما يضعف أو ينتقص الحق الطبيعى للدول ، فرادى أو جماعات ، فى الدفاع عن أنفسهم إذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء « الأمم المتحدة » وذلك إلى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولى ، والتدابير التى اتخذها الأعضاء استعمالا لحق الدفاع عن النفس تبلغ إلى المجلس فورا ، ولا تؤثر تلك التدابير بأى حال

---

(١) المصدر السابق – ص ٦٤٤ ــ ٦٤٥ .

(٢) ميثاق الأمم المتحدة – نيويورك – سنة ١٩٦٥ – المادة – ٤/٢ ، ١/١ .

فيما للمجلس – بمقتضى سلطته ومسئولياته المستمدة من أحكام هذا الميثاق من الحق فى أن يتخذ فى أى وقت ما يرى ضرورة لاتخاذه من الأعمال لحفظ السلم والأمن الدولى أو إعادته إلى نصابه »(١) .

وحق الدفاع هذا إما أن يكون بطريقة فردية بأن ترد الدولة الموجه إليها الاعتداء بنفسها على ما وجه إليها من عدوان ، أو بطريقة جماعية بأن تتعاون مجموعة من الدول لرد الاعتداء الذى وقع على إحداها .

وكثيراً ما أسيء تفسير هذا النص أيضا لعدم وضوحه وتحديده لمفهوم العدوان والحالات التى يجوز فيها للدولة أن تستخدم القوة . ويقول هيجنز : « إن حجة الدفاع عن النفس لا يمكن أن تكون مبرر للمبادرة بالعدوان والاستخدام غير الشرعى للقوة ذلك أن من الصعوبة بمكان تطبيق المادة ٥١ على تبرير أعمال العدوان المختلفة »(٢) .

من هذا السرد لتطور قواعد القانون الدولى والمواثيق الدولية وموقفها من مشروعية الحرب واستخدام القوة فى فض المنازعات الدولية يتضح أن الحرب العدوانية غير مشروعة وهى الحرب التى تبدؤها الدولة دون أن يكون هناك معتد عليها وقبل أن تستخدم الوسائل السلمية فى فض النزاع وقبل أن تلجأ إلى الأمم المتحدة لمساعدتها فى ذلك .

ولكن هناك حالات تكون فيها الحرب مشروعة إذ أن هناك أنواعا من الحروب لها صفة الشرعية سواء أكانت بأسلوب الدفاع التقليدى فى صد العدوان إذا ما وقع . أو حماية حدودها ومصالحها وأيضا بأسلوب الهجوم أى التصدى للخصم فى حالة احتلاله لأجزاء من أراضى الدولة . ولكن تفسير الهجوم بأنه عمل وقائى تلجأ إليه الدولة لمنع هجوم تتوقعه من الخصم – وهو ما يطلق عليه بالحرب الوقائية – غير شرعى ذلك أن جميع المواثيق السالفة الذكر قد نصت على ضرورة استنفاذ الوسائل السلمية فى حل ما ينشأ من منازعات بين الدول .

ويرى « كوينس رايت » أن المادة الحادية والخمسين من الميثاق تقترن بالحق

---

(١) ميثاق الأمم المتحدة – المصدر السابق – مادة – ٥١ .

(١) Higgins, R, The Development of International Law through the Political organs of the united Nations New York; Press. 1963. PP. 197- 198.

الطبيعي فى الدفاع الفردى أو الجماعى عن النفس فى حالة وقوع الهجوم المسلح فقط وحتى يتولى مجلس الأمن اتخاذ الإجراءات الضرورية للحفاظ على السلم والأمن ، ويفترض ذلك ضرورة انسحاب القوات الأجنبية بعد استعادة الأمن والسلام . ويرى رايت أن مثل هذا الهجوم الوقائى لا يمكن اعتباره دفاعيا وإنما عدوانيا(١) .

وبناء عليه فليس هناك من سند قانونى يبرر المبادرة بالهجوم على دولة هى عضو فى الأمم المتحدة . وذلك أن حجة الدفاع عن النفس لا يمكن تبريرها بشن الهجوم . ولكن إسرائيل بررت حروبها الوقائية ضد العرب بهذه الحجة فقد أعلن رئيس وزرائها فى الكنيست بعد قيامها بالهجوم على البلاد العربية فى ٥ حزيران (يونيه عام ١٩٦٧) أنها تدافع عن نفسها ضد عدوان وقع عليها .

ولقد تأكد فيما بعد أنها هى التى بدأت بالهجوم وسرعان ما حشدت الحجج والتبريرات فيما بعد لكى تخدر الرأى العام العالمى . وتحيط عملها بالغموض أمام أعضاء الأمم المتحدة وتسبغ على عدوانها صفة الشرعية بحجة أنها تعرضت لخطر الفناء . وفى معرض التقييم لشرعية الحرب الوقائية نخلص إلى ما يأتى :

١ ـــ ليس هناك – حتى الآن – قاعدة قانونية أو نص فى ميثاق الأمم المتحدة يبين الحالات التى يندرج تحتها حق الدفاع عن النفس .

٢ ـــ مازالت إرادة الدولة المستقلة وسيادتها مصدرين أساسيين لتحديد علاقاتها بالدول الأخرى فى الحرب والسلم .

٣ ـــ مازالت الأمم المتحدة ، كهيئة عالمية ، عاجزة عن اتخاذ الإجراءات الملزمة وإنزال الجزاء بالدول التى تخالف نصوص الميثاق والتزاماتها .

ومهما يكن فإن الحرب الوقائية عمل عدوانى يؤدى إلى تهديد السلم والأمن الدوليين وإشاعة استخدام القوة فى فض المنازعات الدولية . وهذا ما أدى إليه سلوك إسرائيل العدوانى منذ نشأتها حتى الوقت الحاضر .

إذن الحرب الوقائية ليس لها سند من قانون أو مبرر فى ميثاق الأمم المتحدة .

---

(١) د . تيسير شوكت النابلسى – الاحتلال الاسرائيلى للأراضى العربية – دراسة لواقع الاحتلال الاسرائيلى فى ضوء القانون الدولى العام – منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث – بيروت – سنة ١٩٧٥ ص ٣٧ .

ثالثا – نماذج الحرب الوقائية فى العصر الحديث :

شهدت أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين نموذجين للحرب الوقائية الشاملة ذات الدوافع الايديولوجية وهذان النموذجان هما : الحرب النابليونية والحروب النازية . إذ كان فى كليهما ، زمام المبادرة بالهجوم فى يد فرنسا وألمانيا . وكانت مواقف الدول الأوروبية من كلا الدولتين تتسم بالحيطة والحذر ، وكانت كلاهما – أى فرنسا وألمانيا – تسعيان عن طريق الحرب لتحقيق التوسع وفرض المبادىء الأيديولوجية .

١ – نموذج الحروب النابليونية :

كان قيام الثورة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر سنة ١٧٨٩ حدثا سياسيا ثوريا وجذريا تأثرت به أوروبا كلها والعالم فيما بعد . فقد حملت الثورة الفرنسية آنذاك رياح التغيير للنظم السياسية التقليدية الفردية الأوروبية وذلك للتعارض فى النظم والأهداف . وقد سعت فرنسا الثورة إلى تغيير النظم الأوروبية التى كانت سائدة ، وقد دفع ذلك تلك الدول ، إلى التحالف ضدها والوقوف لمواجهة دعوتها ، وشعوبها ، إلى الثورة . وبعد حروب متقطعة فى الفترة التى سبقت تولى نابليون للسلطة عادت الحروب تستعر مرة أخرى وبشكل أشد بينه وبين الحلفاء الأوروبيين ، ولكنه فى البداية تفوق عليهم باعتماده على المبادرة بالهجوم[1] . ففى عام ١٨٠٥ تجمع جيش بونابرت المؤلف من ٢٠٠,٠٠٠ مقاتل فى ميناء « بولونيه » الفرنسى وهدد الشواطىء الانجليزية ثم تحرك بسرعة نحو الراين بخطى حثيثة ويصف « ليدل هارت » هذه الحركة قائلا :

« وإننا لنتساءل ، حتى الآن ، هل فكر نابليون جديا فى غزو بريطانيا أم أن تهديده كان عبارة عن مرحلة أولى من الهجوم غير المباشر ضد النمسا . لقد طبق بعمله هذ مبدأ « بورسيه » القائل بضرورة وضع مخطط من عدة فروع » . وعندما تقرر تطبيق الفرع الشرق من مخططه توقع أن يرسل النمساويون – كعادتهم – جيشا إلى بافاريا لإغلاق مدخل الغابة السوداء . لذا قام بمناورة التفاف واسعة حول جناحهم الشمالى ، واجتاز جيشه نهر الدانوب . ثم اندفع نحو نهر « ليخ » وشكل سدا استراتيجيا على مؤخرتهم ..

---

(١) الكابتن : ماى كوك ح . ن . أ – حروب نابليون فى أوربا من ١٧٩٦ – ١٨١٥ – ترجمة الصاغ محمد شفيق أمين والملازم الأول محمد سليمان هجرس – الطبعة الأولى – مطبعة داود – القاهرة – سنة ١٩٣١ – ص ٤٢ – ١٤٢ .

ولقد أوضح نابليون هذا التشابه وشرحه لوحداته ، وساعده تفوقه العددى على تحويل هذا السد إلى سد متحرك التصق بمؤخرة النمساويين وضغط عليهم وأجبرهم على التسليم فى «هولم» دون سفك دماء وكان على « بونابرت » بعد أن أفنى أضعف أعدائه (الجيش النمساوى) مواجهة الجيش الروسى الذى وصل بقيادة « كوتوزوف » حتى نهر « اين » بعد اجتياز النمسا وتجنيد بعض رجالها للقتال معه . كما كان عليه مجابهة خطر أقل ناجم عن تدخل جيوش نمساوية أخرى قادمة من إيطاليا والتيرول وأصبحت إمكانياته الكبيرة عاملا معوقا له .. وأمام هذه المشكلة قام « بونابرت » بسلسلة من عمليات الهجوم غير المباشر الباهرة . وكان هدفه الأول دفع الروس ما أمكن نحو الشرق وفصلهم عن الجيوش النمساوية القادمة من إيطاليا . وفى الوقت الذى تقدم فيه نحو الشرق ضد « كوتوزوف » وفى اتجاه فيينا ، دفع « مورنييه » على طول ضفة الدانوب الشمالية مهددا مواصلات « كوتوزوف » مع روسيا مما أجبره على الانسحاب فى اتجاه الشمال الشرق نحو « كريمس » على نهر الدانوب . ودفع نابليون قائده « مورا » ليحطم جبهة كوتوزوف الجديدة ويتقدم نحو فيينا . ومن فيينا زحف « مورا » فى اتجاه الشمال . وهكذا هدد نابليون فى بادىء الأمر جناح الروس الأيمن ثم هدد جناحهم الأيسر . ثم فشلت هذه المناورة بسبب خطأ ارتكبه « مورا » عندما عقد هدنة مؤقته مع العدو ، ذلك لأن المناورة لم تؤد إلى وقف انسحاب الروس بل دفعتهم إلى الانسحاب السريع فى اتجاه الشمال الشرقى نحو « هولموتس » قرب حدودهم ، وكانوا يبتعدون بذلك عن النجدات النسماوية ويقتربون من نجداتهم . وفى « هولموتس » وصلتهم نجدات كبيرة ، كما أن اندفاعهم نحو الشرق باستمرار زاد من قوتهم ، وكان الوقت يمضى ودخول بروسيا فى الحرب متوقع بين لحظة وأخرى ، فقام نابليون بهجوم غير مباشر معنوى ، عندما تظاهر بالضعف ودفع الروس لمهاجمته .. وعزز تظاهره بالضعف عندما أرسل « رسائل صلح » لقيصر روسيا وامبراطور النمسا ، لما اقتنع العدو بالحيلة انسحب نابليون إلى موقع « اوسترليتز » ، حيث تسمح له الأرض بعمل الفخ الذى أعده . ولقد قام خلال المعركة - بعد ذلك - بهجوم غير مباشر تكتيكى بقصد الحد من مساوىء نقصه العددى ، وخدع خصومه ودفعهم إلى مد جناحهم الأيسر لمهاجمة خط تراجعه ثم دفع قلبه مهاجما « نقطة التمفصل » الضعيفة فى تشكيلهم وحقق بذلك نصرا حاسما أرغم امبراطورا النمسا بعده ٢٤ ساعة على طلب الصلح(١) .

---

(١) ج . ل . ليدل هارت - الاستراتيجية وتاريخها فى العالم - ترجمة : الهيثم الأيوبى - دار الطليعة - الطبعة الأولى - بيروت - سنة ١٩٦٧ص ١٩٧٥ - ١٧٧ .

من هذا النموذج لأحد الحروب النابليونية يتبين لنا كيف استخدم نابليون القوة العسكرية فى الهجوم لإخضاع عدوه وفرض الصلح عليه . ولو أنه انتظر إلى أن يبادره أعداءه بالهجوم لوقع فريسة لقواتهم المتقدمة وقد أكد التاريخ ذلك فيما بعد عندما هزمه أعداؤه فى معركة « واترلو » بقيادة الجنرال البريطانى ولنجتن .

ونعرض لنمط آخر من أنماط نابليون فى حروبه الهجومية وهو حربه ضد بروسيا عندما تمكن فى عام ١٨٠٦ من مفاجأة قواتها وسحقها بهجوم سريع . ولكنه أخطأ عندما حاول غزو روسيا واحتلال موسكو وذلك نتيجة لقدرة الروس على إحباط محاولاته لجرهم للحرب خلف حدودهم « وتحركوا بمحض إرادتهم نحو الغرب فى يناير (كانون الثانى) عام ١٨٠٧ بقصد الانضمام إلى ما تبقى من حلفاتهم البروسيين فى « دانزيغ » . وأراد نابليون استثمار الفرصة بسرعة وقطع مواصلاتهم مع بروسيا ، فسقطت أوامره بين أيدى جنود القوزاق واستطاع الجيش الروسى الانسحاب فى الوقت الملائم . عندئذ قام نابليون بمطاردته مباشرة حتى لحق به فى « ايلو » ، ووجده على موقع جبهى جاهز لدخول المعركة ، فقام بمناورة تكتيكية بسيطه على مؤخرته ولكن عاصفة ثلجية عرقلت التنفيذ . ولم يتم سحق الروس رغم محاصرتهم .

لقد استغل نابليون المجد الذى حصل عليه بعد انتصاره فى موقعه « فريدلاند » ليفرض هيبته الشخصية ، ويخرج القيصر من الحلف الرباعى . ولكنه غامر فيما بعد بكل مكاسبه ، وبمصير امبراطوريته نفسها عندما اعتمد – بدون حذر – على هذه الهيبة . لقد كان تصرفه تجاه روسيا عنيفا لدرجة جعلت الصلح معها مزعزعا ، كما كانت أهدافه لتدمير انجلترا واضحة . وجاءت عملية غزو أسبانيا والبرتغال فأجبرتهما على الثورة ضده والانضمام لأعدائه ، وهنا وقع فى خطأ أساسى فى مجال الاستراتيجية العليا »(١) .

ويقيم « كلاوزفيتز » الوضع الاستراتيجى لنابليون فى حروبه مع روسيا فيقول : « ولودرسنا ميزان القوى العددى بين الجيوش الروسية والفرنسية المتجابهة فى بداية حملة سنة ١٨١٢ ، لوجدنا أن القوات الروسية كانت فى وضع أفضل من وضع فريدريك الكبير تجاه أعدائه خلال حرب السبع سنوات . ولقد كان لدى الروس أمل كبير بزيادة

---

(١) المصدر السابق – ص ١٧٨ ــ ١٧٩ .

قواتهم على حين كانت أوروبا باكملها تعمل بصورة سرية ضد نابليون بونابرت ، وكانت قوة الفرنسيين قد اندفعت حتى حدودها القصوى ، بالإضافة إلى انشغالهم بحرب طاحنة منهكة فى أسبانيا .

وكان امتداد مساحة روسيا يسمح بأضعاف القوة العسكرية المعادية التي وصلت إلى حدها الأدنى خلال مطاردة طولها حوالى مائة ميل ، وفى هذه الظروف الاستثنائية ، لم يكن على الفرنسيين أن ينتظروا ضربة معاكسة قوية فحسب إذا ما فشل مشروعهم — « وكيف كان بوسعه أن ينجح إذا رفض امبراطور بروسيا قبول الصلح ، ولم يقم رعاياه بالثورة ضده — بل كان عليهم انتظار ضربة قاصمة تؤدى إلى الانهيار الشامل . ولم يكن أعقل القادة وأكثرهم فطنة ليتصور خطة حرب أفضل من الخطة التى طبقها الروس رغم إرادتهم . ولم يحكم الناس على الخطة بهذا الشكل فى ذلك الوقت . واعتبرت الفكرة كلها سخيفة ، ولكن هذا لا يكفى لأن يدفعنا اليوم لإنكار صحتها ، وإذا شئنا أن نتعلم شيئا من التاريخ ، فإن علينا أن نعتبر الأحداث التى جرت فى الماضى كأحداث ممكنة فى المستقبل . ويقبل الثقاة المؤهلون للحكم على مثل هذه الأمور ، بأن سلسلة الأحداث الكبيرة التى تلت المسيرة إلى موسكو لم تكن سلسلة من الأحداث الطارئة الصدفية . ولو استطاع الروس تنظيم دفاع قوى على حدودهم ، لكان من المحتمل إضعاف قوة الفرنسيين وانقلاب الخطر ضدهم وإصابتهم بنكسة . ولكن نكستهم لم تكن بمثل هذا العنف والحسم . وهكذا اشترى الروس هذه الميزة بالآلام والتضحيات التى تعتبر كبيرة جدا بالنسبة لبلاد أخرى ومستحيلة بالنسبة لمعظم البلاد[1] .

ويتضح لنا من هذا النموذج للحروب النابليونية الهجومية أن الاندفاع غير المحسوب فى عمق أراضى العدو دون التمكن فى البداية من تدمير قواته لا يلبث أن ينقلب إلى عبء استراتيجى على هدف الحرب ذاتها ولقد تأكد ذلك بوضوح عندما رفض قيصر روسيا الصلح وتمكنت — فى نفس الوقت — القوات الروسية أن تفلت من قبضة الحصار الفرنسى وتنسحب بسرعة داخل أراضيها . وكما سبق وأن ذكرنا لابد وأن يؤخذ بعين الاعتبار أن العمل على أكثر من جبهة فى آن واحد غالبا ما يؤدى إلى الفشل ، هذا ما أكدته حروب نابليون وما أكدته حروب هتلر عام ١٩٣٩ .

ومن الجدير بالذكر أن العسكرية الصهيونية لم تقع فى هذه الأخطاء قط كما سيتضح .

---

(١) كلاوزفيتز — مصدر سابق — جـ٣ — ص١٢٩ .

٢ ــ نموذج الحروب النازية عام ١٩٣٩ - ١٩٤٥ :

أما النموذج الحديث للحرب الوقائية فيمكن تلمسه بوضوح تام فيما قام به هتلر من غزوات لدول أوربا الغربية والشرقية والجنوبية على حد سواء . مستندا بذلك إلى منطقين : أحدهما إيديولوجى يستمد جذوره من النظرية العنصرية التى تقوم عليها النازية والتى تمجد العنصر الجرمانى وترى من حقه التمتع بمميزات تفوقه وحيويته فى مجاله الحيوى الجغرافى الذى حددته بوسط وشرق أوربا وبفرض سيطرته على الشعوب الأخرى .

أما المصدر الثانى فهو النظرية العسكرية التى جاء بها « لودندورف فى الحرب الشاملة التى وضعها بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بعشرين عاما أمضاها بتحليل دروس هذه الحرب » . فبدأ بهجوم شديد على نظريات « كارل فون كلاوزفيتز » التى كانت أساس النظرية الألمانية فى الحرب العالمية الثانية . ويمكن تلخيص نظريته بالقول - « أنه يرى فى الحرب عملا مجرداً يجب أن يجند لها كل الشعب ويرى أن الحرب لابد وأن تأخذ طابع الهجوم الذى يعتمد على أساليب المفاجأة للعدو بسرعة وبقوة رادعة فى جميع نقاطه . وقد اتفق مع هتلر فى هذه الفكرة وفى تصوره لدور ألمانيا كجنس متفوق ودولة لها دور عالمى . وقد قام هتلر بتطبيق هذه النظرية ، وكان يعتمد فى سياسته الحربية على ضرب البلاد المنعزلة أو الضعيفة بصورة مفاجئة وبشكل يلقى عبء الهجوم الأكبر على عاتق العدو نفسه هذا مع عدم إهماله لقوة العدو الدفاعية وإمكانياته التى يمكن أن يزج بها فى الحرب ، أى أنه كان يبنى مخططه وفق معلومات دقيقة يستقيها عن قوة عدوه ، فلا يؤخذ على غرة أو يفاجأ بها ، بل يحاول دائما إما أن يشلها عن طريق المناورة والهجوم غير المباشر أو يقضى عليها بالضربة الرادعة مرة واحدة وبسرعة فائقة . ويتضح لنا ذلك مما يلى :

لقد سنحت له الفرصة للعمل كما يرغب دون صعوبات كبيرة فدفعته استراتيجيته العليا إلى عقد حلف مع روسيا لضمان حيادها وما أن تم عقد الحلف حتى أصبح مستعدا تماما فإذا أعلن الحلفاء الحرب ضده للوفاء بالتزاماتهم وتعهداتهم فسيجدون أنهم فقدوا ميزة الدفاع واندفعوا مرغمين فى استراتيجية هجومية فى ظروف غير ملائمة وإمكانيات غير كافية . وإذا وقفوا أمام خط سجفريد عاجزين ظهر ضعفهم وخيبتهم . وإذا تابعوا هجومهم زادت خسائرهم وضعف أملهم فى مقاومة الهجوم الألمانى الذى

سيتجه نحو الغرب بعد تأمين الجبهة الشرقية . وبذلك يكون قد وضع أعداءه فى مأزق استراتيجى(*) حقق هو فيه ميزات التفوق التى تمكنه من المبادأة بالهجوم كما تمكنه من القدرة على الدفاع إن وقع عليه هجوم . وسرعان ما استغل ذلك استغلالا كاملا وذلك فى حركته الهجومية لإحتلال دول اسكندينافية .

لقد أدخل هتلر أساليب جديدة فى فن الهجوم الاستراتيجى حتى تفوق على جميع خصومه فى المرحلة الأولى من الاستراتيجيه العليا التى تتضمن تطوير وتنسيق جميع ألوان النشاط الحربى وجميع الوسائل التى يمكن استخدامها للتأثير على إرداة العدو . ولكن يمكن القول مسبقا – كما اتضح – أنه أخطأ كنابليون فى فهم المخطط الأعلى للاستراتيجية العليا .

ذلك المخطط المتعلق بالإدارة العامة للحرب والذى يهتم أيضا بحالة السلم التى لابد وأن تعقب الحرب . ومهما يكن من أمر فإن تحليل موقفه كرجل دولة اتخذ من الحرب وسيلة أساسية لتحقيق أهدافه ونظريته النازية قد دفعه إلى المبادرة بالهجوم على المواقع الضعيفة التى كانت تمثلها الدول الضعيفة فى أوربا قبل أن يخوض معاركه الأساسية ضد حلفائه الأقوياء .

فقد بدأ بالهجوم على النمسا ثم جيكوسلوفاكيا ثم بولونيا مستخدما أسلوب الهجوم الكاسح أو ما يطلق عليه اصطلاح الحرب الخاطفة ليفقد الحلفاء ميزة السيطرة على هذه المواقع الإستراتيجية . ولم يفته منذ البداية أن يبنى قواته المسلحة على أسس هجومية من حيث التدريب والتسليح وقد مكنته إمكانيات ألمانيا ومواردها الاقتصادية من تحقيق ذلك . فهى غنية بالعنصر البشرى .

كما أن مواردها الاقتصادية غنية بالحديد والفحم مما ساعده على بناء العديد من مصانع الأسلحة الثقيلة وعمل منذ البداية فى التركيز على سلاح الطيران وسلاح المدرعات وهما السلاحان اللذان لابد منهما فى حالات الحرب الخاطفة أو ما يمكن أن نطلق عليه أسلوب الهجوم المفاجىء الكاسح . وقد طبق وسائل المناورة فى تضليل أعدائه الغربيين . ويقول فى ذلك « ليدل هارت » « يعتبر احتلال الألمان لبولونيا عام ١٩٣٩ واجتياحهم أوربا

(*) المأزق الاستراتيجى : هو دفع العدو إلى إتخاذ وضع يفقده القدرة على استخدام قوته استخداما سليما .

الغربية عام ١٩٤٠ مثلا رائعا فى التاريخ العسكرى على قيمة نظرية الحرب السريعة الآلية »[١] .

انظر الخريطة « شكل ١ » .

من هذا التقييم تتضح أبرز خاصية للحرب الوقائية وهى سرعة الحركة باستخدام قوات كبيرة لمفاجأة العدو وسحقه وتغيير حساباته ومنعه من التفكير المنطقى السليم الذى قد يدفعه إلى حسن استخدام ما يملك من قوة[٢] . وقد كانت هذه الحركة – ونعنى بها الاكتساح بالدبابات – بمثابة ثورة فى الفكر العسكرى الذى كان قائما قبل الحرب العالمية الثانية . ولو ضربنا مثلا على ذلك لوجدنا أن هتلر فى هجومه على بولونيا قد اتبع ذلك الأسلوب فبدأ الغزو من الشمال بمجموعة فون بوك وكانت عبارة عن الجيش الثالث بقيادة « كشلر » والجيش الرابع بقيادة « كلوخ » . وكان الجيش الثالث يهاجم باتجاه الجنوب منطلقا من بروسيا الشرقية . بينما كان الجيش الرابع يندفع باتجاه الشرق عبر الممر البولونى ليتصل مع كشلر ويحيط بالجناح الأيمن للعدو .. أما الدور الأساسى فكان لمجموعة جيوش « روندشتيدت » التى قامت بالغزو من الجنوب وكان عدد الجنود المشاة فيها ضعف مجموعة « فون بوك » .

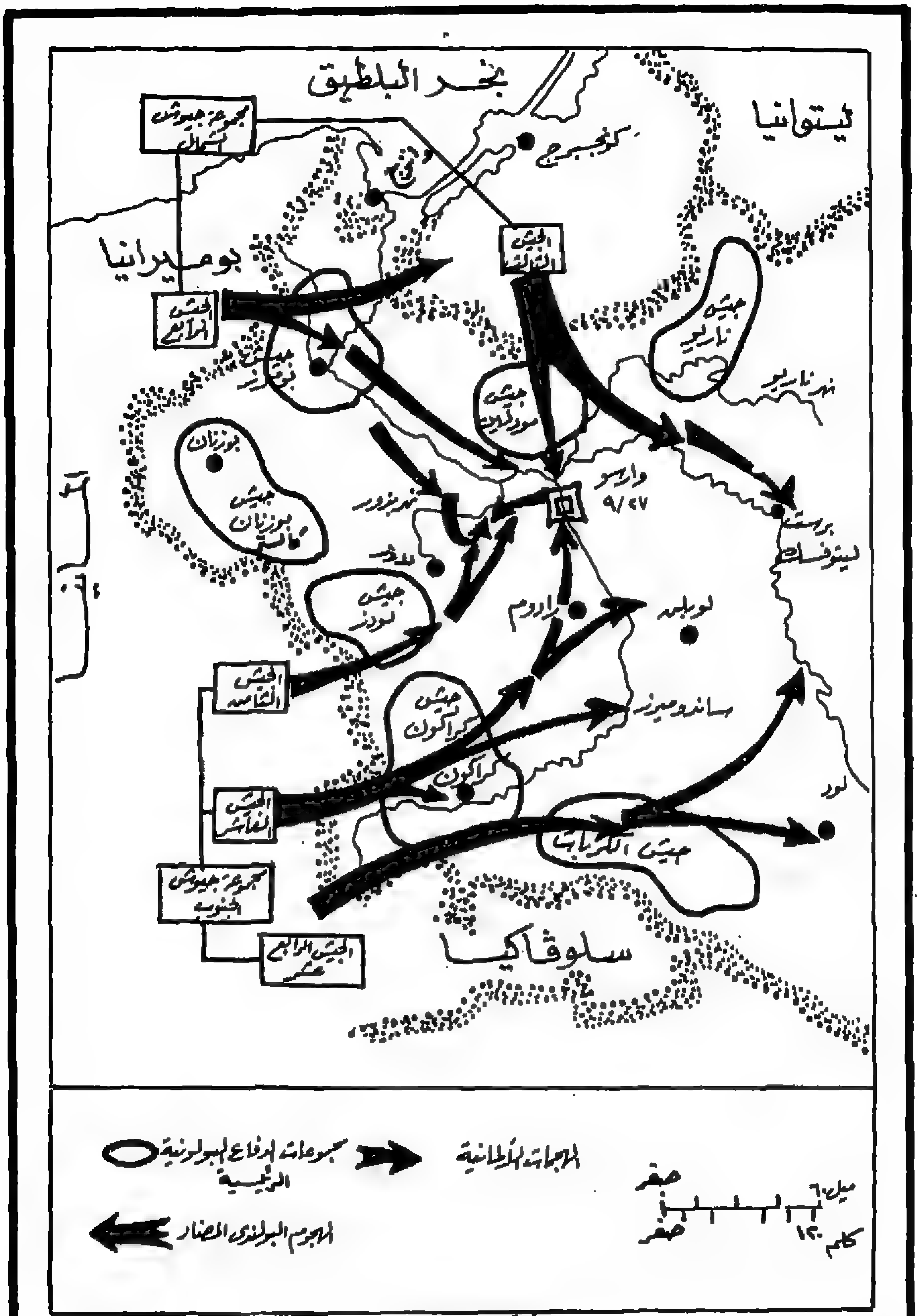
كما يزيد تعداد مدرعاتها عن ذلك . وبعد سلسلة من المناورات باستخدام أسلوب الهجوم غير المباشر حصل الألمان على هذا التفوق بفضل توغلهم الاستراتيجى بعمق على الخط الأقل توقعا ومقاومة .

وازدادت قيمة ذلك التفوق باستخدام مزايا الدفاع التكتيكى . وكان على الألمان المحافظة على الأراضى المحتلة أمام هجمات منعزلة يقوم بها جيش يقاتل بجبهة معكوسة ويعانى من انقطاعه عن قواعده وتناقص مؤنة باستمرار ومن ضغط الألمان المتزايد عليه من الشرق والأمام والمؤخرة بفضل التقدم الذى كان يقوم به « لسكوفيتز ، وكلوخ » للتلاقى فى نقطة واحدة .

---

(١) ليدل هارت – مصدر سبق ذكره – ص ٣٠١ .

(٢) الكولونيل ف . و . ميكشه – الحرب الخاطفة – ترجمة : كمال عصمت الشريف – الطبعة الأولى – : دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت – ١٩٧٠ – ص ٢٨ ــ ٣٠ .



شكل رقم (١)

المصدر .

(ا) كيدنت ماكسي - حرب المدرعات - ترجمة . كمال عصمت الشريف - الطبعة الاولى . الهيئة العامة للكتاب - بيروت - القاهرة - ١٩٧٤ - ص ٢٠

وبالرغم من تمكن الهجوم الألماني من تحقيق هدفه السياسي والعسكري في حروبه الأولى في وسط وشمال أوربا إلا أنه واجه معضلات استراتيجية جمة عندما هاجم روسيا في يونية عام ١٩٤١ . وتعتبر حرب الألمان ضد روسيا نموذجا للحرب الوقائية إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن كلا من روسيا وألمانيا - في تلك الفترة - كانت تعد نفسها للهجوم على الأخرى وهذا ما بينته الوثائق كما سيلي ذكره . ان منبع الخلاف هو اختلاف النظامين السياسيين فيهما وتعارض أهدافهما .

كما أن النظرية الاستراتيجية النازية كانت تشمل في مجالها الحيوي الجزء الشرقي من روسيا لعدة عوامل اقتصادية واستراتيجية[1] . ولذلك ما ان فرغ هتلر من جبهة القتال في الغرب وأتم احتلال فرنسا حتى استدار بكامل قوته نحو الشرق تطبيقا لنظريته المعلنة من قبل في كتاب « كفاحي » عندما قال : « يجب علينا بعد القضاء على فرنسا التي تهددنا بظهرنا ، أن نتوسع في الشرق لنؤمن لأنفسنا المدى الحيوي الذي يجعل من ألمانيا دولة كبرى وقوة عالمية ضخمة »[2] . وقد حالفه الحظ في البداية ثم مالبث أن تعثر هجومه وانقلب إلى هزيمة ساحقة كما سيتبين .

ويعتبر ذلك نموذجا لاستراتيجية الحرب الوقائية والاستراتيجية المضادة لمواجهتها والتي وضعها الروس وتمكنوا من إفشال خطة هتلر والقضاء على جيوشه ومنعه من تحقيق أهدافه .

ونظراً لأهمية هذا النموذج للحروب النازية وأهمية الخطة السوفيتية لمواجهتها ولوجود أوجه الشبه بينها وبين ما قامت به إسرائيل من حروب وقائية ضد العرب ، نحاول تحليل هذا النموذج بشيء من التفصيل .

من المعروف أنه كانت هناك اتفاقية عدم اعتداء بين ألمانيا النازية والاتحاد السوفييتي حيث عقدت في يوم ٢٣ أغسطس سنة ١٩٣٩ والتي استمرت حتى ٢٢ يونيه (حزيران) سنة ١٩٤١ وكانت تنص على : « إن الدولتين المتعاقدتين تتعهدان بامتناع

---

(١) انظر في ذلك كتاب : كونتر بلمونتريت (جنزال) - أسرار الحرب العالمية الثانية - ترجمة : محمود شيت خطاب (لواء ركن) - : مكتبة النهضة - الطبعة الأولى - سنة ١٩٦٠ - ص ١١٢ وما بعدها .

(٢) أدولف هتلر - كفاحي - : المكتبة الأهلية بيروت - د . ت - ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

كل منهما – منفردة أو بالاتفاق مع غيرها من الدول – عن القيام بأى عمل من أعمال القوة أو العدوان أو الهجوم ، الواحدة على الأخرى »[١] .

أى أنه انقضى أكثر من عام على الحرب مع دول الحلفاء فى الغرب دون أن يعطل ذلك هذه الاتفاقية .

إذن ماهى الدوافع الحقيقية لقيام هتلر بضرب هذه الاتفاقية عرض الحائط والهجوم على روسيا واحتلال أجزاء واسعة من أراضيها .

إن تعرضنا للموضوع فى إطار هذا الكتاب لا يعنى البحث فى العوامل السياسية والاقتصادية إلا بقدر ما تكون فيه هذه العوامل مسببات أساسية فى شن الحرب الوقائية . مضافا إلى ذلك الخلاف الايديولوجى بين الاشتراكية الوطنية والعنصرية النازية التى كان يعتنقها الحزب الحاكم فى ألمانيا والاشتراكية الأممية التى تقوم على الماركسية التى يقوم عليها الحزب الشيوعى السوفييتى .

ويمكن أن نخلص من ذلك إلى توفر ثلاثة عوامل أساسية ساعدت على دفع هتلر للقيام بالهجوم على الاتحاد السوفييتى . هذه العوامل هى :

١ ــ الصراع الايديولوجى والقومى فى آن واحد . فالمعروف أن الألمان هم من الجرمان ويختلفون فى القومية عن السوفييت الذين هم من السلاف . إذن هناك صراع قومى وعنصرى وايديولوجى[٢] . (ومن الملاحظ أن هناك شبها كبيرا بين هذا الصراع وبين الصراع العربى – الإسرائيلى ، فهو صراع عنصرى وأيديولوجى وقومى فى آن واحد . يضاف إلى ذلك البعد الدينى له)[*] .

(١) رسل . هـ . فيفيلد ، ج . اتزل بيرسى – الجيوبولتيكا – الجزء الأول : الكرنك – القاهرة – د . ت – ص ٥٧ – ٥٨ – (ملاحظة صدرت الطبعة باللغة الانجليزية سنة ١٩٤٢) .

(٢) ج . ف . س . فوللر (جنرال) – إدارة الحرب – تعريب : أكرم ديرى : دار اليقظة العربية – بيروت – ١٩٧١ – ص ٤٢٢ .

(*) ليس التمييز العنصرى الذى تمارسه اسرائيل منذ قيامها ضد المواطنين العرب بل ضد اليهود الشرقيين كذلك . إلا ثمرة تلك النزعة العنصرية التى نجدها فى جوانب متعددة من الفكر الصهيونى فى تعاليم تمجد نقاء وتماسك العنصر اليهودى مقابل دعوات الاندماج وفى تصميم الصهيونية المبكر على احتلال كامل تراب فلسطين بلا أدنى اعتبار لمصير سكانها العرب ثم فى نظرتها لشعب فلسطين وكيفية التعامل معه . وقد جسد (تيودور هرتزل) نبى الصهيونية ، العنصرية الصهيونية بأبشع صورها عندما كتب فى مذكراته عام ١٨٩٥ يصف عملية الاستيطان الصهيونى بقوله : (إذا انتقلنا إلى منطقة تتواجد فيها حيوانات متوحشة لم يعتد عليها اليهود – أفاعى كبيرة وغير ذلك – فسوف استخدم سكان البلاد ، قبل تشغيلهم فى البلاد الانتقالية من أجل القضاء على هذه الحيوانات) انظر مذكرات هرتزل : =

٢ ــ النظرية النازية نشأت وانتشرت على أساس فكرة تفوق العنصر الجرمانى وضرورة قيام ألمانيا بدورها العالمى . وحتى يتحقق لها ذلك كان لابد أن تحقق توسعا إقليميا على حساب جاراتها الأوربيات . وكان هذا التوسع مجاله الحقيقى والطبيعى فى شرق أوربا . لماذا ؟ لأنه اعتمد أصلا على نظرية « هالفورد ماكندر » فى المجال الحيوى التى تقول :

« إن من يحكم شرق أوربا يتسلط على منطقة القلب » (منطقة القلب تعنى أوراسيا) « أوروبا + آسيا » .

« وان من يحكم القلب يتسلط على الجزيرة العالمية » (الجزيرة العالمية تعنى أوراسيا + افريقيا) « أوروبا + آسيا + أفريقيا » .

« وأن من يحكم الجزيرة العالمية يتسلط على العالم كله »(١) ، ذلك أن وسط أوروبا الذى يضم ألمانيا وجيكوسلوفاكيا والنمسا وبعض أجزاء من بولونيا يحتوى على مصادر القوة الصناعية التى تقوم على الصناعات الثقيلة والتى عمادها الفحم والحديد ، كما أنه

The Complate Diaries of Theodor Herzl, Edited by Raphael Patai, Herzl Press and Thomas = Yoseloff, Volume I. New York, 1960. P. 98.

كما قال فى هذا الشأن – وكان أكثر صراحة – الزعيم الصهيونى (اسرائيل زانجويل) (أعط البلاد التى لا شعب لها للشعب الذى لا بلاد له) .. انظر :

Allen, Taylor, Prelude to Israel, Philosophical Library, N. Y. 1959. P. 31.

= ولكن النزعة العنصرية التمييزية التى حملتها الحركة الصهيونية هى التى تجسدت كأوضح ما يكون فى قوانين المؤسسات المختلفة للاستعمار الصهيونى التى أنشأتها المنظمة الصهيونية فى مراحل مختلفة .. (انظر : سامى هداوى – ملف القضية الفلسطينية – تحرير : يوسف صايغ – منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث – بيروت – سنة ١٩٦٨ – ص ٥٤ وما بعدها) .

وقد اعترف الزعيم الصهيونى – (أحدها عام) نفسه – بالنزعه العنصرية التى تنطوى عليها نظرة الصهيونيين لشعب فلسطين وأساليبهم فى التعامل معه . انظر كيف عبر عن انطباعاته بعد زيارته لفلسطين قائلا : (وماذا يفعل اخواننا فى فلسطين اليوم ؟ العكس تماما .. خدماً كانوا فى بلاد منفاهم ثم وجدوا أنفسهم فجأة فى حالة من الحرية اللامحدودة .. هذا التغيير الفجائى ولد فيهم ميلا نحو الاستبداد كما هى الحال دوما عندما يصبح الخادم سيدا ..

وهم يعاملون العرب بعداء وقسوة ، يقلصون حقوقهم بطريقة لامعقولة . يهينوهم بلا أدنى سبب ، ثم يتباهون بهذه الأفعال دون أن يقوم أحد بأى عمل ضد هذا السلوك الخسيس الخطير .

Achad Ha,am, Amscheidewege, Trans Lated by L. M. C. Vander Hoeven Leon hard, Quote: Haven to Conquest, P. 117.

(١) رسل . هـ . فيفيلد . ج اتزل بيرسى – مصدر ذكره – ص ٢٨ .

يضم الكتلة السكانية الأكبر في القارة الأوربية . وشرق أوربا يعد مصدراً للمواد الغذائية ومصادر الطاقة وهي متوفرة في سهول أوكرانيا في الاتحاد السوفييتي .

إذن دولة تضم بين جناحيها هاتين القوتين تصبح دولة برية عظمى . فكان ينقص ألمانيا بعد توسعها في وسط أوربا واحتلالها لجيكوسلوفاكيا وبولونيا أن تتجه لتحقيق الشق الثاني من النظرية المذكورة لاحتلال أجزاء من روسيا الأوروبية .

٣ ــ لم يكن هتلر – شخصيا – يطمئن إلى نية الروس . فكثيراً ما شك في إمكانية استمرار العلاقات السلمية بينهما ، بل وصل به الأمر إلى توقع الهجوم منهم وذلك للعوامل السابقة . كما أكد هذا « غورنغ » في اعترافاته في نورنبرج بشأن قرار هتلر النهائي بصدد روسيا فقال : « أعلمني الفوهرر بأنه عازم على إبعاد خطر هجوم روسي محتمل على ألمانيا بصورة نهائية . وبين لي الأسباب التالية :

١ ــ كان احتشاد الجيوش الروسية في بولونيا يزداد بدون انقطاع .

٢ ــ ثبت أن الأسراب الجوية الروسية المجتمعة غرب روسيا في ازدياد مستمر .

٣ ــ كانت الأخبار التي تتلقاها هيئة القيادة العامة عن نشاط المصانع الحربية في روسيا تبعث على القلق العظيم .

٤ ــ ضاعفت روسيا ضغطها الاقتصادي على الرايخ[١] .

هذه بإيجاز العوامل النظرية التي بررت هجوم هتلر على روسيا وقد أوضح ذلك بنفسه في مؤلفه « كفاحي » في الفصل الذي يتحدث فيه عن علاقة ألمانيا بالاتحاد السوفييتي . وقد توصل من دراسته لتاريخ ألمانيا حيث يقول في شرح وجهة نظره :

« لذلك وجدت أنه من الواجب على أن أشرح لأعضاء الحزب وأنصاره أخطر قضية تواجهها الدولة العنصرية في الحقل الخارجي : موقف الرايخ من روسيا – وهو يعني بذلك مستقبل العلاقات بينهما على ضوء النظرية النازية – وقبل أن أدخل في صلب الموضوع أوضحت في أكثر من خطاب ومحاضرة ومقال أن السياسة الخارجية للدولة العنصرية يجب أن تسعى إلى إيجاد مقومات البقاء للشعب وذلك بإقامة نسبة عادلة

---

(١) ريمون كارتيه – من أسرار الحرب – هتلر الغازي – الطبعة الأولى – ترجمة : باسيل دقاق – دار الكشوف – بيروت – سنة ١٩٤٧ – ص ٣٠٥ .

ملائمة لقانون الطبيعة ، بين عدد السكان وزيادته المطردة من جهة وبين مساحة الأرض وقيمتها من جهة أخرى »[1] .

هذه العبارة يلقى فيها « هتلر » الضوء على حقيقة نواياه ، ويؤكد أن الحرب الوقائية مرتبطة دائما بعاملين أساسيين :

١ ــ الايديولوجية السياسية التى تعتنقها الدولة وتقوم على أساسها .

٢ ــ النزعة التوسعية على حساب جيرانها لتحقيق مجالها الحيوى .

ويسهب فى شرح هذه النظرية محاولا تدعيم وجهة نظره بوقائع التاريخ الألمانى فيقول :

« يجب علينا نحن الوطنيين الاشتراكيين أن نسعى لتبديل سياسة ألمانيا وأن نبدأ حيث انتهى أجدادنا منذ ٦٠٠ سنة . يجب أن نعمل على وقف الزحف الجرمانى نحو الجنوب ونحو الغرب لنتجه بأنظارنا نحو الشرق .

أجل ! إن حركتنا ستسعى إلى الحد نهائيا من السياسة الاستعمارية والتجارية لنؤمن لشعبنا مداه الحيوى فى أوربا نفسها ، ونحن إذ نهدف إلى ذلك لايفوتنا أن اتساع الأرض التى نعيش عليها لن يتم إلا بالتوسع على حساب روسيا والبلدان المجاورة لها – ثم يفصل أسباب ذلك فيقول : « إن القدر نفسه يشير بأصبعه إلى روسيا ، فهو حين رمى بها فى أحضان البلشفية قد انتزع من الشعب الروسى تلك الفئة من المفكرين الذين أقاموا صرح الدولة وتولوا مقدراتها . ذلك أن تنظيم الدولة الروسية لم يكن بفضل جهود الصقالبة ومقدرتهم على الخلق والإبداع ، بل كان ثمرة جهود العنصر الجرمانى المتمتع بعبقريات منظمة حيثما وجد وأينما حل . لكن روسيا لم تعرف كيف تحافظ على النواة الجرمانية التى خلقت الدولة لذلك اضمحلت هذه النواة مع مرور الأيام .

ثم يبين أن أسباب ذلك – أى أسباب تدهور روسيا – سيطرة اليهود عليها هذه السيطرة التى أفقدتها من وجهة نظره القدرة على البناء . ويؤكد بعد شرح مسهب ينقد فيه السياسة السوفييتية والساسة السوفييت معلنا عدم ثقته فيهم ويؤكد أيضا خطوط سياسة ألمانيا الخارجية نحو الشرق قائلا :

---

(١) أدولف هتلر : كفاحى – المكتبة الأهلية – بيروت – د . ت – ص ٢٤٥ ــ ٢٤٦ .

« لا تسمحوا أبدا بقيام دولتين بريتين كبيرتين فى القارة الأوروبية وفى كل محاولة لإنشاء دولة كبرى قريبة من الحدود الألمانية تكمن محاولة خبيثة لتهديد بلادنا ، يجب عليكم اعتبار أى محاولة من هذا النوع كاعتداء مباشر على حدوذنا . كما يجب عليكم أن تمنعوا قيامها بكل الامكانيات والوسائل التى تملكون . واحرصوا على أن يكون مصدر قوة ألمانيا فى أوربا ضمن الأراضى الألمانية ، ولا تطمئنوا إلى وضع الرايخ ومصيره قبل أن توفروا للشعب الألمانى المدى الحيوى الذى يحتاج إليه »[1] .

هكذا يتضح وبعمق مدى سيطرة النزعة التوسعية نحو الشرق على فكر هتلر وخططه . من هنا يمكن القول أنه لم تكن هناك ظروف طارئة دفعته إلى ذلك كما سبق أن تبين « ولم يكن اعتماده على أسلوب الحرب الوقائية أمرا لايقوم على خطة ولا يستند على فكر ، وإنما جاء منطقيا مع الأسباب التى سبق وأن بيناها . فهذا الأسلوب من الحروب مرتبط ارتباطا وثيقا بطبيعة العلاقات بين الأطراف المتصارعة وأعمق من ذلك مرتبط بخصائص هذه الأطراف ومدى نزوعها إلى الصراع أو الاتفاق . وهذا يؤكد ما سبق وأن ذكرناه من تعدد أوجه الخلاف بين ألمانيا النازية وروسيا الشيوعية .

ولكن الذى نود أن نؤكده ، أن الصراع كظاهرة بين الجماعات البشرية أعمق من المظاهر السطحية التى تطفو أحيانا . فالتجاور والاختلاف والنزوع نحو السيادة والهيمنة العالمية قوى من التضارب المذهبى ، وهذا ما كان حادثا بالفعل بين روسيا وألمانيا النازية مضافا إليه الصراع الايديولوجى . وكما هو حادث بالفعل بين إسرائيل والدول العربية مضافا إليه الصراع على حق تقرير المصير على الأرض الفلسطينية بين عرب فلسطين والمستوطنين اليهود .

إذن الصراع الذى دفع هتلر إلى غزو روسيا لم يكن سببه فشله فى غزو الجزر البريطانية بعد اكتساحه لأوربا بأسرها وإنما كانت المسألة مسألة توقيت ليس إلا[2] . فعندما استعصت عليه بريطانيا بسبب الموانع الجغرافية ونعنى بها بحر المانش الذى يفصل الجزر البريطانية عن أوربا الغربية ، فضل أن يعجل بتنفيذ خطته لغزو روسيا والتى أطلق عليها اسم « بربروس » ظنا منه أن هذا سوف يعطيه ميزة السبق فى الهجوم ، كما سيمكنه

---

(١) أدولف هتلر : المصدر السابق – ص ٢٥٢ – ٢٥٨ .
(٢) ج . ف . س . فوللر (جنرال) – إدارة الحرب – تعريب : أكرم ديرى – دار اليقظة العربية – بيروت – سنة ١٩٧١ – ص ٤١٥ .

من توسيع مجاله الحيوى شرقا والحصول على موارد اقتصادية تسد حاجة آلة الحرب الألمانية .

ولكن إلى أى مدى نجح ؟ وإلى أى مدى فشل ؟ ليس هذا من اختصاص هذه الرسالة ، وإنما الذى نكرر التركيز عليه هو أن قيامه بالهجوم المسبق على روسيا كان أمرا معدا من قبل ومنسجما مع فكره ونظريته عن دور ألمانيا فى أوربا والعالم .

ووفقا لقواعد الاستراتيجية العسكرية الألمانية التى كانت متبعة والتى كانت تعتمد على أسلوب الهجوم غير المباشر والتقدم الآلى السريع والقصف الجوى . قام الطيران الألمانى بقصف المطارات الروسية وشل حركة سلاح الجو الروسى ومنعه من القيام بدوره فى المعركة . ثم استخدموا الهجوم غير المباشر فحصلوا بذلك على نتائج باهرة كان الفضل فى بعضها يرجع إلى الظروف الجغرافية الملائمة . وقد أتاح امتداد الجبهة الروسية بطول ١٨٠٠ ميل وندرة الحواجز الطبيعية ميزات كبيرة للمهاجم وسهلت له عملية التسرب والمناورة ..

وبالرغم من ضخامة الجيش الأحمر فقد كانت النسبة بين قواته وسعة حقل العمليات ضعيفة ، بحيث أعطت الوحدات الميكانيكية الألمانية فرصا ملائمة للقيام بعمليات مناورة غير مباشر على مؤخرات الروس . كما أن المدن المتباعدة بشكل كبير والتى تشكل عقد الطرق والسكك الحديدية أعطت المهاجم الفرصة للعمل ضد أهداف متناوبة وساعدته على خداع العدو عن الاتجاه المهدد فعلا ووضعته فى مشاكل متتالية . كان هذا ماحققه الهجوم الألمانى فى البداية . ويرجع ذلك فى الحقيقة إلى عدة أسباب هى :

١ ـــ طبيعة المفاجأة التى وقع بها الهجوم . فقد كان واضحا أن اتفاقية عدم الاعتداء بين روسيا وألمانيا أثرت على تفكير القادة السوفييت بشكل جعلهم يستبعدون وقوع مثل هذا الهجوم(١) .

٢ ـــ اعتماد أسلوب التقدم غير المباشر وعدم الالتحام بقوات العدو والالتفاف حولها وتهديد مؤخراتها . وفى نفس الوقت تشتيت تفكير العدو عن اتجاه محور الهجوم الأساسى وهو أسلوب تكرر فى الغزوات الألمانية .

---

(١) لتوتسكى وآخرون – الجيش السوفيتى – ترجمة : خيرى الضامن – دار التقدم – موسكو – سنة ١٩٦٩ – ص ١٤٧ .

٣ ـ ملائمة التضاريس الجغرافية . فمن المعروف عن سهول روسيا الأوربية أنه لا توجد موانع طبيعية تعوق تقدم الآليات(١) .

لهذه الأسباب مجتمعه حقق الهجوم الألمانى فى بدايته انتصارات عسكرية حاسمة ومجردة ، أى أنه تمكن من تحقيق الغرض الأول من الحرب الوقائية ، ولكنه سرعان ماوقع فى حبائل غموض الهدف السياسى من العملية أى سرعان ما اختلط على القادة الألمان التمييز بين الهدف العسكرى والهدف السياسى وهو نفس الخطأ الذى وقع فيه نابليون بونابرت عندما غزا روسيا(٢) . وكما قال « ليدل هارت » عدم التمييز بين الاستراتيجية العسكرية والاستراتيجية السياسية العليا . ويفصل ذلك قائلا : « ولكن بعد أن حصل الألمان فى البداية على انتصارات كبيرة بدأوا يفقدون الميزات التى كسبوها بسبب عجزهم عن اتخاذ القرار الملائم حول الاتجاه الذى ينبغى اتباعه لاستغلال انتصاراتهم الأولى ، كان هتلر يعتبر لينينجراد هدفا جوهريا يسمح له بدعم مجنبته على بحر البلطيق وفنلندا ، ويعتبر موسكو أقل قيمة . ولكن إحساسه المتزايد بقيمة العوامل الاقتصادية دفعه إلى التفكير فى احتلال مراكز الثروة الزراعية فى أوكرانيا والمنطقة الصناعية فى حوض نهر الدنيبر الأسفل . وكان الهدفان متعارضين ويتطلب كل منهما خط عمليات مستقل تماما . مما جعل القوات الألمانية تفتقر إلى حرية المناورة على خط واحد لعمليات مركزية تسمح بتهديد أو مهاجمة أهداف أخرى بصورة متناوبة . أما « براوخيتش » و « هالدر » فكانا يرغبان فى تركيز إمكانياتهما على محور الجهد المؤدى إلى موسكو ، لاحتلال العاصمة الروسية ولتدمير أكبر قسم من الجيوش الروسية التى كانا يتوقعان الالتقاء بها على طريق موسكو . وكان هتلر يعارض هذه الفكرة لأنها ستجبر الروس على القيام بانسحاب عام نحو الشرق يخلصهم من قبضة الألمان المطبقة عليهم . واتفق « براوخيتش » و « هالدر » مع هتلر على فكرة عدم السماح للروس بالانسحاب ووافق هتلر على ضرورة تدمير معظم القوات المعادية ، الأمر الذى بدأ مع عمليات « معركة التطويق » وتم الاتفاق على التريث فى اختيار الأهداف المقبلة إلى أن تنتهى مرحلة الغزو الأولى . وتم الاتفاق فى منتصف المرحلة الأولى على تركيز نقل

---

(٢) مذكرات زوكوف ـ ترجمة : عمر أبو النصر – مطابع دار الغد – بيروت – سنة ١٩٧٠ – ص ١٤٨ .

(٢) انظر : كونثر بلمونتريت (جنرال) – أسرار الحرب العالمية الثانية – ترجمة : محمود شيت خطاب (زعيم ركن) – الطبعة الأولى – مكتبة النهضة – بغداد – سنة ١٩٦٠ – ص ١١٠ – ١١١ .

القوات المشتبكة فى القطاع الذى تعمل فيه مجموعة جيوش « بوك » شمالى مستنقعات بريبيت وعلى طريق مينسك – موسكو ، وهنا تم زج معظم القوات المدرعة فى المعركة ، وقد ساهمت مجموعة جيوش الجنرال « ليب » فى البداية على تغطية تقدم مجموعة جيوش الجنرال « بوك » الرئيسية وذلك بانطلاقها من قواعدها الأساسية فى بروسيا الشرقية والتقدم عبر بلاد البلطيق . كما أدى تقدم مجموعة جيوش « روند شتيدت » على مجنبه « بوك » الأخرى جنوبى مستنقعات « بريبيت » إلى وضع القيادة الروسية فى حيرة وشك حول الخط الأساسى لعمليات المهاجمين وكان المخطط فى قطاع « بوك » يهدف إلى إيقاع معظم الجيوش المعادية فى الفخ بفضل مناورة تطويق مضاعفة تقوم بها مجموعتان مدرعتان بقيادة « جودريان وهوت » بحيث تتقدمان من الجناحين لتطويق مينسك والالتقاء خلفها لمتابعة التقدم إلى الأمام . بينما تقوم فيالق مشاة الجيش الرابع والتاسع بعمليات كماشة داخل الجيب الذى تخلفه المدرعات بغية تطويق بيالستوك .

بدأ الغزو الألمانى لروسيا فى يوم ٢٢ يونيه (حزيران) سنة ١٩٤١ وقامت القوات المدرعة بقيادة الجنرال « جودريان » والجنرال « هوت » باختراق الخطوط الروسية اختراقا عميقا ثم التقيا فى اليوم السادس للهجوم فى مينسك على بعد ٢٠٠ ميل من الحدود ، وأطبقت كماشة المشاة على العدو من الخلف ولكن عملها جاء متأخرا فلم تستطع أسر معظم الجيش الروسى الذى بدأ ينسحب من جيب بيالستوك . ثم تمت محاولة تطويق جديدة قرب مينسك كللت بالنجاح ، إذ سقط حوالى ٣٠٠ ألف جندى روسى فى الأسر رغم نجاة مفارز كبيرة من التطويق ، ونشر هذا النصر روح التفاؤل بين الألمان . ثم بدأ سير العمليات يتعثر . وتلقت الوحدات المدرعة أمرا بالتوقف إلى أن يكون التطويق كاملا ، بينما كان عليها حسب المخطط الأساسى أن تتابع تقدمها دون انتظار إلى ماوراء مينسك تاركة بعض الوحدات لدعم قوات المشاة المكلفة بإتمام التطويق ، ثم تم تدارك الوقت الضائع بالحركة الجريئة التى قام بها جودريان عندما عبر نهر « الدنيبر » قبل وصول المشاة للجيش الرابع وقبل أن يجمع الروس قواتهم . ولقد تم عبور النهر يوم ١٠ يوليو من ثلاث نقاط غير محروسة بعد أن جمع قواته الأساسية تحت ستار الظلام وخلف ستارة عريضة من القوات المنتشرة . ثم اندفع بعد العبور نحو سمولنسك فبلغها فى ١٤ يوليو . وهكذا قطع المهاجمون ٤٠٠ ميل داخل الأراضى الروسية ولم يكن يفصلهم عن موسكو سوى ٢٠٠ ميل . وهذا تقدم سريع فعلا – ومع

وصول قوات الجنرال « هوت » إلى شمال سمولنسك بدأت عملية تطويق جديدة لعزل الجيوش الروسية الهامة الموجودة بين نهرى الدنيبر ودسنا ، بعد أن تجاوزت الوحدات المدرعة الألمانية هذه الجيوش والتفت حولها . وكاد الفخ يغلق ولكن الأراضى والطرق الوعرة جعلت تقدم الوحدات الألمانية بطيئا . واستطاع معظم الروس النجاة من خطر التطويق . ولكن ذلك لم يمنع من أسر ١٨٠ ألف جندى روسى فى منطقة سمولنسك . وأدرك جودريان أهمية ملاحقة الروس دون هوادة حتى لايترك لهم الوقت الكافى لالتقاط أنفاسهم . وكان « هوت وبوك » يشاطرانه هذا الرأى . وهنا تدخل هتلر ، الذى كان يعتقد أن الفرصة أصبحت ملائمة لتطبيق فكرته الأساسية التى تعتبر لينينجراد وأوكرانيا هدفين رئيسيين نظراً لأهميتهما الاقتصادية والسياسية . ويبدو أنه فكر فى القيام بمناورة تهدف إلى تهديد موسكو لجذب القوات الاحتياطية الروسية إلى هذا القطاع مما يسمح للأجنحة الألمانية بالوصول بسهولة أكبر إلى الهدفين الجانبيين فى أوكرانيا ولينينجراد على أن تنطلق الجيوش الألمانية بعد ذلك من هذين الموقعين الجانبيين لتلتقى فى موسكو التى يمكن أن تسقط حينئذ كثمرة يانعة . وكانت هذه الفكرة حكيمة طموحة ، ولكنها لم تأخذ عامل الزمن بعين الاعتبار . وفى ١٩ يوليو (تموز) أرسل هتلر تعليماته المتعلقة بالمرحلة الثانية ، وأمر بانهاء عمليات التطهير بين نهرى الدنيبر ودسنافورا . وكان على « بوك » أن يرسل جزءا من قواته المدرعة نحو الجنوب لتساعد « روند شتيدت » فى تدمير الجيوش الروسية التى تقاومه ، وأن يرسل جزءا آخر لمساعدة « ليب فى الشمال أثناء هجومه على لينينجراد ولقطع مواصلات هذه المدينة مع موسكو ويتابع بمشاته فقط التقدم الجبهوى ما امكن نحو العاصمة الروسية[1] .

انظر الخريطة (شكل ٢)

ولكن سرعان مادب الخلاف فى القيادة الألمانية واختلف أيضا على تحديد الأهداف العسكرية والسياسية مما جعل القوات الألمانية توزع جهودها فى مناطق جغرافية شاسعة . وكان تردد هتلر نحو التقدم إلى موسكو أو الاكتفاء بما تم إنجازه من أبرز سمات تلك المرحلة فى تخبط القيادة الألمانية والتى كانت لها نتائج خطيرة فيما بعد .

يقول الكثيرون إن فشل الألمان فى معارك سنة ١٩٤١ يرجع إلى أسباب مادية ، فقد

---

(١) ليدل هارت – مصدر سبق ذكره – ص ٣٢١ – ٣٢٤ .



شكل رقم (٢)

(خريطة شكل ٢)

المصدر كيدنت ماكسى – مصدر سبق ذكره – ص ٧١

كانت إمكانياتهم مبعثرة على محاور جهد متباعدة بسبب اختلاف أعضاء القيادة فكريا وبسبب الانتصارات التى تم الحصول عليها فى بادىء الأمر على مختلف الاتجاهات . ولم يحتفظ الألمان بخط عمليات واحد يسمح باحتلال أهداف متعاقبة بل اضطروا إلى الاحتفاظ بخطوط عمل مختلفة يؤدى كل منها إلى هدف واحد واضح يستطيع المدافعون الروس تغطيته بسهولة . وكان اتجاه الهجوم – فى كل مرة – معروفا من قبل الروس ، فما أن تنطلق القوات الألمانية المهاجمة من عقالها حتى يحدد الروس ، وهم فى أماكنهم خطوط مواصلاتها المقبلة »[1] . وهنا يمكن القول أن الهجوم الألمانى وقع فريسة الاتساع الجغرافى السوفييتى .

وبدأت المرحلة الثانية فى عام ١٩٤٢ وكانت السمة العامة لها معارك ضارية مع الطبيعة من ناحية ومع الوطنية الروسية من ناحية أخرى . ولم تتمكن القوات الألمانية بعد ذلك من أن تحقق أى هدف من الأهداف العسكرية أوتحتفظ به لفترة كافية . فى هذا الوقت كانت ميادين الحرب قد ازدادت اتساعا فى مختلف جبهات القتال مما زاد من التكاليف . المادية والبشرية التى تتحملها القوات الألمانية بالإضافة إلى أن الشتاء القارس الذى حل فى سنة ١٩٤٢ فى الأراضى الروسية بدأ يزحف على القوات الألمانية[2] . وإذا أردنا أن نقيم هذه الغزوة الألمانية لروسيا من الناحية العسكرية نجد أنها :

١ ـــ حققت فى البداية ما كانت تهدف إليه من مفاجأة القيادة الروسية وهزيمة قواتها المسلحة والسيطرة على المراكز الصناعية واحتلال أراض واسعة . يبين ذلك المارشال سوكولوفسكى قائلا :

---

(١) المصدر السابق ص ٣٢٨ .

(٢) يفسر ذلك جودريان قائلا : وليس فى التاريخ العسكرى من كارثة تضاهى هذا الهجوم الصاعق ينقض من السماء على جيش جرار فيعطل كل حركة فيه ويشل نشاطه دفعة واحدة .. كان الجنود الألمان لا يتقون هذا البرد الهائل بغير أرديتهم العسكرية العادية وأحذيتهم الطويلة وكل ما أرسل إليهم من الألبسة الاضافية لم يتعد شالا وقفازين من الصوف وتجمدت الزيوت في القاطرات خلف الجيوش فتوقفت حركة النقل .. وفى صفوف الجيش لم تبق الأسلحة صالحة للعمل مطلقا .. وكان تسيير الدبابات يقتضى تدفئتها اثنتى عشر ساعة .. وقضى ألوف الألمان دنقا .. أما الروس فقد كانوا مجهزين بألبسة خاصة تقيهم فتكات البرد كالأردية المصنوعة من الفراء وأحذية اللباد ، ومزودين بلوازم تقى آلاتهم شر الصقيع – ولما شنوا هجومهم المعاكس لم يحرزوا انتصارا حاسما على الجيش الألمانى الذى كان أشبه بالميت من شدة البرد والجليد وأمر هتلر باستئناف الزحف على موسكو ضد العدو والطبيعة معا » .
(المصدر : ريمون كارتيه – مصدر سابق – ص ٢١٧ – ٢١٨) .

« ولما كانت القوات المسلحة السوفيتية غير متأهبة لصد الهجوم المباغت . فإن القوات الفاشية لم تواجه مقاومة جديدة فى طريق تقدمها . وتمكن العدو فى بداية الحرب من تسلم زمام المبادرة الاستراتيجية ومن تحقيق التفوق الجوى .

وأعاق التوغل السريع الذى قامت به القوات الألمانية إلى أعماق بعيدة فى أراضينا وإلى حد كبير عمليات التعبئة وحشد الوحدات والتشكيلات ولاسيما فى مناطق الحدود فى لتوانيا وروسيا البيضاء واوكرانيا كما شلت اقتصادنا فى هذه المناطق[1] .

٢ ــ اختلط الأمر على القيادة الألمانية ، فهل هى تريد إسقاط النظام السوفييتى مثلا ؟ أم تريد التوسع على حسابه فى السهول الروسية فقط ؟ وهل يمكن تحقيق الهدف الثانى دون الأول ؟

إن تقييم إدارة دفة الحرب لا يمكن أن تتم دون الأخذ بعين الاعتبار ابعاد الحرب وتأثيراتها على المستوى العالمى . فقد كان مثلا من أهم العوامل التى سمحت للروس بالصمود ، الامدادات الضخمة التى كانت تزود بها الولايات المتحدة الأمريكية روسيا . وليس من شأننا تحليل ذلك . ولكن النتائج العكسية التى نجمت عن غزو هتلر لروسيا مردها إسرافه فى العداء للايديولوجية الماركسية هذا من الناحية السياسية . أما من الناحية العسكرية عدم استفادته من الأخطاء التى وقع فيها نابليون ووقوعه فى نفس الأخطاء ذاتها ذلك بأن ترك الجغرافية السوفييتية ذات الأبعاد المترامية تنهك قواته . كما استفز بأسلوبه العنصرى الوطنية السوفييتية مما دفع جماهير الشعب الروسى إلى التفانى فى الدفاع والتضحية[2] تشهد على ذلك معارك لينتجراد وستالينجراد . بالإضافة إلى عدم أخذه بعين الاعتبار ظروف المناخ القاسية كل هذه العوامل مجتمعة أدت إلى إجهاض الأهداف الأساسية التى شن من أجلها الحرب ألوقائية على روسيا كما سبق وأن أوضحنا . فعلى الرغم من أنه من الناحية النظرية – على الأقل – أوضح ما يريد ، إلا أنه عند التطبيق وجدناه يقف عاجزا أمام المتغيرات الضخمة التى بدأت تحدث فى الموقف . وهنا يأتى التمييز بين الأهداف العليا للدولة وبين الأهداف الاستراتيجية ، أى ما يمكن أن نطلق عليها الأهداف العسكرية والأهداف السياسية .

---

(١) المارشال سوكولوفسكى – مصدر سابق – ص ٤٢٣ .
(٢) ج . ف . س . فوللر – مصدر سبق ذكره – ص ٤١٨ .

فواضح أن هتلر لم يستطع نظرا لظروف الحرب أن يستغل انتصاراته العسكرية الأولى فى الجبهة الروسية ليسخرها لخدمة أهدافه السياسية مثلا : بأن يساوم على صلح منفرد مع روسيا للحصول على مكاسب جغرافية أو امتيازات اقتصادية تحقق له ما يريد . ولكن نزوعه بالطبيعة وإصراره للوصول إلى الغاية المطلقة أفقده فى النهاية التوازن وجعله فريسة للتردد وموضع خلاف واختلاف بين قيادته . فإذا كانت غزواته السابقة فى جيكوسلوفاكيا ودول اسكندنافية وبولونيا قد حققت أهدافها بسهولة فذلك مرجعه إلى محدودية الهدف الذى حدده هو لنفسه وسهولة تحقيقه . أما محاولته بنفس الطريقة أن يحقق هدفه فى اتجاه روسيا بهذه السهولة يدل على اختلاف فى المقاييس ، لذلك كانت غزوته لروسيا أحد الأعباء الضخمة التى أدت إلى نهايته .

والذى يهمنا فى إطار هذه الرسالة من الحرب الهتلرية فى الجبهة الشرقية هو أنها ووجهت من قبل الروس باستراتيجية استطاعت أن تستغل عناصر القوة لديها وتزيد من عناصر الضعف لدى العدو . وذلك عن طريق وضع استراتيجية مضادة للاستراتيجية الهجومية النازية ولم يكن من الممكن أن يتحقق لها ذلك إلا إذا كانت على علم بنوايا هتلر للهجوم المفاجىء وأعدت لذلك عدته يوضح ذلك المارشال سوكولوفسكى قائلا :

« لقد تزودت القيادة العسكرية والسياسية العليا فى الاتحاد السوفييتى قبل نشوب الحرب بأمد طويل بالمعلومات اللازمة عن قيام ألمانيا بإعداد العدة للاعتداء على الاتحاد السوفييتى ، وعرفت فى وقت مبكر بتركيز القوات الألمانية وحشدها على طول حدودنا . وكانت هذه المعلومات كافية لتمكينها من أن تستنتج بأن هناك خطرا وشيك الوقوع وفعليا بنشوب الحرب . وأن تتخذ الإجراءات الكافية لإعداد قواتنا المسلحة للقتال ، وإعداد العدة فى البلاد ، وإزالة آثار المباغتة من هجوم العدو »[1] .

إذن لم تكن المفاجأة بالهجوم الألمانى مطلقة أى أنها لم تكن بعيدة الاحتمال . والتوقع من قبل القيادة السوفييتية العسكرية والسياسية ولكن كان هناك قصورا فى تحديد موعد بدء الهجوم ، وربما يرجع ذلك إلى توقيع استمرار هتلر بالزحف غربا نحو بريطانيا بعد أن أتم احتلاله لأوربا الغربية . فلما عجز عن تحقيق هدفه الاستراتيجى فى إخضاع بريطانيا وفرض الصلح عليها استدار شرقا لغزو روسيا[2] .

---

(١) المارشال سوكولوفسكى - مصدر سابق - ص ٢٦١ .
(٢) ليدل هارت - مصدر سابق - ص ٣٢٠ .

ومن هنا كانت المفاجأة التكتيكية للقيادة السوفييتية . ولكن توقع الحرب وطبيعتها كان مخططا له كما يفصح عن ذلك الجنرال السوفييتي سيرغى شتيمنكو فيقول :

« وقد تنبأ خبراؤنا العسكريون النظريون فى السنوات السابقة للحرب بأن حرب المستقبل ستكون طويلة وأن الهدف النهائى سيتحقق بعد معارك كثيرة تشمل عمليات متتالية وفى وقت واحد وذات مدى وطبيعة مختلفة على الأرض وفى الجو والبحر وكان هؤلاء الخبراء على صواب . وتنبأت هيئات القيادة العليا ورئاسة الأركان وقادة الجبهات – وكانوا على صواب – بالتطورات على المستوى الاستراتيجي وكما أكدها مسار الحرب كله ونتيجتها وكانت هناك بطبيعة الحال بعض الأخطاء فى التقدير . مثال ذلك فيما يتعلق بموعد نشوب الحرب . كذلك لم يكن متوقعا أن تكون المعارك الدفاعية الاستراتيجية على مثل هذا الاتساع منذ بداية الحرب »(١) .

من هذا يتأكد أن توقع الصراع بين النظام النازى والنظام الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى كان محسوبا وقد ذهب إلى هذا الرأى مارشال الاتحاد السوفييتى الكسندر فايسيلوفسكى حيث يوضح أن الصدام بين نظامين مختلفين كان أمرا محتوما ولكن عملية التنبؤ بساعة إعلان الحرب أو باتجاه محاور تقدم قوات العدو أمر يدخل فى التفاصيل ويتوقف على طبيعة ظروف المعارك اليومية ولا يكون ذو أثر فى وضع خطة المواجهة(٢) . إذن لم تكن هناك مفاجأة على مستوى الاستراتيجية العليا ولكن المفاجأة وقعت – إن صح التعبير على المستوى التكتيكى للتطبيق الاستراتيجى » .

ومن هنا نشأت الاعتبارات الاستراتيجية التى دفعت الاتحاد السوفيتى لأن يضع خطة مواجهة استراتيجية تلائم مقاومة هذا النوع من الحروب الذى كان يعرف – ومازال – بالحرب الخاطفة . فهى خاطفة من حيث كونها تعتمد على عنصر المفاجأة الزمنية فى التطبيق من ناحية اختيار لحظة بدء الهجوم ، ولكنها حرب وقائية من حيث كونها ذات علاقة بالهدف السياسى الذى وضعه النظام النازى للتوسع نحو الشرق .

---

(١) الجنرال سيرغى شتيمنكو – انتصار الاستراتيجية السوفيتية – مجلة العصر الحديث – العدد : ١٨ (٧٠) القاهرة – ٦ مايو سنة ١٩٧٥ – ص ٤ .

(٢) المارشال الكسندر فايسيلوفسكى – حديث مع مراسل وكالة أنباء نوفوستى بمناسبة مرور ثلاثين عاما على الحرب العالمية الثانية – المجلة السوفيتية – العدد : ١٠٩ – القاهرة – مايو سنة ١٩٧٥ص ١٧ .

وقد تبين مما سبق أن الهجوم الألمانى فى بدايته كان كاسحا لدرجة لم تتمكن معها القوات السوفييتية من صده أو إيقافه أو تعطيله بقدر ما يمكنها من إعادة تنظيم قواتها . ويرجع ذلك إلى ما يأتى :

١ ـــ اتساع نطاق العمليات على جبهة يبلغ طولها ٢٠٠٠ ميل تقريبا بعمق ٥٠٠ ميل وهذا أدى إلى تعدد الأهداف الاستراتيجية وتشتيت جهد القوات فى الدفاع عنها .

٢ ـــ سرعة التقدم الألمانى والتفوق فى المدرعات والطيران مما أدى إلى تمكن القوات الألمانية الزاحفة من القضاء على أعداد كبيرة من القوات السوفييتية أو أسرها .

٣ ـــ محاولة القيادة السوفييتية إعادة تنظيم القوات المنسحبة ووضع خطة للدفاع الاستراتيجى . وقد تمكنت القيادة السوفييتيه فى هذه المرحلة من الحرب . أن تحول نقاط القوة التى حققتها القوات الألمانية إلى نقاط ضعف . كيف تم ذلك ؟

(ا) الانسحاب لإطالة خطوط إمداد القوات الألمانية المتقدمة وتوسيع الجبهات التى تقاتل عليها من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب – لتشتيت الجهد الألمانى .

(ب) تعدد الأهداف الاستراتيجية أمام القيادة الألمانية للاختلاف فى القيادة . فقد كانت هناك ثلاثة اتجاهات رئيسية :

١ ـــ الاتجاه الذى كان يطالب به هتلر ويرمى إلى احتلال لينتجراد فى أقصى الشمال وأوكرانيا فى الوسط وذلك لتحقيق حماية جناح قواته فى شمال أوروبا وخاصة فى فنلندة والحصول على الموارد الاقتصادية والمحاصيل الزراعية فى روسيا البيضاء فكان هدفه عسكريا واقتصاديا وسياسيا فى آن واحد .

٢ ـــ الاتجاه الذى كان ينادى به هالدر وبراوخيتش ، وكان يرمى إلى التركيز والاندفاع نحو موسكو والقضاء على القوات السوفيتية فى أقصى سرعة لتحقيق هدف عسكرى وسياسى فى آن واحد .

٣ ـــ الاتجاه الذى كان ينادى به جودريان وكان يطالب بملاحقة القوات السوفيتية والقضاء عليها أينما وجدت وهو هدف عسكرى .

هذا التعدد فى الأهداف الاستراتيجية جعل القوات الألمانية تقاتل على أكثر من محور

مما وزع جهدها وأفقدها ميزة التركيز على هدف محدد وقد أعطى ذلك للقيادة السوفيتية الوقت لإعادة تنظيم قواتها[١] وقد تحقق لها ذلك بما يلى :

١ ــ تركيز جهد القوات على محاور ثابتة ومتقاربة .

٢ ــ قصر خطوط الإمداد وبعد قواعدها عن متناول الهجمات المعادية .

٣ ــ تعبئة الجماهير السوفييتية فى الأراضى المحتلة لشن حرب الأنصار على مؤخرات قوات العدو وتعطيل خطوط مواصلاته[٢] .

٤ ــ توحيد جهد القيادة فى التركيز على الأهداف الاستراتيجية .

٥ ــ حرمان العدو من جميع الامكانيات والموارد المادية التى يمكن الاستفادة منها فى مواصلة القتال .

وقد بين القائد السوفيتى شتيمنكو عمل القيادة السوفييتية فى ذلك الحين فقال : « وكانت أهم مراحل عمل هيئة القيادة العليا وصلب نشاط هيئاتها إعداد وإصدار القرارات المتعلقة باستخدام القوات المسلحة . وطبقا للأهداف العسكرية والسياسية للعمليات كما حددها الحزب ، كانت هيئة القيادة العليا تقرر اتجاه الضربات الرئيسية والنقاط التى يتعين على جيوش والأساطيل أن تبذل فيها أقصى الجهود ، وكان يضع الخطط للحملات والعمليات الاستراتيجية .. وقد تم توجيه عناية خاصة للاختيار السليم لاتجاه الهجوم الرئيسى باعتبار ذلك يضمن تسعة أعشار نجاح المهمة ، وإلى حشد القوات فى الاتجاه الذى وقع عليه الاختيار والجمع بمرونة بين العمل الدفاعى والعمل الهجومى[٣] . وقد مرت الخطة الاستراتيجية السوفيتية فى مواجهة الهجوم الألمانى فى ثلاث مراحل[٤] :

---

(١) انظر تفاصيل ذلك فى مؤلف : ريمون كارتيه – مصدر سابق – ص ٣٥ وما بعدها .

(٢) ولقد مثل قتال الانصار فى المناطق التى احتلها العدو فى الاتحاد السوفييتى دورا بارزا فى سير الحرب .. وكانت حرب الأنصار تدور فى الغالب فى شكل عمليات استطلاع وصرف انتباه وفى شكل هجمات تقوم بها الوحدات الصغيرة على حاميات العدو وأهدافه المهمة ومواصلاته .

(المصدر : سوكولوفسكى – مصدر سبق ذكره – ص ٤٣٤ – ٤٣٥) .

(٣) الجنرال شتيمنكو – مصدر سبق ذكره – ص ٤ .

(٤) انظر : لوتوتسكى وآخرون – الجيش السوفييتى – ترجمة : خيرى الضامن دار التقدم – موسكو – سنة ١٩٦٩ – ص ١٤٧ – وما بعدها .

المرحلة الأولى – الدفاع الاستراتيجي :

وفيها تركز جهد القوات السوفييتية على منع العدو من تحقيق أهدافه الاستراتيجية من الهجوم مثل احتلال موسكو أو لينينجراد أو القضاء على القوات السوفييتية ، هذا بالإضافة إلى إثارة الشك والبلبلة فى قياداته العليا . وقد وقع ذلك بالفعل حينما فشل هجوم الألمان الأول والثانى على موسكو وحينما استطاعت القوات السوفييتية أن تقضى على خيرة القوات الألمانية المهاجمة لينينجراد .

يوضح ذلك زوكوف فى مذكراته قائلا : « فقواتنا انتقلت إلى الدفاع الاستراتيجي نتيجة للانسحاب القهرى .. وكانت أهداف دفاعنا الاستراتيجي كما يلى :

١ ـــ إيقاف القوات الفاشية أمام خطوطنا الدفاعية لأقصى مدة ممكنة كسبا لـ رقت حتى يتسنى لنا الحصول على قوى إضافية من أعماق البلاد وتكوين احتياطيات جديدة وحشدها ثم تحريكها فى الاتجاهات الرئيسية .

٢ ـــ تكبيد العدو أقصى خسائر ممكنة وإنهاكه واستنزاف دمه ، وبذلك يمكن إلى حد ما تدارك الخلل فى ميزان القوى .

٣ ـــ تأمين الإجراءات التى يقوم بها الحزب والحكومة لتهجير المواطنين والمنشآت الصناعية إلى أعماق البلاد ، وكسب الوقت الضرورى لإعادة تنظيم الصناعة طبقا لمتطلبات الحرب .

٤ ـــ الوصول إلى الحد الأقصى من القوة بشن الهجوم المضاد بهدف تصفية المخطط الهتلرى للحرب على وجه العموم[١] .

المرحلة الثانية – الدفاع الايجابى (الدفاع الاستراتيجى النشط) :

وهى مرحلة الانتقال من الدفاع الاستراتيجى إلى الدفاع الإيجابى ، أى قيام القوات بعمليات هجومية محدودة ، القصد منها التخفيف من ضغط قوات العدو وإجباره على اتخاذ موقف الدفاع وهى مرحلة تسبق مرحلة الهجوم الاستراتيجى[٢] .

---

(١) مذكرات زوكوف – ترجمة : عمر أبو النصر – دار الغد – بيروت – سنة ١٩٧٠ – ص١٥٨ .

(٢) وقد شرح ذلك بإفاضة لوتوتسكى فى مؤلفه : الجيش السوفييتى – مصدر سبق ذكره ص ١٩٠ وما بعده .

المرحلة الثالثة – وهى مرحلة الهجوم الاستراتيجى :

وتقوم بها قوات تم إعدادها إعدادا دقيقا لذلك . ويصفها الجنرال شتيمنكو قائلا : « وفى عام ١٩٤٤ ، عندما أصبحت المبادرة الاستراتيجية فى أيدينا تماما أقدمت القيادة العليا على سلسلة من العمليات الاستراتيجية فى قطاعات مختلفة من الجبهة وأرغمت العدو على توزيع مصادره البشرية والمادية العاملة وخلق هذا ظروفا رائعة لسحقه وقد استطاعت القيادة السوفييتية العليا أن تخدع بمهارة رئاسة الأركان النازية فيما يتعلق باتجاه هجماتنا الرئيسية[١] . ويقيم ليدل هارت أسباب فشل الهجوم الألمانى ونجاح الاستراتيجية السوفييتية فى مواجهته على ضوء الأهداف العليا للاستراتيجية قائلا :

« دلت التجربة فى عامى ١٩٤١ ــ ١٩٤٢ على أن هناك حدودا لا يمكن تجاوزها عند تنفيذ استراتيجية هجومية فى مساحات غير محدودة . وقد بدأت قوى ألمانيا تتناقص ابتداء من عام ١٩٤٣ بينما كانت القوات الروسية فى ازدياد مستمر . وبينما كان ميزان القوى يشير إلى احتمال فشل أى هجوم ألمانى استراتيجى ، فقد كانت النسبة أيضا بين إمكانياتهم والأرض التى يحتلونها تجعل من المتعذر عليهم القيام بدفاع ثابت متين . وكان على الألمان إذا أرادوا الدفاع فى مثل هذه الظروف التخلى عن قسم كبير من الأراضى المحتلة بقصد تنفيذ دفاع مرن يقوم على سلسلة من المناورات التراجعية التى تؤمن الانسحاب قبل مواجهة هجوم العدو . وكان التخلى عن الاراضى من مستلزمات الاستراتيجية الدفاعية – الهجومية التى تهدف إلى خلق الظروف الملائمة لصد هجمات العدو بنجاح .

ومنذ عام ١٩٤٣ كانت هناك أسباب هامة تدعو إلى استخدام الدفاع المتحرك أمام هجمات الروس الراغبين بتحرير بلادهم . وقد أجمع كافة الاستراتيجيين الألمان على أن استخدام مخطط دفاع مرن أمر ملائم لإنهاك قوى روسيا وتحطيم إرادتها القتالية[*] لما يتيحه من فرص ملائمة للقيام بهجمات معاكسة تستطيع تغيير الموقف[٢] .

---

(١) الجنرال شتيمنكو – مصدر سابق – ص ٥ .

(*) انظر تفاصيل ذلك فى مقابلة جودريان لهتلر فى مؤلف : ريمون كارتيه – مصدر سابق – ص ٢١٨ – ٢١٩ .

(٢) ليدل هارت – مصدر سابق – ص ٣٥٩ ــ ٣٦٠ .

هذا نموذج من نماذج الحرب الوقائية الخاطفة فى بدايتها التى قامت بها ألمانيا النازية ضد روسيا والطرق التى اتبعت لمواجهتها والقضاء عليها .

واضح أن الألمان كانوا يتمتعون بقوات عسكرية متفوقة فى البداية من حيث الكم والكيف ولكنهم فى الحقيقة كانوا يجهلون ما يأتى :

١ ــ الأهداف الاستراتيجية المطلوب تحقيقها فى فترة زمنية محددة .

٢ ــ طبيعة مسرح العمليات من حيث المناخ والتضاريس ووضع الخطط للتغلب على الصعوبات التى يمكن أن تعوق سرعة الحركة ومرونة العمليات العسكرية فى الدفاع والهجوم .

٣ ــ صلابة وصمود القيادة والشعب السوفييتى والقدرة على امتصاص الهجوم فى مراحله الأولى ومنعه من بلوغ أهدافه والعمل بسرعة على إعادة تنظيم القوات وإعدادها للهجوم .

وبذلك يمكن القول على ضوء ما سبق ذكره أن الحرب الألمانية على الجبهة السوفييتية كانت خاطفة فى بدايتها ثم مالبثت أن انقلبت فى النهاية إلى حرب استنزاف حقيقة للقوات الألمانية ، ويرجع ذلك إلى أنها امتدت من عام ١٩٤١ ــ ١٩٤٤ حينما تمكنت القوات السوفييتية من إجبار القوات الألمانية على إخلاء أراضيها .

هكذا استطاعت الاستراتيجية السوفييتية المضادة لهذا النوع من الحروب من امتصاص الضربة الوقائية الخاطفة وهزيمة العدو . فإذا قارنا ذلك بالحرب الخاطفة الوقائية التى قامت بها إسرائيل على البلاد العربية فى ٥ يونيو ١٩٦٧ تبين ما يأتى :

١ ــ أنه كانت توجد هناك لدى القيادة الإسرائيلية العليا خطة استراتيجية متكاملة ذات مراحل منتظمة لكل مرحلة منها هدف محدد لا يجوز تعديه .

٢ ــ تصور كامل لاحتمالات ردود الفعل عند العرب بعد تلقى الضربة الأولى ، واستغلال رد الفعل هذا لصالح الخطة الإسرائيلية .

٣ ــ دراية كاملة ومعلومات دقيقة بطبيعة مسرح العمليات وخطوط تقدم القوات نحو أهدافها .

٤ ــ تحديد الأهداف للقوات ومنعها من الانتشار والتشتت .

٥ ــ المباغتة الكاملة وشل سلاح الطيران العربى لحسن اختيار توجيه الضربة الرئيسية للهجوم .

٦ ــ عدم الدخول فى معارك على جبهتين فى آن واحد .

ويضاف إلى هذه العوامل ذات السمة العسكرية المجردة عوامل أخرى كانت بمثابة تعزيز ومساندة لما سبق . نذكر منها على سبيل المثال :

١ ــ وجود إسرائيل على حيز جغرافى ذو موقع استراتيجى هام فى قلب المشرق العربى مما أعطاها الفرصة فى القدرة على فصل الجبهات العربية بعضها عن بعض ، ومنعها من تكوين جبهة واحدة لمواجهتها .

٢ ــ وجود مجتمع صهيونى منظم تنظيما حربيا له القدرة على مساندة القوات الإسرائيلية فى الداخل والخارج أثناء العمليات العسكرية .

٣ ــ بناء إسرائيل لقاعدة صناعية واقتصادية على أسس عسكرية مما حقق لقواتها وفورات كبيرة .

اتضح لنا مما تقدم مدى التشابه بين الصراع العربى – الاسرائيلى وبين الصراع الروسى – الألمانى والأسلوب الذى طبقته إسرائيل فى حروبها الوقائية ضد الدول العربية ، وهو نفس الأسلوب النازى من حيث التخطيط والتنفيذ والأهداف بل وكيفية استخدام الأسلحة أثناء المعارك . يؤكد لنا ذلك قيام الألمان بالقصف الجوى العنيف المركز لمطارات وطائرات ومنشآت العدو الروسى ثم أعقب ذلك اكتساح الدبابات الألمانية للأراضى الروسية ومن ثم تبع ذلك تقدم المشاة النازيون . وهذا الأسلوب طبقته إسرائيل بحذافيره فى حروبها الوقائية ضد الدول العربية .

وكما وضحت وجوه التشابه بين ظاهرتى الصراع العربى – الإسرائيلى والصراع الروسى – الألمانى نجد هناك أيضا فوارق شديدة جدا بين الحروب التى شنتها إسرائيل ضد الدول العربية المجاورة لفلسطين المحتلة وبين الحرب التى شنتها ألمانيا النازية ضد روسيا . نذكر من هذه الفوارق :

١ – أن كلا الطرفين المتنازعين ألمانيا وروسيا كان ينطلق من أرض يملكها منذ الأزل .

٢ – وكان كل منهما ينطلق من حضارة متغلغلة فى القدم وقائمة ومنافية لحضارة الجانب الآخر .

٣ – كان كل منهما ينطلق من مجاميع بشرية لعلها لاتفترق كثيرا فى ميزان القوى فروسيا نزلت لهذه الحرب بشعب يعد بحوالى ٢٠٠ مليون نسمة تقريبا . بينما كانت ألمانيا بعد توحيد ما كانت تسميه بالعالم الجرمانى كانت تصل إلى ١٦٠ مليون نسمة تقريبا . منهم ٨٠ – ٩٠ مليون نسمة فى ألمانيا الهتلرية نفسها والبقية الباقية كانت فى بعض المناطق مثل : الرور والسار والنمسا .. الخ . وفى بعض المناطق التى خضعت للنظام النازى ، وفى بعض النظم الفاشية التى حالفت النظام النازى كإيطاليا . فكان ميزان القوى بين الطرفين المتصارعين : – ألمانيا وروسيا متقاربا وكان الوضع الجيواستراتيجى متعادل تقريبا .

بينما المنطلق الإسرائيلى يختلف اختلافا محسوساً جداً حيث :

١ – إن الأرض التى يقيم عليها الجيش الإسرائيلى أرض مغتصبة وأصحابها العرب موجودون عليها وعلى أطرافها .

٢ – الجيش الإسرائيلى لا يعتبر إلا رأس حربة تحركه قوى صهيونية بعيدة عن هذه المنطقة ، الجيش الإسرائيلى لا يحركه بن جوريون أو أسحق رابين وإنما تحركه صهيونيات قائمة فى جنوب أفريقيا أو فى الولايات المتحدة الأمريكية أو فى بعض بلاد أمريكا اللاتينية أو فى استراليا .

والذى يهمنا من هذا العرض الموجز لأوجه التشابه بين ظاهرتى الصراع العربى – الإسرائيلى والصراع الروسى الألمانى وأوجه الاختلاف بين الحروب العدوانية التوسعية التى شنتها إسرئيل ضد الدول العربية المجاورة لفلسطين المحتلة وبين الحرب العدوانية التوسعية التى شنتها ألمانيا النازية ضد روسيا . هو الإجابة على هذا التساؤل : كيف استطاعت اسرائيل أن تحقق ما عجزت عن تحقيقه ألمانيا النازية فى حربها العدوانية التوسعية ضد روسيا ؟

وهكذا يمكن القول بأن العوامل التى أدت إلى إخفاق الهجوم الألمانى على روسيا هى نفس العوامل التى تجنبها الإسرائيليون فى هجومهم على العرب ١٩٦٧ . وقد ازداد ذلك لصالح إسرائيل نظراً لغياب وجود خطة استراتيجية عربية واحدة لمقاومة مثل هذا النوع من الحروب الوقائية الخاطفة . سيأتى تفصيل ذلك فى موضعه من هذا الكتاب .

الفصل الثانى

الوضع الجيواستراتيجى لإسرائيل

يقصد بالوضع الجيواستراتيجى العلاقة الارتباطية بين جغرافية الدولة بمعناها الواسع من تضاريس ومناخ وموقع بالنسبة لوقوعها على بحار من عدمه وحدودها مع من يجاورها من الدول وتأثير ذلك كله على استراتيجيتها العسكرية فى الدفاع والهجوم . مثلما يشمل ذلك موارد الدولة الاقتصادية وطاقتها الانتاجية وقوتها البشرية وهى عوامل متغيرة بتغير الزمن . وتدخل فى نطاق التخطيط الاستراتيجى للدولة .

وبناء عليه يمكن تحديد ثلاث مقومات أساسية للدولة تتحدد بموجبها سياستها الخارجية وأهدافها وأدوات هذه السياسة ومن بينها الأداة العسكرية والمقومات الثلاث هى :

الوضع الجغرافى – النظام السياسى – الطاقة الإنتاجية . وقد بين علماء الجيوبولتيكا مدى تأثير الوضع الجغرافى فى سياسة الدولة . واصطلاح الجيوبولتيكا الذى ابتكره سويدى اسمه « رودولف كجلن » .

وأهم ما يعنى به – أى – هذا العلم – دراسة الوحدة السياسية – الدولة – فى بيئتها الجغرافية . غير أن الإلمام بعلم الجغرافية أو بعلم السياسة ، كل على حدة ، لايكفى لفهم الجيوبولتيكا ، ذلك لأن معرفة كل من الأرض والدولة معا من أهم مستلزماتها .

وللجيوبولتيكا فى الوقت الحاضر مفهومان عامان : فهناك وجهة النظر الضيقة القائمة على الفكرة الألمانية الخاصة بالمجال الأرضى باعتباره المجال الحيوى Lebensrum للدولة على أنها كائن حى . وقد قال فى ذلك اللواء « هاوسهوفر » :

« ليس مجرد الصدفة هو الذى جعلنا نسبق لفظ Politik بهذا المقطع الصغير .

« Geo » فهذا المقطع يعنى كثيرا ويتطلب كثيرا ، فهو يربط السياسة بالتربة ويحررها من الكثير من النظريات المجدبة والعبارات الجوفاء التي قد توقع زعماءنا السياسيين فى حبائل الدول المثالية التى لا طائل منها . ويعود بهم إلى الأرض الصلبة ، فالجيوبولتيكا تبين مدى توقف كل تقدم سياسى على ذلك العامل الثابت الذى لا يتغير – عامل التربة » .

وتظهر الفكرة الأساسية للجيوبولتيكا الألمانية واضحة فى مختلف التعاريف التى صدرت عن معهد ميونيخ لهذا العلم . ومنها : The Geopolitical Institute of Munich:

الجيوبولتيكا : هى النظرية التى تبحث فى قوة الدولة بالنسبة للأرض .

والجيوبولتيكا : هى النظرية التطورات السياسية من حيث علاقاتها بالأرض .

والجيوبولتيكا : هى العلم الذى يبحث فى المنظمات السياسية للمجال الأرضى وتكوينها .

والجيوبولتيكا : هى الأساس العلمى الذى يقوم عليه فن العمل السياسى للدولة فى كفاحها المميت من أجل حصولها على مجالها الحيوى .

ومن هذا يتضح أن المدرسة الألمانية للجيوبولتيكا تؤدى إلى نشوب الحرب . أما المفهوم الأوسع للجيوبولتيكا فيقوم على الدراسة الجغرافية للدولة من حيث سياستها الخارجية . ومن هنا يكون التأكيد كله على المظهر الجغرافى للعلاقات الخارجية لقد جاء فى إحدى الإذاعات الألمانية أثناء الحرب – عن تعريفها لاجيوبولتيكا أنها : « علم يبحث فيما بين السياسة والرقعة الأرضية من علاقات ، وأنه يهدف بصفة خاصة إلى تحويل المعلومات الجغرافية إلى ذخيرة علمية يتزود بها قادة الدولة وساساتها .

هذا وتستمد الجيوبولتيكا مادتها خاصة من أربعة مصادر هى :

١ ــ الدراسات الأكاديمية لكل من الجغرافية السياسية والتاريخ .

٢ ــ ثم الدراسات التخصصية فى موضوع الامبريالية (التسلط الاستعمارى) .

٣ ــ والاستراتيجية العسكرية والبحرية والجوية .

٤ ــ والجغرافية السياسية هى الأصل الذى تفرعت عنه الجيوبولتيكا ، وكما يقول

اللواء هاوسهوفر : « إن الجيوبولتيكا وليدة الجغرافية السياسية لأنها المحرك لما يتناوله هذا العلم الأخير من حقائق فتجعل منها مادة يستعين بها الزعيم السياسى » ، والفرق بين الاثنين إنما يظهر بالتأكيد على إحدهما – فالجغرافية السياسية تأخذ بعين الاعتبار الدولة ، وتعنى بتحليل بيئتها الطبيعية تحليلا موضوعيا أما الجيوبولتيكا فتقوم على دراسة الوضع الطبيعى للدولة من ناحية مطالبها فى مجال السياسة الدولية . وقد أوضح أتومول Ottomaul أحد كتاب معهد ميونيخ هذا بكل جلاء إذ قال : « تعنى الجيوبولتيكا بالمطالب المكانية للدولة على حين تقتصر مهمة الجغرافية السياسية على فحص ودراسة ظروف مجالها الأرضى » . على أن هناك فئة من الثقاة لايرون فارقا بين العلمين وإن وجد فهو ضئيل جداً .

ويؤكد اللواء هاوسهوفر فى مناسبات عدة على الناحية الديناميكية للجيوبولتيكا ومن ذلك قوله « يجب علاوة على ما ذكر أن تقوم دراستنا للجيوبولتيكا على فهم الحاضر والمستقبل أكثر من تتبعنا للماضى ، ونحن معشر الألمان كأمة سلمت مقاليد الحكم فيها لفئة من رجال القانون ، استسلمنا إلى درجة كبيرة لسلطان القوانين البائدة وكنا ننظر إلى السياسة ونفسرها بالعرف التاريخى والأحداث التى انقضت ، لا على أنها علم من العلوم الحية . لقد كنا نتطلع إلى الوراء لا إلى الأمام وبذلك انقطعت صلتنا بالمستقبل . ولما كنا قد أقمنا سياستنا على أساس استعراض الماضى بدلا من النظر إلى المستقبل فقد وجدنا أنفسنا – عندما نظم العالم صفوفه فى مستهل هذا القرن – وقد تخلفنا عن الصفوف »(١) .

وقد تأثرت سياسة إسرائيل الخارجية واستراتيجيتها العسكرية بمفهوم الجيوبولتيكا وخاصة فى ظل أوضاع علاقات الصراع بينها وبين البلاد العربية المحيطة بها . فكان لوضعها الجغرافى أثر كبير فى تحديد وسائلها العسكرية لمواجهة العرب وانتهاج استراتيجية عسكرية هجومية حتى لا تقع فى مأزق الدفاع لمواجهة قوات تفوقها من حيث الكم على الأقل . كما أن نظامها السياسى الذى يستند فى الأصل والأساس على الفكرة الصهيونية أثر فى وضع أهداف سياستها التوسعية وقد تبين ذلك بوضوح فى بيان

---

(١) رسل هـ . فيفيلد ، ج . اتزل بيرسى – الجيوبولتيكا – ترجمة : يوسف مجلى ولويس اسكندر – مراجعة : الدكتور محمد عبد المنعم الشرقاوى – الكرنك – ج١ – القاهرة د . ت – ص ١١ — ١٢ ، ١٤ — ١٥ ، ٢٢ . (ملاحظة : صدرت الطبعة الانجليزية للكتاب المذكور سنة ١٩٤٢) .

إعلانها الذى سبق عرضه . الفكرة الصهيونية شكلت أهداف الدولة ووضعت التصور الجغرافى لحدودها التى يجب أن تكون عليها حتى تستطيع أن تحقق استيعاب يهود العالم فى نطاق هذه الحدود . وتم التفاعل بين الوضع الجغرافى الذى كانت عليه حدود إسرائيل عام ١٩٤٨ وبين أهدافها القومية ونظامها السياسى ليتبلورا معا بتأثير من مفهوم المجال الحيوى ويؤثرا فى تخطيط استراتيجية عسكرية هجومية فما هى خصائص الوضع الجغرافى لإسرائيل بعد قيامها ؟ وكيف كانت هذه الخصائص أحد عوامل تبنيها للحرب الوقائية ؟

١ ـــ الجغرافية العسكرية لفلسطين(١) :

يمكن تقسيم فلسطين من وجهة النظر العسكرية ومن طبيعة أرضها إلى خمسة أقسام هى :

١ ـــ السهل الساحلى .
٢ ـــ المرتفعات الشمالية . وتشمل منطقة الجليل .
٣ ـــ المرتفعات الوسطى وتشمل مرتفعات نابلس والقدس والخليل .
٤ ـــ منطقة الغور .
٥ ـــ المنطقة الجنوبية وتشمل صحراء النقب .

ويلاحظ بادىء ذى بدء أن هذا التنوع للتضاريس بين المرتفعات والسهول والأغوار والصحارى تشمله جغرافية فلسطين مما كان له آثاره على وضعها من الناحية الجيواستراتيجية . وحتى نتبين كيف كان الوضع الجيواستراتيجى لإسرائيل من العوامل التى دفعتها إلى تبنى الحرب الوقائية فى صراعها مع العرب نعرض بإيجاز الخصائص التضاريسية لكل منطقة من المناطق السابقة .

---

(١) المعلومات الجغرافية أخذت من مؤلف :
العقيد محمد ابراهيم الشاعر - جغرافية فلسطين العسكرية - معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة سنة ١٩٧٠ ـــ ص ١٢٢ ـــ ١٣٦ ، ٩١ ـــ ٩٤ .

أولا – السهل الساحلى :

يمتد من رأس الناقورة إلى وادى العريش جنوبا على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط يحده من الشرق مرتفعات الجليل ومرتفعات افرايم (جرزيم) والسامرة « مرتفعات » نابلس ويطلق على القسم الشمالى منه سهل عكا التابع لمنطقة الجليل .

يبلغ طول هذا السهل من الشمال إلى الجنوب حوالى ٢٠٠/ كم ويبلغ عرضه عند عكا حوالى ٨/ كم وعند جبل الكرمل جنوبى حيفا ٥/ كم وفى المنطقة بين ناتانيا وطولكرم حوالى ١٨/ كم ثم يأخذ فى الاتساع كلما اتجه جنوبا . ويقسم السهل الساحلى عرضيا إلى ثلاثة أقسام هى :

(ا) سهل عكا ، « زفلون » وهو الجزء الشمالى من السهل الساحلى يحده غربا – خليج حيفا – عكا » وجنوبا الكرمل ، وشمالا – نهر النعامين وشرقا جبل الجليل السفلى . وهذا الجزء ضيق فى الشمال يتسع كلما اتجه جنوبا . ويبلغ أقصى عرض له ١٠ كم ولا يوجد فيه كثبان رملية ، ولكن الجزء الغربى فيه مغطى بالرمال لمسافة ٣/ كم من الساحل . أما القسم الشرقى فهو مرتفع نسبيا ، والقسم الأوسط منخفض قليلا مما يولد المستنقعات فى أجزاء منه بسبب مياه الأمطار ومياه الينابيع .

(ب) سهل سارونا « الشارون » – يمتد من سفح جبل الكرمل شمالا إلى نهر اليركون « العوجة » جنوبا ، ويبلغ عرضه فى الجزء الشمالى عند نهر الزرقاء « التمساح » حوالى ١١/ كم وفى الجزء الجنوبى حوالى ١٨/ كم ، ويسمى الجزء الشمالى الملاصق لجبل الكرمل بسهل الكرمل . ويتألف من حيث طبيعة الأرض طوليا من قسم ضيق يوازى الساحل يضم كثبانا رملية تليها سلسلة من الهضاب يبلغ ارتفاعها حوالى ٣٠ متر وهى مكونة من رمل مختلط بالجير . ويلى ذلك السهل المركزى الكبير ، وسطحه منبسط ، عرضه ٨/ كم ، وتمر فيه شبكة المواصلات الرئيسية . ويلى ذلك سلسلة من الهضاب تسمى سلسلة الهضاب الشرقية ، ويبلغ ارتفاعها حوالى ٧٠ مترا ، ويأتى بعدها واد منبسط طويل يبلغ عرضه ٥ كم ويعتبر هذا السهل طريقا طبيعيا للمرور بين الجنوب والشمال .

(جـ) السهل الجنوبى :

يمتد من نهر اليركون « العوجة » شمالا حتى غزة جنوبا . وهو أوسع جزء من السهل الساحلى يصل عرضه إلى/ ٢٥ كم ويزداد اتساعا نحو الجنوب وتبلغ الكثبان الرملية فيه أكبر عرض لها . وبعضها مزروع بالأشجار . « منطقة شمالى غزة إلى المجدل » وتمتد فى هذا السهل شبكة المواصلات الرئيسية ، كما تقع فيه مراكز الخطوط الحديدية الرئيسية وأهم خصائصه التضاريسية .

١ ــ **الكثبان الرملية** – تمتد هذه الكثبان فى الجزء الغربى من السهل الساحلى بحذاء ساحل البحر وهى عبارة عن كثبان رملية بعضها متحرك وبعضها ثابت ، يبلغ ارتفاعها فى بعض الجهات حوالى ٧٠/ مترا ويختلف عرضها من منطقة إلى أخرى ، ويصل هذا العرض عند رفح من ٣ ــ ٥ كم .

٢ ــ **جبل الكرمل** – يبلغ ارتفاعه ٥٢٨ مترا فوق سطح البحر ويمتد حوالى ٢٠/ كم ، وأعلى قمة فيه قرب قرية عسفيا يبلغ ارتفاعها ٥٤٦ مترا . ونهايته فى الجنوب الشرق عبارة عن سلسلة من التلال قليلة الارتفاع(١) .

ويجرى فى السهل الساحلى عدة أنهار أهمها ·

(ا) **نهر النعامين** – ينبع من جبال عتصمون ويجرى فى سهل عكا ويصب فى البحر الأبيض المتوسط .

(ب) **نهر المقطع** « كيشوق » ينبع من سلسلة جبال الناصرة ويجرى فى سهل عكا وسهل مرج بن عامر ويصب فى البحر المتوسط .

(جـ) **نهر اسكندرونة ونهر الفارق** – ينبعان من جبال جرزيم ويجريان فى سهل الشارون « سارنة » ويصبان فى البحر الأبيض المتوسط .

(د) **نهر « اليركون » أو « العوجة »** ينبع من جبال جرزيم ويجرى فى سهل شارون .

---

(١) العقيد محمد ابراهيم الشاعر – المصدر السابق – ص ١٢٢ ــ ١٢٤.

كما أن هناك عدة أودية تكون جافة فى الصيف ممتلئة بالمياه شتاء منها :

١ ــ وادى الزرقاء – ينحدر من جبل الكرمل ومن سهل شارون .

٢ ــ وادى الخضراء – ينحدر من جبال جرزيم ويمر فى سهل شارون .

٣ ــ وادى روبين – ينحدر من جبال القدس ويجرى فى السهل الجنوبى بين يافا وأسدود .

٤ – وادى غزة – ينحدر من جبال الخليل وجبال النقب الأوسط ويمر فى السهل الجنوبى قرب غزة .

يعتبر السهل الساحلى بصورة عامة ، أصلح المناطق للعمليات الحربية بالنسبة للأسلحة المختلفة عدا منطقة الكثبان الرملية ويتميز بما يلى :

١ ــ أرض منبسطة مفتوحة متماسكة لتحريك مختلف أنواع الآليات .

٢ ــ تمتد فيه شبكة المواصلات الرئيسية .

٣ ــ تتوفر فيه حاجات الامداد والتموين .

٤ ــ مناخه مناسب طول السنة تقريبا .

٥ ــ تتمركز فيه المدن والمراكز الصناعية الرئيسية فى إسرائيل والتى تعتبر أهدافا حيوية .

ومن عيوبه وجود بعض الموانع العرضية كالأنهار ، والوديان ، ووجود جبل الكرمل ، الذى يعتبر مانعا قويا للتحركات من الشمال إلى الجنوب وبالعكس وذلك رغم وجود طريقين يخترقانه إلا أنه يمكن الدفاع من هذه الطرق وقطعها بواسطة قوات – صغيرة الحجم وعندئذ يصبح من الصعب اختراقه . وقد جرت معظم العمليات العسكرية فى حرب ١٩٤٨ فى الجزء الجنوبى من السهل الساحلى وخاصة فى المنطقة الواقعة بين يافا وغزة والفالوجا كما سيتضح عند التعرض لذلك .

ثانيا – المرتفعات الشمالية – وتشمل منطقة الجليل :

وتقع فى الجزء الشمالى من فلسطين وتشمل المرتفعات : يحد هذه المنطقة من

الغرب : سهل عكا والبحر الأبيض المتوسط ومن الشرق : نهر الأردن ومرتفعات الجولان ومن الشمال : جبال لبنان وجبل حرمون ومن الجنوب : سهل مرج بن عامر « سهل يزراعيل » والمنطقة كتلة جبلية تتخللها عدة وديان ، وتمتد من الشمال إلى الجنوب لمسافة/ ٤٠/ كم وعرضها من الغرب إلى الشرق/ ٤٥/ كم وتنقسم من حيث طبيعة أرضها إلى أربعة أقسام رئيسية :

١ ـ الجليل الغربي :

ويشمل سهل عكا ، ويمتد إلى الحدود اللبنانية شمالا ، عند رأس النافورة وإلى خليج حيفا جنوبا ، وتتخلله بعض المرتفعات والكثبان الرملية .

٢ ـ الجليل الأعلى :

ويشمل المنطقة الممتدة من المطلة شمالا إلى سهل بيت كارم وسهل جيشر جنوبا ، ويحده من الغرب : سهل عكا ومن الشرق : سهل الحوله . ويعتبر الخط الواصل بين طبرية حتى مدينة عكا هو الفاصل بين الجليل الأعلى والجليل الأسفل حيث يفصل بينهما سهل بيت كارم ، وسهل جيشر ، اللذان يتصلان ليفتحا ممرا من وادى الأردن شمالى بحيرة طبرية إلى السهل الساحلى بين سلسلتى جبال الجليل العلوى والسفلى وهذه المنطقة كتلة جبلية يصل ارتفاعها إلى أكثر من/١٠٠٠/ متر وتتكون من سلاسل كبيرة من الجبال قريبة من بعضها ، ولا يوجد بينها وديان كبيرة ، وينقسم الجليل الأعلى من نا- بة طبيعة أرضه إلى ثلاثة أقسام طولية هى :

(أ) السلسلة الغربية :

وهى أعلى جزء فى الجليل الأعلى وتوجد فيها عدة قمم ذات ارتفاع أكثر من/١٠٠٠/ متر ، وتسمى بسلسلة ميرون ، من اسم جبل ميرون « الجرمق » وهو أعلى جبل فيها حيث يبلغ ارتفاعه/١٣٠٨/ أمتار وتنحدر هذه السلسلة انحدارا خفيفا نحو سهل عكا وتقترب من البحر عند رأس الناقورة .

(ب) السلسلة الشرقية :

وهى سلسلة منفصلة محاطة بالوديان ، وأعلى قمة فيها جبل كنعان الذى يبلغ ارتفاعه ٨٤٠ مترا وتنحدر انحدارا شديدا لجهة الشرق إلى سهل الحولة .

(جـ) سهل بيت كارم :

يمتد هذا السهل من مركز الجليل ويبلغ طوله حوالى/١٨/ كم وعرضه ١/ كم وهو مع سهل جيشر يشكل فاصلا بين الجليل الأعلى والجليل الأسفل ويفتح ممرا من وادى الأردن إلى السهل الساحلى . والممر صالح نسبيا للتحرك ..

أهم الجبال فى الجليل الأعلى :

١ ـــ جبل الجرمق « ميرون » وارتفاعه /١٣٠٨/ أمتار ، يقع شمالى غرب صفد .

٢ ـــ جبل كنعان « صفد » وارتفاعه /٨٤٠/ مترا ، يقع شمالى غرب بحيرة طبرية .

٣ ـــ جبل الزيتون « حيدار » وارتفاعه /١٠٤٧/ مترا ، يقع غربى صفد .

٤ ـــ جبل عداسية « عروس » وارتفاعه /١٠٠٦/ أمتار ، يقع غربى قرية سعسع .

٣ ـــ الجليل الأسفل :

وهو عبارة عن سلسلة جبال تمتد من الغرب إلى الشرق يحدها شمالا : سهل بيت كارم وسهل جيشر وجنوبا : سهل مرج بن عامر « يزراعيل » وسهل بيسان ومن الشرق : وادى الأردن وبحيرة طبرية ومن الغرب : سهل عكا « زفلون » . وهذا الجزء محاط بالوديان من جميع جهاته وهو أقل ارتفاعا من الجليل الأعلى وهو مؤلف من سلاسل منفصلة تتخللها الوديان وهى : سلسلة جبال الناصرة وجبل طابور – سلسلة جبال قرعان وهى جبال منخفضة وأهم أجزائها جبل حطين الذى كان بركانا – سلسلة جبال يطفت « سخنين » وأعلى قمة فيها عتسمون – سلسلة جبال حتصور وكمنه وجزور وأهم جبال الجليل الأسفل هى :

(ا) جبل كمنه وارتفاعه ٥٩٨ متراً ، ويقع جنوبى طريق عكا – صفد الرئيسى .

(ب) **جبل طابور** وارتفاعه /٥٨٨/ مترا ويقع شرق الناصرة .

(جـ) **جبل الناصره** وارتفاعه /٥٧٣/ مترا .

(د) **جبل حطين** وارتفاعه /٣٢٦/ مترا ويقع غربى طبرية .

(هـ) **جبل عتسمون** وارتفاعه /٥٤٨/ مترا ، ويقع بين سهل بيت كارم من الشمال وسهل بيت ناطوفا من الجنوب .

(و) **جبل جزور** وارتفاعه /٥٨٤/ مترا ، ويقع جنوبى غربى صفد بحوالى ١١/ كم .

أهم الوديان التى تجرى فى منطقة الجليل الأسفل :

١ ــ **نهر بيرة** : ينبع من سلسلة جبال الناقورة ويصب فى الأردن .

٢ ــ **وادى يفنئيل** : ينحدر من سلسلة جبال ترمان ويتجه إلى الأردن .

٣ ــ **وادى حمام « أربل »** ينحدر من سلسلة جبال كنعان ويتجه إلى بحيرة طبرية .

٤ ــ **وادى عامود** : ينحدر من سلسلة جبال كنعان ويتجه إلى بحيرة طبرية .

٥ ــ **وادى خلزون** : ينحدر من سلسلة نجبال عتسمون ، يسيل فيه فرع نهر النعامين ويجرى فى سهل بيت كارم .

ومن أهم السهول فى منطقة الجليل :

(ا) **سهل بيت ناطوفا** : الذى يخترق جبال الجليل الأسفل فى منتصفها ويبلغ طوله من الغرب إلى الشرق حوالى /١٧/ كم ، وعرضه ، /٤/ كم . ويتحول فى الشتاء إلى مستنقع كبير وتمر فيه قناة تحويل مجرى نهر الأردن ويوجد فيه خزان للمياه للمشروع ذاته .

(ب) **سهل مرج بن عامر « يزراعيل »** : يتصل هذا السهل بسهل زفلون « عكا » من الغرب ، وبسهل بيسان شرقا ، ويحده من الشمال : جبال الجليل ومن الجنوب : جبال « جرزيم » ويبلغ طوله من الغرب إلى الشرق حوالى /٤٥/ كم ومتوسط عرضه /١٨/ كم .

٤ ــ الجليل الشرق :

وهو جزء من وادى الأردن الواقع إلى الشرق من جبال الجليل ويقسم إلى :

(ا) **نهر الأردن** : يتشكل نهر الأردن من تجمع ثلاثة روافد هى : نهر الحاصبانى والدان وبانياس ويجرى جنوبا مارا بسهل الحولة الذى يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر حوالى /٧٠/ مترا ، ثم يتدرج بالانخفاض حتى يبلغ مستوى ٢١٢ مترا تحت سطح البحر عند دخوله بحيرة طبريا وبعد خروجه من بحيرة طبريا /٨/ كم ، يرفده من جهة الشرق نهر اليرموك وتمتاز هذه القطعة من الأرض بخصب ترتبتها وزراعتها ، وبعد ذلك يسير النهر فى وادى ضيق وتصبح الأرض حوله شبه صحراء تتخللها بعض الوديان والواحات القائمة على بعض المجارى والينابيع حتى تصب فى البحر الميت ويبلغ طول هذا الجزء من مجرى النهر حوالى /١٠٤/ كم بشكل مستقيم ويضاعف هذا الطول إذا حسب طوله الحقيقى بما فى ذلك تعاريج النهر .

(ب) **السهول** : تقسم إلى عدة سهول وهى من الشمال إلى الجنوب :

١ ــ **سهل الحولة** : وهو الجزء الشمالى من حوض وادى الأردن . وهو محاط من الشمال ، بجبل حرمون ومن الغرب : بجبال الجليل ومن الشرق : بمرتفعات الجولان . ويبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب /٣٠/ كم وعرضه حوالى /١٠/ كم .

٢ ــ **سهل جيشر** : يقع فى الشمال الغربى من طبرية وينخفض عن سطح البحر حوالى /٢٠٠/ مترا ويتصف بمناخه الحار .

٣ ــ **سهل النقب** : وهو مثلث محصور بين نهر الأردن ونهر اليرموك وبحيرة طبريا وأرضه منبسطة خصبة تنخفض حوالى /٢٠٠/ متر عن سطح البحر ، ولا توجد فيه أية مرتفعات هامة ، ومناخه حار صيفا ، معتدل شتاء .

٤ ــ **سهل بيسان** : يمتد هذا السهل إلى الشرق من سهل يزراعيل ويحده شمالا : نهر بيرة وجنوبا : نهر بزق ، وينخفض عن سطح البحر حوالى /٢٦٠/ مترا . ومناخه حار جدا فى الصيف ، وشتاؤه قصير .

(جـ) **بحيرة طبرية** : يبلغ طولها /٢١/ كم وعرضها /١٢/كم وأقصى عمق لها /٤٧/ مترا ، وينخفض سطحها /٢١٢/ مترا عن سطح البحر[1] .

---

(١) العقيد محمد ابراهيم الشاعر – المصدر السابق – ص ١٢٥ – ١٣٠ .

أما صلاحية منطقة مرتفعات الجليل للعمليات العسكرية فتتوقف على تباين تضاريسها وتخلل الوديان والأنهار ، ووجود غابات كثيفة ، وخاصة فى المنطقة الشمالية المتصلة مع لبنان . وبصورة عامة هى تصلح لحرب العصابات ويصعب فيها تقدم الآليات وعمل المدفعية نظرا لوجود سلاسل الجبال والمنخفضات التى تكثر فيها المستنقعات لذلك سعت إسرائيل دائما أن تنقل مسرح العمليات فى هذا المنطقة خارج حدودها لعدم قدرة قواتها على الحركة والمناورة فيما لو وقعت فيها المعارك الرئيسية .

ثالثا – المرتفعات الوسطى :

تؤلف المنطقة الوسطى من فلسطين وتشغل حوالى ٢٦٪ من مساحة الأراضى الفلسطينية وتمتد من أقصى شمال البلاد حتى منطقة النقب ويفصل بينها وبين مرتفعات الجليل سهل مرج بن عامر ، تنحدر سفوحها الغربية نحو السهل الساحلى انحداراً – تدريجيا . أما السفوح الشرقية فيكون انحدارها شديدا نسبيا وتشمل سلسلة الجبال الآتية :

١ ــ **جبال نابلس** : وأعلى جبل فيه عيبال ، ويبلغ ارتفاعه ٩٤٩ مترا والغور ويبلغ ارتفاعه ٨٨١ مترا . وإلى الجنوب من جبال نابلس يقع جبل تل العاصور الواقع بين كفر مالك ودير جرير ويبلغ ارتفاعه ١٠١٦ مترا معظمه تغطية أشجار الزيتون .

٢ ــ **جبل القدس** : تغطى أشجار الزيتون والتين والمشمش وكروم العنب أقساما كبيرة منها . من أهم قممها جبل الزيتون واسكوبس ويبلغ ارتفاعه ٨٦٢ مترا ويقع شرق القدس ، وجبل المكبر المشرف على طريق القدس – بيت لحم .

٣ ــ **جبال الخليل** : ذروة ارتفاعها عند مدينة الخليل حيث تبلغ ١٠٢٧ مترا تنخفض إلى أن تنتهى تدريجيا فى النقب وتغطى معظمها بأشجار الزيتون والكروم .

رابعا – منطقة الأغوار :

وهى منطقة تنخفض فى معظم أجزائها عن مستوى سطح البحر ، وتمتد من بحيرة طربة حتى البحر الميت . ويبلغ عرضها ما بين ٤ ــ ١٥ كم تكثر فيها الينابيع الجارية والتربة البركانية ويجرى فى وسطها نهر الأردن ، وتبلغ المسافة بين بحيرة طربة والبحر الميت ١٠٤ كم .

خامسا – النقب :

« يتكون النقب بشكل عام من هضبة يبلغ ارتفاعها من ٥٠٠ – ١٠٠٠ متر وهى على شكل مثلث قاعدته الشمالية خط يمتد بين غزة والطرف الجنوبى من البحر الميت ، ورأسه الجنوبى العقبة . وتبلغ مساحة النقب حوالى نصف مساحة فلسطين . قليل الزراعة نظرا لانحباس مياه الأمطار ، وقلة موارد المياه الطبيعية الأمر الذى تداركه اليهود اصطناعيا بجرهم مياه الأنهار للنقب ، ويعتبر النقب من الناحية العسكرية أرضا مكشوفة وخاصة فى الجوانب حيث تنعدم المواقع الطبيعية من هنا تأتى أهمية حركة القوات الجوية التى تعطى الفرصة لمن يحوز على السيادة الجوية فى النقب لتحريك مشاته ومدرعاته وأسلحته المساندة بحرية وسرعة ، وتصعب تحركات العدو بسهولة فى مثل هذه الأراضى المكشوفة وتمكن خطورة النقب بأهمية المستعمرات الصناعية والدفاعية التى أنشئت فيه[1] حيث قامت اسرائيل بإنشاء الخط الدفاعى على حدودها مع مصر والذى يعرف بخط وايزمان .

٢ – أثر الجغرافية فى استراتيجية اسرائيل العسكرية :

لقد أثرت الجغرافية تأثيرا فعالا فى التخطيط الاستراتيجى للعسكرية الإسرائيلية ، فالوضع الجغرافى الشاذ الذى تمخض عن حرب ١٩٤٨ لم يعط إسرائيل مميزات السيطرة على المرتفعات الوسطى ، كما أنه جعلها تبدو كشريط ضيق فى منطقة السهل الساحلى ما بين حيفا وأسدود . وفى الجنوب تمكنت من السيطرة على النقب وفى الشمال بقيت مستعمراتها مهددة من قبل سيطرة القوات السورية على مرتفعات الجولان . ويبين هيثم الكيلانى خطورة هذا الوضع من الناحية العسكرية فيقول :

« لابد للناظر إلى خريطة إسرائيل من أن يدهش من شكلها الجغرافى العدوانى وقد استطاعت إسرائيل بعد هدنة عام ١٩٤٨ أن توسع حدودها ضمن بلاد تحيط بها وتنبذها وترفض استمرار وجودها حتى بلغت مساحتها نحو ٢٠٠٠٠ كم٢، نصفها فى صحراء النقب ويبلغ طولها من هضاب الجليل حتى البحر الأحمر نحو ٥٠٠ كم ، وتلتقى مع الأرض العربية بحدود طولها ١٠٨٠ كم ، – تنهمك إسرائيل فى

---

(١) العقيد محمد ابراهيم الشاعر – المصدر السابق – ص ١٣٥ – ١٣٦ .

الدفاع عنها . ومن الملاحظ أن الجزء المفيد من إسرائيل ، حيث تقطن الأغلبية العظمى من السكان ، يتمثل فى شريط طوله ١٩٠ كم على شاطىء البحر الأبيض المتوسط . وتنفتح أرض إسرائيل وتتوسع شمالى حيفا وجنوبى تل أبيب ، وما بين هذين البلدين تضيق الأرض حتى تغدو ممرا محصورا بين البحر والحدود بمسافات تترواح ما بين ١٤ ، ٢٠ كم وفى ذلك الممر الضيق الذى يشبه عنق الزجاجة تمر شرايين المواصلات وتتمركز المدن الرئيسية التى تقع تحت مرمى المدفعية المعادية المتمركزة عبر الحدود فى الأردن — قبل احتلال إسرائيل للضفة الغربية فى عام ١٩٦٧ إذ تستطيع نيران هذه المدفعية أن تخرب الطرق والسكك الحديدية وتقطع إسرائيل إلى جزئين ، وتنال من المدن ومن بينها تل أبيب . وبذلك تشل الطاقة الحربية فى إسرائيل ، وتنسف الاستراتيجية الإسرائيلية من أساسها . ولقد أشار إيجال يادين رئيس الأركان العامة الأسبق إلى هذه الناحية بالذات ، فوضح أن أرض إسرائيل ليست إلا مجموعة من السيئات وأكد ذلك موشى ديان عندما تحدث عن ضعف الوضع الجغرافى وإمكانية اجتياح قوات العدو الحدود دون أن تكون هناك عوائق تمنعها وليس لإسرائيل أى منفذ جغرافى برى تستطيع بواسطته الاتصال بالعالم الخارجى . فهى محاطة براً بالأراضى العربية ومحصورة حصار مقاطعة كاملة بحيث لا تتمكن من إجراء اتصال أو تبادل تجارى أو سياحى أو غير ذلك من وسائل الاتصال والتبادل المعروفة بين الدول المتجاورة(١) .

لم يكن اختيار إسرائيل لاسلوب الحرب الوقائية وليد ظروف طارئة وإنما ينبع من واقعية الوضع الجيوبولتيكى للدولة الصهيونية فقد وضعت فى قمة أهدافها كما تبين تحقيق أرض إسرائيل أى الوصول بالحيز الجغرافى لسيطرتها إلى أن يبلغ حدود المخطط الصهيونى . فالوضع الجغرافى لإسرائيل بعد عام ١٩٤٨ لم يناسب خططها فى التوسع والاستيطان كما أنه ومن خلال استعراضنا للخصائص الجغرافية لفلسطين لم يحقق لها وضعا عسكريا يمكنها من تحمل وقوع هجوم من العرب عليها .

لذلك طبقت العقيدة العسكرية التى تقول : الهجوم خير وسيلة للدفاع « فأى معركة عربية هجومية كان يمكن أن تدور على أرض إسرائيل ستؤدى إلى هزيمتها والقضاء على جيشها والمناطق التى تسيطر عليها لا تسمح للقوات بحرية الحركة والمناورة وخاصة فى الشمال والوسط وهما المنطقتان اللتان تقع فيهما أهم المراكز الحيوية لإسرائيل من مدن

(١) العميد هيثم الكيلانى – مصدر سابق – ص ٣٧٦ — ٣٧٨ .

مكتظة بالسكان ومصانع ومطارات وشبكات مواصلات . وهاتان المنطقتان كانتا قبل عدوان ١٩٦٧ فى متناول المدفعية العربية فى مرتفعات الجولان فى الشمال ، والمرتفعات الوسطى وكان يمكن للمدفعية العربية أن تعطل أى حركة لقوات العدو وتمنعه من التقدم .

أما فى الجنوب حيث أعطى الامتداد الصحراوى لإسرائيل ميزة حرية المناورة ولكنه لا يسمح لها بالقدرة الطويلة على تحمل أعباء الدفاع ذلك أن صحراء النقب كما تبين مكشوفة ومعرضة للهجمات الجوية فإذا ماوقفت القوات الإسرائيلية فى هذه المنطقة موقف الدفاع أعطت للقوات المصرية فرصة تدميرها بالطيران ، يتأكد ذلك عند تعرضنا لتحليل نموذج حرب ١٩٦٧ حيث جعلت القوات الإسرائيلية ضربتها الاستراتيجية الرئيسية موجهة ضد سلاح الطيران المصرى .

إذن وضع إسرائيل الجغرافى عام ١٩٤٨ وضعها فى مأزق الدفاع ولكنها وضعت استراتيجيتها للخروج من هذا المأزق وما يمكن أن يترتب عليه من أخطار تهدد وجودها ذاته باعتمادها أسلوب الحرب الوقائية والمبادرة بالهجوم . وبذلك تكون قد حققت هدفين : سياسى بالتوقع وعسكرى بتدمير قوات العدو[١] .

وقد بين ايجال آلون الأخطار التى كانت تهدد إسرائيل نتيجة لوضعها الجيواستراتيجى فى الشمال بعد عام ١٩٤٨ وأوضح ذلك بالتفصيل قائلا :

« أصبح الوضع الجيواستراتيجى لإسرائيل أفضل كثيرا من فترة ما قبل الدولة . ولكنه ظل بالمقارنة لوضع جيرانها العرب ، فقيرا جدا . ورغم أن إسرائيل جزء لا يتجزأ من القارة الأسيوية على شاطئها الغربى . فقد كانت فى الحقيقة جزيرة ، ليس لها المزايا الاستراتيجية للجزيرة المحاطة بالماء . ومن ناحية حدودها البرية ،كانت محاطة كلية بدول معادية . وكانت موانئها على البحر المتوسط والبحر الأحمر معرضة للحصار البحرى ولعمليات الإنزال باستثناء الجليل الشمالى والنقب الجنوبى – اللذين تمتعا بعمق معقول كان وسط البلاد والشريط الساحلى على البحر المتوسط وممر القدس محرومين بصورة واضحة من العمق الاستراتيجى . وفى إحدى النقط الدقيقة لا تزيد المسافة بين المملكة

---

(١) انظر تفاصيل أثر الموقع الجغرافى فى سياسة الدولة العربية لمؤلف : العقيد محمد ابراهيم الشاعر – مصدر سابق – ص ٢٦ وما بعدها .

الأردنية وشاطىء إسرائيل على البحر المتوسط عن عشرة أميال والسهل الساحلى الذى تركز فيه معظم سكان إسرائيل وصناعتها ، لا تحميه أى تلال ، والقدس عاصمة البلاد كانت مقسمة وجيشان معاديان يرابطان فى قطاع غزة وفى الضفة الغربية لنهر الأردن ، ويمكن استخدام كل منهما كرأس جسر للإغارة والغزو فى خطة حرب شاملة . وكانت إيلات وميناءها البوابة الوحيدة لإسرائيل إلى البحر الأحمر والمحيطين الهندى والهادى والبلاذ الواقعة على شواطئهما - معرضة للمخاطر بشكل خطير . فقد كانت مضغوطة داخل شريط ضيق بين الأردن ومصر ومهددة بالحصار من مضايق تيران عند مدخل خليج العقبة . وكانت الحقيقة الواضحة أن معظم أراضى إسرائيل على مرمى سهل لمدفعية الميدان البعيدة المدى للعدو بصرف النظر عن قصف القوات الجوية أو الصواريخ البرية والبحرية .

« وعلى طول الحدود السورية فى الشمال الشرق - حيث المورد الرئيسى لإسرائيل من المياه - يمتع السوريون بميزة طبوغرافية واضحة بسيطرتهم على التلال المشرفة على الوديان الإسرائيلية وقاعدتها الرئيسية لصيد الأسماك فى بحيرة طبريا ، التى تعتبر من أهم أحواض هذا الإنتاج الغذائى فى إسرائيل .

« إن هذا الوضع الجيواستراتيجى ، قد يغرى واضعى الاستراتيجية العرب - أو غيرهم من الاستراتيجيين - بأن يفكروا ، كما فعلوا عام ١٩٤٨ فى هجوم يشن ضد إسرائيل من اتجاهات مختلفة فى آن واحد بهدف توزيعها لقواتها وحرمانها من المبادأة . وفضلا عن ذلك ، فإن التكنولوجية العسكرية الحديثة قد تمكنهم ، لامن شن الهجوم المتعدد الجوانب فى وقت واحد فقط ، ولكن أيضا من استخدام عنصر المفاجأة إلى أقصى حد . وتوقعا منهم لاحتمال تدخل الأمم المتحدة أو غيرها . فإنهم قد يضعون خطتهم على أساس حسم المعركة وخلق (أمر واقع) فى الأيام القليلة الأولى من القتال . وكانت القوة العسكرية الرئيسية للعرب كامنة فى مصر ، وكان الضعف الجيواستراتيجى الرئيسى لإسرائيل كامنا فى السهل الساحلى المواجه للأردن ، الذى يعتبر منطقة أسفل البطن الطرية فى وضعها العسكرى »(١) .

وسوف يتضح أن آلون نفسه قد اتخذ مما سبق أساسا لبناء نظريته عما أسماه بالهجوم المضاد المسبق وهو الحرب الوقائية دون أن يقول ذلك بوضوح .

---

(١) Allon Yigal. The making of Israels Army- Vallentine, Mitchell London 1970. PP. 49-50.

٣ ــ طول خطوط المواجهة مع العرب :

ترجع أهمية طول خطوط المواجهة التى تحيط بإسرائيل إلى حالة الصراع المسلح بينها وبين الدول العربية المحيطة بها . هذا الوضع نجم عن عدم حسم الصراع منذ نشأته فى أعقاب حرب ١٩٤٨ وكل الذى حدث اتفاقيات هدنة ليس إلا . لم تنتقل بها العلاقات بين الدول العربية وإسرائيل من الحرب إلى السلم لذلك أصبحت الحدود بين إسرائيل والبلاد العربية ذات أهمية بالنسبة للتخطيط الاستراتيجى فأصبح على مخططى الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية أن يأخذوا فى اعتبارهم عبء المواجهة العسكرية على خطوط طويلة ذات تضاريس متباينة تتميز بما يأتى :

١ ــ تعدد تضاريسها الجغرافية من حيث الطبوغرافية قد ألقى عبئا ثقيلا على تكوين وتشكيلات الجيش الاسرائيلى ونظم التدريب والتسليح وانعكس ذلك بالضرورة على وسائل الهجوم والدفاع – كما سيتبين – على كل جبهة على حدة والمثل على ذلك واضح ففى الشمال عند ملتقى حدودها مع سوريا ولبنان يغلب على التضاريس المرتفعات الجبلية العالية والغابات والمستنقعات والبحيرات ومجارى الأنهار القصيرة والسريعة والمنحدرات الصخرية هذا النوع من التضاريس يحتاج إلى جهد مضاعف سواء من حيث المراقبة أو الهجوم أو الدفاع وبقدر ما تكون الصعوبة فى حالة الهجوم تكون السهولة فى حالة الدفاع ويلاحظ أن السيطرة على المرتفعات المحيطة بإسرائيل فى سوريا ولبنان تمكن من ضرب أهدافها الحيوية فى منطقة الجليل وسهل عكا حتى حيفا .

إذن كان على إسرائيل أن تدفع ثمنا باهظا فى حالتى الهجوم والدفاع لو أخذت بالفكر النازى الذى يعتمد على التمويه بالمشاغلة التكتيكية لإخفاء محاور الهجوم الرئيسية واعتماد أسلوب الهجوم غير المباشر وسوف يأتى تفصيل ذلك عند دراسة عمليات حرب ١٩٦٧ .

وعند تحليل تضاريس حدودها مع الأردن نجد أنها تتنوع من المرتفعات وخاصة حدودها مع الضفة الغربية والسهول الغربية المنخفضة بين طبريا والبحر الميت والمناطق الصحراوية فى النقب . لهذا كانت تحتاج لعدد ضخم من القوات للقيام بعمليات الدفاع والهجوم على هذه الجبهة الممتدة ٥٨٧ كيلو مترا أما حدودها مع مصر فهى صحراوية مكشوفة تحتاج أى عمليات عسكرية فيها إلى تعزيز قوات المدرعات وتغطية جوية قوية .

٢ ــ ولم يقتصر أثر التضاريس على هذا التنوع فحسب بل انسحب بالضرورة على

المناخ ومجال الرؤيا ومدى الصلاحية للتقدم أو التراجع . فواضح أن مناخ المناطق الجبلية يختلف بالطبيعة عن المناطق الصحراوية وأن الآليات التى تصلح للتقدم فى الصحراء لا تصلح بالضرورة لاقتحام المواقع فى المرتفعات كما أن تجهيزات الجنود تختلف أيضا ، هذا بالإضافة إلى أن كثافة النيران اللازمة لتغطية مساحة من الأرض الصحراوية أقل بكثير منها لو أردنا أن نغطى نفس المساحة فى مرتفع . هكذا تؤثر التضاريس فى المناخ ومن ثم فى العمليات العسكرية .

٣ ـــ تعدد تأثير المواقع على طول الخطوط من حيث اقترابها أو ابتعادها عن قلب إسرائيل ذاتها . فمثلا نجد أن الحدود الأردنية وخاصة فى المنطقة ما بين قلقيليا وطولكرم لاتبعد عن قلب إسرائيل ومدنها الرئيسية سوى عشرات الكيلو مترات فقط وبالتحديد من ١٥ ـــ ٢٠ كم أى أنه يمكن تغطية المساحة منها إلى البحر بستار من نيران المدفعية .

إذن أهمية خطوط المواجهة لاتكمن فى اتساعها بقدر ما تكمن فى تنوع تضاريسها من هنا جاءت أهميتها وأثرها فى الفكر العسكرى الإسرائيلى . ويذكر العقيد محمد ابراهيم الشاعر فى مؤلفه عن جغرافية فلسطين العسكرية أن طول حدود إسرائيل بعد احتلالها للجزء الاكبر من فلسطين (قبل عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧) كان على النحو التالى :

(ا) طول الحدود بين فلسطين المحتلة وسوريا ٧٦ كم .

(ب) طول الحدود بين فلسطين المحتلة ولبنان ٧٩ كم .

(جـ) طول الحدود بين فلسطين المحتلة والأردن ٥٣١ كم . يضاف إليها ٥٦ كم حدودا مائية على ساحل البحر الميت .

(د) طول الحدود بين فلسطين المحتلة ومصر ٢٦٥ كم . بما فى ذلك قطاع غزة وبذلك يبلغ مجموع الخطوط الراهنة ٩٥١ كم .

إذن طول هذه الحدود كانت تشكل جبهات طويلة بالنسبة للعدو محملة قواته المحدودة عبئا عسكريا ثقيلا ليس بمقدرة دولة إسرائيل الصغيرة تأمين الدفاع عنها إذا ما تبدل موقف القوات العربية من الدفاع إلى الهجوم . وزاد من خطورة طول هذه الخطوط عدم تناسبها مع مساحة إسرائيل الضيقة[1] .

---

(١) العقيد محمد ابراهيم الشاعر – مصدر سبق ذكره – ص ٨٣ وما بعدها .

وكان الحد الفاصل بين القسم المحتل من فلسطين والضفة الغربية حيث تضيق أراضي إسرائيل ويقل عمقها بحيث لايزيد عن ١٢ كم فى الخط الواصل بين ناتانيا على البحر الأبيض المتوسط وطولكرم فى حدود الضفة الغربية أن هذا الجزء المتوسط من إسرائيل هو أهم أجزائها حيث يضم كبريات المدن كتل أبيب ويافا ، واللد والرملة ، وحيفا . ويسكنه عدد كبير من السكان . ويقع فيه الميناءين الرئيسيين ، حيفا ويافا ومطار اللد ، وأهم الصناعات وخاصة الحربية وغير ذلك من المؤسسات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية . ويساعد وضع إسرائيل فى هذا القسم القوات العربية للانطلاق نحو البحر وشطرها إلى جزئين وقطع شرايين المواصلات . وكرد فعل لحماية هذا الجزء الضعيف كان فى نية إسرائيل دوما مهاجمة واحتلال الضفة الغربية من جناحيها الشمالى والجنوبى وعزلها عن المملكة الأردنية . وقد فعلت ذلك مما أعطى إسرائيل مميزات دفاعية هامة تستفيد من نهر الأردن كحاجز طبيعى ومن إنقاص حدود جبهتها من الأردن إلى ماهو أقل من ثلث الحدود التي كانت قائمة قبل ٥ يونيو(١) .

وعند تحليل هذه الظاهرة نرى مدى تفوق الفكر العسكرى الإسرائيلى فى تبنيه لفكرة الهجوم الوقائى إذ أنه كان سيتعرض للانهيار النفسى والعسكرى والاقتصادى إذا ما انتظر هجوم القوات العربية على قلب إسرائيل والمواقع الحيوية فيها ويمكن القول أن خطة الهجوم على الضفة الغربية قد وضعت قبل العدوان بزمن طويل . يبين ذلك تصريحات المسؤلين الإسرائيليين عن رفضهم وتحذيرهم لدخول أى قوات عربية للضفة الغربية لنهر الأردن وخاصة القوات العراقية(*) من الجدير بالملاحظة أن هذه التصريحات أدلى بها المسئولون الإسرائيليون فى أعقاب مؤتمر القمة العربى الأول عقد فى يناير سنة ١٩٦٤ ، ذلك أنها تعلم يقينا وحسابا أن وجود قوات عربية جيدة التدريب والتجهيز غرب نهر الأردن كان يعنى سرعة انهيار دفاعاتها فى حالة وجود هجوم عربى عليها وتعطيل إمكانية تحقيق أهدافها التوسعية بسهولة إذا ما قدر لها أن تبدأ بالهجوم . لهذا جاءت مبادرتها بالهجوم سنة ١٩٦٧ لتتلافى جميع نقاط الضعف هذه .

---

(١) الدكتور محمد فاروق الهيثمى – فى الاستراتيجية الإسرائيلية – منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث – بيروت – سنة ١٩٦٩ — ص١٦٢ .

(*) يؤكد ذلك ما قامت به إسرائيل عندما شنت طائرات السلاح الجوى الإسرائيلى هجومها المركز على القوات العراقية فى حرب يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧ لمنعها من اجتياز نهر الأردن إلى الضفة الغربية كما هاجمت الطائرات الاسرائيلية الحربية سلاح الجو العراق والقطعات العراقية المتواجد فى H3 اج ثرى لنفس السبب .

أما حدودها مع مصر فهى مكشوف بصورة عامة ولا يمكن الاستفادة منها من الوجهة الدفاعية غير أن قطاع غزة يعطى العدو إمكانية الإحاطة به وقطع اتصاله وذلك لعدم الاستفادة منه كقاعدة إسناد للقوات التى كان يمكن أن تتقدم نحو بئر السبع فى حالة توجه هجوم عربى من سيناء إلى قلب النقب .

وكانت حدودها مع سوريا تشكل نقطة ضعف هجومية ودفاعية فى آن واحد حيث كان يمكن للمدفعية السورية المتمركزة فى مرتفعات الجولان أن تصب نيرانها على المستعمرات الإسرائيلية المكشوفة أمامها فى منطقة الغور الشمالى وسهل الحولة وشمال فلسطين . وكان يمكن لهذه النيران أن تغطى تقدم هجوم من المشاة والمدرعات ، وفى حالة قيام إسرائيل بالهجوم يصعب احتلالها للمواقع السورية فى الجولان إذا ما اعتمدت الهجوم الجبهوى وفقدت السيادة فى الجو لذلك قامت أثناء هجومها سنة ١٩٦٧ بحركات التفاف على المواقع السورية كما تحققت لها السيادة فى الجو .

من هذا يتضح أن طول خطوط المواجهة بين إسرائيل والبلاد العربية كان له آثار على تحديد خصائص حرب المستقبل فقد رفض الفكر العسكرى الإسرائيلى منطق الدفاع منذ البداية وحصره فى وجود سلسلة من المستعمرات الدفاعية على الحدود للمشاغلة وكسب الوقت واتخذ من مبدأ الهجوم أساساً للعمليات العسكرية فى أى حرب تقع بينها وبين العرب . وهذا ما أكدته حرب ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ .

ولكن تأثير طول خطوط المواجهة على وضع الخطط العسكرية الإسرائيلية لا ينفى علاقة تلك الخطوط بسياسة إسرائيل التوسعية يؤكد ذلك مطالبتها بوجود حدود آمنة لها بعد عدوان سنة ١٩٦٧ حتى لا تعود إلى الوضع السابق معرضة أمنها لأى هجوم عربى محتمل فى المستقبل .

٤ ــ ضعف الموارد الطبيعية والبشرية :

(ا) الموارد الطبيعية :

تعتبر الموارد الطبيعية من أهم مقومات قوة الدولة الاقتصادية كما تعتبر درجة استغلال الدولة لها عاملاً أساسيا فى زيادة إنتاجها وقدرتها ولا يخفى أن هذه الموارد تمثل عصب الحرب الأساسى الذى يمد الاقتصاد بالطاقة والحيوية اللازمة كما يزود الجيوش أثناء القتال بما تحتاج إليه للقيام بمهامها الدفاعية والهجومية على حد سواء . وتعتبر الموارد العنصر

الرئيسى فى الحشد والتعبئة . فإذا ما ضعفت وقلت كانت غير كافية لسد حاجات الحرب وتجدر الإشارة هنا إلى أن التاريخ العسكرى عرف دولا تشن حروبا على دول أخرى طمعاً فى مواردها الطبيعية أى أن العامل الاقتصادى يمثل حافزا قويا لشن الحرب . ومن ناحية أخرى قد تحد قلة الموارد الاقتصادية للدولة من قدرتها على الدفاع عن نفسها وبالتالى تقف عاجزة أمام أى حصار أو أى هجوم قد يشنه أعداؤها عليها . لذلك تسعى دائما لأن تجد لنفسها مخرجا يمكنها من عدم التقيد بحركة العدو نحوها .. وإذا ما طبقنا ذلك على وضع إسرائيل فى الحيز الجغرافى الذى احتلته من فلسطين نتيجة لحرب عام ١٩٤٨ نجد أنها فقيرة فى مواردها الطبيعية وهى لا تكاد تكفى سكانها من اليهود سواء من حيث الإنتاج الزراعى وتوفر المواد الخام اللازمة لإقامة الصناعات وكذلك حرية التعامل التجارى . ولكن إسرائيل حاولت أن تخفف من حدة نقص الموارد الطبيعية بإدخال عنصر التصنيع والتكنولوجيا والعمل على رفع كفاءة الإنتاج ، هذا بالإضافة إلى المعونات الاقتصادية الضخمة والتعويضات التى حصلت عليها من دول الغرب وخاصة ألمانيا الغربية والجباية التى تحصل عليها من اليهود فى العالم . كل هذا ساعد إسرائيل على أن تستمر فى بقائها مدة عشرين عاما مليئة بالأزمات الاقتصادية الناجمة عن حصار العرب الاقتصادى لها ورغبتها فى زيادة سكانها عن طريق جلب المزيد من المهاجرين اليهود وزيادة نفقات دفاعها باستمرار رغم احتفاظها بالحد الأدنى لوجوده . إلا أنها - أى إسرائيل - باتت عاجزة تماما عن أن تحقق الهدف الصهيونى المرسوم لها . فالموارد .. الاقتصادية فى حدودها عام ١٩٤٨ لاتستطيع أن تستوعب زيادة عدد السكان كما أنها من الناحية العسكرية لا تستطيع أن توفر نفقات الدفاع فى حالة تعرضها للهجوم .

هكذا يتضح أن قلة الموارد الاقتصادية كانت أيضا من الأسس الهامة التى انبثقت عنها فكرة شن الحرب الوقائية وهى بذلك ترمى من الناحية الاقتصادية والسياسية إلى تحقيق هدف التوسع . أما من الناحية العسكرية فهى لاتستطيع أن تتحمل حربا عربية هجومية تقضى عليها فالاستمرار فى الحرب الطويلة يكلفها كثيرا من الامدادات والذخائر والعتاد وما تحتاجه آلة الحرب من مواد . فهى بذلك لا تستطيع أن تقف موقف الدفاع لأن هذا سوف يجعل أمد الحرب طويلا وسوف يستنفذ مالدى الدولة من إمكانيات اقتصادية .

إذن كان البديل الطبيعى لموقف الدفاع فى هذه الحالة هو القيام بالهجوم حتى تحسم الحرب بسرعة لصالح إسرائيل وهذا ما أكدته حروبها حتى الآن .

نخلص من ذلك إلى أن قلة الموارد الاقتصادية التى كانت تعانى منها إسرائيل قبل عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ تركت آثارها فى بناء مناهج التفكير العسكرى الصهيونى . كيف ؟ الأزمة الاقتصادية كانت إحدى أسباب الحرب .

(ب) قلة الموارد البشرية :

إذا كانت الموارد الاقتصادية تمثل عصب الحرب فإن الموارد البشرية هى الحرب ذاتها لأنها تمثل الطاقة البشرية العاملة فى ميادين القتال وخلف الخطوط فبقدر ما تكون هذه الطاقة البشرية متوفرة من حيث الكم والكيف أى من حيث وفرة العدد وكفاءة الفرد تستطيع الدولة أن تحقق نظاما دفاعيا قويا أو أن تتبنى خطا هجوميا توسعيا . ولازالت ألمانيا الهتلرية واليابان المثل الحى فى هذا المجال . فالطاقة البشرية بما لها من إمكانيات ذهنية ونفسية وثقافية وسياسيه تؤثر تأثيرا مباشرا فى تخطيط سياسة الدولة المستقبلة .

وتعتبر إسرائيل النموذج المعاصر الذى تؤثر فيه هذه الخاصية تأثيرا عميقا من جميع النواحى . فإسرائيل تعانى بالضرورة من عقدة الأقلية فى وسط محيط عربى كبير . فلو افترضنا أن عدد سكانها يبلغ ثلاثة ملايين نسمة فإن الدول العربية المحيطة بها فقط يزيد عدد سكانها على خمسين مليون نسمة . هذا بالإضافة إلى السكان العرب الذين يعيشون فى إسرائيل منذ عام ١٩٤٨ .

من هنا جاءت حاجة إسرائيل الدائمة والملحة إلى زيادة عدد سكانها وبما أن حيزها الجغرافى الذى كان قائما عام ١٩٤٨ لا يستوعب المزيد من زيادة السكان لذلك كان عليها أن توسع رقعتها الجغرافية على حساب الدول العربية المجاورة لها(*) .

إذن قلة الطاقة البشرية والخوف من الذوبان فى المحيط العربى الضخم المحيط بها قد

(*) أعلن الجنرال اريل شارون وزير الزراعة الاسرائيلى ورئيس اللجنة الوزارية للمستوطنات : « أن المشروع الاسرائيلى الخاص بإقامة سلسلة جديدة من المستوطنات الاسرائيلية في الأراضى العربية المحتلة وخاصة في الضفة الغربية لنهر الأردن يقصد منها توفير الظروف لزيادة سكان إسرائيل إلى ٦ أو ٨ ملايين نسمة فى نهاية القرن الحالى – والمعروف أن سكان إسرائيل يبلغون حاليا ٣,٥ مليون نسمة .

وأضاف شارون ..إن المشروع الذى وضعه سيستغرق تنفيذه ٢٠ عاما .. وقال : إننى أفكر في ملايين المستوطنين الجدد ، ويتعين على المرء أن يتطلع إلى المستقبل . إذ ينبغى أن يصبح الهدف الأساسى لإسرائيل هو مضاعفة عدد سكانها .. وينبغى علينا أن نكف عن الاستيطان فى المناطق الساحلية فقط ويتعين أن نتحرك إلى أماكن أخرى .. » جريدة الأهرام – العدد ٣٣١٤٠ بتاريخ ٤ – ٩ – ١٩٧٧ » .

دفعها إلى تلمس مصادر جديدة للسكان . يؤكد ذلك ليفى اشكول رئيس وزراء إسرائيل مناشداً المؤتمر الصهيونى العالمى قائلاً : « ساعدونا على كسب معركة الأرقام ، فالقوة الفعلية تبدأ بالقوة العددية والأخطار التى تهدد إسرائيل فى السباق الطويل تنبع من ضآلة عدد سكانها لذلك تقف الصهيونية أمام امتحان تاريخى يتوقف عليه مصيرها ومصير الشعب اليهودى بأسره ، لأن حق الحركة الصهيونية فى الوجود يعتمد على نجاحها فى حقل الهجرة »[1] . وقد دفعها هذا العامل أيضا إلى العمل على توسيع رقعتها الجغرافية عن طريق الحرب ، هذا من ناحية الهدف السياسى وتأثره بقلة عدد السكان . أما من ناحية الهدف العسكرى فإن قلة عدد السكان انعكس على تكوين الجيش الإسرائيلى ونظامه وخاصة فى مجالات التدريب والتعبئة . فإسرائيل لها نظام تعبوى أمثل تتمكن بواسطته من تعبئة ما يزيد على $\frac{1}{٤}$ مليون جندى عامل فى فترة زمنية لا تتجاوز ٧٢ ساعة على الأكثر ، وذلك جريا على القاعدة الأصولية التى وضعها دافيد بن جوريون وهى الاحتفاظ بقوات عاملة محدودة والتوسع فى قوات احتياطية كبيرة أى تطبيق سياسية تحويل السكان إلى شعب محارب .

ويقول الكاتب الإسرائيلى الشهير ليوها يمن عن التعبئة الإسرائيلية : « إن هذا البلد الصغير ذو الموارد المحدودة يترنح تحت وطأة أثقال الدفاع المضنية ، إذ تتحول الدولة جميعها زمن الحرب إلى معسكر مسلح بمجرد إعلان التعبئة ، وتكمن القدرة على هذا التحول السريع فى ذلك النظام الدقيق الكامل القادر على تعبئة كل طاقاتنا البشرية ، تتساوى فى ذلك ربات البيوت مع أطفال المدارس ، أو عمال المناجم فى باطن الأرض ، أو الملاحون فى عرض البحر »[2] .

هذه الفرضيات السكانية تمثل أيضا بعداً جديداً من أبعاد الاستراتيجية الإسرائيلية الهجومية . فقلة عدد السكان لا يسمح بتقبل ضربات الهجوم والوقوف فى موقف الدفاع بل لابد من نقل المعركة إلى أرض العدو حتى يحد من الخسائر البشرية فى المناطق المزدوجة بالسكان واستنفادها إذا ما كان وضع إسرائيل دفاعيا . وفى نفس

---

(١) وزارة الدفاع الوطنى – الجيش اللبنانى – الأركان العامة – الشعبة الخامسة – القضية الفلسطينية والخطر الصهيونى – الطبعة الأولى – مؤسسة الدراسات الفلسطينية – بيروت – ١٩٧٣ – ص١٠٤ .

(٢) مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية – العسكرية الصهيونية – المجلد الثانى – مؤسسة الأهرام – القاهرة – سنة ١٩٧٤ – ص٨١ — ٨٢ .

الوقت يشغل العدو فى الدفاع عن نفسه بدلا من أن يعطيه الفرصة فى الهجوم ولو ألقينا نظرة على أوضاع إسرائيل البشرية لتأكدت لنا فرضية الاعتماد على الكيف بزيادة كفاءة الفرد والعمل على تحسين خصائصه الذاتية . كما يوضح ذلك هيثم الكيلانى فيقول :

« يصعب على إسرائيل القيام بحرب طويلة الأمد ضارية وإدامتها لقلة إمكاناتها وبسبب تعبئة كل اليد العاملة ، وتوقف الاقتصاد والإنتاج ، والعجز فى الاستيراد الخارجى وصعوبة تأمينه ، ولقلة وضعف الاحتياط الاستراتيجى العام للقوات المسلحة وعدم تحملها الحرب داخل حدودها ، وأثر ذلك على معنويات اليهود والخوف من فقدان أى جزء من أراضيها لأن ذلك يؤدى إلى أوخم النتائج بالنسبة لها على المستوى السياسى والمعنوى والدولى ، وفى الناحيتين الاقتصادية والعسكرية . كما أن جبهاتها الواسعة ، وضيق الرقعة الجغرافية ، وضعف خطوط المواصلات ، وقلة السكان ، وحجم القوات الأقصى الذى لا يمكن تخطيه تدعو إسرائيل إلى أن يكون للحرب التى تشنها طابع خاص ، وأن تجرى بأسلوب خاص ، لأنها لا تستطيع تقديم جهد استراتيجى لأكثر من أسبوع . ولهذا فإن حربها خاطفة هجومية على جبهة واحدة تستخدم الخطوط الداخلية القصيرة فى العمليات وعلى الرغم من ضيق الرقعة الجغرافية ، فإنه يصعب تحريك الاحتياط من الشمال إلى الجنوب ومن الجنوب إلى الشمال بمرونة وسهولة وسرعة ، ولهذا فإن عليها أيضا أن تنهى الحرب بأقصر مدة ممكنة بشن عمليات استراتيجية عنيفة مدرعة بعد تمهيد وسيطرة جوية لاغنى عنها وتعتبر هذه السيطرة أساس أسلوب العمل الرئيسى . وتسعى إسرائيل خلال ذلك كله إلى توفير أرواح الجنود وبخاصة المشاة بينهم ، وعدم تعرضهم لأخطار الحرب ، فالالة المدرعة تخترق صفوف العدو بمساعدة الطيران . وتقتصد فى الأرواح البشرية التى هى أساس أعمار إسرائيل وسبب وجودها . ولذا تعتمد العمليات على الجهد الجوى والمدرع المشترك والطيران العمودى . وليس على الجهد البرى بالمشاة . وفى هذا الاطار المرسوم تسعى إسرائيل إلى أن تبلغ أهدافها السياسية بضربة واحدة .. وتخطط لأن تكون مدة الحرب قصيرة بحيث يحسم النزاع فى أقصر وقت وبضربة انفرادية لكل خصم بعد نقل المعركة لأرض العدو وإبعاد الخطر عن أرض إسرائيل يتم حصر اتساع النزاع مع العرب بالمفاجأة والكثافة والسرية والمعلومات الدقيقة عنهم بعد توفير الجو الدولى الضرورى والتصدى بتدمير القوات العربية الرئيسية لبلوغ الهدف السياسى من الحرب . إن الاقتصاد فى القوة والاستفادة من التطور الفنى للأسلحة الحديثة واستثمار مستحدثاتها وإنجازاتها وفاعليتها فى

المجال التعبوى والاستراتيجى من إهم الأسس في المذهب العسكرى الإسرائيلى هدف ذلك الأساسى منع إجهاد طاقة الدولة فى عمليات عسكرية واسعة تؤثر على قلة الموارد البشرية والاقتصادية إن إطالة مدة الحرب تعرض الاقتصاد الإسرائيلى إلى الوقوع فى أزمات يصعب عليه التخلص منها ، وكلما طالت مدة المعركة ، كلما تعقدت الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، حتى تبلغ حافة الانهيار ، وذلك لأن – انشغال اليد العاملة الزراعية والصناعية فى ميادين القتال أو فى ميادين الإمداد والتموين وإدارة الأجهزة اللازمة للمعركة فى الخطوط الخلفية . إن انشغال اليد العاملة يعطل الإنتاج الزراعى والصناعى ، ويشل مرافق الحياة الرئيسية . فإذا كانت إسرائيل قادرة على تقديم نحو ٣٠٠,٠٠٠ رجالا ونساء كى يقاتلوا فى الخطوط الأمامية ، فإن نحو ثلاثة أضعاف هذا العدد أى ٩٠٠,٠٠٠ ألف رجل وامرأة يجب أن يقفوا وراءهم فى الخطوط الخلفية ليمدوا القوات العاملة فى الميدان بما تحتاجه من خدمات ومؤن وذخائر »[1] .

وهكذا يبدو واضحا للعيان مدى الترابط الموضوعى والعضوى بين الحقائق وتأثيرها فى بعضها البعض وعدم تجاوز حدودها إلى الحد الذى يجهد أى منها ويستنفد قدرته وطاقته وحيويته فى العمل دون أن يكون ذلك موضع حساب دقيق . فطول خطوط المواجهة ، ووجود قوات ضخمة فى ميدان القتال فى مجتمع يعتبر كله عسكريا بقدر ما يعتبر ميزة فى اختيار نظام التعبئة والاعداد للدفاع والهجوم معا إلا أنه يؤثر تأثيرا عميقا على الجوانب الأخرى التى ترتبط بطبيعة سير المعارك ونعنى بها الجوانب الإنتاجية فى كيان الدولة سواء أكانت اقتصادية أو زراعية أو صناعية لأن هذا يمثل قناة تتدفق منها الطاقات لتمد آلة الحرب بما تحتاج إليه . لذلك قام التخطيط الاستراتيجى العسكرى – كما تبين – للتنسيق بين هذه المقومات مجتمعة بقصد عمل محصلة لتقويتها والانتفاع بها فى اللحظة المعينة وتركيز جهدها الأساسى لتحقيق الهدف الأساسى للدولة فى أقصر فترة زمنية ممكنة ، ثم تعود إلى حالتها الطبيعية قبل أن تنهكها العملية الطارئة .

ويجب أن لا يغيب عن بال المحللين فى الفكر السياسى والاقتصادى والعسكرى أن الحرب فى حد ذاتها ليست إلا عملية طارئة أى أنها ليست أصلا ثابتا ودائما فى علاقات الدول ، ولكن الأصل فى ذلك البناء الاقتصادى . فإذا ما فرضت الحرب فيجب أن تكون قصيرة حتى لا تكون تكاليفها باهظة . إن هذا العبء يصبح ثقيلا على مجتمع صغير كالمجتمع الإسرائيلى .

---

(١) هيثم الكيلانى – المذهب العسكرى الإسرائيلى – مصدر سبق ذكره – ص٣٨٠ ــ ٣٨١ .

الفصل الثالث

الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية

(ا) التعريف باتجاهات الفكر العسكرى لمفهوم الاستراتيجية :

لم يتفق المفكرون ، سواء منهم العسكريون أو السياسيون ، على تعريف واحد لمصطلح الاستراتيجية ، وقصارى القول فى ذلك أنهم أجمعوا على خصائص عامة تبين أن هذا التعريف يعنى نوعا من التخطيط تقوم به الدولة للوصول إلى تحقيق أهدافها السياسية والعسكرية والاقتصادية . لذلك نجد المفكر العسكرى البريطانى « بازيل ليدل هارت » يفصل بين الاستراتيجية العليا وما يطلق عليه بالاستراتيجية البحتة أو الاستراتيجية العسكرية .

ويعرف كارل فون كلاوزفيتز الاستراتيجية : « بأنها فن استخدام المعارك كوسيلة للوصول إلى هدف الحرب أى أن الاستراتيجية تضع مخطط الحرب وتحدد التطور المتوقع لمختلف المعارك التى تتألف منها الحرب ، كما تحدد الاشتباكات التى ستقع فى كل معركة .

بمعنى أنها لاتبدأ العمل إلا وتكون قد وضعت الهدف منه ، وبذلك أخذت بعين الاعتبار جميع المتغيرات التى يمكن أن تطرأ على الموقف أثناء سير العمليات وحددت للقوى قدرتها أثناء سريان الحرب لمختلف المعارك التى تتألف منها الحرب » ويقول « ليدل هارت » ناقدا لهذا التعريف « إنه يدخل هذه الفكرة فى حقل السياسة أو فى أعلى مستوى لقيادة الحرب ، وهذه أمور تتعلق بمسئولية الدولة لا بحدود عمل القادة العسكريين الذين تستخدمهم السلطة الحاكمة ليقوموا بإدارة العمليات وتنفيذها . والعيب الآخر فى هذا التعريف هو تحديده لمعنى الاستراتيجية فيما يتعلق باستخدام المعارك فقط ، أى تكريس كل الاعتبارات والامكانيات فى الحرب لبحث المعركة التى تحقق الحل الحاسم بقوة السلاح »[1] .

---

(١) ليدل هارت – مصدر سبق ذكره – ص٣٩٧ .

أما القائد والمفكر العسكرى الألمانى « مولتكه » فيعرف الاستراتيجية : « إنها إجراء الملاءمة العملية للوسائل الموضوعة تحت تصرف القائد إلى الهدف المطلوب »[1] .

وهكذا يربط « مولتكه » بين الخطة الموضوعية لتحقيق هدف معين وبين القائد الذى يقوم بالاشراف على التنفيذ وهى علاقة بين القيادة العليا للدولة والقيادة العسكرية ، أى بين سياسة الحرب وإدارة الحرب . وقد استنبط « ليدل هارت » من هذا التمييز تعريفا يفصل بين الاستراتيجية العليا للدولة والاستراتيجية العسكرية فيقول فى تعريف الاستراتيجية :

« هى فن توزيع واستخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسة » إذ أن الاستراتيجية لا تعتمد على حركات الجيوش فحسب ولكنها تعتمد أيضا على نتائج هذه الحركات « وعندما يؤدى استخدام واسطة الحرب إلى معركة حقيقية فإن الاستعدادات التى تتخذ لإعداد مثل هذا العمل وتنفيذه تشكل ما يسمى « التكتيك » ، ويمكن الفصل بين الاستراتيجية والتكتيك نظريا أثناء الحديث ، بينما يتعذر ذلك فى الأمثله العملية نظرا لتشابكهما وتأثير كل منهما على الآخر . ثم يبين مستوى التخطيط الاستراتيجى :

(أ) **استراتيجية عليا** : إذا كان التكتيك هو تطبيق الاستراتيجية على مستوى أدنى ، فإن الاستراتيجية نفسها هى تطبيق الاستراتيجية العليا على مستوى أدنى ، وما الاستراتيجية العليا سوى السياسة التى تحدد هدف الحرب . ويمكن التفرقة بينها وبين السياسة الأساسية التى تحدد هدف الحرب ، ويستخدم تعريف الاستراتيجية العليا لشرح فكرة « السياسة خلال التنفيذ » : وإيضاح أن دورها الحقيقى هو توجيه وتنسيق كل إمكانيات البلاد » . ويستطرد « ليدل هارت » فى بيان شمول الاستراتيجية العليا لأوجه النشاط المختلفة فى الدولة وإمكانياتها فيقول : « إن على الاستراتيجية العليا أن تقدر وتضاعف الامكانيات الاقتصادية والقدرة البشرية بقصد دعم الوحدات المقاتله علاوة على دعم القوى المعنوية » .

« إن مدى الاستراتيجية محدود بالحرب ولكن الاستراتيجية العليا تنظر إلى ما وراء الحرب ونحو السلم الذى سيعقبها . ليس عليها أن تكتفى بتحقيق التوافق بين مختلف

---

(١) ليدل هارت – نفس المصدر – ص٣٩٧ .

وسائط الحرب فحسب ، إنما عليها أن تنظم استخدامها بغية تلافى ما يؤدى السلم المقبل الذى يجب أن يكون ثابتا ويحقق حياة أفضل »[1] .

٢ - الاستراتيجية العسكرية « الاستراتيجية البحتة » لكنه يفرد مفهوما مستقلا لما يطلق عليه الاستراتيجية البحتة أو الاستراتيجية العسكرية فيقول :

« يتوقف نجاح الاستراتيجية قبل كل شيء على التقدير السليم للوسيلة والغاية وتحقيق تناسقهما . يجب أن تكون الغاية متناسبة مع كافة الامكانيات المستخدمة للوصول إلى كل غاية وسيطة كطريق للوصل إلى الغاية النهائية ، متلائمة مع متطلبات وطبيعة هذه الغاية الوسيطة ، سواء أكانت احتلال هدف أو مشاركة فى مخطط عام .

علما بأن كل زيادة ، ضارة كالنقص تماما . إن المطابقة الدقيقة بين الهدف والوسيلة تحقق اقتصادا كبيرا فى القوى . ولكن طبيعة وصفة الحرب غير الثابتتين ، ونقص الدراسات العلمية تجعل أكبر العبقريات عاجزة عن تحقيق المطابقة المثلى . ويعتمد النجاح فى النهاية على الاقتراب نسبيا من الحقيقة بالحساب والتوقع . والحسابات فى الاستراتيجية أبسط وأصدق من حسابات التكتيك ، لأن العامل الأساسى المجهول فى الحرب هو إرادة الإنسان ، وتظهر هذه الارادة على حقيقتها أمام الحواجز والمقاومات ومعظمها على المستوى التكتيكى . وليس أمام الاستراتيجية مقاومات تتغلب عليها سوى مقومات الطبيعة ، ويهدف مخططها إلى الإقلال من إمكانيات المقاومة باستخدام عاملى الحركة والمفاجأة ، والحركة عمل يتعلق بحساب ظروف الزمن والمعطيات الطبوغرافية وقدرة وسائط النقل . وتدخل المفاجأة فى الحقل المعنوى ، وتتطلب حسابات أصعب من حسابات الحقل المادى وتتعلق بشروط مختلفة تؤثر على إرادة الخصم وتختلف فى كل حاله من الحالات . وتستطيع الاستراتيجية استخدام الحركة بدل المفاجأة وبالعكس . ولكن كل عامل من هذين العاملين يؤثر على الآخر . إذ تؤدى الحركة إلى المفاجأة ، كما تعطى المفاجأة للحركة قوة دفع جديدة . وتؤدى زيادة سرعة الحركة أو تغيير اتجاهها إلى المفاجأة حتى لو لم تكن الحركة سرية . ومن وجهة أخرى تسهل المفاجأة الطريق أمام الحركة بعرقلة تدابير العدو المضادة . أما العلاقة بين الاستراتيجية والتكتيك فهى عبارة عن تشابك يصعب معه إيجاد الحدود بينهما أثناء التنفيذ . ومن الصعوبة بمكان تقدير

---

(١) ليدل هارت – المصدر السابق – ص ٣٩٩ – ٤٠٠ .

لحظة انتهاء الحركة الاستراتيجية وابتداء الحركه التكتيكية ، إذ لا يختلف إحدهما عن الآخر إلا فى المستوى . ويشمل التكتيك مدى المعركة ، ولا تقف الاستراتيجية على حدود هذا الحقل فحسب ، ولكنها تسعى إلى إقلال المعارك إذا أمكن ذلك »(١) .

وبعد هذا التفصيل بين المستويات المختلفة لما يمكن أن نطلق عليه مراحل التخطيط الاستراتيجى والتطبيق العملى الذى يتم بالتدرج ابتداء من القيادة العليا للدولة التى تخطط للاستراتيجية العليا وتحدد أهدافها ووسائلها ثم الاستراتيجية العسكرية التى تركز اهتمامها لاستخدام آلة الحرب لتحقيق أهداف الاستراتيجية العليا ثم القيادات الفرعية ذات المهام التنفيذية التى تعمل على ترجمة تلك الخطط إلى أعمال فى مسارح العمليات .. فما من استراتيجية إلا وتكون لها أبعاد واضحة وأهداف ثابتة فى مرحلة معينة من مراحل تطبيقها فإذا ما فقدت هذه الخصائص غدت تصورات خيالية سرعان ما تنهك القوى وتبذر الطاقة وتقضى على إمكانيات تحقيق أهداف الدولة فى إطار حدود إمكانياتها المادية . والمثل على ذلك واضح فيما أصاب ألمانيا النازية فى الحرب العالمية الثانية حيث كانت الاستراتيجية غير واضحة من حيث الأهداف وغير مضبوطة بمراحل زمنية يمكن لها أن تتوقف عندها حتى لا تستنفذ جهد الطاقة العسكرية كما تستنفذ جهد الإمكانيات الاقتصادية . من هنا كانت الحاجة إلى تحديد أهداف الاستراتيجية تحديدا دقيقا وهذا ما عنى به على وجه الخصوص « ليدل هارت » حيث يقول : « قد يعارض كل ماذكرناه سابقا أولئك الذين يعتقدون خطأ بأن تدمير القوات المسلحة المعادية هو الهدف الوحيد المعقول للحرب ، وأن المعركة هى هدف الاستراتيجية الأوحد ، وهم فى الواقع ، متأثرون بحكمة كلاوزفيتز القائله « الدم ثمن النصر » . فحتى لو اعتبرنا معهم أن المعركة الحاسمة هى الهدف المنشود ، فإن هدف الاستراتيجية هو إعداد الظروف الملائمة للقيام بهذه المعركة لتكون الخسائر أقل والنتائج أفضل »(٢) .

وعند تحليل الاستراتيجية الإسرائيلية نجد أنها قد ألتزمت بهذا الفكر فمنذ أن كانت إسرائيل فكرة فى أذهان الصهيونيين أمثال : موسى هس ، وهرتزل ، ووايزمان ، وبن جوريون ، وغيرهم، عمد هؤلاء إلى اتباع أسلوب إثارة المشكلة أولا ، ثم إثارة ضجة حول هذه المشكلة ثم يأتى التنفيذ لتحقيق الهدف فى الظروف المواتية . وهذا

---

(١) ليدل هارت – المصدر السابق – ص٤٠١ ــ ٤٠٢ .

(١) ليدل هارت – المصدر السابق – ص٤٠٢ .

أيضا ما سيتضح . إن الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية قد أخذت به بحذافيره فى حرب عام ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ . وكل ذلك يحقق لها السبق الاستراتيجى . كما يقول ليدل هارت :

« وهكذا يمكن الحصول على التفوق الاستراتيجى بالوصول إلى نتيجة حاسمة دون القيام بمعارك ضاريه ، ولقد قدم التاريخ كما رأينا أمثلة أدت فيها الاستراتيجية المطبقة فى ظروف ملائمة إلى نتائج حسنة .. وهناك حالات تم فيها تدمير القوات المسلحة المعادية بطريقة اقتصادية ، وذلك بتجريدها من سلاحها ، بعد استسلامها .. وإذا لم ترغب دولة ما فى احتلال دولة أخرى ، وكانت غايتها هى فقط اتخاذ الاحتياطات اللازمة للمحافظة على سلامتها ، فإنها تستطيع الوصول إلى هذه الغاية بأبعاد الخطر وإرغام العدو على التخلى عن مخططاته .

والحكومة مسئولة بطبيعة الحال عن الاستراتيجية العليا خلال الحرب وعليها اختيار الاستراتيجية التى تريدها للوصول إلى انتصار عسكرى أو من أى نوع آخر . وكما أن الوسائل العسكرية تعتبر شكلا واحداً من أشكال الوصول إلى هدف الاستراتيجية العليا . فإن المعركة هى إحدى الوسائل للوصول إلى هدف الاستراتيجية . وإذا كانت الظروف ملائمة أصبحت الوسائل العسكرية أسرع السبل للوصول إلى النتيجة المرجوة ، ولكن من الحماقة استخدامها فى الحالات الأخرى . ولنفرض أن استراتيجيا عهد إليه بالعمل على تحقيق نصر عسكرى ، إن مسئوليته تنحصر فى محاولة الوصول إلى هذا النصر فى أحسن الظروف للحصول على أفضل النتائج . ولن يكون هدفه الحقيقى البحث عن المعركة بل العمل على خلق وضع استراتيجى ملائم إن لم يؤد بنفسه إلى النصر خلق وضعا ملائما لمعركة تأتى بعده لتنتزع هذا النصر ويمكننا أن نقول أن التفتيت هو هدف الاستراتيجية ، ويترتب على ذلك تحطيم العدو بشكل أسهل خلال المعركة ، وقد يتطلب هذا التحطيم فى بعض الحالات نشوب معارك واشتباكات ولكنها لا تكون ضارية أبدا »(١) .

وقدم المفكرون العسكريون الاشتراكيون مفهوما نابعا من المذهب الماركسى ، فيقول المارشال سوكو لوفسكى فى مؤلفه الاستراتيجية العسكرية السوفيتية :

---

(١) المصدر نفسه – ٤٠٢ ـــ ٤٠٤ .

« لا يمثل مضمون الاستراتيجية شيئا ثابتا لا يقبل التغير – فهو يختلف باختلاف الهدف ، واختلاف المشكلات التى تحددها سياسة الدولة ، والعوامل المادية والمعنوية ، كالموارد القائمة ، والطاقات المحتملة التى توضع تحت تصرفه . وتكون إحدى المشكلات التى تعالجها الاستراتيجية العسكرية فى ضوء الأهداف السياسية للحرب . دراسة القوانين العامة للصراع المسلح . والنابعة من التحليل النظرى للتجربة العسكرية على الصعيد الاستراتيجى ، مع الاهتمام بأوضاع الفن العسكرى . وهناك مشكلة أخرى وهى دراسة أوضاع وطبيعة الحرب فى المستقبل . وتطوير الاساليب والطرائق التى ستتبع فى السير فيها . ومن هنا كان لزاما على الاستراتيجية أن تقرر تكوين القوى والوسائل اللازمة لتحقيق المهمات الموكلة إليها ، وأن تقرر بالتالى تنمية القوات المسلحة ، والإعداد العسكرى . وعلى الاستراتيجية أيضا أن تقرر الأسس المادية والتقنية للصراع المسلح ولقيادة القوات المسلحة . فهى التى تقوم بدراسة كافة هذه القضايا كما تدرس أوضاع العدو المحتمل وطاقاته المتوقعة . وذلك لأن الاستراتيجية لابد وأن تعنى بدراسة وجهات نظر العدو الاستراتيجية . ثم يعدد مجالات اهتمامات النظرية الاستراتيجية العسكرية بالنقاط الآتية :

١ ــ القوانين العامة للصراع المسلح .

٢ ــ أوضاع الحروب المقبلة وطبيعتها .

٣ ــ الأساس النظرى لإعداد البلاد وقواتها المسلحة ومبادىء التخطيط العسكرى .

٤ ــ فروع القوات المسلحة وأسس استخدامها الاستراتيجية .

٥ ــ طرائق تسيير دفة الصراع المسلح .

٦ ــ الأسس المادية والتقنية للصراع المسلح .

٧ ــ أسس قيادات القوات المسلحة وقيادة الحرب كلها .

٨ ــ وجهات نظر العدو ، المحتمل ، الاستراتيجية .

ثم يربط ذلك بمصادر الفكر الماركسى فيقول : « ولا يمكن للاستراتيجية أن تدعى وصولها إلى مرتبة العلم ، إذا لم تكن تستند حقا إلى المعرفة بالتطور التاريخى لقوانين الحرب كصراع مسلح – وينهى قوله بتعريف الاستراتيجية :

« تمثل الاستراتيجية العسكرية مجموعة من المعارف النظرية التى تعالج قوانين الحرب

كصراع مسلح دفاعا عن مصالح طبقة محددة . وتدرس الاستراتيجية فى ضوء التجارب العسكرية ، والأوضاع السياسية والعسكرية والطاقات الاقتصادية والمعنوية ، وأساليب تصريف الحروب ، ووجهات نظر العدو المحتمل ، وأوضاع الحرب المقبلة وطبيعتها ، وطرائق الإعداد لها وتسيير دفتها ، وفروع القوات المسلحة ، وأسس استخدامها الاستراتيجى بالإضافة إلى أسس الحرب المادية والتقنية . وتظل فى الوقت نفسه مجال النشاط العملى للقيادة السياسية والعسكرية العليا فى القيادة العامة ومقرها ، والمتعلق بفن إعداد البلاد للحرب وتصريف الصراعات المسلحة فى ظل أوضاع تاريخية محددة »[1] .

وهكذا يتضح مدى التأثير والتأثر بين النظم السياسية والاقتصادية وبين مستويات التخطيط الاستراتيجى ، وإذا انتقلنا إلى تبيين مدى أخذ العسكريين والسياسيين الإسرائيليين بهذه الأسس نجد أنهم قد درسوا كل هذه النظريات دراسة دقيقة وعملوا جهدهم لتطبيقها تطبيقاً منطقيا ومرحليا على مختلف المستويات فجندوا إمكانيات الدولة الاقتصادية والسياسية والبشرية لتحقيق الأهداف التى حددتها الإيديولوجية الصهيونية التى تعتبر فى حد ذاتها أهداف إسرائيل العليا . ما هى هذه الأهداف ؟ وكيف تحددت ؟ وما هى الوسائل التى استخدمتها إسرائيل لتحقيقها ؟

(ب) تمهيد للاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية :

قبل التعرض لتفاصيل الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية تجدر الإشارة إلى الأسس التى قامت عليها هذه الاستراتيجية والمفاهيم الثابتة التى تحدد نطاقها . ومن أهم العوامل التى تشكل الفكر الاستراتيجى الإسرائيلى ما يأتى :

١ ــ النشأة الشاذة التى نشأتها هذه الدولة . فهى لم تولد ولادة طبيعية نتيجة للتطور المنطقى بين عناصر تكوين الدولة بل يمكن القول أنها صنعت تصنيعا ومازالت فى تكوينها الذاتى تعانى من عجزها عن الاعتماد على نفسها كما أنها عاجزة أيضاً عن إقامة علاقات طبيعية بيلها وبين دول المنطقة العربية ولذلك أسبابه التى سيرد تفصيلها . من هنا كانت أول ظاهرة من الظواهر التى أدت إليها نشأة إسرائيل حالة الصراع الدائم وعدم الاستقرار

---

(١) المارشال سوكولوفسكى – الاستراتيجية العسكرية السوفييتية – ترجمة : خيرى حماد – عالم الكتب – بيروت – سنة ١٩٦٨ – ص٤١ ــ ٤٣ ، ٤٩ .

٢ ــ حالة الصراع بين إسرائيل والبلاد العربية : تختلف عن غيرها من أنواع الصراع المعروفة بين دول العالم . فهو صراع مصيرى ذو أبعاد متعددة وليس صراعا محدودا أو إقليميا . فوجود إسرائيل فى حد ذاته يعنى نفى الحق الفلسطينى فى فلسطين وهذا بالضرورة يؤدى إلى فقدان الشعب الفلسطينى حقه فى تقرير مصيره على أرض وطنه . ومن هنا نشأ التعارض المطلق بين الوجود الإسرائيلى والوجود العربى .

« غير أن مجرد الظن بأن صراع الصهيونية مع القومية العربية يستهدف بعضا من حقوق العرب وجزءا من أرضهم وثرواتهم فحسب .. إنما هو رأى مفرط فى الخطأ فالغاية الصهيونية أشد نهما وأكثر طمعا .. وان النظرية الإسرائيلية توقن أن أساس عدائها للعرب يعود إلى تصادم حركتها العنصرية التوسعية مع حركة القومية العربية الوحدوية التحررية . وهو تصادم مصيرى سوف يبقى ما بقى الخصمان ، ولن يخبو له أوار إلا بزوال أحدهما من الوجود »[١] .

٣ ــ طبيعة منطقة الشرق الأوسط ومركزها الحيوى : فمنطقة الشرق الأوسط منذ القدم منطقة حيوية ديناميكية تؤثر وتتأثر بمختلف مناطق العالم بمعنى أنها موضع الاهتمام من كافة دول العالم وخاصة الدول الكبرى ولذلك أسبابه المعروفة فما من دولة عظمى فى العالم مهما بعدت أو قربت من هذه المنطقة إلا وسعت لتجد لنفسها موطىء قدم فيها يمكنها من ممارسة نفوذها وسيطرتها .

٤ ــ طبيعة خصائص المنطقة العربية : فمنذ ظهور الدعوة الاسلامية حدثت فى المنطقة تغيرات جذرية غيرت مجرى الحياة فيها مثلما غيرت مجرى تاريخها كله وخاصة بعد الفتوحات الإسلامية التى نجحت فى شمول هذه المنطقة من المغرب وحتى العراق شرقا فى ظل نظام الخلافة طوال مئات السنين فخلقت بذلك وحدة فى السياسة والتفكير والتشريع والمعاملات والتاريخ ، وحافظ القرآن الكريم على لغتها . وتميزت بذلك المنطقة بأسرها عن غيرها من المناطق فظلت فى ظل هذه الوحدة حتى تاريخ قريب أى حتى أوائل القرن العشرين .

---

(١) مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية – العسكرية الصهيونية – المجلد الثانى – مؤسسة الأهرام – القاهرة سنة ١٩٧٤ ــ ص ١١١ .

هذه العوامل اكسبت المنطقة تجانسا واندماجا فيما بين شعوبها .

وظهور إسرائيل على جزء من أجزائها خلق نوعا من أنواع الاختلال من حيث فقدان الاتصال الجغرافى بين أقطار المشرق العربى والأقطار العربية فى أفريقيا ، المغرب العربى – وقضى على شرعية الوجود العربى على جزء من الأرض العربية . لذلك كله تجد إسرائيل نفسها دخيلة على محيط تختلف معه دينيا ، وثقافيا ، واجتماعيا ، وتاريخيا . وعلى هذا الأساس وضع الإسرائيليون سياستهم وأهدافهم .

وقد أوضح بن جورين الظروف التاريخية والأوضاع الدولية والجغرافية والسكانية التى لابد من فهمها لمعرفة جوهر وجود الدولة اليهودية فى هذه المنطقة وأهداف هذه الدولة وتلافى الأخطاء التى وقع فيها اليهود قديما فى هذه المنطقة وأدت إلى نهايتهم . وقد ذكر دافيد بن جورين فى مقدمة الكتاب السنوى لدولة إسرائيل لعام ١٩٥٢ مستعرضا دروس التاريخ القديم منذ غزوة يوشع بن نون لأرض فلسطين وكيف تمكن اليهود قديما من إقامة دولتهم الأولى تحت حكم دواد وسليمان من بعده ثم انقسمت الدولة بعد موت سليمان إلى قسمين : دولة إسرائيل فى الشمال وعاصمتها السامرة ويهوذا فى الجنوب وعاصمتها القدس . هذا الانقسام كان سببا فى القضاء على الوجود اليهودى فيما بعد ذلك نتيجة لظهور قوة سياسية وعسكرية فى الشرق تمثلت فى البداية بالدولة الآشورية فيما بين النهرين . فقد زحفت جيوش هذه الدولة وقضت على دولة إسرائيل فى شمال فلسطين ثم جاء نبوخذ نصر ملك بابل وقضى على دولة يهوذا فى الجنوب وسبى اليهود إلى بابل[1] .

إذن هناك ظاهرتان واضحتان من هذا الدرس التاريخى وهما :

الظاهرة الأولى : وجود دولة صغيرة فى فلسطين واستمرارها مرهون بوجود قوة كبرى تقع على حدودها . فإذا انبثقت هذه القوة فى الشمال أو الشرق أو الجنوب فى مرحلة من مراحل التاريخ فهذا يعنى أن وجود هذه الدولة أصبح مهددا لأن تلك القوة الناشئة يمتد مجالها الحيوى ليشمل فلسطين كما أثبتت الحوادث التاريخية . فقد حدث ذلك أبان الحضارات الآشورية والبابلية والفارسية والعربية الإسلامية ولم يقدر للوجود اليهودى أن يعود إلى فلسطين إلا بمساعدة قوة كبرى معارضة للقوة المعادية لهم . فعندما نشأت وتطورت الدولة الفارسية قضت على الدولة البابلية فى أرض الرافدين وسعى

(1) The Israel Government Year Book 1952. Tel Avive Israel Publication Ltd P. 2. وما بعدها

اليهود لدى السلطات الحاكمة الفارسية للسماح لهم بالعودة إلى فلسطين وإعادة بناء الهيكل . وقد حققوا فى ذلك بعض النجاح على الرغم من معارضة السكان الأصليين .

القصد من ذلك السرد التاريخى هو تأكيد حقيقة حاول أن يستخلصها بن جوريون وهى حتى تؤمن دولة إسرائيل من الأخطار ويستمر بقاؤها لابد وأن تسعى إلى منع قيام أى قوة سياسية أو عسكرية فى المنطقة العربية وذلك عن طريق امتلاك قوة كافية لمهاجمة أى قوات تتقدم نحوها من الشرق أو من الجنوب وتمتلك حدودا جغرافية تمكنها من حرية المناورة أثناء سير العمليات العسكرية . وهذا ما طبقته إسرائيل منذ عام ١٩٤٨ وحتى الوقت الحاضر . يؤكد ذلك ليفى أشكول قائلا : « إن منع الوحدة العربية فى أى شكل من أشكالها ، سيبقى غرضا رئيسيا ودائما من أغراض الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية ... وعند ظهور أى خلل فى توازن القوىٰ بين إسرائيل وبين الدول العربية المحيطة بها ، بسبب تكاثر الأسلحة فى دولة عربية ، أو بسبب قيام وحدة عسكرية أو سياسية أو تعاون عسكرى بين دولتين أو أكثر من هذه الدول فإن على إسرائيل أن تبدأ بالهجوم العام »(١) .

الظاهرة الثانية : التى استخلصها بن جوريون من دراسة التاريخ هى أن وجود دولة كبرى فى حوض البحر الأبيض المتوسط يهدد دائما أمن هذه الدولة الصغيرة نظراً لأهمية موقعها الاستراتيجى وضرورته لهذه الدولة . إذا كان هذا الوجود يتعارض فى غاياته وأهدافه مع الغايات والأهداف الاسرائيلية والصهيونية فى المنطقة العربية . وقد توصل بن جوريون إلى ذلك من خلال استقرائه لنشأة وتطور الامبراطورية الرومانية وحركتها التوسعية التى سعت من ورائها للسيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط . وكانت الامبراطورية الرومانية ذات نزعة حضارية تسلطية تفرض هيمنتها على المناطق التى تغزوها وحدث ذلك بالنسبة لبقايا الوجود اليهودى فى فلسطين آنذاك .

من هذه الحقيقة يتبين أن أمن ووجود دولة مثل إسرائيل يتعارض مع وجود دولة عظمى فى حوض البحر الأبيض المتوسط . لذلك سعت منذ البداية فى حركتها الصهيونية الحديثة إلى أن تخلق نوعا من أنواع التوازن بين القوى العالمية حتى لاتقع فى الأخطاء التى سبق ذكرها فأمنها ووجودها مرهون بهذا التوازن يؤكد ذلك علاقتها

---

(١) العميد طيار هيثم الكيلانى – دراسة فى العسكرية الإسرائيلية – معهد البحوث والدراسات العربية العالية – القاهرة – سنة ١٩٦٩ – ص ٨٨ .

الراهنة بالولايات المتحدة الأمريكية من ناحية وبأوروبا الغربية من ناحية أخرى . كما يؤكد ذلك نبى الصهيونية تيودور هرتزل فى كتابه « الدولة اليهودية » سنة ١٨٩٦ قائلا :

« سوف نشكل هنا جزءا من متراس أوربا ضد آسيا يكون مركزا أماميا للحضارة ضد البربرية . ويتوجب علينا ، كدولة محايدة ، أن نبقى على صلة بكل أوربا التى سيكون عليها أن تضمن وجودنا »(١) .

وقد سعت الدبلوماسية الإسرائيلية فى سياستها الخارجية إلى خلق المناخ المناسب لارتباطها ارتباطا وثيقا بإحدى الدول الكبرى . ضمانا لأمنها القومى ولإمدادها بكل تحتاج إليه من سلاح . يقول فى ذلك شمعون بيريز :

« علينا أن نضمن صداقة إحدى الدول الأربع ، أمريكا أو روسيا أو فرنسا أو بريطانيا ، على الأقل ، وبأى ثمن »(٢) .

ولكن الأستاذ فكرى أباظة كان أكثر دقة وواقعية فى مقاله المنشور فى مجلة المصور فى عددها ١٣٢٧ الصادر فى ١٧ مارس سنة ١٩٥٠ حيث قال :

« .. إن دولة إسرائيل التى ساهم فى إنشائها وتثبيتها المعسكران المتعاديان – وهما المعسكر الديمقراطى والمعسكر الشيوعى .. أن دولة إسرائيل هذه خطر مباشر .. أمريكا مضطرة إلى الاستمرار فى تزويدها بالسلاح والعتاد تحت ضغط النفوذ اليهودى فى الولايات المتحدة .. وانجلترا تستغل قيامها وسط الدول العربية لتكفل التوازن .. وروسيا تود أن تجعل منها خميرة لنشر الشيوعية فى الشرق الأوسط »(٣) .

وهنا تبرز نقطة هامة تتعلق بأبرز الأسس التى تنبنى عليها الاستراتيجية الإسرائيلية وهى مدى ارتباط أمن إسرائيل بالعوامل الإقليمية والدولية . فمن الناحية الإقليمية ترفض وجود دولة عربية قوية تجاورها فى المنطقة . ومن الناحية الدولية تسعى دائما لعدم وجود نفوذ دولة كبرى فى حوض البحر الأبيض المتوسط يتعارض مع وجودها .

إذن ما هو مفهوم الأمن ؟ يعرف « سبايكس مان » مفهوم الأمن القومى بقوله :

---

(١) Theodor Herzl, The Gewuish State, Central of the Zionst organization London, 1934, P. 30.

(٢) العسكرية الصهيونية – المجلد الثانى – مصدر سابق – ص ٦٥ .

(٣) فكرى أباظة – مجلة المصور – العدد : ١٣٢٧ – مارس سنة ١٩٥٠ — ص ٩ .

« إن الارتباط بين الإقليم ووجود الدولة يعنى أن المحافظة على النفس تقتضى الدفاع والمراقبة على الإقليم ولأن الاستقلال هو جوهر الدولة تصبح المحافظة عليها تفرض القتال من أجل الاستقلال . هذا يمثل جوهر أهداف السياسية الخارجية للدول وهو المحافظة على وحدة الأراضى والاستقلال السياسى »(١) .

نخلص من ذلك إلى أن العوامل الهامة التى تتحكم فى تحديد مفهوم نظرية الأمن الإسرائيلية تتمثل فى ثلاثة عوامل هى :

١ ــ عوامل إقليمية :

أى تتعلق بالتكوين العام للمنطقة الجغرافية التى تقوم فيها هذه الدولة . فلابد من أن يكون تكوين هذه المنطقة من حيث قوة دولها بصورة لا تهدد أمن إسرائيل ووجودها سواء أكانت هذه القوة ممثلة بدولة قوية فى المشرق « العراق » أو ممثلة فى دولة قوية فى مصر .

٢ ــ العوامل الدولية :

وهى تعنى عدم وجود دولة كبرى تسعى للانفراد بالسيطرة على هذه المنطقة الحيوية من العالم لأن وجود مثل هذه الدولة سوف يهدد كيان إسرائيل ذاتها .

٣ ــ العوامل الذاتية :

تسعى إسرائيل بموجبها لبناء قوتها الذاتية على الكيف . وهذا الكيف لا يمكن تحقيقه إلا بإحراز التقدم التكنولوجى بمعنى زيادة سيطرة الإنسان على الطبيعة وتسخيره لها والتحكم فى المتغيرات التى تتعرض لها أثناء حركتها وتحقيق الانسجام والاستقرار الداخلى . يبين ذلك « حاييم وايزمان » أول رئيس لدولة إسرائيل قائلا :

« إن أمننا يجب ألا يعتمد على الجيوش وحدها بل لابد لنا أن نخلق الاستقرار السياسى فى وطننا »(٢) .

---

(١) Nicholas, AJ. Spykman, American Strategy in World Politics (New York: Harourt, Brace and World, 1942), P. 17.

(٢) Weizmen, Chaim. Trial and Error, Schocken books. (New York. 1966). P. 462.

إذن الأمن ليس مفهوما عسكريا مجردا ، أى أنه لا يمكن المحافظة عليه بمجرد امتلاك القوة العسكرية الضاربة لأن هذه القوة مهما بلغت لا تستطيع أن تجارى قوة العرب الهائلة . فمفهوم الأمن كما تصوره بن جوريون يعتمد على استقراء التاريخ وتحليل وقائعه ومعرفة اتجاه سيرها والعوامل التى تؤثر فيها والسعى إلى التحكم فى المتغيرات .

ويمكن القول حتى فترة إعداد هذا الكتاب أن إسرائيل نجحت إلى حد ما فى تحقيق التغيير الذى تريده للمحافظة على أمنها فحالت دون قيام وحدة عربية . يقول فى هذا الشأن « شمعون بيريز » : « إن وحدة العرب تزيد من طاقتهم العسكرية دون أن تضعف من عداوتهم لاسرائيل .. وعلى ذلك فلا أمل أن يقوم بيننا وبين الوحدة العربية أى نوع من السلام »(١) . هكذا يرى « شمعون بيريز » إن الوحدة العربية خطر على الكيان الصهيونى فى فلسطين ، فالغاية الصهيونية تمزيق العرب وتفتيتهم سياسيا وجغرافيا . كما أن إسرائيل سعت على المستوى العالمى إلى خلق نوع من توازن القوى . ومن مفهوم الأمن تنطلق الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية ، وتتحدد أهدافها ، وتضع الأمن فى مقدمتها . يقول فى ذلك هيثم الكيلانى : « ويعتبر ضمان أمن إسرائيل والعمل على تأكيد وجودها هو الهدف القومى الأول للاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية وأكثر الأهداف إلحاحاً نظراً للظروف التى تحيط بإسرائيل »(٢) .

---

(١) مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية – العسكرية الصهيونية : المجلد الثانى – مؤسسة الأهرام – القاهرة – سنة ١٩٧٤ – ص ١١١ .

(٢) هيثم الكيلانى – المذهب العسكرى الإسرائيلى – مصدر سبق ذكره – ص ٣٩٨ .

الأهداف العليا لإسرائيل

مما سبق تحددت المعالم الأساسية للخطة الاستراتيجية الإسرائيلية وتبين مدى تأثيرها وارتباطها بمقومات الدولة – ذاتها – الاقتصادية والبشرية والجغرافية وعقيدتها السياسية وعلاقاتها بالدول المحيطة بها . ويمكن التمييز بين مستويين من مستويات الأهداف العليا لإسرائيل :

(ا) المستوى الأول – ويشمل الأهداف السياسية .

(ب) المستوى الثانى – ويشمل الأهداف العسكرية .

أولا – الأهداف السياسية :

هناك مجموعة منتظمة من الأهداف السياسية العليا لإسرائيل تدور حول محور واحد هى ، فى الأصل والأساس ، جزء من مقومات الدولة الصهيونية بمعنى أن الدولة وجدت لتحقيقها ، وهذه الأهداف هى :

١ ــ تأكيد ذاتية الوجود الإسرائيلى وشرعيته الدولية ، ولا يكتمل ذلك إلا بالسعى بكافة الوسائل لتحقيق انتمائه إلى المنطقة الجغرافية التى يوجد عليها . وهذا يشمل تهويد الأجزاء من الأراضى العربية التى يتم احتلالها والتوسع فيها عن طريق التحكم فى متغيراتها الديناميكية من سكان وموارد اقتصادية وثقافية وتعليم . هذه الذاتية – فى حد ذاتها – لا يمكن أن تستمر أو تستقر دون أن تلجأ فى مرحلة من المراحل إلى إجبار الأطراف العربية – فى المنطقة وفى مقدمتها الشعب الفلسطينى – إلى الاعتراف بشرعيتها وإقامة العلاقات الدولية العادية معها . يبين ذلك « الكيلانى » فيقول :

« قاموس السياسة الإسرائيلية ملىء بنداءات الصلح ، ومشاريعه . ويعتبر الجزء الخاص بهذا الموضوع أكبر جزء من هذا القاموس ، إن لم يكن يشكل محوره الأساسى وفكرته الأصلية السائدة . لقد نادى الزعماء الإسرائيليون منذ قيام إسرائيل وحتى اليوم بالتفاوض المباشر بينهم وبين العرب لتحقيق السلام وعقد الصلح . وكانت حمى

النداءات تشتد وتطغى بعد كل حرب واسعة أو معركة محدودة يشنها الجيش الإسرائيلى . وإذا كان لذلك من تفسير فإن أبنسط ما يمكن أن يقال فى هذا المجال هو أن هذه النداءات جميعها – وخاصة أثر الاعتداءات – ليست سوى تغطية مفضوحة وتمويه مكشوف فاشل لنوايا العدوان والتوسع . إن هذا الأسلوب ، دعوى للسلام ، ثم تهديد ، فعدوان ، ثم دعوة جديدة للسلام كانت إسرائيل باستمرار ، ولا تزال تطبقه . إن تفسير هذا السلوك يكمن فى الاستراتيجية التوسعية الإسرائيلية . ولقد أعلن « هرتزل » « إن فلسطين التى نريد هى فلسطين داود وسليمان » . وقد حلل بن جوريون « رغبة إسرائيل فى السلام والصلح » بعد انتهاء عمليات العدوان الثلاثى ، فقال فى اليوم السابع من تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ١٩٥٦ :

« علينا أن نحدد آراءنا حول المشكلات السياسية التى تنبثق من حين لحين . وتوجد الآن عدة أسئلة يجب أن نشرح موقفنا منها فى هذه المحادثة أمام أعين العالم بجرأة كبيرة . هذه الأسئلة هى :

(ا) إن اتفاقية وقف إطلاق النار مع مصر قد دفنت ولم يعد بالإمكان إعادتها للحياة . لقد لفظت أنفاسها الأخيرة بعد أن انتهكتها مصر سنين طويلة ، وأبادت مبادئها وغاياتها وسخرت من مقررات الأمم المتحدة ومجلس الأمن . إن التصريحات الكثيرة بأن مصر وإسرائيل لا تزالان بعد فى حالة حرب كانت لا تتناسب مع الأهداف ومبادىء الاتفاقية . لقد كانت مصر تستعمل ذلك كستار من الدخان تستر به اعتداءاتها على مواطنينا ومن أجل فرض الحصار على إسرائيل . إن المسئولين المصريين لم ينظموا الفدائيين فى مصر فقط بل نشطوهم فى الأردن وأيضا فى الدول الأخرى . وهكذا تحولت اتفاقية الهدنة إلى عنصر خطر يساعد فقط على مساندة الخطط المصرية الهدامة . إن العودة إلى الاتفاقية يعنى عودة إلى القتل والحصار والمقاطعة والتى كانت تخدم أهداف مصر بإبادة إسرائيل .

(ب) فقدت الأحكام المختصة بالمنطقة المنزوعة السلاح صلاحيتها ، ولم يعد للاتفاق على وقف إطلاق النار بين مصر وإسرائيل أى معنى .

(جـ) إننا لا نرغب بأن تبقى علاقاتنا مع مصر على ماهى عليه الآن من فوضى ، وإننا مستعدون للمفاوضة من أجل سلام مستمر وعلاقات جوار طيبة بشرط أن تكون المفاوضات بدون التزامات أولية من أى طرف من الأطراف وبدون أى ضغط من أى طرف وأن تبدأ مباشرة . إننا نأمل أن تساند جهودنا هذه كل الدول المحبة للسلام .

(د) إننا مستعدون لمثل تلك المفاوضات مع كل دولة من الدول العربية الأخرى وحتى فى حالة عدم استعدادها لذلك فإننا سنحافظ على اتفاقية وقف إطلاق النار طوال محافظتها على ذلك »[1] .

ويبين بن جوريون مفهوم السلام مع العرب قائلا :

« ومن واجبنا أن نكون مستعدين للسلام والحرب ونحن مستعدون للسلام على أساس استقلال دولة إسرائيل وسيادتها القومية الذى يضمن حياة وروح الهجرة ، السلام الذى نريده سلام بين مستاويين ويعتمد على سياسة خارجية تقوم على التبادل »[2] .

إذن ، الهدف الأول الذى تسعى إسرائيل إلى تحقيقه هو اعتراف العرب بوجودها وإقامة علاقات طبيعية معها حتى تستطيع أن تكتسب من ذلك حقها وشرعيتها على الأرض التى قامت عليها . ولا يغفل مفهوم السلام الإسرائيلى كما تبين هدفا آخر من أهدافها العليا ونعنى به هدف التوسع .

٢ ــ **التوسع الإقليمى** : من المعروف أن حدود إسرائيل كما بينها قرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ لا تشمل فلسطين كلها ولكن العمليات الحربية التى وقعت بين الدول العربية وإسرائيل فى حرب ١٩٤٨ سمحت للأخيرة بأن توسع رقعتها الجغرافية باستخدام قوتها العسكرية فى المرحلة الأولى لفرض سياسة الأمر الواقع بالقوة . وكان واضحا أن إسرائيل قبلت بقرار التقسيم كخطوة أولى كى تجد لنفسها مرتكزاً من الأرض تستطيع منه أن تنطلق فيما بعد لتحقيق أهدافها التوسعية . يؤكد ذلك دافيد بن جوريون فى تقريره السرى الذى بعث به من لندن إلى رئاسة حزب المباى فى ١٩٣٨/١٠/٧ قائلا : « بأنه يوافق على إنشاء دولة يهودية فى جزء من فلسطين كخطوة لها ما بعدها . إن مثل هذه الدولة ستكون الوسيلة لتحقيق أهداف الصهيونية »[3] .

« على أن أهم ما انطوى عليه هذا التقرير هو موافقة بن جوريون – بالذات – على فكرة تقسيم فلسطين وإنشاء الدولة اليهودية فى جزء من الأراضى الفلسطينية كمرحلة

---

(١) هيثم الكيلانى – المصدر السابق – ص ٤١٥ – ٤١٨ .

(٢) Bengurion, D, OP, Cit, PP. 249- 250.

(٣) الدكتور حسن صبرى الخولى – سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين – المجلد الثانى – الطبعة الأولى – دار المعارف بمصر – القاهرة – سنة ١٩٧٠ – ص ٩١ .

انتقال من الوطن القومى إلى الدولة اليهودية وأن تكون هذه الدولة الصغيرة المساحة منطلقا إلى دولة مترامية الأطراف » (١).

يؤكد ذلك رفضها المطلق للمشروع الذى تقدم به الوسيط الدولى « الكونت فولك برنادوت » والذى وضع منطقة النقب ضمن حدود الدولة العربية كما جاء فى التقسيم ، وعندما سئل « وايزمان » عن موقفه من إخراج جنوب فلسطين ومنطقة النقب من الدولة اليهودية كما اقترحتها لجنة « بيل » قال : « لا تخافوا لن تهرب باقى البلاد منا إذا حصلنا على جزء منها فقط الآن »(٢).

وقد استمرت إسرائيل منذ قيامها فى استخدام قوتها العسكرية لتوسيع رقعتها الجغرافية . فالتوسع الإقليمى بالنسبة لها يعنى الحصول على أراض جديدة تساعدها على استيعاب المهاجرين اليهود كما تساعدها على زيادة مواردها الاقتصادية وتحسين وضعها الجيواستراتيجى(*) .

ومن الملاحظ فى ذلك أن إسرائيل لم تحدد بعد حدودها الجغرافية حتى الآن فى أى وثيقة رسمية صادرة عن حكومتها أو عن أى مؤسسة رسمية أخرى ، كما أنه لم يرد فى إعلان قيامها سوى عبارة أرض إسرائيل . إلا أن هناك تصريحات لا حصر لها لكبار المسئولين الإسرائيليين تبين المطامع التوسعية . فقد صرح « دافيد بن جوريون » رئيس اللجنة التنفيذية فى الوكالة اليهودية فى حديث صحفى قائلا :

« لم يكن التصويت على جزء من فلسطين أو كل فلسطين ، فالصهيونيون لا يرضون إلا بفلسطين كلها ، إنما كان التصويت على أى الطريقين أسرع للوصول إلى الهدف

---

(١) الدكتور حسن صبرى الخولى – المصدر السابق – ص ٩٣ .
(٢) الدكتور حسن صبرى الخولى – المصدر السابق – المجلد الأول – ص ٧٠٥ .

(*) أعلن آرييل شارون وزير الزراعة الاسرائيلى أن على الولايات المتحدة أن تفهم أن إقامة المستوطنات فى الأراضى العربية المحتلة أهم بكثير من السلام .. وأن إسرائيل لن تنسحب من الضفة الغربية المحتلة ولا من مرتفعات الجولان ، وأكد شارون أن الاستيطان هو جوهر وجودنا هنا ، بالنسبة لنا فإن هذا الأمر الذى نعتبره أكثر أهمية لنا من السلام هو أن نكون قادرين على التواجد هنا .. علينا أن نوضح نقطة هامة وهى أن الحكومة لديها الحق فى إنشاء مستوطنات فى كل مكان فى بلادنا) .. وأوضح شارون أن عدة آلاف من اليهود يعيشون فى مستوطنات فى مرتفعات الجولان ، ولذا « فأنا لا أرى احتمال للإنسحاب من الجولان ، وإننا قد نترك مائة متر هنا ومائة متر هناك ولكن ليس أكثر من ذلك » .. المصدر : جريدة الأهرام – العدد : ٣٣١٤٦ فى ١٠ – ٩ – ١٩٧٧ ص ١ .

الذى يجمعنا ، وهو الحصول على كل فلسطين : هل أخذها على دفعات ؟ أو الانتظار حتى يحين موعد أخذها دفعة واحدة ؟ »(١) .

وفى عام ١٩٥٢ أكد بن جوريون المطامع التوسعية الصهيونية قائلاً :

« كل دولة تتكون من أرض وشعب . إن إسرائيل لا تشكل شواذاً لهذه القاعدة ، ولكنها ليست مطابقة لأرضها أو شعبها ، فحين قامت الدولة لم تكن تضم سوى ٦٪ من مجموع الشعب اليهودى .

وعلينا أن نقول بأن الدولة قامت فوق جزء من أرض إسرائيل »(٢) ، كما كان أكثر صراحة عندما قال بن جوريون : « لو كان هدفنا هو قيام هذه الدولة الصغيرة لما سعينا إلى ذلك و خضنا الحرب »(٣) .

وقد صرح « أبا ايبان »وزير خارجية إسرائيل السابق قائلا : « ليس من السخف أن نتصور قادة العرب يطالبون فى المستقبل بإلحاح « بالعودة إلى حدود عام ١٩٦٦ أو عام ١٩٦٧ تماما كما يطالبون اليوم بالعودة إلى حدود عام ١٩٤٧ ، تلك الحدود التى رفضوها فى الماضى »(٤) .

هكذا اتضح لنا مما تقدم مدى سيطرة النزعة التوسعية على تفكير قادة إسرائيل . إذن التوسع الإقليمى كهدف سياسى وعسكرى هو نموذج للأهداف الاستراتيجية المركبة وهو بذلك يمثل وحده مجموعة من الأهداف الاقتصادية والجغرافية والسياسية والعسكرية والسكانية لذلك كان أهم الأهداف التى سعت إسرائيل إلى تحقيقها من خلال حملاتها العسكرية ضد البلاد العربية .

٣ ــ **الحدود الآمنة** : ظهر اصطلاح الحدود الآمنة فى قاموس الاستراتيجية الاسرائيلية فى أعقاب حرب ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ . والملاحظة الأولى على هذا الاصطلاح ، أنه

---

(١) الدكتور حسن صبرى الخولى – المصدر السابق – المجلد الأول – ص ٧٠٥

(٢) The Israel Government Year Book 1952-Tel Aviv. Israel Publication Ltd. P.15.

(٣) المهندس عبدالله عاصى – صراعنا مع اسرائيل – الطبعة الأولى – المكتب التجارى – بيروت – سنة ١٩٦٩ – ص ٥٢ . (نقلا : عن مجلة تايم الأمريكية . عدد : آب سنة ١٩٤٨) .

(٤) أبا ايبان – مقالة نشرها فى مجلة « فورين أفيرز » الأمريكية – صيف ١٩٦٥ .

لم يسبق لقادة إسرائيل أن أعلنوه من قبل سواء فى أعقاب حرب ١٩٤٨ أو فى أعقاب حرب ١٩٥٦ ، وهو بذلك يهدف إلى تحقيق ما يأتى :

(ا) توسيع الرقعة الجغرافية بضم أراض جديدة .

(ب) تحديد هذه الحدود بمعرفة الطرف الإسرائيلى المطالب بها بحيث تحقق له الأغراض العسكرية التوسعية .

(جـ) إثارة المشكلة على المستوى الدولى لكسب الرأى العام العالمى بحجة المحافظة على أمن وسلامة إسرائيل .

والحدود الآمنة بهذا المعنى تحاول أن تعطى التوسع صفة الشرعية الدولية . ففى أعقاب انتهاء العمليات العسكرية عام ١٩٦٧ أعلن رئيس وزراء إسرائيل « ليفى اشكول » فى الكنيست الإسرائيلى عن هذه النوايا بصراحة قائلا :

« وقيل لأمم العالم ألا تنخدع فإن دولة إسرائيل غير مستعدة للعودة إلى الوضع الذى كان قائما حتى منذ أسبوع . ان دولة إسرائيل قامت وستقوم بالحرب ومع ذلك اضطرت إلى الحرب وعادت ثانية واضطرت إلى الحرب من أجل حقها . لقد حاربنا بمفردنا من أجل كياننا ووجودنا وأمننا ، ومن حقنا أن نحدد مصالحنا الحقيقية . والمصالح الحقيقية والحيوية لدولة إسرائيل وكيف يضمن مستقبلها . لن يعود الوضع الذى كان قائما من قبل . لن تكون دولة إسرائيل أرضا مشاعا - مفتوحة لأعمال التخريب والقتل »(١) .

هذه المبادرة الأولى من أكبر مسئول إسرائيلى وأمام المؤسسة التشريعية لدولة إسرائيل وهى الكنيست بتاريخ ١٢ يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧ معلنا رفض إسرائيل العودة إلى حدود سنة ١٩٦٧ . وهنا يأتى التساؤل : ما هو مفهوم الحدود الآمنة عند قادة إسرائيل ؟

تقول جولد مائير : « إن ما نريده ليس ضمانا من قبل الآخرين لأمننا ، بل ظروفا مادية وحدودا أقيمت فى هذه البلاد تضمن بشكل أكيد عدم نشوب حرب أخرى »(٢) .

كما يقول موشى ديان وزير الدفاع السابق فى هذا المفهوم : « يجب ألا نسمح للعرب بتعيين حدود إسرائيل ولن تكون « إيلات » هى حدودنا الجنوبية وإنما « شرم الشيخ » ولن

---

(١) محاضر جلسات الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧ - مؤسسة الدراسات الفلسطينية - الطبعة الأولى بيروت - سنة ١٩٧١ - ص ٧١١ - ٧١٢ .

(٢) صحيفة الجيروزاليم بوست الإسرائيلية - ٢٧ مارس - ١٩٦٩ .

تكون المطلة هى حدودنا الشمالية ولكن القنيطرة وستبقى غزة إسرائيلية بينما تمتد حدودنا الغربية فى أعماق سيناء .. إننا نخلق خريطة جديدة وحدودا جديدة .. إننا نخلق إسرائيل »(١) .

كما أن مفهوم الحدود الآمنة عند شمعون بيريز وزير الدفاع الحالى هى :

« ضرورة الاحتفاظ بمناطق معينة فى سيناء ، لهذا يجب عند المفاوضات تنظيم الحدود فى مناطق قابلة للدفاع عنها فإن الحدود فى رأيى أكثر أهمية من الضمانات »(٢) .

وعرف « ايجال آلون » نائب رئيس وزراء إسرائيل السابق الحدود الآمنة قائلا : « إن الحدود الآمنة تلك الحدود السياسية التى ترتكز على عمق إقليمى وموانع طبيعية ، مثل المياه والجبال والصحراء والممرات الضيقة ، التى تحول دون تقدم جيوش برية مزودة بالمدرعات . وهى الحدود التى تمكن من اتخاذ وسائل الإنذار الفعالة ضد اقتراب الطائرات المعادية من ناحية ، ومن ناحية آخر فإنها الحدود التى يمكن أن تستخدم كقواعد مناسبة للقيام بهجوم مضاد »(٣) .

ويوضح ابراهيم العابد مفهوم الحدود الآمنة قائلا : « إن مفهوم الحدود الآمنة لإسرائيل مفهوم ديناميكى يتغير بتغير الظروف الذاتية والموضوعية التى تعيشها إسرائيل ومع ذلك فإن هناك بعض التحديدات لهذا المفهوم لم تتغير منذ المذكرة الصهيونية إلى مؤتمر السلم فى عام ١٩١٩ وحتى الآن . وجاء فى الخطة الاستراتيجية العامة التى وضعتها هيئة أركان حرب الجيش الإسرائيلى لعام ١٩٥٦/١٩٥٧ والتى نشرت فى كتاب « خنجر إسرائيل » أن « ليس لحدود إسرائيل الحالية من حماية طبيعية ولذا فإن مهمة الدفاع عنها عسيرة جدا ، إن الغاية من الحرب بين إسرائيل والعرب هو تغيير خط الحدود الحالية وان احتلال الأراضى التى تطالب بها إسرائيل سيحسن من وضعها السياسى والاقتصادى . إن احتلال أراض عربية جديدة يهدف إلى تعزيز وتقوية مركز إسرائيل السياسى عن طريق تحقيق سيطرتها على الطرق ذات الأهمية الاستراتيجية فى

---

(١) محمد فيصل عبد المنعم وابراهيم كروان – التوسع الإسرائيلى – مؤسسة الأهرام – مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية – القاهرة – د . ت ص ٢٢ .

(٢) المصدر السابق – ص ٢٥ .

(٣) مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية – العسكرية الصهيونية – المجلد الأول – مؤسسة الأهرام – القاهرة – سنة ١٩٧٢ – ص ٣٥ .

الشرق الأوسط وعن طريق شق ممرات عبر الأقطار العربية ومنع قيام الوحدة العربية وبنشر الدعاية المفيدة لإسرائيل بين أقليات الشرق الأوسط »[1] .

يمكن القول بأن الأهداف الاستراتيجية العليا لإسرائيل تحددت فى الهدف الأول وهو الحصول على الشرعية عن طريق اعتراف العرب بها وعقد صلح معها يتضمن بالضرورة إقامة علاقات طبيعية تشمل النشاطات الاقتصادية والثقافية والتمثيل الدبلوماسى وهذا ما أفصح عنه رئيس الوزراء الإسرائيلى الحالى اسحق رابين عندما فسر مفهومه للسلام الذى تسعى إليه إسرائيل وهو سلام العلاقات الطبيعية بينها وبين الدول العربية . هذا الهدف فى حد ذاته تتشكل به جميع الأهداف التالية . يليه فى الأهمية هدف التوسع الإقليمى ضمن إطار السلام بمعنى أن إسرائيل ترمى من وراء عملياتها العسكرية إلى تجريد العدو من قوته العسكرية تمهيدا لفرض إرادتها عليه وعقد الصلح معه وفقا لمفاهيم قد حددتها هى من قبل . وتأتى الأهداف العسكرية لتمهد الطريق أمام تحقيق الأهداف السياسية السالفة الذكر .

ثانيا – الأهداف العسكرية :

ما يميز الأهداف العسكرية عن الأهداف السياسية هو أن الأولى توضع لخدمة الثانية . كما أنها أشد ارتباطا بالاستراتيجية العسكرية وتعتبر أهداف مباشرة للعمليات العسكرية ، وعليه يمكن تحديد الأهداف العسكرية فى الاستراتيجية الإسرائيلية على ضوء الحرب الوقائية بما يأتى :

١ ـ مفاجأة العدو بالضربة الأولى :

المفاجأة عنصر هام من عناصر الحرب الوقائية وهدف عسكرى من أهدافها . فلو نظرنا إليها من الناحية المجردة لوجدنا أنها تمثل المحور الذى تدور عليه الحرب الوقائية ذاتها . أو ما يمكن أن نطلق عليه الحرب الخاطفة . فأول ما تسعى إليه ، هو منع العدو من توقع القتال فى لحظة معينة على الرغم من أنه قد تكون هناك استعدادات فى مسرح العمليات لخوض المعارك . وهنا يأتى فرق التوقيت فى تحديد بدء القتال وهذا يتوقف

---

(١) ابراهيم العابد – مدخل إلى الاستراتيجية الاسرائيلية – منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث – بيروت – سنة ١٩٧١ – ص٢١ ـ ٢٢ .

بدوره على نوعية القيادات المشرفة على المعركة والمعلومات المتاحة لها عن الخصم . كما أنه يتوقف على عملية صنع القرار السياسى ذاته . فقد تكون الاستعدادات العسكرية لمجرد المناورة أو للردع النفسى بالتلويح بالقوة . ولكن متى أصبحت الأهداف السياسية معدة للتنفيذ وانعدمت جميع الوسائل الأخرى في إمكانية تحقيقها سواء أكانت تلك الوسائل دبلوماسية أو اقتصادية فإن القوات المسلحة تأخذ مكانها فى المرتبة الأولى لتحقيق مثل هذه الأهداف ، ولنضرب مثلا على ذلك . قبل بدء عمليات القتال فى عام ١٩٦٧ وفى أعقاب غلق مضايق تيران مباشرة كان هناك شك على المستوى العالمى فى إمكانية اندلاع القتال بين العرب وإسرائيل وكان الاعتقاد السائد أن العملية لاتعدو أن تكون مناورة سياسية استخدم فيها جمال عبد الناصر القوات المسلحة لاستعادة مكانته القومية فى العالم العربى وذلك عن طريق تحقيق أهداف تكتيكية منها غلق مضايق تيران وسحب القوات الدولية عن خطوط الهدنة والتهديد بالتدخل العسكرى إلى جانب سوريا إذا ما شنت إسرائيل عليها الحرب . ولكن على الطرف الآخر ونعنى به إسرائيل نجد أن القوات الإسرائيلية قد وضعت فى حالة استعداد للهجوم فور إعلان إغلاق مضايق تيران . يؤكد ذلك ما أعلنه رئيس الوزراء الإسرائيلى أمام الكنيست حيث قال :

« أعلنت حكومة إسرائيل أكثر من مرة عن قرارها باستخدام حقها فى حرية الملاحة فى مضايق تيران وخليج إيلات والدفاع عنها وقت الحاجة . فهذه مصلحة قومية عليا . لا ينطبق عليها أى تنازل ولا تجوز فيها أية مصالحة »(١) .

إذن القيادة السياسية الإسرائيلية قد حددت بدء الحرب ولو من الناحية النظرية بعد غلق المضايق . وفى تلك الظروف بالذات كانت القوات قد أعدت للانتقال من حالة التأهب إلى حالة الهجوم . وهنا يأتى دور المفاجأة كهدف عسكرى ، يؤكد ذلك أنه فى تلك اللحظات بالذات أى بعد ٤ يونيو كان الموقف العسكرى العربى قد أخذ فى التباطؤ . وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن عدوان ١٩٦٧ ، كما سبق وأن تبين – قد أعد من قبل ، فإن الهجوم أصبح أمرا محتوما ، وإذا انتقلنا إلى الطرف العربى نجد أنه قد ساده اعتقاد يرمى إلى استخدام المفاجأة بالمناورة العسكرية للضغط السياسى على إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية . وعندما تأكدت القيادة الإسرائيلية من هذا التحول فى تفكير القيادة العليا العربية قررت وضع خطتها الاستراتيجية موضع التنفيذ والقيام بتوجيه

---

(١) محاضر الكنيست – المصدر السابق – ص ٦٩٤ .

ضربة فجائية للقوات العربية وهى فى حالة تأهب فى مسارح العمليات . وبذلك تمكنت من تحقيق المفاجأة الاستراتيجية بالقضاء على القوات الضاربة وإفقاد القيادة العليا أداتها العسكرية ووضعها فى مأزق دولى وقومى حرج .. وبذلك تكون المفاجأة كهدف عسكرى قد حققت المطلوب منها .

٢ - القضاء على القوات العربية المسلحة :

يأتى هدف تدمير القوات العربية المسلحة تدميرا شبه كامل فى أثر هدف المفاجأة وذلك لمنعها من القتال ومحاولة تجريد القيادة السياسية من أهم وسائل المواجهة . وقد اختارت إسرائيل الحرب السريعة الخاطفة بحيث تمنع العدو من الاستمرار فى القتال . فهذا القضاء السريع على قواته ولو لفترة زمنية محدودة وذلك لعدم قدرتها هى على الاستمرار فى القتال فهى ترمى إلى أن تنهى العمليات الحربية بسرعة وهو ما عجزت إسرائيل عن تحقيقه عامى ١٩٥٦ و١٩٧٣ يوضح ذلك هيثم الكيلانى قائلا :

« ليس لإسرائيل طاقات مماثلة للطاقات العربية وليس لها قدرة على حرب طويلة الأمد ، ولهذا فإن أحد الأغراض الرئيسية لاستراتيجيتها العسكرية هو منع العرب من القتال ، ومنعهم من اتباع مبادىء الحرب الأساسية ، واستخدام قوتهم وذلك بمختلف الوسائل والأساليب العسكرية والسياسية والدولية . ولقد توصلت إسرائيل إلى هذا الأسلوب من واقع تجاربها فى حربى عام ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، حيث أنها عندما عجزت عن توجيه ضربة خاطفة للقوات العربية لجأت إلى تعطيل هذه القوات باستخدام وسائل أخرى - ويستطرد هيثم الكيلانى فى توضيح ذلك » ففى حرب ١٩٤٨ فرضت الدول الداعمة لإسرائيل والراعية لقيامها والحامية لها الهدنة الأولى على العرب ، فتوقف القتال وحرم العرب من استخدام قواتهم المسلحة التى بدأت تحرز بعض الانتصارات حتى إذا انتهت الهدنة الأولى وعاد القتال كانت إسرائيل أقوى تسليحا وأكثر تنظيما واستعدادا للمعركة من فترة القتال الأولى لأنها اغتنمت فرصة شهر الهدنة لتستورد كميات كبيرة من الأسلحة ، وهى تستقبل آلاف المتطوعين الذين تدفقوا عليها من الدول الاستعمارية . وبعد أن استأنف الطرفان القتال ، بذلت الصهيونية ودول الاستعمار جهودا جبارة لكى توقف القتال وتفرض هدنة ثانية يمكن لإسرائيل من خلالها أن تقيم مؤسساتها كدولة وأن تثبت كيانها لتتمكن من أن تصبح عضوا فى المجتمع الدولى . وفى حرب العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ - اشتركت إسرائيل مع فرنسا وانجلترا فى هجومهما على مصر .

وحينما بدأت إسرائيل العدوان فى ٢٩ أكتوبر عام ١٩٥٦ على سيناء تصدت لها القوات المصرية . ولم يكن الهجوم الإسرائيلى سوى المرحلة الأولى من العدوان ، حيث اتخذته فرنسا وانجلترا ذريعة للتدخل واحتلال قناة السويس . وعندما وضح شكل المؤامرة وغايتها وخطتها عزل القوات المصرية ومحاصرتها بالقوات الفرنسية والانجليزية من جهة الغرب ، وبالقوات الإسرائيلية من جهة الشرق ، ثم القضاء عليها ، كان لابد من إقرار الانسحاب ، وهكذا تمكنت قوات العدوان الثلاثى من منع الجيش المصرى عن القتال . كما تمكنت المؤامرة – بسبب شكلها وغايتها – من منع الجيش السورى والأردنى عن التدخل فى القتال ضد إسرائيل . أما فى حرب ١٩٦٧ فقد تمكنت الحرب النفسية التى أسهمت فيها الولايات المتحدة وانجلترا والصهيونية من تعطيل القوات المسلحة العربية عن البدء بالعمل . كما استطاعت تجميدها ووضعها فى حالة الترقب وانتظار الضربة التى ستحل بها . وقد تم ذلك بسبب أساليب التضليل والتمويه والتعمية التى اتبعتها دول الاستعمار والصهيونية وإسرائيل . وحينما بدأت إسرائيل هجومها الجوى على القوات الجوية المصرية ومطاراتها ومنشآتها ثم على القوات الجوية السورية والأردنية كانت تهدف ، وراء ذلك ، إلى تجريد القوات المسلحة العربية من أعظم أسلحتها وأقواها مما يدفع هذه القوات إلى الانسحاب أو الاستسلام والامتناع عن القتال ، وقد تم تطبيق الخطة الاستراتيجية والعملياتية الإسرائيلية فى هذا المجال وحققت أهدافها بإخراج الجزء الأكبر من القوات المسلحة العربية من ميادين المعارك دون أن تتمكن من القتال الفعلى »[1] .

أما عام ١٩٧٣ فلم تتمكن القوات الإسرائيلية من تحقيق هذه الغاية لأن عنصر المفاجأة كان بيد العرب الذين بدأوا بالقتال وهذا يوضح العلاقة الارتباطية بين عنصر المفاجأة وغاية تدمير القوات العربية .

٣ – المحافظة على قوة الردع الاسرائيلية متفوقة ..

هذا الهدف يأتى فى الترتيب المنطقى بعد الهدفين السابقين فالمفاجأة وتدمير القوات العربية يحققان انفراد القوة الإسرائيلية بحرية العمل على المسرحين العسكرى والسياسى ليس ذلك فحسب بل يضمنان لها التفوق إلى درجة الردع أى الوصول بالقدرة إلى حد

---

(١) هيثم الكيلانى – مصدر سبق ذكره – ص ٤٠٧ – ٤٠٨ .

منع العدو من التفكير فى القتال أو الاستمرار فى التحدى أو الاستمرار فى اتخاذ المواقف المتصلبة أو التفكير فى العودة إلى استخدام القوة العسكرية لتحقيق أهدافه السياسية . وفى ذلك يقول أحد الصهاينة وهو وزير الصحة الإسرائيلى بارزلاى :

« إذا ظهرت إسرائيل أمام العرب قوية إلى درجة يصعب قهرها بالقوة فإن الطريق عندئذ قد فتحت للمفاوضات المباشرة والسلام »[١] .

ويقول دافيد بن جوريون « إن الطريق الوحيد لإقناع العرب لصنع السلام هو فى رؤية إسرائيل قوية »[٢].

والمقصود بالقوة هنا هى قوة الردع ، أى قوة جيش الدفاع الإسرائيلى ، يؤكد ذلك إعادة تسليحه وتزويده باستمراره بالأسلحة الحديثة وبكميات تمكنه من الردع فى حالة توجيهه هو للضربة الأولى والصمود فى حالة تلقى الضربة الأولى من العرب .

هذا الهدف فى الإبقاء على قوة الردع العسكرية الإسرائيلية متفوقة يفترض منع العرب فى نفس الوقت من موازنتها ، أى من الوصول إلى وضع التوازن معها سواء من حيث الكم أو من حيث الكيف . ولا يغيب عن الذهن أن الردع فى حد ذاته إذا ما توفر بدرجة كافية يكون سببا فى منع نشوب القتال . وهذا ما تحقق لإسرائيل طيلة وجودها على أرض فلسطين إلا إذا استثنينا العمليات العسكرية التى وقعت فى عام ١٩٧٣ . يوضح ذلك الكيلانى تحت مبدأ توازن القوى فيقول :

«تدرك إسرائيل أنها لا تستطيع الحفاظ على بقائها إلا إذا كانت قواتها متفوقة على القوات العربية المحيطة بها . وتدرك أيضا أنها غير قادرة على توفير هذا التفوق إلا بمساعدة الدول الاستعمارية لها فى المجالين العسكرى والاقتصادى . ولهذا فقد جعلت الحفاظ على توازن القوى بينها وبين الدول العربية المحيطة بها أحد الأغراض الهامة لاستراتيجيتها العسكرية . ولهذا أيضا فإنها تلجأ إلى شن الحرب الواسعة فى كل مرة تشعر فيها أن هذا التوازن قد اختل لصالح العرب ، وأن القوات العربية المحيطة بها أصبحت أكثر قوة وأعظم منعة من قواتها ، وخاصة فى مجال التسليح .

وحتى تتمكن إسرائيل من جعل كفة ميزان القوى تميل لصالحها ، فإنها تسعى إلى

---

(١) بارزلاى – جريدة جيروزالم بوست – ١٠ – ٨ – ١٩٦٧ .

(٢) بن جوريون – المصدر السابق – ٣ –٩ – ١٩٦٧ .

الحفاظ على قواتها المسلحة فى مستوى يضمن إمكان مواجهة القوات العربية على إحدى الجبهات وتثبيت باقى الجبهات الأخرى . وقد اتضح ذلك خلال العمليات العسكرية فى حزيران (يونيو) حيث بدأت العمليات الفجائية فى المجالين الجوى والبرى موجهة ضد الجمهورية العربية المتحدة إلا أن تطور المعركة تطوراً مفاجئا - بالضربة التى تلقاها سلاح الطيران المصرى ، وتأكد إسرائيل من حصولها على السيادة الجوية الكاملة - مكنها بعد ذلك من العمل على أكثر من جبهة واحدة . ورغم ذلك فإن ما حدث فى عدوان ١٩٦٧ يعتبر استثناء من القاعدة العامة ، إذ أنه فى حالة أى اشتباك مستقبل مع أكثر من جبهة عربية ، فإنه سوف يتحتم على إسرائيل أن تركز جهودها على إحدى الجبهات وتثبيت الأخرى إلى أن تتمكن من توجيه ضربة سريعة لهذه الجبهة فتستدير إلى غيرها .

لقد صرح الجنرال حاييم بارليف رئيس الأركان العامة فى اليوم الأول من شهر يناير سنة ١٩٦٨ قائلا « إن الدرس الذى تعلمناه من الحرب الأخيرة - أى حرب يونيو ١٩٦٧ - هو أنه بالرغم من وجودنا كدولة صغيرة محاطة ببلدان معادية غنية بالموارد وبالطاقة البشرية ، فإنه باستطاعتنا ، ليس فقط الحفاظ على توازن القوى بيننا وبين جيراننا بل العمل على تحسين هذا التوازن لصالحنا - لقد برهنت حرب حزيران (يونيو) على أن الفرق بيننا وبين العرب هو أكبر مما كان عليه فى عام ١٩٥٦ وأكبر بكثير من عام ١٩٤٨ »[1] .

ويوضح هيثم الكيلانى أن اختلال التوازن فى القوى بين العرب وإسرائيل كان دائما من الدوافع القوية كى تبادر إسرائيل بتوجيه الضربة الأولى للدول العربية قبل أن تحقق هذه الدول تفوقا يمكنها من فرض إرادتها على العدو .

إذن التفوق هدف عسكرى من أهداف إسرائيل لمساندة أهدافها السياسية .

٤ ـ منع الشعب الفلسطينى من ممارسة الكفاح المسلح لتحرير أرضه :

قد لا تكون هناك ثمة روابط بين هذا الهدف والأهداف السابقة نعنى بذلك روابط مباشرة . ولكن يعتبر منع الشعب الفلسطينى من ممارسة الكفاح المسلح هدفا سياسيا

---

(١) هيثم الكيلانى - مصدر سابق - ص ٤١٣ - ٤١٥ .

وعسكريا فى آن واحد وخاصة إذا ما تبين أن العمليات الفدائية التى قام بها الفدائيون الفلسطينيون كانت من أبرز المبررات التى لجأت إليها إسرئيل لتبرير عدوانها على البلاد العربية سواء فى عام ١٩٥٦ أو عام ١٩٦٧ . وقد أوضح ذلك ليفى أشكول فى بيانه أمام الكنيست الإسرائيلى فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩٦٦ قائلا :

« ها نحن نشاهد عمليات التخريب والقتل من جانب المنظمات فمنظمة الشقيرى كشفت عن سمتها ، واتضح أنها أداة طيعة فى يد أسيادها المصريين ، وليست مجرد منفذة للأهداف المعلنة المعادية لإسرائيل . وعلى غرار منظمة الشقيرى ، تكونت عصابة تحت اسم « فتح » هدفها الأساسى عدم استقرار إسرائيل ، وهذه العصابة جمعت مجموعات من المخربين أطلقت عليهم اسم « العاصفة ».. هذه المجموعات مشكلة أساسا من مجرمين محترفين وقتلة مرتزقة » . ويستطرد فى توجيه تحذيراته للفدائيين الفلسطينيين آنذاك قائلا : « إذا واصلتم – على الرغم من تحذيراتنا واقتراحاتنا – أعمالكم العدوانية فها نحن قد أثبتنا أننا نملك القوة للدفاع عن رعايانا وعن حقوقنا وحقوق الدولة وسيادتها . وإذا استمرت أعمال التخريب والقتل سنعمل على كبح جماحها مع اختيار الأوقات والوسائل الملائمة طبقا لحق الدفاع الذاتى المحفوظ لكل دولة والمعترف به فى ميثاق الأمم المتحدة . ولا أميل عموما إلى الإكثار من التهديدات ، لأنى أعتقد أن من الأفضل دائما فى هذا الصدد التحدث قليلا ، وإذا كان من الضرورى فلنفعل أكثر »(١) .

عند إلقاء الضوء على ماورد فى بيان رئيس الوزراء الإسرائيلى السالف الذكر والذى أدلى به قبل حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ يتضح أن من أهم أهداف العدوان مقاومة استمرار وتوسع هذه الظاهرة الجديدة التى بدأت تبرز فى الصراع العربى الإسرائيلى وهى ظاهرة الكفاح المسلح الفلسطينى المنظم . مما أقلق قادة إسرائيل وجعلهم – كما هو واضح – يهددون باستخدام الوسائل المناسبة لمنعها وردع الدول التى تؤيدها .

والذى يعنينا فى إطار هذا الكتاب هو الأبعاد الخطيرة التى أدركتها إسرائيل مبكرا فى ذلك الوقت وخاصة ما يتعلق منها بالجوانب العسكرية . فلو تمكنت المنظمات الفدائية آنذاك أن تنقل نشاطها إلى معسكرات اللاجئين المكتظة بالسكان والتى يقع عدد كبير منها على خط الهدنة ، خاصة فى قطاع غزة ، لمثل ذلك خطرا مباشرا حقيقيا على أمن إسرائيل . ولقد دارت المناقشة فى القيادة الإسرائيلية عن احتمالات وقوع مثل هذا

(١) محاضر جلسات الكينست – مصدر سابق ص ٣ ، ٩ .

الخطر ، لذلك نلحظ فى بيان رئيس الوزراء الإسرائيلى التلميح باستخدام القوة فى الوقت المناسب . وأن بروز الشعب الفلسطينى من جديد هو فى الحقيقة تهديد مباشر للكيان الإسرائيلى كله ومنعها من تحقيق هدفين أساسيين من أهدافها العليا ، ونعنى بهما هدفى الأمن والاعتراف من قبل العرب بوجودها . أكد ذلك ليفى أشكول عندما قال : « سيتم حل النزاع الإسرائيلى – العربى عندما يفهم العرب أن حق إسرائيل فى الاستقلال أو السيادة لا يقل عن حق أى شعب فى دولته . ولسنا عنصرا غريبا أراد هذه الارض مقرا له . إن أرض إسرائيل وشعب إسرائيل مرتبطان بعضهما البعض منذ فجر التاريخ . ولقد عاد إسرائيل إلى أرضه وبيته ، وما من قوة تستطيع أن تنزع الروابط الأبدية بين شعبنا وأرضنا . وعندما ترسخ هذه الحقيقة الأساسية فى الفكر العربى قد لا يتجه مرة أخرى إلى الدعاية الكاذبة عن جوهر إسرائيل فى المنطقة وسياستها ونواياها »[١] .

هكذا يعبر أشكول عن مخاوفه من ظاهرة الكفاح المسلح الفلسطينى وتهديده لوجود إسرائيل وكيانها من أساسه[٢] . ويؤكد ذلك ما قامت به إسرائيل من عمليات عسكرية هى أقرب إلى الحرب السريعة المحدودة منها إلى الهجمات . فمثلا هجومها الشامل على جنوب لبنان فى فبراير سنة ١٩٧٢ الذى استمر أربعة أيام متواصلة استخدمت فيها كافة الأسلحة . وكان يهدف إلى القضاء التام على قواعد الفدائيين هناك[٣] وغاراتها المستمرة على تجمعات الفلسطينيين فى المخيمات والتى زادت فى أعقاب هدوء الحالة على الحدود بينها وبين دول المواجهة فى أعقاب حرب ١٩٧٣ . فلم يبق لها هدف عسكرى سوى تدمير قوة المقاومة الفلسطينية التى تضع لنفسها هدفا نهائيا هو القضاء على دولة إسرائيل كدولة صهيونية عنصرية .

هكذا تتحدد الأهداف العسكرية الاستراتيجية الإسرائيلية وهى تتتابع منطقيا وتترابط فيما بينها من حيث أن كل واحد منها يقود بالضرورة لتحقيق الآخر . فالحرب الوقائية – حتى تحقق هدفها بكفاءة وبوضع أمثل – لابد أن تتوفر لها المفاجأة التامة ،

---

(١) محاضر الكنيست – المصدر السابق – ص ٧ .
(٢) انظر تفاصيل ذلك فى مؤلف : هيثم الكيلانى – مصدر سابق – ص ٤١٢ – ٤١٣ .
(٣) انظر حركة التحرير الوطنى الفلسطينى – فتح – حرب الأيام الأربع فى لبنان مكتب الإعلام والعلاقات الخارجية – ٦ مارس سنة ١٩٧٢ – ص ١٦ – انظر تفاصيل ذلك فى نص البيان الذى صدر عن إسرائيل بهذا الصدد .

لامن حيث الحشد والمناورة فحسب ، بل أيضا من حيث التوقيت والسرعة والشمول فى الضربة ، هذا يحقق الهدف الثانى ، وهو تدمير قوة العدو العسكرية ومنعه من استخدامها وإعادة تنظيمها أثناء إدارة العمليات وإخراجها كليا من ساحة القتال . ثم يأتى الهدف الثالث ليحقق لقوة إسرائيل التفوق والردع عن طريق المحافظة على ميزان القوى ، على أن يكون توازن القوى فى المنطقة – وخاصة العسكرى – مائل لصالحها . ويأتى الهدف الرابع ليجمع بين الجانب السياسى والجانب العسكرى للحرب الوقائية فالجانب السياسى كما وضح من بيان رئيس الوزراء الإسرائيلى لتبرير شن مثل هذه الحرب . والجانب العسكرى لتدمير قوة الفلسطينيين وتسليحهم .

وفى النهاية فإن هذه الأهداف العسكرية تؤدى لما وضح أيضا فى بيان رئيس الوزراء أشكول السالف الذكر – إلى اقتناع العرب بعدم قدرتهم فى القضاء على إسرائيل وضرورة التعامل معها والاعتراف بها . (انظر الجدول « ا ، ب » لتتضح لك العوامل التى تتحدد بموجبها سياسة اسرائيل العسكرية) .

٢ ـ وسائل الدفاع والهجوم فى استراتيجية إسرائيل العسكرية :

مما سبق وعلى ضوئه تم اختيار وسائل الدفاع والهجوم فى استراتيجية إسرائيل العسكرية بحيث تتمكن من الحفاظ على أهدافها العليا فى مرحلة الدفاع وتحقيق هذه الأهداف إذا ما انتقل الوضع إلى الهجوم وهو أسلوب الحرب الوقائية ذاته .

(ا) وسائل الدفاع :

يمكن القول أن إسرائيل لم تضطر فى مواجهتها العسكرية مع العرب إلى اللجوء لأسلوب الدفاع ، بمعنى أنها لم تتعرض للهجوم إلا فى مرحلتين فقط ، الأولى عند دخول الجيوش العربية فلسطين فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، حيث قامت الجيوش العربية بمهاجمة المناطق التى يسيطر عليها اليهود ومستعمراتهم فى مختلف مناطق فلسطين . والثانية عندما قامت كل من مصر وسوريا بالهجوم على سيناء وهضبة الجولان فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ لتحرير الأراضى العربية المحتلة . وتبنى إسرائيل دفاعها الثابت على نظامين هما :

١ ـ المستعمرات الدفاعية :

ولهذه المستعمرات « القرى » أهمية كبيرة من الناحية العسكرية ، فهى تؤلف مواقع دفاعية لصد الجيش المهاجم ، وكسر حدة الهجوم ، وتعتبر بؤرا تستقطب حولها المهاجم ، وتجبره على مقاتلتها ، بغية امتصاص جهده الأول فإذا أهملها فإنها ستؤثر فى خطوط مواصلاته وتعرقل تموينه وإمداده وإذا هاجمها تبعثرت قواته ، وتأخر تقدمه . وقد نظمت هذه القرى الدفاعية بشكل تستطيع به أن يدعم بعضها بعضا بمدافع الهاون والرشاشات والأسلحة المضادة للدبابات . هذا فى حالة الدفاع . أما فى حالة الهجوم ، فإن الجيش الإسرائيلى يستطيع الاستفادة من هذه القرى كقواعد يستند إليها لغرض الحشد والهجوم ، ويتمون منها بما يحتاج إليه ، كما أنها تحمى خطوط إمداده وتدعم مؤخرته »[١] .

٢ ـ الدفاع الإقليمى :

يتم تقسيم البلاد إلى ثلاثة مناطق رئيسية : المنطقة الشمالية . والمنطقة الوسطى . والمنطقة الجنوبية .

ولابد من التوضيح ، مسبقا ، أن هذا النظام (نظام الدفاع الإقليمى) لم تضطر إسرائيل إلى استخدامه لعدم وقوع هجوم عربى عليها بعد عام ١٩٤٨ – باستثناء ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ – يوضح ذلك هيثم الكيلانى قائلا : « تتألف نواة الدفاع الإقليمى من سكان المستعمرات الأمامية الواقعة على طول الحدود بين إسرائيل والدول العربية . وقد باشرت إسرائيل تنظيم دفاعها الإقليمى منذ عام ١٩٥٠ تنفيذا لقانون صدر حينذاك جاء فيه « أن القصد من الدفاع الإقليمى هو الدفاع عن حدود إسرائيل بإنشاء مستعمرات محصنة تستطيع الصمود أمام هجمات العدو ريثما تتم تعبئة القوات النظامية فى الخطوط الخلفية وسوقها لرد الهجوم » .

وهكذا فقد حدد القانون المهمة الأولى لمستعمرات الحدود ضمن نطاق خطة الدفاع عن الدولة كما يلى : صد كل غزو محتمل وذلك بالصمود أمام الهجوم ووقفه وتحديد

---

(١) هيثم الكيلانى – الموقع الاستراتيجى العربى – مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومى – دمشق – سنة ١٩٦٦ – ص ٢١٨ .

اتجاهه ، ريثما يتمكن الجيش من مقابلة المهاجم على محاور محددة . وقد نهى ، نظام الدفاع الإقليمى ، سكان أية مستعمرة عن مغادرتها للدفاع عن مستعمرة أخرى إلا فى حالة الضرورة القصوى . سوى أن هذا لا يمنع من تكليف أية مستعمرة بمهمات دفاعية متحركة كما حدث خلال العدوان الثلاثى فى سيناء وعلى ذلك ووفقا لنظرية بن جوريون تم ترتيب الأوضاع الدفاعية بحيث تتلاءم مع إمكانيات الدولة وأهدافها العليا . فمن المعروف أن الجيش الإسرائيلى وغالبيته قوات احتياطية غير عاملة يتم استدعاؤها فى حالات الطوارىء فى فترة لا تزيد عن ٧٢ ساعة(*) . ومن المعروف أن المستعمرات تتمتع بمواقع استراتيجية وقدرات ذاتية للدفاع تمكنها من صد الصدمة الأولى للهجوم وهى بذلك تؤهل القوات المتقدمة لمواجهة الهجمات بحيوية أكبر . كما أنها إذا ما تمكنت قوات العدو من اختراقها يمكنها أن تقوم بعمليات تخريب خلفها ويقوم مفهوم الدفاع فى إسرائيل على أساس الحركة والمرونة لذا فإن الدفاع فى إسرائيل – بالرغم من أنه يتشبث بالأرض ويحتمى بها – يستند على نقاط مراقبة وإنذار ثم نقاط دفاعية قوية ، تليها قوة ضاربة متمركزة فى مكان وسط ، قادرة على التحرك إلى جهات مختلفة حسب محاور الهجوم ، لتقوم بالهجوم المعاكس . ولهذا فإن الخطة الدفاعية عن المستعمرات تعتمد على أساس بذل الجهد الذاتى للصمود والمقاومة . إذ أن على كل مستعمرة – حسب الخطة – أن تقاوم مدة ٤٨ ساعة على الأقل ريثما تصلها نجدات من القطاع الدفاعى الإقليمى أو المنطقة – حيث توجد وحدة مشاة من الجيش بصورة دائمة كقوة احتياطية . وتقسم إسرائيل وفقا لذلك إلى ثلاث مناطق دفاع إقليمية هى الشمالية والوسطى والجنوبية . وفى كل منطقة عدة قطاعات وفى كل قطاع عدة قطيعات . ويضم القطيع عدة مستعمرات أو مدن أو أحياء . وتؤلف كل مستعمرة أو مدينة صغيرة أو حى كبير نقطة دفاعية تتعاون مع النقاط المجاورة ويعتبر الدفاع الاقليمى عن الحدود جزءا هاما ورئيسيا من خطة الدفاع بسبب عدم تمتع إسرائيل بأى عمق دفاعى ، وعدم قدرتها على المناورة فى الأراضى المحتلة . لذا فقد استندت فكرة المناورة فى الخطط الدفاعية على أساس اعتبار اسرائيل كلها – تقريبا – منطقة قتالية واحدة ومسرحا للحرب ، بحيث لا يفرق بين مناطق حدود ، ومناطق مناورات ، ومناطق خلفية ،

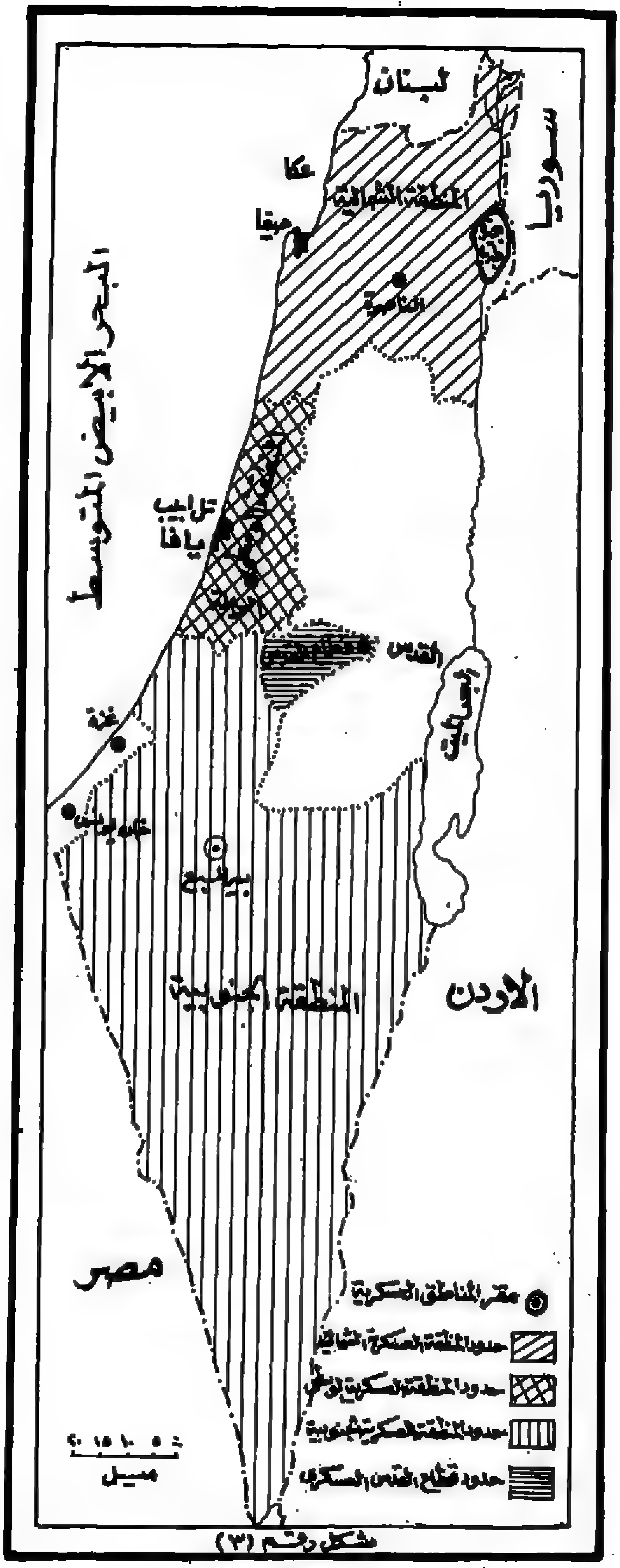
(*) إن جيش إسرائيل العامل الذى يبلغ عدد أفراده – ١٥٠ – ألف يمكن أن يرتفع إلى – ٤٠٠ – ألف فى خلال ٧٢ ساعة .

المصدر : جريدة الأهرام – العدد : ٣٣١٨٣ – القاهرة – فى ١٧ – ١٠ – ١٩٧٧ ص ١

وينطبق هذا المفهوم بصورة رئيسية على الجبهة الشمالية – أى الجليل – مع سوريا . وفى الجبهة الشرقية مع الأردن – أى المنطقة التى كانت تشتمل على الضفة الغربية وتقوم على شئون الدفاع الإقليمى قيادة عامة تسمى قيادة الدفاع الإقليمى ولكل منطقة قيادة خاصة بها . تتولى تنظيم الدفاع عنها والاهتمام بتدريب سكانها وتسليحهم وتحصين المستعمرات والمدن والأحياء وإتخاذ جميع التدابير التى توفر وسائل الدفاع وفق الخطط الدفاعية المقررة . ويشترط فى قادة نقاط الدفاع أن يكونوا متخرجين من دورات تدريبية خاصة بشئون الدفاع الإقليمى . ولقد روعى فى تنظيم الدفاع الإقليمى توفر عوامل المرونة والتعاون المنسق المتبادل بين مختلف هذه المتغيرت المذكورة . فقد بنى الهرم الدفاعى الإقليمى بشكل يحقق التماسك بين مختلف أجزائه ، فعهد إلى قيادة القطيع تنظيم تبادل ، المعونة بالنار ، بين نقاط الدفاع ، ولم يثقل كاهلها التنظيم الادارى للمستعمرات ، إذ كلفت قيادة القطاع بتسيير دفة السلطات الإدراية فى زمن الحرب فقط ، وقيادة العمليات حتى تأتى قوات الجيش لتستلم زمام الأمور . أما قيادة المنطقة فإنها مكلفة بالشئون الإدارية للمنطقة بكاملها فى زمنى السلم والحرب إلى جانب واجبات التدريب وقيادة العمليات . ويرأس قيادة المنطقة ضابط ذو رتبة كبيرة من الجيش . ويسلح أفراد الدفاع الإقليمى بالبنادق ، والرشاشات ، والأسلحة المضادة للدروع ، ومدافع الهاون من مختلف العيارات . ويوجد فى كل مستعمرة وحدة تدمير ، ووحدة هندسة . وتزود مستعمرات الحدود بالكلاب البوليسية المدربة وبذلك تصبح نقاط الدفاع وبخاصة . مستعمرات الحدود قادرة على مواجهة أى شكل من أشكال القتال الدفاعى[1] .
انظر الخريطة « شكل ٣ » .

وعند تحليل هذا النمط من أنماط الدفاع نجد أن اختياره جاء منسجما مع وضع إسرائيل الجيواستراتيجى وحتى يكون فى خدمة استراتيجية الهجوم المسبق ذاتها . إذ أن عدم إرهاق الجيش بمهام دفاعية دائمة – أى عدم وجود وحدات من الجيش تكون مهامها الأساسية المرابطة على الحدود فى قواعد ثابتة أو فى الخنادق – وقد مكن هذه الوحدات من أن تنمى قدراتها باستمرار وأن تعتنق أصلا عقيدة الهجوم . هذا فضلا عن أن نظام الدفاع السالف الذكر يتفق مع العقيدة الصهيونية ذاتها إذ ليس المقصود ، من المستعمرات الدفاعية ، هدفا عسكريا فحسب وإنما هى مراكز سكانية لها أنشطة مختلفة

(١) هيثم الكيلانى – المذهب العسكرى الإسرائيلى – مصدر سبق ذكره – ص ١٤٢ – ١٤٤ .



المناطق العسكرية الاسرائيلية

(شكل رقم ٣) المناطق العسكرية الإسرائيلية

- المصدر : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية – العسكرية الصهيونية – المجلد الأول – مؤسسة الأهرام – القاهرة سنة ١٩٧٢ ص ١٧٢

فى مجالات الزراعة والصناعة ، كما أن نظمها الاجتماعية تقوم على الحياة الجماعية ، وهى تهدف فى النهاية إلى ربط المهاجر اليهودى بالأرض هكذا يتضح : أن نظام الدفاع الإسرائيلى لا يعدو أن يكون مرحلة انتقالية للهجوم .

(ب) وسائل الهجوم :

تبنت إسرائيل مبدأ الهجوم ، على الدفاع ، وذلك لعدة أسباب :

١ ــ عدم قدرتها على الصمود أمام هجوم واسع النطاق لأسباب جغرافية وبشرية واقتصادية سبق تفصيلها .

٢ ــ تبنيها لمبدأ الهجوم خير وسيلة للدفاع ، وهو يعتمد على نقل مسرح العمليات قبل بدئها إلى أراضى العدو .

٣ ــ ليس هناك وسيلة تمكن إسرائيل من تحقيق أهدافها الاستراتيجية العليا إلا وسيلة الهجوم حتى تتمكن من التوسع ومفاجأة القوات العربية والقضاء عليها .

والهجوم – بذلك – وهو ما طبقته إسرائيل فى مختلف عملياتها العسكرية سواء أكانت عمليات انتقامية إرهابية ، أو عمليات واسعة النطاق أى تهدف إلى تحقيق هدف سياسى . فالأولى للردع النفسى والثانية لتحقيق التوسع والعمق الجغرافى . وقد استطاعت إسرائيل ، فى الفترة ما بين عام ١٩٥٦ – ١٩٦٧ ، أن تطور عقيدتها الهجومية . فيلاحظ مثلا أنها قبل عام ١٩٥٦ لم تكن قدرتها العسكرية قد وصلت إلى حد يسمح لها بأن تشن هى الهجوم بذاتها معتمدة على قواتها فقط ، بل كان عليها فى عدوان ١٩٥٦ أن تعتمد على التدخل المباشر الذى قامت به كل من فرنسا وبريطانيا . ومن الجدير بالملاحظة أن القيادة الإسرائيلية السياسية والعسكرية قد استفادت من هذه التجربة استفادة كبيرة وأعادت تنظيم قواتها بشكل يؤهلها من كسب الحرب إذا ما وقعت مع العرب بشكل حاسم بتوجيه الضربة الأولى . يؤكد ذلك المقارنة بين طبيعة العمليات العسكرية التى خاضتها عام ١٩٥٦ وتلك التى خاضتها عام ١٩٦٧ . فالأولى اقتصرت على مسرح العمليات العسكرية المتقدم فى سيناء فقط ولم تتعد قناة السويس مما أتاح الفرصة أمام القوات المصرية آنذاك أن تتمتع بحرية الحركة والاتصال مع قياداتها الخلفية بل والاحتفاظ بقوتها كاملة دون أن تعرضها للتدمير ومن ثم إمكانية الزج بها فى ميدان المعركة فى الوقت المناسب وفى الجهة الملائمة . ولقد حدث ذلك

بالفعل . فعندما هاجمت إسرائيل مناطق الحدود فى الكونتلا وأبو عجيلة والممرات فى ٢٩ أكتوبر عام ١٩٥٦ ، وعندما قدمت كل من فرنسا وبريطانيا إنذارهما إلى مصر صدرت الأوامر بسحب القوات المصرية التى كانت متوجهة لملاقاة القوات الإسرائيلية فى سيناء إلى مسرح العمليات الرئيسى الذى كان يشمل مدن القناة الثلاثة وهى : السويس والاسماعيلية وبورسعيد .

إذن لم تتمكن القوات الإسرائيلية من تحقيق الهدف العسكرى الذى وضع لها وهو تدمير قوة الجيش المصرى . وإذا ما ناقشنا ذلك على حرب ١٩٦٧ ، وعلى الرغم من أن إسرائيل خاضت الحرب بمفردها فقد تمكنت من تحقيق الأهداف التي وضعتها . فقد قامت فى البداية بتوجيه الضربة الرئيسية إلى وسائل الدفاع الجوى والمطارات والطائرات وتمكنت بذلك من حرمان القوات البرية المتقدمة فى سيناء من الحماية الجوية وهى وفقا لطبيعة مسرح العمليات فى سيناء تعتبر ضرورة لامندوحة عنها فى القتال . ثم تمكنت من عزل القوات المتقدمة فى سيناء عن قياداتها الخلفية ، وقطع جميع وسائل المواصلات والاتصالات بدرجة شلت حركة هذه القوات شللا تاما ، ومنعها من إعادة تنظيم نفسها بعد أن تلقت الضربة الأولى وأعقب ذلك على الفور تدمير القوات التى تواجدت فى سيناء سواء عن طريق الالتحام المباشر أو القصف الجوى .

من هذا يتضح مدى التطور الذى أصاب العقيدة الهجومية الإسرائيلية وحتى نقف على أسس ذلك لابد من أن نلقى الضوء على النواحى النظرية لتلك العقيدة . يقول فى ذلك هيثم الكيلانى :

« يعتبر المذهب العسكرى الإسرائيلى أن الهجوم غير المباشر هو مبدأ رئيسى من مبادىء الحرب كما يرى أنه الوسيلة الوحيدة لتحقيق الأهداف المرسومة لذا فإن إسرائيل تبنـى جميـع خططهـا علـى أسـاس هذا المبـدأ وترفض إتخاذ موقـف الدفـاع ذاتيـا . وإذا ما اضطرت إلى إتخاذ هذا الموقف فهى سرعان ما تنتقل إلى الهجوم ونقل المعركة إلى خارج أراضيها وقد تطبق خطة الدفاع فى بعض الجبهات لتثبيتها حتى تنهى عملياتها الهجومية فى الجبهة أو الجبهات الأخرى . وقد تتخذ أيضا موقفا دفاعيا خارج أراضيها للدفاع عن الأراضى المحتلة بغية توفير العمق الاستراتيجى المطلوب . وتنطلق إسرائيل – أساسا – فى تبنيها مبدأ الهجوم من نظرية « الحرب الشاملة » التى اقتبستها من القائد الألمانى « لودندورف » فقد لخص هذا القائد نظريته فى النقاط الخمس التالية :

١ ــ يمتد مسرح القتال ليغطى كل أراضى الأمم المتقاتلة .

٢ ــ تتطلب الحرب المساهمة الإيجابية فى المجهود الحربى من قبل جميع السكان ، فليست الجيوش بل الأمم هى التى تخوض غمار الحرب الشاملة ، ولهذا فإن تنفيذ واستكمال جميع مطالب الحرب يستلزم تكييف النظام الاقتصادى والسياسى مع أغراض الحرب .

٣ ــ اشتراك جماعات كبيرة فى الحرب يستلزم بذل جهود خاصة لتقوية معنويات المواطنين وإضعاف التماسك السياسى للعدو .

٤ ــ يجب أن يبدأ الاعداد للحرب الشاملة قبل بدء العمليات . ومن ثم فإن للعوامل العسكرية والاقتصادية والنفسية دورها الرئيسى فى إعداد المجتمع بكامله للحرب منذ وقت السلم .

٥ ــ لكى تتحقق الأهداف التى تبذل فى سبيلها الجهود يجب أن توجه الحرب الشاملة بسلطة عليا واحدة تتمثل فى القائد العام .

ولقد اقتبست إسرائيل مبدأ الهجوم والهجوم غير المباشر ، من تجارب الأمم ودراسة مفكرى هذه الأمم واستراتيجياتهم . فقد كان نابليون بونابرت صاحب المدرسة الكبرى فى الهجوم . وكان يتجنب الأساليب التقليدية المعروفة التى كان يتبعها بعض القادة لاحتلال موقع أو موقعين ، أو منطقة صغيرة على الحدود لقد تحقق نابليون من أن أول السبل للحصول على نتائج كبيرة هو أن يحشد كل جهوده للهجوم وتمزيق جيش العدو وسحقه واثقا من أن الولايات والدول ستسقط وحدها عندما لا تتوافر لها القوات التى تدافع عنها . وكان الجنرال السويسرى « جومينى »[1] يلح على مبدأ الهجوم حتى – لو اضطر القائد – تبعا للاعتبارات السياسية أو غيرها إلى إتخاذ موقف دفاعى . وقد سمى (جومينى) هذا الموقف الاضطرارى الهجوم الدفاعى وهو احتلال موقع بواسطة إغارات مستمرة وهجمات مخادعة ، وغير هذا من الوسائل الضرورية للحيلولة دون ما تسببه حرب المواقع الدفاعية من إجهاد عقلى وركود معنوى ولم يكن بين كتاب العصر الحديث من كان أكثر إصرارا من « جومينى » فى إبراز ضعف الأثر المعنوى

(١) الجنرال انطوان هنرى جومينى (١٧٧٩ - ١٨٦٩) مفكر عسكرى سويسرى يعتبر من أشهر دارسى نابليون ومحللى استراتيجيته وتكتيكه . وقد استفاد من حروب نابليون ليضع نظريته فى الهجوم .

لخطوط التحصينات وذلك في حديثه عن المشاعر الوهمية التى تخلقها هذه الخطوط ، إذ قال :

« إن البقاء فى موقع دفاعى قوى إنتظارا لهجوم العدو دون ما غرض آخر غير هذا البقاء لهو أسوأ خطأ يمكن أن يرتكبه قائد عسكرى » .

وكان « جومينى » يتمثل بالقائد القرطاجى « هانيبال » الذى أفنى عام ٢١٦ ق . م جيشا رومانيا يفوق جيشه عددا نتيجة لتقبله بشجاعة فى معركة « كانى » المشهورة أن يواجه هزيمة موقوته فى الوسط ليكون فى قوة تكفى لأن يدمر جناحى العدو ويحدق بقواته عليهما . وقد رأى عدد من المؤرخين العسكريين أن جميع كبار القادة فى التاريخ قد استهدفوا القيام بصورة مماثلة لما حدث فى « كانى » . وكان « فريدريك الأكبر »(١) . يتمسك بالاستراتيجية الهجومية فى الميدان لأنها فى النهاية تسمح بطلاقة أكثر فى الابتكار والمبادرة ، ولكنه كان يحارب راضيا ، عندما يكون أقل قوة من عدوه ، أو عندما يتوقع أن يكسب نفعا بعامل الوقت . ولكنه كان يستخدم الدفاع الايجابى الذى يمكنه فى الوقت المناسب من حرية اقتحام مواقع العدو ودحر قواته . وكان يقول : يخدع القائد نفسه عندما يفكر فى أنه يستطيع إدارة حرب دفاعية ويبقى سلبيا طوال الحملة دون أن ينتفع بقوى المبادرة والابتكار . إن مثل هذا الدفاع ينتهى دائما بأن يزاح جيشه عن الأرض التى قصد أن يحميها ، وكان الاستراتيجى السوفييتى « فرونزى »(٢) يعتقد بأن للصراع المسلح – بغض النظر عن التناقضات الظاهرة – قوانينه الموضوعية الذاتية التى يعتبر كشفها من أهم واجبات العلم العسكرى . وقد حدد « فرونزى » فى مؤلفاته العلاقة والصلة المتبادلة بين الهجوم والدفاع ، وبين الشكل المتحرك والثابت للمعركة ، بين دور النار والمناورة والصدمة فيها . كما تضمنت هذه المؤلفات أسس استخدام مختلف أنواع الأعمال القتالية بما يتفق مع الموقف . ويعتبر « فرونزى » الهجوم ، النوع الرئيسى لقتال الجيش السوفييتى ، مؤكدا أن الانتصار سيكون إلى جانب الطرف المصمم على الهجوم وأن مصير الطرف المدافع سيكون الهزيمة والخسران . وقال فرونزى : « لقد كان

---

(١) فريدريك الأكبر – ١٧١٢ – ١٧٨٦ – ملك بروسيا ، قاد الجيوش الألمانية فى غزواته الموفقة فى أوروبا .

(*) ميخائيل فرونزى (١٨٨٥ – ١٩٢٥) سياسى استراتيجى ومفكر عسكرى سوفييتى . كان أحد منشئى الجيش الأحمر ومنظميه ، وقاده خلال الفترة ١٩١٩ – ١٩٢٠ . وتحمل اسمه الأكاديمية السوفيتية . (الكيلانى – مصدر سابق – ص ١٩٩) .

تكتيك الجيش السوفييتي ، وسيبقى» مشبعا بالفاعلية والجرأة ومتصفا بالروح الهجومية بما يتفق فى نفس الوقت مع متطلبات الحرب . وكان « فرونزى » عند تحدثه عن مطالب فن الحرب ، يؤكد أن الهجوم يقدم للمهاجم عددا من المزايا العسكرية الخالصة وأهمها . الحصول على المبادرة وتحقيق المفاجأة وتدمير إرادة العدو وغير ذلك من المزايا »[1] .

وقد قامت القيادة الإسرائيلية بالأخذ بهذه المبادىء الهجومية ومن الناحية التطبيقية — أثناء تنفيذ العمليات . أخذت بأسلوب الهجوم غير المباشر الذى يقضى بعدم التعرض للقوات المعادية على خط جبهوى بل الالتفاف حولها وعزلها فمثلا فى حرب عام ١٩٥٦ قامت بإنزال قوات مظلية خلف الخطوط المصرية فى منطقة نخل وممرات متلا . وكانت الغاية من هذه العملية :

١ ـــ إشعار القوات المتواجدة فى الجبهة أن العدو قد تمكن من احتلال المواقع الخلفية لها ويهدد خطوط إمدادها واتصالاتها بقيادتها .

٢ ـــ التصدى لأى إمدادات قادمة لمساعدة قوات الجبهة والاشتباك معها ومنعها من تنفيذ المهام التى أوكلت إليها .

٣ ـــ القيام بعملية تخريب فى خطوط المواصلات وعزل القيادات بعضها عن بعض .

أما التكتيك الثانى فتقوم به القوات المتقدمة بواسطة التقدم على محاور متوازية تقوم فيها بحركات التفافية حول مواقع العدو .

ولقد طبقت نفس الأسلوب فى حرب ١٩٦٧ ولكنها استبدلت عملية إنزال المظليين خلف القوات المتقدمة بضرب المطارات وتدمير القوات الجوية وبذلك تركت القوات مكشوفة لطيرانها . وكان ذلك مقصودا لتحقيق الهدف العسكرى الأول من الحرب وهو تدمير القوات المسلحة المصرية .

ولقد تمكنت القيادة العسكرية الإسرائيلية — كما تبين — من اختيار وسائل الدفاع والهجوم الملائمة كى تحقق أهداف استراتيجيتها العليا والعسكرية معا وتجنبت كل الأخطاء التى وقعت فيها الدول التى خاضت حروبا متعددة فلم تلجأ إلى اعتماد نظام

---

(١) هيثم الكيلانى ، مصدر سابق — ص ٤٩٦ — ٤٩٩ .

الدفاع الثابت بمعنى أنها لم تقم خط دفاع حول حدودها محصن كما فعلت فرنسا عندما أقامت خط ماجينو . وفى نفس الوقت لم تأخذ بمبدأ الهجوم الكاسح وإنما أخذت بمبدأ الهجوم المخطط ذى المراحل المتتابعة ، فكلما انتهت من مرحلة انتقلت إلى مرحلة أخرى حتى لا تتعرض للانهيار إذا ما فشلت إحدى هذه المراحل . وسوف نتعرض لذلك بالتفصيل عند شرح نماذج حروبها الوقائية .

٣ ــ علاقات الصراع بين العرب وإسرائيل :

منذ أن نشأت الحركة الصهيونية العالمية ، أعلنت أن هدفها هو إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، بدأت علاقات الصراع بين العرب واليهود تأخذ أبعادا متعددة . وكان واضحا أن المنطقة الجغرافية ، كما أنها ذات مكانة دينية ومن يسيطر عليها يستطيع استراتيجية من الناحية الجغرافية ، كما أنها ذات مكانة دينية ومن يسيطر عليها يستطيع أن يفصل الأقطار العربية فى آسيا عن الأقطار العربية فى أفريقيا . كما يستطيع أن يسيطر على شبكات المواصلات البرية والجوية بين آسيا وأوربا وأفريقيا . وقد أوضح حاييم وايزمان عندما سئل عما تعنيه الصهيونية بالوطن القومى قائلا : « إننا نريد أن تكون فلسطين يهودية كما أن انجلترا إنجليزية وفرنسا فرنسية »(١) .

من هذه المنطلقات الأساسية نشأ التعارض والصراع بين الحقوق القومية العربية وبين أهداف وأطماع الصهيونية العالمية . ومنذ البداية لم تتوفر قنوات الاتصال والتفاهم بين الطرفين . فما من أحد يقبل أن يتنازل عن حقه فى وطنه وتقرير مصيره عليه . هذا فضلا عن أن فلسطين ليس كغيرها من الأرض ، وسكانها من العرب ، وهى جزء من وطن عربى . بمعنى أنه لم تكن المشكلة منذ نشأتها مشكلة فلسطينية فقط بل قضية قومية عربية . ولنا فى ذلك مثال فيما جرى أبان الحروب الصليبية(*) .

فلم تتوقف الأمة العربية أثناء تلك الغزوات عن استخدام كافة أساليب العمل من أجل إعادة الأوضاع فى المنطقة منسجمة مع طبيعتها وحقيقتها ولم تقبل الإرادة العربية أن

---

(١) Waizmann, OP. Cit. P. 244.

(*) من الجدير بالملاحظة أن القوة العربية التى مهدت للقضاء على الصليبيين ظهرت فى ولاية الموصل بقيادة أميرها عماد الدين زنكى وانطلقت بمفاهيمها الإسلامية لتجمع الطاقات العربية فى المشرق العربى أولا فتوحد بين ولايتى حلب ودمشق ، ثم انتقلت لتضم مصر إليها بقيادة صلاح الدين الأيوبى نفسه .

يقوم على أى جزء من كيانها ووطنها جسم غريب ، وأن الإشارة لهذا النموذج التاريخى للصراع ضرورى لتفسير الموقف العربى . فلا يمكن أن يكون شخصيا ، أو تابعا لنظام سياسى معين أو لرأى فئة محددة ولكنه ضرورة استراتيجية للمحافظة على وحدة المنطقة العربية جغرافيا وحضاريا بحيث تكتمل فيها مقومات ما يعرف الآن فى قاموس السياسة والفكر العسكرى بالأمن القومى . وعليه فلا يمكن أبدا أن تتحقق فروض هذا الأمن فى حالة سيطرة قوة أجنبية على هذا الجسر الجغرافى الذى يربط جنوب العالم العربى بشماله ويهدد أى دولة عربية سواء أكانت محيطة به أم بعيدة عنه .

ما نريد أن نستخلصه من هذا النموذج التاريخى أن الارادة العربية – بعد مرور ما يقرب من قرنين من الزمان – رفضت منطق تجزئة الأمن القومى العربى . هكذا تتضح أبعاد الصراع بين الكيان الصهيونى والوجود العربى . ومن هذه الفروض أصبح من الاستحالة الوصول إلى حل يحقق لكلا الطرفين مطامحه القومية وكان لذلك أثره الواضح فى تحديد أهداف الاستراتيجية السياسية والعسكرية الإسرائيلية .. واستمرت العلاقات حروبا متواصلة . يقول « مكسيم رودنسون » :

« إن السبب العميق للنزاع هو أن شعبا جديدا قد أقام فوق أرض احتلها ولم يقبل الشعب الأصلى بهذا الاحتلال . إن هذا واقع بديهى لاسبيل إلى الشك فيه . وقد يجد بعض الناس تبريرا كليا أو جزئيا لهذا الاختلال إلا أنه لا سبيل إلى نكرانه .. فالأمر أمر شعب جديد مختلف كل الاختلاف عن الشعب الأصلى . وهكذا يبدو لنا أن النزاع فى جوهرة نضال يقوم به السكان الأصليون ضد احتلال الأجانب لجزء من أرض وطنهم . وطبيعى أن ثمة عوامل كثيرة أخرى فى هذا النزاع ، إلا أن هذا العامل أكثر بروزا وعمقا . يبقى إذن وصف النزاع بأنه نضال ضد احتلال أجنبى غير مقبول ، هو الوصف الوحيد الصحيح الذى يفسر لنا آلية تطور النزاع . لقد رفض العرب فى جميع مراحل النزاع قبول الأمر الواقع الذى تم على حسابهم ، بدون موافقتهم ، وبفضل القوة الإسرائيلية ودعم العالم الأوربى – الأمريكى لإسرائيل »[1] .

يوضح ذلك الدكتور محمد فاروق الهيثمى فيقول : « لقد كان فى طريقة إنشاء

---

(١) الدكتور محمد فاروق الهيثمى – فى الاستراتيجية الاسرائيلية – مركز الأبحاث – بيروت – سنة ١٩٦٨ – ص ٧٧

إسرائيل – بالوضع الشاذ الذى قامت به – كل العوامل التى تهدد بفنائها . ولذلك عدة أسباب أهمها :

أولا – إسرائيل دولة اصطناعية لا تمتد لها فى البيئة التى قامت فيها جذور قوية تربطها بها . لذلك فقد كان تكوين الدولة يستند إلى نجاح عمليات واسعة النطاق لإرهاب وطرد أهل البلاد الأصليين .

ثانيا – أن اختيار الموقع الجغرافى للوطن اليهودى لم يكن موفقا من أصله . فقد اختارت الحركة الصهيونية موقعا لإقامة الدولة اليهودية على مساحة تشكل قلب بلاد تكون على الأقل وحدة قومية وتاريخية . وترتب على ذلك إنشاء إسرائيل فى ذلك الموقع ، الذى كان نفسه عملا عدوانيا بالنسبة للبلاد المجاورة[1] .

وقد أكد ذلك بن جوريون عندما قال : « إن مشكلة أمن إسرائيل تختلف كل الاختلاف عنها فى أى بلد آخر . إنها ليست مشكلة حدود أو سيادة بل تتناول البقاء على قيد الحياة بالمعنى الحرفى لهذه العبارة ليس من قبيل المبالغة القول بأن بقاء يهود العالم يعتمد على بقاء إسرائيل ويقوم عليه ، إن مشكلة أمن إسرائيل تعادل بالتالى مشكلة بقاء الشعب اليهودى بأكمله . إن إسرائيل لا يمكن أن توافق على إعادة أى جزء من فلسطين للعرب . فالمشكلة الفلسطينية لا يمكن أن تحل إلا بالحرب . وخلال الحرب سيتقرر مصير إسرائيل كدولة فإما أن تزول وما أن تبقى ولكى ننتصر بالحروب يجب أن نتفوق على البلاد العربية تفوقا عسكريا ساحقا »[2] .

« إن مشكلة إسرائيل الرئيسية هى تأمين كيانها من خلال استعمال أساليب العنف والقوة العسكرية وقد رأت إسرائيل فى ذلك الأسلوب السبيل الوحيد المفتوح أمامها فى الدفاع عن بقائها وفرض وجودها وسط العالم العربى »[3] .

« إن مشكلة إسرائيل المفروضة قسرا على عالم عربى يرفض قبولها فى وسطه هى مشكلة ، تكون أو لا تكون ، توجد أو لا توجد ، تبقى أو لا تبقى . ومن هنا فإن الأمن هو محور التفكير الإسرائيلى كله ، والرد المنطقى ، على احتياج الأمن ، هو توفير

---

(١) د . محمد فاروق الهيثمى – المصدر السابق – ص ٧٧ – ٧٨ .

(٢) The Israel Government Year Book 1950. Tel Aviv: Israel Publication Ltd, P. 4o.

(٣) د . محمد فاروق الهيثمى – مصدر سابق – ص ٨٠ – ٨١ .

القوة خصوصا فى جانبها العسكرى . كما أن هذه القوة بالنسبة لحجم التحدى العربى لابد من أن تكون قوة غالبة »(١) .

ولهذا التصادم المصيرى بين الوجود العربى والإسرائيلى بعده التاريخى يوضح ذلك جانيس تيرى بقوله :

« لقد أرست المواقف الصهيونية الباكرة من العرب النمط الايديولوجى للسياسة الاسرائيلية . فالزعماء الصهيونيون الأوائل روجوا للنظرية القائلة بأن فلسطين والشرق الأوسط تؤلفان منطقة متخلفة حضاريا وتضمان قله من المؤسسات الاجتماعية ذات المعالم الواضحة والصفات الرسمية . فقد أكد الزعماء الصهيونيون على إنشاء دولة يهودية بفلسطين يتزعمها اليهود الأوربيون ويشيدون صرحها ، ليس من شأنه فحسب أن يخفف من وطأة مشكلة العداء للسامية التى يرجع عهدها إلى قرون طويلة فى أوربا بل سوف ينفخ حياة جديدة فى جسم الشرق الأوسط ... جرى التصريح عن الأهداف الإقليمية الصهيونية فى وقت مبكر . وتمشيا مع الرؤيا الصهيونية تم بصورة منتظمة توسيع حدود دولة إسرائيل بحيث تشمل فى نطاقها معظم الرقعة المنشودة أصلا بالإضافة إلى مناطق أخرى فى سيناء اعتبروها ضرورية للحفاظ على حدود يمكن الدفاع عنها . فالمشروع الصهيونى عام ١٩١٩ ضم أراضى تمتد رقعتها من الجزء الشرقى فى سيناء إلى مدينة صيدا فى لبنان الجنوبى ، وإلى القسم الجنوبى من سوريا ، ومن البحر الأبيض المتوسط إلى نقطة تقع غربى عمان تماما . قليلون من بين الصهيونيين الأوائل هم الذين اعتقدوا بأن الدولة المقترحة أو سكانها اليهود سوف يصبحون جزءا لا يتجزأ من المنطقة . فشدد وايزمان على أن « اليهود الذين ذهبوا إلى فلسطين ذهبوا لتشكيل أمة يهودية وليس لكى يتحولوا إلى عرب أو دروز أو إنجليز » . وترددت أصداء هذا القول على لسان ، بن جوريون عندما صرح بأن اليهودى الشرقى يجب إكسابه المزايا والخصال الأخلاقية والفكرية المتفوقة التى تحلى بها الذين خلقوا الدولة »(٢) .

والتعارض فى الأهداف ينبنى على الغاية الحقيقية من إقامة إسرائيل كجسم غريب فى

---

(١) محمد حسنين هيكل – التفكير العسكرى الاسرائيلى الآن – جريدة الأهرام – العدد ٢٩٨٢٧ – ٩ – ٨ – ١٩٦٨ .

(٢) جانيس تيرى – سياسة إسرائيل تجاه الدول العربية – تهويد فلسطين – اعداد : الدكتور ابراهيم أبولغد ترجمة : الدكتور أسعد رزوق – مركز الأبحاث – سنة ١٩٧٢ – ص ٣٥٦ – ٣٥٧ .

هذه المنطقة الحساسة من الوطن العربى وهى وضع حاجز طبيعى يؤدى إلى منع قيام الظروف الموضوعية التى تساعد على قيام الوحدة العربية(١) .

يقول شمعون بيريز فى بيان أبعاد الصراع « لقد رزحت على القدر اليهودى صفة خاصة إضافية « هى هذه المصادفة التعيسة بين انبعاث اليهود وانبعاث العرب . بعد الحرب العالمية الأولى ، وحتى عشية الحرب العالمية الثانية ، كان الأمل بإقامة الحوار بيننا وبين العرب مازال واردا . وكان البروفسور حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية ، عشية معاهدة فرساى على صلة وثيقة بالأمير فيصل الممثل الأول للحركة الوطنية العربية ، وكان واضحا من المواضيع التى تبادلا الرأى حولها ، والاتفاق الذى وقعه كلاهما ، أن ليس هناك أيه حتمية تاريخية تفرض أن يتحول لقاء الحركتين الوطنيتين هاتين إلى اصطدام مباشر . إلا أن ردود فعل العرب العنيفة وميولهم إلى سحق مختلف الأقليات الوطنية .. جعلت جميع هذه المحاولات تذهب أدراج الرياح .. وقد تكون ردود الفعل العنيفة هذه ، النتيجة الحتمية لحركة النهضة فى البلاد العربية . هذه الدول نفسها تنادى علنا بأنها تنوى إبادة دولة بكاملها هى دولة إسرائيل . وهى تنادى بذلك دون لبس أو غموض . كما أنها تستعد لذلك ولا تدع أى شك حول الصيغة النهائية للأهداف السياسية التى تتبعها . وليست القضية هنا قضية مشروع محدود . كما أن هذه الدول لا تسعى للاستفادة من مكاسب سياسية أو اقتصادية – كالحصول على قسم من الأراضى ، أو اكتساب حقوق على قسم من نهر ، أو تغيير نظام أو القيام بتوجيه سياسى . بل أنها تهدف إلى مشروع جذرى – هو القضاء نهائيا على شعب وعلى دولة . إن موقفا كهذا الذى تقفه الدول العربية ينتهى إلى تحويل الخلاف السياسى العربى – الإسرائيلى إلى خلاف ذى طبيعة تكاد تكون بيولوجية »(٢) .

هذا التفسير الذى يقدمه بيريز للصراع على أنه مصيرى لا يقبل التنازل أو المساومة . فالعرب يرفضون التنازل عن جزء من أراضيهم ولا يفرطون فى حقوقهم المشروعة فى الأرض التى عاشت عليها أجيالهم منذ قرون ، هذا فضلا عن أنها جزء من أرض عربية ممتدة لا تتجزأ والاسرائيليون لا يقبلون التراجع عن وجود دولة أقاموها .

---

(١) انظر هيثم الكيلانى – مصدر سابق – ص ٤٠٩ وما بعدها .

(٢) شمعون بيريز – يوم قريب ويوم بعيد – من الفكر الصهيونى المعاصر – مركز الأبحاث – بيروت – سنة ١٩٦٨ – ص ١٤١ – ١٤٢ .

إذن هناك تصادم كلى وليس جزئى ، أى أنه تصادم بين وجودين متناقضين وكان من نتيجة ذلك أن استمرت دورات الصراع طيلة ربع قرن مضى تدور فى ميادين القتال . ولم تتمكن المحاولات التى بذلت من قبل الأمم المتحدة ، أو من قبل دول كبرى ، أن تجد صيغة ما ، يمكن للطرفين أن يتوصلا من خلالها إلى حل معقول . وهذا يؤكد نظرية وحدة فرضيات الصراع ، هذه الوحدة التى لا يمكن الفصل بينها ، فسيؤدى الاعتراف بحق إسرائيل على أى جزء من الأرض العربية إلى الاعتراف بها على الأرض التى تتصور أنها تملك الحق التاريخى فيها ، ليس ذلك فحسب ، بل أن الاعتراف بإسرائيل يعنى الاعتراف بعدم شرعية الوجود العربى فى فلسطين وبالتالى الإقرار بعدم شرعية الوجود العربى ككل على الأرض العربية .

إذن الصراع بهذه الصورة فرض على الطرفين أدوات معينة للتعامل . من هذه الأدوات الأداة العسكرية للوصول إلى أهدافهما ، وفقا للاستراتيجيات المتعارضة . ونجد أن إسرائيل قد عمدت دوما إلى وسائل الهجوم لحسم الصراع وقهر إرادة العرب فى تحرير أراضيهم وتحقيق أطماعها التوسعية وحرمان الشعب الفلسطينى من حقوقه .

وكما تبين ، فقد أوضح دافيد بن جوريون ، أن الحرب هى الوسيلة الوحيدة لحسم هذا الصراع وأن تفوق إسرائيل وقوتها هما الكفيلان بإقناع العرب بعدم القضاء عليها . وسوف يتضح فيما يلى مدى أخذ الإسرائيليين بهذه النظرية .

هكذا يتضح لنا مما تقدم أنه منذ أن تمكنت الحركة الصهيونية العالمية بمساعدة الدول الاستعمارية فى إقامة كيانها الدخيل على جزء من أرض فلسطين عام ١٩٤٨ ، وتوسيع الرقعة الجغرافية لاحتلالها عقب حرب ٥ حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧ ، منذ ذلك التاريخ وأبعاد الصراع تزداد شمولا وعمقا رغم كل المحاولات التى تهدف إلى حصره وتحديده تحت أسماء لامعة ومصطلحات دولية لاتمت إلى الحقيقة بصلة . فهو لا يمكن أن يكون صراعا إقليميا بين أطراف منطقة واحدة . كما أنه ليس صراعا محددا يمكن حله بطريقة تقليدية سواء أكانت مؤتمر سلام أم قرارات أمم متحدة ، ولكنه فى حقيقته صراع حضارى معقد ، وقد أثبتت حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ذلك ، فالعدو الصهيونى يرفض المنطق الشرعى لتحرير الأراضى العربية المحتلة ، ويصر على أفكاره التوسعية هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، يرفض الاعتراف بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره على ترابه الوطنى . وهذا يخفى خلفه منطقا صهيونيا توسعيا لا يقدر على التواؤم مع الفكر الدولى المعاصر إلا من خلال استغلال العقد والمصالح .

لذلك تصبح مسئولية العقل العربى المعاصر ممثلا فى المثقفين والمفكرين أن يبنى مناهج تفكيره على أسس سليمة ورؤية واضحة للأمور حتى لا يقع فريسة للسراب الفكرى والخداع الدبلوماسى . فالمسئولية الآن مسئولية الجميع وواجب الجميع والقيام بها ضرورة لامندوحة عنها وإلا تكرر الخطأ الاستراتيجى الذى وقعت فيه الأمة العربية أكثر من مرة فى تاريخها .

إن الصراع العربى – الإسرائيلى ليس صراعا محدودا ، كما تحاول أجهزة الأعلام الصهيونية والتابعة لها أن تصوره ، حتى تنتزع صك شرعية الكيان الصهيونى من أصحاب الحق الشرعيين أنفسهم ، وفى نفس الوقت تضغط على العالم العربى كى يبارك هذه الشرعية ويعترف بها ويقر بانتماء الكيان الصهيونى إلى هذه المنطقة وينتزع منها شرعيتها العربية التى دامت وتوالت قرونا عديدة قبل الإسلام وبعد الإسلام أيضا .

إذن الصراع معقد ومتعدد الجوانب والجبهات ، هو تاريخى ومصيرى فى آن واحد . وهو جزء من صراع الأمة العربية مع القوى الاستعمارية العالمية التى تحاول منع الأمة العربية من الوصول إلى غايتها النهائية فى الوحدة والتقدم والتحرير . كما أنه جزء من الصراع داخل القوى السياسية فى الأمة ذاتها التى لم تتمكن بعد من بلورة فكرها ومواقفها كى تعبر عن وحدة المصير والوجود وتتخلص من أمراض التفسير المحدود للمواقف المصيرية .

هذا بالإضافة إلى أنه قبل ذلك كله يعتبر مرحلة من مراحل صراع الأمة العربية مع التخلف ورواسبه ومظاهره منذ الحكم التركى والاستعمار البريطانى والفرنسى . وأخيرا فالصراع مع العدو الصهيونى والذين يساندونه يدور فى جوهره حول مقومات الوجود العربى وهى :

١ – وحدة الأمة العربية مصيريا وتاريخيا .

٢ – وحدة التراب العربى جغرافيا وقوميا .

٣ – وحدة الحضارة العربية وأصالتها فى التعبير عن وحدة الوجود العربى فى النهاية .

هذه المقومات الثلاثة التى يدور حولها الصراع ، تمثل حقيقة تاريخية واحدة ، وهى الوجود العربى . وهذه العوامل تعطيه مفهوم الصراع الحضارى الذى يشجب كل ما سواه من أنواع النزاعات البسيطة فى الشكل والمضمون معا . هذا بالإضافة إلى كونه أعمق منها جذورا ، وأبعد عبر الزمن آثارا .

فالصراع الحضارى بإيجاز . هو صراع الأجدر بالبقاء ، وذلك أنه يمثل نظام الحياة ، الذى يتناول بدوره المفاهيم ، والقيم ، والعقائد ، والنظم فى أية أمة من الأمم . يتبين أنه صراع حضارى لما يأتى :

١ ــ هو صراع ايديولوجى يتناول الفكر والنظم والقيم فى المجتمع العربى ، ومجتمع المستوطنين الصهاينة . فأى من المتغيرات المذكورة أقوى وأجدر يستطيع أن يحقق وجوده على حساب وجود الخصم المواجه له .

٢ ــ هو صراع سكانى يتناول شرعية وجود السكان على الجزء المحتل من الأراضى العربية منذ عام ١٩٤٨ وكذلك الأجزاء التى احتلت بعد حرب ٥ حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧ وحقهم فى تقرير مصيرهم .

٣ ــ وفى النهاية هو صراع مصيرى يتعدى مفهوم فرض السيطرة والنفوذ أو الاستغلال ، فحسب ، بل ويرمى إلى إحلال مجتمع مستوطن مهاجر محل وجود عربى قائم .

هذه حقائق موضوعية قائمة ، وحوادث تاريخية ثبتت صحتها ، حاولنا أن نقدمها للإنسان العربى كى تتضح له حقيقة الصراع القائم والمستمر . وحتى يصل المنطق العلمى المحايد إلى الحكم الصحيح والنتائج المتوقعة لكل خطوة قادمة سواء أكانت حربا أم سلاما[1] .

انظر الجدول ا ، ب التاليان اللذان يبينان عوامل تحديد السياسة العسكرية لإسرائيل

---

(١) بكر مصابح تنيره – أبعاد الصراع العربى الأسرائيلى واحتمالاته – مجلة صوت فلسطين – العدد : ٨٧ – دمشق – نيسان سنة ١٩٧٥ ص ٤٢ – ٤٤ .

العوامل السياسية والاقتصادية

الجدول (ا)

العوامل	اعتبارات فى السياسة العسكرية	أساليب التطبيق
الالتزام بسياسة العنف لتأمين كيان الدولة .	١ – المحافظة على ميزان القوة العسكرية فى صالح إسرائيل	(ا) الحصول على معلومات دقيقة عن قوة العرب العسكرية (ب) عمليات عسكرية لإضعاف العرب فى حالة اختلال ميزان القوة (الحرب الوقائية) . (جـ) الحصول على مساعدات عسكرية ضخمة من الخارج .
	٢ – ضرورة تبرير السياسة العدوانية أمام الرأى العام العالمى .	(ا) الاختلاق أو المبالغة فى حوادث الحدود (ب) تصوير العرب فى صورة البادىء بالعدوان ، وإسرائيل كدولة مسالمة .
الأغراض التوسعية الاستعمارية	١ – صعوبة تحقيق الأغراض التوسعية دفعة واحدة	(ا) المرحلية فى تحديد أهداف السياسة العسكرية

العوامل	اعتبارات فى السياسة العسكرية	أساليب التطبيق
وضع إسرائيل فى المنطقة كدولة دخيلة وسط أعداد أكبر منها عددا وأكثر مواردا	١ – الحاجة إلى معلومات دقيقة عن كل ما يدور فى البلاد العربية .	(ا) جهاز مخابرات واسع النشاط . (ب) شبكة جاسوسية داخل البلاد العربية . (جـ) تبادل المعلومات مع أجهزة مخابرات الدول الأخرى .
	٢ – صعوبة الدفاع فى حالة هجوم عربى شامل من جميع الجهات .	(ا) مبدأ الحرب الوقائية . (ب) مفاجأة العرب بالهجوم قبل استكمال استعداداتهم . (جـ) التركيز فى الدفاع أو الهجوم على جبهة واحدة مع تأمين الجبهات الأخرى . (د) الاعتماد على سرعة الحركة فى نقل القوات من جبهة إلى أخرى .
	٣ – ضرورة الحصول على التعضيد السياسى والعسكرى من الدول الموالية قبل الدخول فى الحرب . ٤ – الحاجة إلى المحافظة على معنويات الشعب من التدهور .	١ – ممارسة الضغوط السياسية (ب) تهييج الرأى العام . (جـ) اتفاقات سرية . (ا) عمليات عسكرية شاملة على فترات لاثبات تفوقها العسكرية (ب) غارات إرهابية متكررة على السكان العرب لقرى – الحدود

	العوامل	اعتبارات فى السياسة العسكرية	أساليب التطبيق
العوامل السياسية	دولة ذات موارد محدودة .	١ – صعوبة الاستمرار فى حرب طويلة الأمد .	(ا) تبنى استراتيجية الحرب الخاطفة . (ب) الاعتماد على التدخل الخارجى لوقف الاشتباكات
		٢ – ضآلة حجم الامكانيات المخصصة للدفاع .	(ا) تطوير الموارد الموجودة إلى أقصى درجة . (ب) التركيز على الصناعات الحربية والمساعدة . (جـ) الاعتماد على المعونات الخارجية .
العوامل الاقتصادية	مستلزمات ميزانية الدفاع	١ – احتياجات مالية ضخمة للدفاع لا تتناسب مع الدخل القومى للدولة .	(ا) الاعتماد على المعونات العسكرية والمالية ، والخارجية (ب) الاستعاضة عن الكمية بالنوعية فى التسليح . (جـ) التخطيط العلمى الدقيق للعمليات العسكرية لاستخدام الطاقة القصوى للعتاد . (د) التعاون الوثيق مع الدول المساندة فى تطوير الأسلحة غير التقليدية .
	موارد بشرية محدودة بالنسبة للدول العربية .	١ – استحالة الاعتماد على التفوق العددى للقوات المسلحة .	١ – الاعتماد على النوعية بالتدريب المستمر لرفع مستوى كفاءة القوات المقاتلة .

تابع العوامل الاقتصادية

العوامل	اعتبارات فى السياسة العسكرية	أساليب التطبيق
	٢ – استحالة التوفيق بين احتياجات التنمية الاقتصادية ومتطلبات الدفاع من القوى البشرية	(ا) الاحتفاظ بقوات نظامية صغيرة وقت السلم . (ب) إعداد قوات احتياطية ضخمة يتم استدعاؤها وقت الحرب . (جـ) تطوير نظام سريع ودقيق للتعبئة العامة .

العوامل الجغرافية

الجدول (ب)

العوامل	اعتبارات فى السياسة العسكرية	أساليب التطبيق
المساحة الضيقة	١ – الافتقار إلى العمق الاستراتيجى للمناورة بالقوات المدافعة .	(ا) بناء شبكة مواصلات جيدة تكفل سرعة تنقل القوات . (ب) نقل المعركة بسرعة إلى أرض العدو .
	٢ – خطورة عامل الزمن فى حالة هجوم مفاجىء	(ا) الاحتفاظ بمبدأ المبادأة . (ب) الاعتماد الكامل على الطيران ومستعمرات الحدود فى صد الهجوم . (جـ) التعبئة السريعة لقوات الاحتياط .
	٣ – سهولة فصل أجزاء الدولة فى حالة الهجوم المركز .	(ا) عدم السماح للقوات المهاجمة بالاختراق . (ب) تنظيم المستعمرات فى شكل قلاع دفاعية مستقلة .
حدود طويلة وغير طبيعية .	١ – صعوبة الدفاع عن الخطوط الأمامية .	(ا) مستعمرات دفاعية للحدود . (ب) قوات خفيفة الحركة لحراسة الحدود . (جـ) الوصول بسرعة إلى حدود طبيعية يسهل الدفاع عنها .

العوامل	اعتبارات فى السياسة العسكرية	أساليب التطبيق
تجمع السكان والصناعة فى مراكز محدودة .	١ - صعوبة الدفاع عن المدن ومناطق الصناعة فى حالة هجوم جوى مركز .	(ا) شبكات دفاع جوى قوية . (ب) الالتزام بسياسة الحرب الوقائية (جـ) نقل المعركة بعيدا إلى أرض العدو . (د) تدمير سلاح طيران الدول المعادية .
طبيعة الأرض الصحراوية للمعـــارك .	١ - صعوبة الدفاع عن مواقع ثابتة مكشوفة .	(ا) اتباع استراتيجية وتكتيكات الدفاع الهجومى . (ب) الاعتماد على الطيران فى تدمير القوات المهاجمة .
	٢ - سهولة تعرض القوات المهاجمة نهارا للتدمير من الجـــو .	(ا) الاعتماد على سرعة وخفة الحركة باستخدام القوات المدرعة والميكانيكية المتحركة . (ب) إعداد وتدريب القوات المقاتلة على تكتيكات الاشتباكات الليلية .
	٣ - سهولة قطـع خطوط الامدادات والاتصالات .	(ا) التركيز على المرونة واللامركزية فى قيادة العمليات (ب) الاعتماد على عمليات الالتفاف السريعة وإنزال المظليين خلف دفاعات العـدو لقطـع خطوط امداداتـه واتصالاته وعزلها عن بقية القوات[١] .

(١) الدكتور محمد عروف الهيتمى تخطيط سياسة إسرائيل العسكرية مجلة السياسة الدولية - العدد ١٣ - القاهرة - تموز (يوليو) ١٩٦٨ ص ١١٦ - ١١٧ .

الفصل الرابع

الحرب الوقائية فى الفكر العسكرى الإسرائيلى

الفكر العسكرى الإسرائيلى يستمد أصوله من مصادر مختلفة ، بعضها نظرى ، وبعضها واقعى ، ويمكن تحديد هذه المصادر بما يأتى :

١ – الايديولوجية الصهيونية التى تبنت فكرة إقامة دولة يهودية فى فلسطين .

٢ – أهداف إسرائيل التى سعت إلى تحقيقها فى المنطقة العربية .

٣ – الوضع الجيواستراتيجى الذى عانت منه إسرائيل منذ عام ١٩٤٨ .

٤ – حالة الصراع الدائم والمستمر بينها وبين العرب .

وقد ركز القادة العسكريون الإسرائيليون تفكيرهم على نظرية الحرب الوقائية من حيث كونها استمرار لمبدأ الهجوم وأداة لتدمير قوة العدو . أى أن عقيدة الحرب الوقائية نمت وتطورت فى الفكر العسكرى الإسرائيلى وتلقحت بالفكرة الصهيونية ذاتها فى ظل ظروف موضوعية .

من هذا يتضح أن هذا الأسلوب من أساليب القتال لم تفرضه العوامل المادية فقط ، أى الحيز الجغرافى ، والقوى البشرية والوضع الجيواستراتيجى وإنما أوجبته أيضا المبادىء والأفكار المتصارعة ، إذ لا يعقل أن تتم عملية تصنيع جسم غريب فى منطقة حساسة دون أن يكون البتر النهائى هو غاية العملية فى حد ذاتها حتى تتمكن الأعضاء الجديدة من النمو والتطور ، والحركة ، أى بمعنى أنه لإقامة المجتمع الصهيونى المستوطن لابد من القضاء على المجتمع العربى الفلسطينى الأصيل واقتلاعه من أرضه . لهذا رأينا معظم القادة العسكريين الاسرائيليين يتبنون فكرة الحرب الوقائية الهجومية . وفى ذلك يقول إيجال آلون « ليس هناك أمل فى ردع العدو أو كسب الحرب بواسطة الوسائل الدفاعية

وحدها أو تحقيق المثل الأعلى والهدف السياسى لاستراتيجية إسرائيل ، بل يلزم لتحقيق ذلك أن تكون قواتها المسلحة معدة مسبقا لتكون قادرة على القيام بالعمليات الهجومية وعلى وجه الخصوص الهجمات الفجائية فى جميع المناطق وفى جميع الاتجاهات »(١) .

ويقول أحد أبرز القادة الإسرائيليين الذين تولوا قيادة الأركان فى السنوات الأولى لقيام دولة إسرائيل وهو ايجال يادين « لا شيء أخطر من وجود الروح الهجومية لدى العدو . لذلك يتوجب علينا أن نواجه هذه الروح الهجومية بعزيمة هجومية أقوى . ولايرد الهجوم إلا أن نسبق العدو بالهجوم ، فإن سبقنا هو بذلك ، فالرد الهجومى أيضا هو الجواب الوحيد المضمون النتائج . وعندما نقوم بالتخطيط والاعداد لمتخلف أوجه نشاطاتنا التى تهدف إلى تحقيق الهدف العسكرى – السياسى المعين بدقة من قبل الحكومة ولكل مرحلة ، يجب أن يتم هذا الإعداد مع التنسيق بخطة تمويهية ثانوية للعمليات . ويجب ألا يغرب عن بالنا لحظة واحدة أن الهدف الرئيسى لنا خلال الإعداد هو أن نتيح الفرصة لقواتنا خلال التنفيذ باستخدام مبادىء القتال إلى أقصى حد ممكن . وبهذا نجد أن مصير المعركة من الناحية الاستراتيجية قبل المباشرة بالأعمال القتالية نفسها أو على الأقل نطمئن على أن الأعمال القتالية ستتطور حتما نحو الأفضلية المطلقة لصالحنا ، وهذا هو السر فى التخطيط الاستراتيجى الكامل ، الذى يصح فيه قول كلاوزفيتز (إن الدماء هى ثمن النصر)(٢) .

وهذه الحرب الوقائية فى تصور يادين لا يبدأ فى الشروع فى تنفيذها إلا بالتأكد من نجاحها نحو تحقيق أهدافها مع أخذ جميع الاعتبارات التى يمكن أن تطرأ أثناء عمليات التنفيذ . لهذا يوضح يادين أن الهجوم لا يرد عليه بالدفاع ، ولكن يرد عليه بالهجوم . وأوضح مثل لتطبيق العسكرية الإسرائيلية لهذه القاعدة عمليات الاختراق التى قامت بها إسرائيل على كل من جبهة قناة السويس ومرتفعات الجولان إبان حرب أكتوبر ١٩٧٣ . فلم تتخذ موقف الدفاع بعد أن هاجمتها القوات المصرية والسورية بل بادرت إلى شن هجوم معاكس على كلا الجبهتين تمكنت من خلاله من احتلال مواقع خلف القوات المصرية والسورية . ثم يستطرد يادين فى تأصيل هذه الفكرة فيقول :

---

(١) Allon, Yigal. OP, Cit. P. 50.

(٢) الكيلانى – مصدر سابق – ص ٥٠٤ – ٥٠٥ .

« إن أيام الهجمات الجبهية قد ولت ، وإن فن التعبئة اليوم يتلخص بأن الواجب الرئيسى للهجوم يجب أن يتحقق بواسطة هجمات جانبية أو هجمات فى المؤخرة . إن النقاش مازال دائرا بين خبراء الحرب حول شمول هذه القاعدة للأسس الاستراتيجية إن رأيى هو أن هذه القاعدة يجب أن تطبق استراتيجيا بكل دقة ولكن بصورة مختلفة طبعا ، وليس عندى أى شك بأن استراتيجية الهجوم غير المباشر ، هى الاستراتيجية الوحيدة الصحيحة والصالحة للتطبيق ، وأن استخدامها استراتيجيا هو بالتالى أكثر تعقيدا واختلافا مما يطبق فى حقل المعركة التكتيكى ، ونجد أنه لتحقيق النصر باتباع هذه الاستراتيجية لابد من تحقيق الشروط الثلاثة التالية :

الشرط الأول – وهو القيام بضرب وقطع خطوط مواصلات العدو ، وهذا ما يحطم وسائل إمداد العدو لقواته .

الشرط الثانى – وهو أن يتم قطع طرق انسحاب العدو باحتلال الأماكن التى يسيطر عليها ، وهذا ما يكفل تحطيم معنويات العدو وتصميمه على القتال .

الشرط الثالث – وهو وجوب قصف وضرب مراكز العدو الإدارية والقيادية وقطع طرق الاتصال السلكية واللاسلكية له وهذا ما يؤمن قطع الاتصال بين قيادة العدو « المخ » والوحدات « الأطراف » .

« إن تحقيق هذه الشروط الثلاثة يظهر بوضوح صحة قول نابليون عن الحرب (بأن كل سر فن الحرب يكمن فى القدرة على السيطرة على خطوط المواصلات) وخلال تنفيذ المهمة الاستراتيجية يجب تحقيق هذه الشروط الثلاثة . ويجدر بنا القول هنا أنه يجب الاهتمام بما قاله ليدل هارت عن هدف الاستراتيجية ومسئوليتها . (إن الهدف الرئيسى ليس هو التفتيش عن المعركة ، بل التفتيش عن وضع استراتيجي جيد لصالحنا إن لم يؤمن هو نفسه الوصول للقرار الذى يؤدى اتباعه للنجاح ، فإن خوض المعركة المختارة يؤدى حتما إلى هذه النتيجة) . يتم الوصول إلى الهدف الاستراتيجي المحدد بشكل أساسى بزعزعة تشكيلات العدو وهذا ما يؤدى إلى تمزق العدو وتفككه فى القتال ، وبالتالى يضمن إبادة العدو »[1] .

---

(١) هيثم الكيلانى المصدر السابق – ص ٥٠٥ – ٥٠٦ .

يوضح ذلك هيثم الكيلانى[1] فى بيان التطبيقات العملية لهذه القواعد النظرية التى وضعها يادين ، فقد جرى ذلك فى حرب ١٩٤٨ و١٩٦٧ وأيضا فى حرب ١٩٧٣ .

ويقول حاييم باريف : « إنى مؤمن بأن استراتيجيتنا التى تحمل راية (أفضل الدفاع هو الهجوم) هى التى ستشكل الحرب القادمة . إن هذا الأمر قد لا يحدث فى المرحلة الأولى من الحرب ، وإنى لا أقول بأن نقل الحرب إلى أرض العدو سيكون فى الساعة الأولى ، ولكننى أقدر تماما بأن جيش الدفاع الإسرائيلى سيحارب على أرض العدو فى المستقبل أيضا »[2] .

وقد عالج هذا الموضوع بإسهاب ايجال آلون مستخلصا من الحروب التى خاضتها إسرائيل ضرورة اعتماد هذا الأسلوب لعدم التعرض لأخطار وقوع هجوم عربى مفاجىء قائلا :

« إن خطر مثل هذا الهجوم المفاجىء لا يزال يحلق فى سماء إسرائيل حتى يومنا هذا . وفى تلك الفترة – يعنى حرب ١٩٤٨ – تبين أولا : أن من الوسائل الرئيسية لمواجهة القيام بما سمى (الضربة الاجهاضية المضادة) ، أو (الهجوم المضاد المسبق) . ومن الواجب عدم الخلط بين ذلك وبين الحرب الوقائية ، الضربة الاجهاضية ، تكون مبررة عندما يكون معلوما على وجه اليقين أن غزوا فعليا على وشك أن يتم ، ويكون الدليل عليه وجود حشود ظاهرة لقوات عدوانية للعدو . وكما أن لكل دولة حقها الطبيعى فى استخدام السلاح إذا ما هوجمت فإن من حقها أيضا أن تعترض المهاجم فى طريقة إلى الهدف المختار . وإذا كان العدو لا ينوى الحرب فهو مسئول ألا يجرى من التحركات ما يبرر الضربة المضادة الاجهاضية . أما إذا كان ينوى الحرب فعلا ، فلن يقبل منه أن يحتج إذا فشلت مساعيه . ويمكن أن يقال فضلا على ذلك ، إن الاعتراف بالحق فى الهجوم المضاد الاجهاضى يزيد من قدرة إقناع – رادع – الطرف المدافع وبالتالى يقلل من احتمالات العمل العدائى . إن مجرد امتلاك الأسلحة لا يردع العدو بالضرورة وإنما يردعه اليقين بأن المدافع مستعد لاستخدامها ، بسرعة وفاعلية أى هذا « التصديق » هو الذى قد يمنع استخدام هذه الأسلحة على الإطلاق .

---

(١) الكيلانى – المصدر نفسه – ص ٥٠٦ .

(٢) الكيلانى – المصدر نفسه – ص ٥٠٤ .

ولقد رفضت فكرة الحرب الوقائية على أساس أدبى وسياسى معا . وكنت أقول : أنه من الخطأ أدبيا الدخول فى حرب مادام من الممكن تجنبها دون تعريض دولة إسرائيل للخطر .. إن هناك الأمل دائما ، رغم كل شيء فى أن تتغير الظروف ويصبح من الممكن تجنب الحرب لعدة سنوات إن لم يكن إلى الأبد . إن هجوم عربيا عاما هو احتمال ، بل وربما إمكانية ، ولكنه ليس أكيدا ، ولذلك فإنه من الواجب عدم عمل أى شيء يغير هذا (الأمر الواقع) الشائك . وعلى أساس سياسى ومتبصر محض ، يكون خطأ تاريخيا من جانب إسرائيل أن تتورط فى حرب عدوان . إن ذلك قد يفقدها الأصدقاء فى جميع أنحاء العالم ، وقد تجد نفسها وقد فرض عليها من الحظر ما يجعل من الصعب عليها أن تجدد أو تستعيض ترسانتها الحربية »(١) .

يجب ألا يغيب عن البال أن كلام آلون هذا كتب بعد قيام إسرائيل بحرب ١٩٦٧ أى بعد أن تغيرت مقوماتها الجيواستراتيجية باحتلال سيناء والضفة الغربية ومرتفعات الجولان وأصبحت فى وضع جيواستراتيجى استرخائى وحققت أهدافها فى تلك الحرب بالقضاء على القوات العربية . فهو عندما يتحدث عن تجنب إسرائيل للحرب الوقائية يعنى عدم إقدامها على ارتكاب الأخطاء التى وقعت فيها العسكرية النازية حينما اندفعت دون حساب لتخوض معارك على جبهات غير محدودة فى الجبهة الشرقية مع الاتحاد السوفييتى . ثم يحدد آلون دواعى شن الحرب على العرب فيقول :

« ولقد اتفق على نطاق واسع ، أن وجود الحالات التالية يجعل من حق إسرائيل – بل ويفرض عليها – أن تدخل الحرب :

١ ــ إذا احتشدت قوات هجومية بصورة تشكل خطراً على إسرائيل .

٢ ــ إذا اتضح أن العدو يعد لهجوم مفاجىء على قواعد إسرائيل الجوية .

٣ ــ إذا وقع هجوم جوى مهما كان محليا على منشأتنا الذرية ومؤسساتنا العلمية .

٤ ــ إذا وصلت أعمال حرب العصابات إلى درجة لا تستطيع معها عمليات الدفاع النشط والانتقام أن تتصدى لها .

٥ ــ إذا دخلت الأردن فى حلف عسكرى مع دولة عربية أخرى وسمحت بحشد قوات عسكرية أجنبية فى أراضيها وبخاصة فى الضفة الغربية لنهر الأردن .

---

(١) Allon. Y. OP, Cit, PP. 53, 68- 69.

٦ ــ إذا أغلقت مصر مضائق تيران .

إن تحققت أية حالة من هذه الحالات تشكل مبرر الحرب وتعطى إسرائيل الحق فى الدخول فى حرب دفاعية بالوسائل وفى المسارح والأوقات التى تحددها هى ... إن وسيلة إسرائيل الوحيدة لإنقاذ نفسها من مثل هذا الهجوم المفاجىء هى المحافظة على استعدادها العسكرى وحقها الأدبى فى القيام بهجوم مضاد مسبق ، وعلى هذا النحو قمت بتعريف عبارة .. الهجوم المضاد المسبق بأنها « مبادرة عمليات إسرائيلية تتخذ ضد حشود قوات العدو ، واحتلال أهداف فى أراضى العدو ، لها أهميتها الحيوية من نواحى الأمن ، فى وقت يكون العدو فيه قد حشد قواته للهجوم ، ولكن قبل أن يكون لديه الوقت لبدء هجومه بالفعل » .

ولقد قيل أن هناك (تناقضا) فى العبارة « بين كلمة » مسبق وكلمة « هجوم مضاد » فهل يستطيع أحد أن يتكلم عن هجوم مضاد لوصف عمل بدأ قبل أن يبدأ الهجوم نفسه ؟ ولقد كنت أقول : أن التناقض لفظى بحت وهو بالتالى ظاهريا وليس حقيقيا . إن حقائق الموقف هى : أن العدو يحشد قواته وفى ذهنه القيام بهجوم ، وأن مثل هذا الاعداد للهجوم جزء لا يتجزأ من الهجوم ذاته ، وأن العدو يضمر تحقيق سيادة فى الجو بالهجوم على قوة إسرائيل الجوية وهى لا تزال على الأرض ، ومثل هذا الهجوم أن نجح سيشل بضربة واحدة كل الهيكل الدفاعى لإسرائيل ويعرضها للهزيمة التامة . وإذا كان هذا هو الموقف ، فليس هناك شك أنه من وجهتى النظر الأدبية والسياسية يكون من حق إسرائيل – بل تكون مطالبة – بأن تسلب المبادرة من العدو – وفى الهجوم المضاد المسبق ، يجب أن يكون الهدف الأول والأهم هو السيادة الجوية ويمكن بلوغ ذلك بتدمير قوة العدو الجوية ، ومنشآتها على الأرض .

وعندئذ يكون الهدف تحطيم حشوده من القوات البرية واحتلال مواقع مناسبة على أرض العدو تمنعه من استئناف العدوان . وهو ما يفيد أيضا كنقطة للمساومة فى أى مفاوضات صلح مستقبلة وتخطيط الحدود . ومن المستحيل وضع قواعد جامدة وسريعة لتحديد موعد قيام إسرائيل بعملها قبل وقوع الهجوم الذى يراد استبقائه وقد رؤى بصفة عامة أنه يجب أن يترك العدو يحشد قواته لأطول فترة ممكنة لإعطاء إسرائيل أفضل الفرص لتحطيم الجزء الأكبر من جيشه « إن الهجوم المضاد المسبق » يشن أحيانا قبل شهور وأحيانا قبل أسابيع وأحيانا قبل أيام قليلة من هجوم العدو المتوقع ، وذلك لضمان

قلب المائدة عليه ، وعندما لا يكون هناك مخرج آخر ، قد يكون من الضرورى للقوات الاسرائيلية أن تسبق الغزاة ولو بساعات قليلة . المهم أن تسبقه » .

كانت هذه هى قضية الهجوم المضاد الاجهاضى أو المسبق . أما جانبها الآخر فهو ما تنطوى عليه من واجب صريح بعد اللجوء إلى عمل من هذا النوع مالم يتم التأكد من ضرورته المطلقة فوق كل شك معقول ، وبعد أن يتم هذا التأكد ، يخضع الأمر مرة أخرى لاستقصاء سياسى على أكبر درجات الجدية . وبالإجمال فإن الفارق بين الهجوم المضاد المسبق – الذى يعتبر على مستوى العمليات عملا هجوميا ، ولكن من الناحية الأدبية عملا دفاعيا – وبين الحرب الوقائية التى تعتبر عملا من أعمال العدوان لا من وجهة نظر العمليات فقط ولكن من وجهة النظر الأدبية أيضا – هو أن الهجوم المضاد يتحدد أما بحشد قوات العدو بصورة فعلية ومرئية وملموسة بغرض القيام بعملية هجومية أو بتدهور جذرى فى حالة الأمن بصورة عامة نتيجة لخرق العدو لتعهداته »(1) .

ولكن آلون نفسه يناقض هذا التحريف فى مفهوم الحرب الوقائية عندما يبين وسائل الهجوم والدفاع للمحافظة على إسرائيل ويحددها بما يلى :

١ ــ الحرب الوقائية .

٢ ــ الردع النووى .

٣ ــ الموضوع الشديد الاشتعال مرة أخرى .. الهجوم المضاد المسبق ، أو الحرب الاجهاضية . ثم يركز على الهجوم المضاد المسبق(2) .

هذا التركيز الواضح فى الفكر العسكرى الإسرائيلى على مبدأ الهجوم جاء لاختيار فعال ملائم لوظيفة القوات المسلحة وأهداف الدولة الإسرائيلية هذه الملائمة لا تقتصر على التوفيق بين تحقيق الهدف العسكرى والهدف السياسى فحسب بل تجمع بينهما فى آن واحد وفى إطار عملية واحدة ، وقد اتضح من تعريف آلون لمفهومه للحرب الوقائية الذى حاول أن يحرفه ويطلق عليه عبارة الهجوم المضاد المسبق هو احتلال أراضى وأهداف استراتيجية والمساومة على الصلح مع العرب .

---

(١) Allon, Y, Ibid, PP. 70-71, 73-75

(٢) Allon, Y, Ibid, P, 67.

إذن هناك ربط واضح بين الهدف السياسى والهدف العسكرى . وفى نفس الوقت ربط بين سياسة الدولة العسكرية وأهدافها السياسية العليا وبالتالى يصبح الهجوم المضاد المسبق شكلا من أشكال الحرب لتحقيق أهداف الدولة وحتى يتضح ذلك لابد من التمييز بين الهدف العسكرى المجرد والهدف السياسى :

أولا – التمييز بين الأهداف العسكرية المجردة والأهداف السياسية

ما هى العلاقة بين الأهداف السياسية والعسكرية لإسرائيل ، والتى سبق أن بيناها ، والحرب الوقائية كأسلوب من أساليب القتال لتحقيق هذه الأهداف لقد سبق وأن اتضح أن : « الحرب الوقائية تعنى فى جوهرها تدبير هجوم من قبل دولة على دولة أخرى بينهما صراع لتحقيق هدف من أهدافها السياسية هذا الهدف يرتبط بتخطيط سياسة الدولة العليا ، ومن هنا يأتى الفرق الواضح بين الهجوم المسلح وبين الحرب الوقائية « فالحرب الوقائية هى استخدام للأداة العسكرية لتحقيق هدف سياسى عن طريق تحقيق هدف عسكرى فى البداية ، هذا الهدف العسكرى يمكن أن يكون تدمير قوة العدو العسكرية قبل استخدامه لها ، أو تدمير هدف فى أراضيه يجبره على التنازل أمام الخصم أو احتلال أجزاء من أراضيه واستخدام هذه النتائج فى المساومة على تحقيق الصلح لصالح الطرف المنتصر » .

وقد أفصح آلون فيما تبين أن من أهداف الهجوم المضاد المسبق هدفين أساسيين هما :

١ ـــ مفاجأة قوات العدو بالهجوم وتدميرها .

٢ ـــ احتلال أجزاء من أراضى العدو واستخدامها للمساومة للمفاوضات السياسية .

إذن هناك تمييز واضح بين الهدف العسكرى والهدف السياسى اللذان تسعى إلى تحقيقهما الحرب الوقائية ، يوضح ذلك ليدل هارت مميزا بين ما أطلق عليه الهدف الوطنى والهدف العسكرى فيقول :

« يجب علينا عند دراسة كلمة « هدف » فى الحرب إزالة أى غموض قد يتعلق بمعناها . وينبغى ألا ننسى الفرق بين الهدف السياسى والهدف العسكرى المختلفين عن بعضهما رغم ارتباط أحدهما بالآخر . وليس الهدف العسكرى سوى وسيلة لخدمة غاية سياسية ولكن يجب أن تتطلب السياسة هدفا عسكريا يمكن الوصول إليه عمليا .

واستخدام كلمة « هدف » لا يحقق المعنى المطلوب تماما ، لأنها تحوى فى طياتها معنى مزدوجا ماديا وجغرافيا مما يؤدى إلى بلبلة التفكير .. إن غاية الحرب هى تحقيق السلم فى ظروف أفضل ، لذا يجب قيادة الحرب مع التفكير فى السلم الذى سيعقبها . وينطبق هذا الأمر على الشعوب المعتدية – الراغبة فى التوسع – انطباقه على الشعوب المسالمة التى تقاتل للدفاع عن نفسها . رغم اختلاف مفهوم السلم الأفضل والتاريخ يثبت أن الحصول على نصر عسكرى لا يعنى الوصول إلى الغاية السياسية ولكن تفكير العسكريين الدائم فى الحرب يدفعهم إلى نسيان الهدف الوطنى الأساسى ورؤيته من خلال الهدف العسكرى فقط . لذلك كانت السياسة فى الحروب الماضية تسير على ضوء الهدف العسكرى الذى اعتبره الكثيرون غاية فى حد ذاته ، بدلا من أن يبقى مجرد وسيلة فى سبيل خدمة الغاية الأصلية ثم أصبحت هذه التأثيرات أكثر خطورة ، لأن نسيان العلاقة الحقيقية بين الغاية والهدف العسكرى ، وبين السياسة الاستراتيجية ترتب عليه تبديل الهدف العسكرى حتى غدا بسيطا جدا . كانت القاعدة الأولى للنظرية العسكرية خلال أكثر من قرن ترى أن « تدمير الجيوش الرئيسية للعدو فى ميدان المعركة » هو الهدف الحقيقى الوحيد للحرب . وكان هذا الأمر بديهيا . ولو تجرأ أحد رجال الدولة وأعرب عن شكه فى هذه القاعدة ، واعتبرها متناقضة مع الهدف الوطنى لنظر إليه كما لو كان زنديقا . ولو أطلع القادة الكبار والأساتذة العسكريون وأصحاب النظريات الحربية قبل القرن التاسع عشر على هذه القاعدة المطلقة لأصيبوا بدهشة واستغراب ، ذلك لأنهم كانوا يعرفون معنى ضرورة موافقة الأهداف بشكل معقول مع السياسة وحدود القوة[1] .

١ ــ تحديد مفهوم الهدف العسكرى :

يأتى تحديد أهداف الدولة العسكرية فى إطار تخطيط سياسة الحرب وتعنى الاستراتيجية العسكرية فى المقام الأول بتحقيق الأهداف العسكرية . ثم تأتى الاستراتيجية السياسية العليا للدولة لتتخذ من هذه الأهداف وسيلة لتحقيق غاية الحرب . ويبين هذه العلاقة الارتباطية الدكتور محمد فاروق الهيثمى فيقول :

« يمكننا تحديد الغرض الأساسى من عملية تخطيط السياسة العسكرية للدولة بأنه :

---

(١) ليدل هارت – مصدر سابق – ص ٤١٧ – ٤١٨ .

وضع الأهداف وتبيين أو توضيح الطرق المثلى لضمان تحقيق الأغراض السياسية المتفق عليها – خلال استعمال القوة أو التهديد باستخدامها – بأعلى مستوى ممكن من الكفاءة . ومن ذلك التعريف تظهر عدة نقاط هامة يجب أخذها فى الاعتبار ألا وهى :

– إن السياسة العسكرية ليست إلا أداة لتحقيق الأغراض السياسية .

– إن اختيار الطرق المثلى للوصول إلى النتائج المطلوبة يستلزم ضمنا وضع أهداف واقعية للسياسة العسكرية .

– إن هناك عدة طرق لتحقيق الأغراض المطلوبة يجب مقارنتها من حيث المزايا والمضار واختيار الطرق المثلى التى تضمن أعلى مستوى ممكن من الكفاءة – أى التى تحقق الأغراض بأقل التكاليف وفى الوقت المطلوب وبأكبر درجة من الفاعلية .

– إن هناك منطقا معينا يجب اتباعه فى تحديد السياسة العسكرية للوصول إلى المستوى المطلوب من الكفاءة »[1] .

ويحدد كلاوزفيتز الهدف العسكرى بقوله : « إن هدف العمل الحربى هو نزع سلاح العدو ، وسنثبت أن ذلك ضرورى على الأقل من الناحية النظرية وإذا كانت غايتنا هى دفع العدو إلى السير وفق إرادتنا ، فإن علينا أن نضعه فى موقف يزيد تأثيره عن التضحيات التى نطلبها منه . ولا يجب أن تكون مساوىء موقفه مرحلية – على الأقل – فى مظهرها ، وإلا قاوم العدو بدل الخضوع آملا أن يتطور الموقف لصالحه . ويجب أن تؤدى تبديلاته التى ترمى إلى متابعة الحرب إلى موقف أسوأ . إن أسوأ وضع يقع فيه المقاتل هو عندما يجد نفسه مجردا من سلاحه فإذا أردنا إجبار العدو على الاستسلام وجب علينا تجريده من سلاحه أو وضعه فى موقف يهدد باحتمال تجريده منه . وهكذا فيجب أن يكون نزع سلاح العدو أو هزيمته هو .. هدف فن الحرب »[2] .

إذن لا يمكن الوصول إلى الغاية السياسية من الحرب قبل تحقيق هدفها العسكرى كما أوضحه كلاوزفيتز .

---

(١) الدكتور محمد فاروق الهيثمى – تخطيط سياسة إسرائيل العسكرية – مجلة السياسة الدولية – العدد : ١٣ – القاهرة – ١٩٦٨ – ص ١٠٨ – ١٠٩ .

(٢) ليدل هارت مصدر سابق – ص ٤١٩ – ٤٢٠ .

٢ ــ الهدف السياسى للحرب :

لما كانت القوة العسكرية هي أداة حماية الدولة وتحقيق أهدافها القومية فإن تجريدها من هذه القوة يمكن أعداءها من فرض شروطهم عليها ، هذه أهدافها السياسية العليا . وهى بذلك تستخدم وسيلتين فى آن واحد :

الشروط التى تمثل من ناحية أخرى أهدافهم السياسية . فإذا كانت الغاية الأولى هى تدمير العدو العسكرية فالمطلوب تحقيقه من وراء ذلك التدمير الوصول إلى التفوق المادى ، والمعنوى لإخضاع العدو . وإذا انتقلنا إلى تبين مدى انطباق ذلك على استخدام إسرائيل للحرب الوقائية كوسيلة من وسائل تحقيق أهدافها العليا فى المنطقة العربية نجد أنها قد استخدمت القوة فى البداية لإثبات وجودها وتثبيته على جزء من أرض فلسطين والحصول على اعتراف دولى بذلك ثم انتقلت بعد ذلك لترويض الإرادة العربية الرافضة لها ولوجودها عن طريق الهجمات الإرهابية على الحدود العربية بهدف التأثير النفسى على العرب وإقناعهم – بالقوة – بعجزهم عن الدفاع عن أراضيهم ومن ثم عجزهم عن القضاء عليها رغم رفضهم لوجودها . بل يمكن القول أنها حققت أهدافا توسعية جزئية عندما استخدمت القوة للاستيلاء على المناطق المنزوعة السلاح فى منطقة الحمة على الحدود السورية ومنطقة العوجة المصرية . ثم انتقلت فى مرحلة لاحقة لتحقيق أهدافا سياسية بواسطة القوة العسكرية الذاتية تارة والتعاون مع دول أجنبية تارة أخرى . ونموذج ذلك اشتراكها فى عدوان عام ١٩٥٦ مع بريطانيا وفرنسا وكان من نتيجة ذلك أن حصلت على حرية الملاحة فى خليج العقبة ومضائق تيران ، كما أمنت حدودها مع مصر بمرابطة قوات دولية عليها . ثم أعدت لشن الحرب الوقائية المثلى عام ١٩٦٧ ، فقد تمكنت من القضاء على القوات العربية وهو هدف عسكرى وذلك تمهيدا لتحقيق الأهداف السياسية التى سبق الإشارة إليها . ولكنها توصلت بالفعل بعد العمليات العسكرية إلى تحقيق التوسع الإقليمى وفشلت فى إجبار العرب على مفاوضتها أو الاعتراف بها ومازالت تستخدم احتلالها للأراضى العربية كورقة مساومة للحصول على الهدف السياسى الأعلى وهو الصلح والسلام مع العرب والاعتراف بحدود آمنة تحددها هى .

أما مرحلة حرب ١٩٧٣ حيث وضعت إسرائيل فى بداية الحرب فى موقع الدفاع نتيجة لمبادأة العرب بمهاجمتها ، ثم ما لبثت أن طبقت عقيدتها الهجومية التى وضعها

الجنرال ايجال يادين معبرا عنها بأن « الهجوم لايريد إلا بالهجوم » . وقامت بهجومين مضادين داخل الأراضى المصرية والسورية وكان من نتائج هذين الهجومين أن فقد العرب ميزة الهدف العسكرى الذى حققوه فى الأيام الأولى للمعارك وتعثروا فى إمكانية استغلال نصرهم العسكرى فى تحقيق هدفهم السياسى الذى يرمى إلى تحقيق ما يأتى :

أولا – إجبار إسرائيل على التخلى عن الأراضى العربية التى احتلتها فى أعقاب عدوان ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ .

ثانيا – الاعتراف بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطينى .

وعند تحليل هذا الوضع على ضوء مفهوم الهدف العسكرى والهدف السياسى والعلاقة بينهما ، يلاحظ أن الهدف العسكرى كأى هدف ، تحقيقه مرحلة من المراحل ، والمحافظة عليه هى المرحلة الأهم . فإذا تمكن الخصم من زحزحة خصمه عن هدفه فقد فقد الأول الميزات التى حققها . وهذا واضح الآن فى اتجاهات السياسة الإسرائيلية التى تركز على عجز العرب عن قهرها عسكريا وبالتالى تسعى إلى إقناعهم عن طريق الردع النفسى بتحقيق أهدافها السياسية العليا . وهى بذلك تستخدم وسيلتين فى آن واحد :

الوسيلة الأولى – وهى القوة العسكرية عن طريق التلويح بها كأداة رادعة .

الوسيلة الثانية – الدبلوماسية عن طريق التلاعب بالمواقف ومحاولة الخداع بأظهار إمكانية التنازل عن بعض الأراضى العربية المحتلة مقابل الاعتراف والصلح والحدود الآمنة .

وهنا يمكن القول إلى أى مدى يمكن أن تستعيض إسرائيل بالأداة السياسية لتحقيق أهداف عجزت عن تحقيقها الأداة العسكرية ؟ لا يمكن القول جزما أن احتمالات القتال وتجدده قد انتهت ، ولكنها فى نفس الوقت مرتبطة بعدة عوامل أهمها – فى إطار هذا الكتاب – وهو العامل العسكرى المتعلق بميزان القوى بين الطرفين . أى طرف من الأطراف المتصارعة يتحقق له التفوق الكمى والكيفى فى التسليح ويشعر بقدرته على كسب الحرب لا يتوانى عن شنها على الأطراف الأخرى . يؤكد ذلك ما جاء فى تقرير المعهد الدولى الاستراتيجى البريطانى – لسنة ١٩٧٤ قوله : « احتمالات اندلاع حرب جديدة لا يمكن أن يكون من خلال التعقل العربى – الإسرائيلى بل سيكون نتيجة للخوف والقلق وعدم الاستقرار الداخلى ، وسوف يكون الدافع وراء ذلك هو خوف

أحد الطرفين من أن يحقق الطرف الآخر بضربة إجهاض مكاسب على حساب الطرف الآخر أو نتيجة للانفعال السريع »[1] . وهنا يدخل عامل خارجى لابد من الإشارة إليه يتمثل هذا العامل الخارجى فى الدول الكبرى التى تقوم بتزويد الأطراف المتصارعة بالأسلحة يؤكد ذلك السلوك الذى اتبعته الولايات المتحدة الأمريكية ابان حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ عندما عجزت القوة العسكرية المتاحة لدى إسرائيل أثناء العمليات العسكرية أن تصمد فى وجه الهجمات العربية فسارعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى دعم قوة إسرائيل العسكرية لتبديل ميزان القوى لصالحها . ولكن لا يمكن الإنكار أن الاتحاد السوفييتى أيضا زود الدول العربية المشتركة فى الحرب بالأسلحة . وبقى الآن أن تتحدد إمكانيات الملاءمة بين الأهداف العسكرية والأهداف السياسية . فهل تتخذ إسرائيل موقفا عسكريا بشن الحرب لتجريد العرب من قوتهم التى تمكنهم من مهاجمتها مرة أخرى إذا ما ظلت مصرة على رفضها الانسحاب من الأراضى العربية المحتلة أم أنها تركن إلى الردع لتحقيق ذلك ؟.

إن طبيعة الصراع وتعقيداته كما تبينت تفيد أنه مازال للقوة العسكرية الدور الرئيسى بل والأساسى فى تحقيق الأهداف السياسية وأن هذه القوة بقدر تفوقها وحسن توجيهها واستخدامها فى مسارح العمليات يمكن أن تحقق الهدف المطلوب منها . ويلاحظ أن كلا الطرفين مازال يسعى إلى دعم موقفه بالقوة اللازمة للمحافظة على الهدف الذى حققه والموقف الذى يتخذه .

من هنا تأتى ميزة التفوق فى التسليح لتزحزح أحد الأطراف عن تصلبه ، ومن هنا أيضا قد يكون استخدام التفوق استخداما نظريا بمعنى عدم انتقال القوة إلى الفعل بل مساهمتها فى إقناع الخصم بالتراجع عن موقفه انطلاقا من حساباته بعدم قدرته على كسب الحرب إذا شنها أو إذا ما شنت عليه .

ثانيا - التفوق العسكرى :

يعتبر التفوق العسكرى بمعناه الشامل - أى من حيث القوة الضاربة والتقدم التكنولوجى للأسلحة ونظام التعبئة وسرعة إعداد مسرح العمليات لخوض القتال - ويعتبر التفوق العسكرى بهذا المعنى ضرورة لتحقيق أهداف الحرب الوقائية وتطبيق

---

(١) The International institute for strategic studies strategic survey London, 1975. P. 2.

فروضها التى سبق إيضاحها . إذ أنه بدون التفوق والاستعداد يصبح من الصعب الوصول للضربة القاضية لذلك سعت القيادات السياسية والعسكرية الإسرائيلية إلى تحقيق هذا التفوق من حيث الكيف يحدوهم إلى ذلك الاعتبارات التى سبق الإشارة إليها . ولكن من ناحية التحليل للقوة فأكثر هذه الاعتبارات جدية هو ذلك الفرق الشاسع بينهم وبين الدول العربية المحيطة بهم من حيث الكم وأيضا من حيث الكيف بعد أن تمكنت الدول العربية من الحصول على السلاح الحديث من الاتحاد السوفيتى وخاصة سلاح المدرعات وسلاح الطيران وسلاح البحرية وكذلك السلاح الذى دخل المنطقة حديثا إلى حد ما ألا وهو سلاح الصواريخ . وحتى تعوض إسرائيل هذا الاختلال حرصت على التفوق العسكرى فى مختلف نظم الجيش وتزويدها بأحدث الأسلحة .

وقد تعرض الدكتور أنيس صايغ فى تحليله لميزان القوى العسكرية بين الدول العربية وإسرائيل بحرص إسرائيل على التفوق قائلا : « منذ سنين وإسرائيل تطمئن نفسها بأن لديها مناعة خاصة ضد عداء العرب لها . لديها أولا — قدرة على تعبئة ٣٠٠٠٠٠ ألف رجل وامرأة فى مدى ٤٨ ساعة عند الحاجة . ولديها ثانيا — جيش نظامى حسن التدريب والسلاح ، خدم جنوده بين ٢٠ — ٣٠ شهرا على الأقل ، وتعلم ضباطه فنون القتال الحديث . ولديها ثالثا — المصانع والمختبرات ودور الصيانة الحربية . ومما يزيد فى اطمئنان إسرائيل ما تعرفه عن الدول العربية من منازعات تقيد مفعول خصومتهم الشديدة لها . ومن عدم اتفاق فى العمل والتنفيذ وحتى عند الاتفاق فى المبدأ والوعى ، مما يتيح لها مجال البقاء . لكن إسرائيل لا تنام مرتاحة البال . فإن كل ما لديها من قدرة وقوة يعجز عن حمايتها فى خال اتخاذ الدول العربية قرارا حاسما بالبدء بالعمل العسكرى الموحد مثل تطوير القيادة العربية الموحدة وإعطائها الصلاحيات الضرورية لتهيء الجيوش العربية لحرب موحدة . لقد لخص أبا ايبان وزير الخارجية الإسرائيلية ، فى حديث له مع مجلة « ريالتى الفرنسية عدد — ٣٥١ فى كانون الأول ديسمبر ١٩٦٦ ص ٥٠ » لخص العوامل التى يعطى بقاؤها إسرائيل أملا بالبقاء ، بأنها — استمرار المساعدات الأمريكية الحربية المباشرة التى ابتدأت بصواريخ هوك ، واستمرار حماية الدول الكبرى « للوضع الراهن » فى المنطقة ، وأخيرا وفوق كل شىء ، استمرار الخلافات العربية لأنه لو اتحد العرب لما بقى أحد يهتم بنا . ولسهل عليهم إذابة كياننا . إلا أننا سنبقى دائما شوكة تنحر فى الجسم الذى يحتوينا »[1] .

---

(١) الدكتور أنيس صايغ — ميزان القوى العسكرية — مركز الأبحاث — بيروت ١٩٦٧ — ص ٧٠ ، ٧٢ .

وهذا يلقى الضوء على نقطة هامة فى الموقف العربى وهى أن إسرائيل لا تواجه جبهة عربية واحدة فى حالة خوضها للمعارك ولكنها تواجه جبهات عربية كل على حدة ، أى أن نظرية التفوق التى تعتمد عليها فى استراتيجيتها التطبيقية للحرب الوقائية لا تقوم على أساس مواجهة الدول العربية مجتمعة بل على أساس الانفراد بكل جبهة على حدة . وهذا يزيد قوتها بالنسبة لكل جبهة على حدة بمعدل الضعف أو الضعفين . فقوتها تعادل بل تتفوق على مجموع قوات الدول العربية المحيطة بها ، وبذلك إذا ركزت هذه القوة على جبهة واحدة تمكنت من رفع كفاءة الضربة الأولى إلى درجة الردع . بمعنى الوصول إلى الحسم فى وقت قصير وخسائر قليلة نسبيا ونتائج إيجابية . وهذا يعنى أن قدرة هذه الجبهة العربية لا تستطيع أن تتغلب على إسرائيل وحدها .

إذن التفوق فى حد ذاته ليس تفوقا ذاتيا فحسب وإنما يرتبط لما يمكن أن نطلق عليه تفوق فى وحدة الموقف فى الجانب الإسرائيلى وانعدام هذه الوحدة بين الجبهات العربية .

ويبين أحد أبرز المخططين الاسرائيليين لنظرية التفوق العسكرى الإسرائيلى الخطوط العريضة التى سارت عليها سياسة إسرائيل وهو شمعون بيريز فيقول :

« لو كانت دولة إسرائيل قد وجدت قبل الحرب العالمية الأولى أو حتى قبل الحرب العالمية الثانية لغدا من الصعب طرح هذا السؤال وهو : كيف يمكن أن نغير هذا الوضع ؟ ولما كان التفاوت الهائل الموجود بين إسرائيل والبلدان العربية قد ظهر بكل قوته ، (العرب أكثر من الإسرائيليين بخمسين مرة : ٢,٢٥٠,٠٠٠ مقابل ١٢٠ مليون . الأرض التى يحتلونها أكبر من إسرائيل بـ ٥٠٠ ضعف : ٢٠,٠٠٠ كم٢ ، مقابل ١١,٠٠٠ كم٢ يملكون خمسة أضعاف ما تملك إسرائيل من الجنود وثلاثة أو أربعة أضعاف ما تملك من السلاح) . غير أننا لم نعد اليوم فى عصر تلعب فيه القوى الطبيعية والجغرافية الدور الحاسم فى قوة دولة حديثة . ليس سباق التسلح نفسه كميا بقدر ما هو كيفى . ومصر نفسها تسعى للحصول . لسد حاجتها الخاصة ، على أسلحة غير تقليدية .. ولقد حاولت أن توجد أسلحة « راديولوجية » كما أنها تأمل كذلك أن تصنع سلاحا ذريا . أن الحقيقة القائمة تضطرنا إلى القول أنه إذا – نجحت مصر فى الحصول على هذا السلاح فسيتبين لها أنه خطر عليها بقدر ما هو خطر على إسرائيل صحيح أن إسرائيل دولة سريعة العطب نظراً لصغر مساحتها ، إلا أن مصر كذلك نظراً لوضعها السكانى هى بدورها سريعة العطب إلى حد يكفى لعدم المجازفة بحرب كهذه وبالمقابل – إذا لم تنجح مصر فى الحصول على أسلحة غير تقليدية فمن الصعب أن يوفر لها السلاح

التقليدى وحده تفوقا كبيرا لدرجة تستطيع معها شن عدوان ضد إسرائيل مع بعض الأمل فى النصر »(١) .

ثم يبين بيريز أهمية التفوق ويحدد أهدافه والخطوات التى لابد أن تتبعها إسرائيل كى تبقى متفوقة على الدول العربية وقادرة على حماية نفسها وتحقيق أهدافها فيقول :

« ومهما يكن من أمر ، فلا يمكننا ، بانتظار أن يتحقق ذلك – يعنى السلام مع العرب – أن نجلس مكتوفى الأيدى . من وجهة النظر الإسرائيلية لابد من العمل وفق صيغ ثلاث :

١ – تنمية الإمكانيات العلمية بشكل كاف ، بغية إقناع العرب بأنهم إذا أوجدوا سلاحا جديداً فإن إسرائيل تستطيع إقامة التوازن من جديد بوسائلها الخاصة .

٢ ــ يجب علينا أن نعيش بدون حرب فى السنوات العشر القادمة فالحرب مجازفة قد تعرض أية حضارة إلى الدمار .. كما أننى لاتهم بالدجل والمراوغة إذا لم أؤكد هنا بوضوح أنه يجب للوصول إلى هذا الهدف ، أن تكون إسرائيل قوية ومستعدة – خلال السنوات العشر القادمة – لأن تقاوم فى كل لحظة وفى كل مناسبة أى هجوم محتمل .

٣ ــ كما يجب علينا أن نأخذ بزمام المبادرة بشأن السلم فى كل مكان وفى كل زمان ، وكلما تسنى لنا أن نقوم بذلك . لكى يتسنى لإسرائيل أن تحفظ خطها فى النجاح ، عليها أن تبقى يقظة ومهتمة بجميع إمكانات تطور سلاح حديث . ولكى تتجنب كل اعتداء قد تتعرض له عما قريب ، عليها أن تهتم بقوة جيشها ، إلا أنها يمكن أن تشجع كل الجهود التى تبذل فى سبيل السلم عليها أن تعمل وفقا لمخطط سياسى »(٢) .

هذه الخطوط العريضة لنظرية التفوق الإسرائيلى قد تم تطبيقها بالفعل بل تبين أن الخطة التى تحدث عنها وحدد غايتها لتحقيق السلام تعتبر التفوق العسكرى أداتها التنفيذية الرئيسية . يبين ذلك هيثم الكيلانى قائلا ومعدداً مظاهر التفوق :

١ ــ التفوق السلاحى :

وخاصة فى سلاحى الطيران والمدرعات . فقد أدركت إسرائيل أن طبيعة الأرض

---

(١) شمعون بيريز – مصدر سابق – ص ١٤٩ – ١٥٠ .
(٢) شمعون بيريز – المصدر نفسه – ص ١٥٠ – ١٥١ .

المكشوفة ، وخاصة فى النقب وفى مسرح عمليات سيناء ، وفقدان الغابات والجبال الكثيفة فى بقية الحدود ، تفرض على الدولة التى ستحارب فى هذه المناطق أن تحوز على التفوق الجوى المطلق الشامل فهى إذا أطلقت أرتالها المدرعة عبر كثبان الصحراء دون أن تكون هناك مظلات واقية من الطائرات المقاتلة تحميها وتوفر لها حرية العمل فإن دباباتها ومصفحاتها ستشتعل تحت نيران طائرات الطرف الآخر . وقد عبر عن هذا الاتجاه فى التفوق السلاحى فى الطيران والمدرعات ، الضابط الإسرائيلى « يهودا والاش » رئيس قسم العلوم الحربية فى الكلية العسكرية فى تل أبيب فقد حاضر هذا الضابط فى مدينة بون فى سويسرا فى شهر تموز (يوليو) ١٩٦٨ ، حول حرب حزيران (يونيو) – عام ١٩٦٧ – وتحدث عن الدروس التى استخلصتها القيادة العسكرية من حملتها فى سيناء عام ١٩٥٦ فقال : « لقد تولت الطائرات البريطانية والفرنسية حماية تقدم الجيش الإسرائيلى وتوغله فى الأراضى المصرية ، لذلك رأت القيادة الإسرائيلية منذ ذلك الحين ضرورة تعزيز سلاح طيرانها للدفاع عن نفسها فى أى مناسبة أخرى ولحماية قواتها فى أى عمليات عسكرية قادمة . أما الدرس الثانى الذى تم استخلاصه من حملة سيناء عام ١٩٥٦ فقد كان – ضرورة تقوية فرق الدبابات والآليات المصفحة فى هذه المنطقة الصحراوية على أن تدعمها فرق مشاة مدربة خصيصا للعمل فى الصحراء وعلى أن يتم تموينها جميعا بواسطة أسراب طائرات الهليوكبتر . وفى حرب حزيران (يونيو) وضعت القيادة العسكرية قطعات من المدفعية الثقيلة والخفيفة خلف وحدات المشاة . وأما خطوط النار الأولى فقد تولتها وحدات فدائية خاصة اسمها (وحدات الصدمة) مدربة على جميع أنواع الأساليب الهجومية الأرضية والمظلية . وتعتمد إسرائيل على سباق التسلح لإنهاك العرب وعدم إفساح المجال لهم لبناء قوتهم الاقتصادية لتكون قاعدة لبناء القوة العسكرية الذاتية . كما تهدف إلى التأثير فى تطور العرب الاجتماعى » .

٢ ـــ النفير والتعبئة والحشد :

وتعتبر إسرائيل أسلوب النفير والتعبئة والحشد لديها أحد أسباب تفوقها . وهى تحافظ بشكل مستمر ومتطور على هذا الأسلوب العلمى الدقيق .

٣ ـــ التفوق التكنولوجى :

وتعتمد الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية على هذه الناحية اعتمادا كبيرا لأنها تضمن

لها – فى حالة استمرار التفوق – سد النواقص والثغرات فى البنيان العسكرى ، واستثمار الآلات والتجهيزات الموجودة لديها إلى أقصى حد ممكن[1] .

التفوق العسكرى على النحو الذى تم إيضاحه بقدر ما هو غاية ، بحد ذاته ، هو وسيلة أيضا . فهو غاية فى الردع أى فى محاولة إقناع العدو بهزيمته إذا شن الحرب لعدم تأكده من إحراز النصر وعدم إمكانه تلافى الخسائر التى يمكن أن تقع فى جانبه . أما الردع إذا ما اتخذ كوسيلة فى إطار مفهوم الحرب الوقائية فهو يمثل بذلك الذراع الحديدية القوية التى تنطلق لتحقيق الهدف العسكرى والهدف السياسى . وعلى الطرف الذى يسعى إلى التفوق أن يحدد الفاصل الزمنى بين الاستخدامين السالفى الذكر . أى متى يكون التفوق رادعا من الناحية النظرية ومقنعا العدو بعدم شن الحرب . ومتى يتم استخدامه استخداما فعليا لا لصد هجوم ولا للدفاع بل لتحقيق الغاية التى رسمت له .

إذن هناك فروض أوجبت على إسرائيل الوصول إلى هذا التفوق الكيفى ، هناك ما هو متعلق بمقوماتها – التى سبق ذكرها – وكذلك أهدافها العليا .

وواضح أن استخدام التفوق الإسرائيلى قد حقق الأهداف منه . فقد منع العرب من مبادرتها بالهجوم – باستثناء حرب ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ – كما مكنها من شن الحرب الوقائية وتحقيق عدد من أهدافها .

ثالثا – الردع المسبق :

هناك مفهومان متداولان فى الفكر العسكرى للردع . أحد هذين المفهومين يتناول الردع كأسلوب لمنع الخصم من شن الحرب . وهذا المفهوم ينطبق على التوازن الذرى ، ذلك أن تساوى الضربات المتبادلة من حيث السرعة الزمنية وقوة التدمير تلغى إمكانية النصر لأى منهما ، وعليه يصبح الهجوم يعنى فناء الطرفين عند بدء نشوبه وذلك نتيجة للتقدم الهائل الذى أصاب صناعة الأسلحة الذرية ووسائل نقلها وخاصة الصواريخ العابرة للقارات والغواصات الذرية .

أما المفهوم الثانى فهو يعنى الوصول فى حالة التوازن فى الأسلحة التقليدية إلى حد منع الخصم من بدء الهجوم . إذ أن المقصود من ذلك فى الأصل هو منع الهجوم وليس

---

(١) هيثم الكيلانى – مصدر سابق – ص ٤٧٧ – ٤٧٨ .

القيام به . ففى ظل توازن القوى التقليدى يصبح الردع مقدمة للهجوم أى أنه فى حالة تحقيقه يسمح للطرف الذى يملكه بشن الهجوم إذا ملك المفاجأة الاستراتيجية . وفى ذلك يقول شمعون بيريز متسائلا : « ولكن متى تشتعل الحرب ؟ عندما يرغب شعب (أو مجموعة من الشعوب) بمهاجمة شعب آخر (أو مجموعة أخرى من الشعوب) وفى تصوره (أو تصورها) أن لديه الوسائل لكسب هذه الحرب فى هذه الحالة فقط ، أى عندما يكتمل هذان الشرطان الأوليان فى آن واحد ، أى الرغبة فى الاعتداء والشعور باحتمالات معقولة للنصر ، يصبح السلم فى خطر »[1] .

والردع فى المفهوم العسكرى الإسرائيلى وفى ظل توازن القوى فى الأسلحة التقليدية بينها وبين العرب مترابط ارتباطاً وثيقا بالحرب الوقائية التى أطلق عليه ايجال آلون مصطلح « الهجوم المضاد المسبق » وهذا ما يجعلها تتبع ما يأتى للوصول إلى الردع الفعلى باستخدام القوة يوضح ذلك آلون قائلا :

« إذا وقعت هذه الحرب – رغم ذلك – فإن إسرائيل يجب أن تكسبها بأى ثمن . إن الجيش القادر على كسب الحرب هو وحده الجيش الذى يردع . إن الأمل فى الردع لايعتمد على القوة العسكرية وحدها ولكن على التأكد من أن هذه القوة ستستخدم فى الوقت المناسب وبطريقة حاسمة . إن إسرائيل يجب أن تكون على استعداد لمواجهة كل أعدائها على جميع حدودها فى وقت واحد . وأخيرا يجب أن تكون مستعدة للمهمة وحدها ، دون أى مساعدة عسكرية من الخارج [2] .

هذا ما يوضحه آلون فى تفسيره للردع كوسيلة لتحقيق النصر ومواجهة خصم يفوقه فى العدد والعدة .

ويأتى ليفى أشكول رئيس وزراء إسرائيل السابق ليحدد أهمية سياسة الردع وأبعادها وأهدافها قائلا :

« يجب أن تكون لنا القوة والسلطة لردع أعدائنا وصدهم ، ليس كما هم عليه اليوم فحسب ، بل كما يحتمل أن يكونوا عليه خلال خمسة أو عشرة أعوام ... فإنهم عندما

---

(١) شمعون بيريز – مصدر سبق ذكره – ص ١٤٤

(٢) Allon, Yigal, Op. Cit, P. 62.

يشعرون بامتلاكهم القوة الكافية سوف يكررون محاولاتهم لإزالة إسرائيل عن وجه الأرض »(١) . هكذا يفهم قادة إسرائيل وزعماؤها مفهوم الردع المسبق .

أما الجنرال أندريه بوفر فإنه يوضح مفهومه للردع قائلا :

« يهدف الردع إلى منع دولة معادية من اتخاذ القرارات باستخدام أسلحتها أو بصورة أعم ، منعها من العمل أو الرد إزاء موقف معين ، باتخاذ مجموعة من التدابير والإجراءات التى تشكل تهديدا كافيا . وهكذا نرى النتيجة التى نحاول الحصول عليها بواسطة التهديد نتيجة سيكولوجية(٢) .

ويوضح هيثم الكيلانى مفهوم الردع فيقول :

« ثمة استراتيجية للردع . والردع مصطلح جديد دخل القاموس السياسى والعسكرى حديثا . ومعناه أن يقوم طرف ما بردع طرف آخر عن شن حرب ينوى القيام بها . وقوامه امتلاك ترسانة ضخمة من الأسلحة وعدد كبير من الوحدات والوسائل اللازمة لنقل هذه الوحدات والأسلحة لاستخدامها . واستراتيجية الردع فى جوهرها وحقيقتها ، وفى كافة مايشتق عنها من نظريات واستراتيجيات كالحرب المحدودة ، وحافة الحرب ، والحرب المتدرجة ليست سوى شكل من أشكال استراتيجية العدوان ، غايتها بسط نفوذ طرف على طرف ، ووسيلتها فى ذلك ممارسة الضغوط والتآمر والعدوان المتدرج ، ومن مراميها قهر الإرادة الوطنية وشل عزيمتها عن المقاومة . وللردع مفهوم نفسى – وهو حمل الخصم بالضغط السياسى والاكراه النفسى وبالتسلط بوسائل القسر والقهر العنيفة ، وبأدوات الحرب النفسية . على تغيير مواقفه السياسية والعقائدية والعسكرية أو تغيير قناعاته ، والإذعان والانصياع لعمليات الردع النفسية والفكرية والعسكرية . وقد يؤثر الردع بالقوة البحتة المسلطة ولكنه يتعلق – أساسا – بالاعتبارات العقائدية والتاريخية والفكرية والنفسية المستقرة فى عقول الأفراد ونفوسهم ، وقد تلقى القادة السياسيون والعسكريون فى إسرائيل وزعماء الصهاينة نظرية الردع واستراتيجيتها ، وحاولوا تطبيق بعض مبادئها فى علاقاتها العدوانية مع

---

(١) مركز الدارسات السياسية والاستراتيجية – العسكرية الصهيونية – المجلد الأول – مؤسسة الأهرام – القاهرة سنة ١٩٧٢ ص ٢٤١ .

(٢) أندريه بوفر – الردع والاستراتيجية – ترجمة أكرم ديرى – الطبعة الأولى – دار الطليعة بيروت – ١٩٧٠ – ص ٣١ .

الدول العربية . فسعوا إلى إدخال مفهوم القوة الرادعة الإسرائيلية فى أذهان الدول العربية وغرسها فى نفوس العرب بمختلف وسائل الاعلام ، وشن العمليات الانتقامية المحلية على الحدود وجعلوها مرادفا لمعنى - « جيش الدفاع الإسرائيلى » بقصد إضفاء صفة الرعب والإرهاب والتهديد المستمر التى تشكلها القوة الإسرائيلية المسلحة على الدول العربية وإقناعها بجدية التهديد الجاثم بقربها ، وحملها على تصديق حدوثه وإمكانية وقوعه وحتمية استخدامه ضدها وتنفيذه عمليا فى كل حين والردع يكون من موقف ضعف أو من موقف قوة ، فله صفة دفاعية ظاهرية أكثر الأحيان ، أما الردع ، حسب مفهوم إسرائيل فيرتدى دوما طابع الاستفزاز والعدوان ، ويهدف إلى المحافظة على توازن القوى بينها وبين الدول العربية ، وتوفير الأمن والسلامة لإسرائيل بتهديد سلامة الدول العربية . لهذا فإن الردع الإسرائيلى ليس فعالا فى أساس تصميمه النفسى والفكرى لأنه يزيد فى عداء الدول العربية ، ولأنه فى جوهره يحض ، ويثير ويستفز الدول العربية أكثر مما يرهبها ويخيفها »[1] .

هذا الاستخدام المتدرج يمكن أن يضفى عليه صفة الحركة والمرونة فهو ليس ثابتا أو مقصورا على نمط معين من أشكال القوة ، ويستخدم القوة العسكرية تارة فى هجمات إرهابية لتترك أثرها النفسى فى الخصم وتمنعه من التفكير بالرد على مثل هذه الهجمات ولكن الردع فى تطبيقه الشامل يسعى لتحطيم العدو قبل أن يستخدم سلاحه وهو بذلك جزء من مفهوم الحرب الوقائية . ويقول الكيلانى :

« وإذا استخدمت إسرائيل الردع العسكرى البحت فهى أمام أحد اختيارين لا مندوحة عنهما :

١ ــ فإما أن تلجأ إلى القوة مع ما فى ذلك من مآزق وأخطار . وهى لا تستطيع ذلك إلا بدعم سياسى ودبلوماسى من الدول الكبرى وخاصة أمريكا وهذا لا يتوفر لها فى كل مناسبة بالرغم من أنها دولة مندمجة فى الجهاز العالمى السياسى والعسكرى لأمريكا .

٢ ــ وإما السكوت والإغضاء عن عجز وضعف منها .

إن إسرائيل لا تستطيع مواجهة ظروف وشروط مجابهة دائمة ومستمرة مع العرب مع

---

(١) هيثم الكيلانى - مصدر سابق - ص ٤٤٩ - ٤٥١ .

ما يعقب الاشتباك من إمكانية توسعية وهى لا تستطيع أن تتوغل فى البلاد العربية لضعفها وقلة عدد جيشها »(1) .

وربما كان إدراك القادة العسكريين الاسرائيليين لحدود طاقتهم العسكرية سببا فى نجاحهم لعدم الوقوع فى الأخطاء التى وقعت فيها الاستراتيجية العسكرية الألمانية فى الحرب العالمية الثانية - كما رأينا - ولعدم تحديدها للأهداف الاستراتيجية المطلوب تحقيقها أثناء العمليات العسكرية . وكان ذلك سببا قاتلا أدى إلى فقدانها لغايتها العسكرية والقومية معا . ويصدق ذلك تماما على الجبهة الروسية .

أما فى حالة النموذج الإسرائيلى فقد استطاعت القيادة الإسرائيلية أن تضع مراحل لتحقيق أهدافها باستخدام قوتها العسكرية الرادعة . وواضح أن الحرب ١٩٦٧ هى التى مكنت إسرائيل من احتلال أراض واسعة من الدول العربية فى أعقاب نجاحها فى تدمير قواتها المسلحة . هذه الأراضى - وكما سبق وأن ذكر آلون من قبل - هى أداة المساومة للتفاوض مع العرب لتحقيق الهدف الأعلى للاستراتيجية السياسية الإسرائيلية وهو الاعتراف والصلح والسلام مع العرب .

ويحدد آلون مفهوم إسرائيل للردع فى صراعها مع الدول العربية قائلا :

« لقد اتضح للدول العربية وبشكل خاص لمصر بأنه ليس فى مقدورها أن تلحق الهزيمة بإسرائيل فى أى حرب شاملة . وعلى هذا الأساس فإن سياسة إسرائيل القائمة على الردع بدلا من الوصول إلى الحسم قد أعطت ثمارها . ومهما كانت الدول العربية المتطرفة بعدائها لإسرائيل فإنها باتت موقنة بإن وجودها لا يعتمد على القتال ضد هذه النتيجة . ولكنهم يدركون أيضا بأن الهزيمة على يد إسرائيل ، مع أنها قد لا تهدد وجودهم كدول ذات سيادة إلا أنها قد تهددهم كأنظمة قائمة - ويحدد مفهوم الردع العسكرى - إن الردع العسكرى لا يكون بكمية أو بنوع الأسلحة ، ولكن بالاستعداد الدائم ضد الهجوم المباغت وبقدرة الأمة على إقناع الغير بأنها مستعدة لاستخدام القوة سواء عن طريق عرض قوتها العسكرية فى المناورات العسكرية أو عن طريق استخدامها بالفعل جزئيا أو كليا ، حسبما تقتضى الظروف ، - ثم يربط بين الردع والهجوم وبين علاقتهما المتبادلة فى ظل الاستراتيجية الإسرائيلية فيقول - : « وبهذا الصدد فإنه يجب على إسرائيل أن تحذر الوقوع فريسة لوهمين :

---

(١) هيثم الكيلانى - نفس المصدر - ص ٤٥٣ .

الأول : أن تتصور أنه بالإمكان عمليا إقفال الحدود إقفالاً محكما .

الثانى : أن تستمع إلى نصيحة البعض بأن تلجأ إلى الدفاع السلبى وحده . إن استخدام قواتنا العسكرية فى مهمات دفاعية سلبية بحتة هو بحد ذاته نجاح كبير للاستراتيجية العربية . وبداية لهزيمة إسرائيل العسكرية . طبعا يجب تدريب كل فرق « تساهال »(*) على أعمال الدفاع بما فيها الدوريات والكمائن لأن ذلك يشكل جزءاً هاما من إجراءات الأمن المعتادة . ولكن يجب أن نحذر من هدر قوتنا الهجومية عن طريق استخدام الجيش الإسرائيلى كله فى واجبات دفاعية موضعية . فإذا ما وجدنا أنفسنا مجبرين على القيام بعمل عسكرى ، فإنه يجب أن نكون على استعداد للضرب خلف الحدود أيضا دون أن نتقيد بنموذج واحد من الأهداف أو من أساليب العمل العسكرى »(١) . ويخطط حاييم بارليف لاستراتيجية الردع والانتقام فيرى : « أن على إسرائيل أن تتبع استراتيجية يقظة للمحافظة على أمنها وسلامتها وأن هذه الاستراتيجية يجب ألا تكون دفاعية بل أن على إسرائيل أن تستمر فى تطبيق قانون الانتقام بالنسبة للدول العربية . وسيعمل الجيش الإسرائيلى كل ما فى وسعه لأن يضرب بعنف وقوة ، كى تكون العقوبة قاسية قدر الإمكان »(٢) .

مما سبق تتضح مدى المرونة التى تتمتع بها نظرية ، الردع المسبق ، فى العقيدة العسكرية الإسرائيلية هذه النظرية على ثلاثة أوضاع مختلفة :

الوضع الأول – إقناع العدو بما تملكه إسرائيل من قوة عسكرية متفوقة بأن أى عمل هجومى من طرفه سوف لا يحقق له النصر ، كما سيرد عليه بقوة وعنف .

الوضع الثانى – القيام بعمليات ردع محدودةأى ممارسة القوة وعدم .. الاكتفاء بالتلويح بها فقط وإن سجل الاعتداءات الإسرائيلية على البلاد العربية حافل بنجاح هذا النوع من الردع المحدود . ومن أبرز هذه النماذج الغارة الجوية التى قامت بها إسرائيل على مواقع العمل لتحويل مجرى نهر الأردن فى سوريا . وأدى إلى تدمير هذه المواقع تدميرا شاملا . وكذلك الغارة الانتقامية التى قامت بها القوات الإسرائيلية على قرية السموع فى

(*) وتساهال « جيش الدفاع الاسرائيلى » « تسافا هاجاناة لاسرائيل » وهو الاسم العبرى لها .

(١) جريدة الجيروزاليم بوست الاسرائيلية – عدد : ١٠ – ٢ – ١٩٦٧ .

(٢) مجلة الحوادث اللبنانية – العدد الصادر فى ١٠ – ١ – ١٩٦٩ .

الضفة الغربية . هذا النوع من الردع لا يرمى إلى تحقيق أهداف سياسية بقدر ما يرمى إلى تحقيق أهداف عسكرية ونفسية أما الأهداف العسكرية فهى تدمير المواقع التى تمارس أعمالا قتالية ضد إسرائيل . والأهداف النفسية إقناع العدو بعجزه عن رد الهجوم .

الوضع الثالث – وهو الوضع الأمثل لاستخدام الردع المسبق فى حالة القوة المتحركة وذلك عندما يتبين أن أحد الأطراف على وشك أن يشن الهجوم أو يقوم بالتعبئة والحشد استعدادا لذلك أو محاولة منه للضغط السياسى ، عندئذ يتخذ الطرف الآخر خطوة مسبقة لا تقوم على الاحتمال فحسب بل تستند إلى خطة قد سبق وضع أصولها ، وهذا ما أوضحه آلون ذاته عندئذ يكون الردع المسبق فى هذه الحالة هو التطبيق العملى للحرب الوقائية أى القيام بالعمليات العسكرية الهجومية للقضاء على قوة العدو ومنعه مسبقا من استخدامها وذلك بحجة الدفاع عن النفس . ولقد طبقت إسرائيل هذه العملية بحذافيرها عام ١٩٦٧ وادعت أنها كانت معرضة للفناء أى أن وجودها بات فى خطر . وذلك لتبرير وتغطية الأهداف الحقيقية السياسية من قيامها بهذا النوع من الحروب .

ولقد اتضح أن التطبيق العملى للردع المسبق فى الاستراتيجية الإسرائيلية فى وضعه الأمثل يرمى إلى تحقيق أهداف سياسية بالإضافة إلى الأهداف العسكرية وجميع التصريحات التى أدلى بها المسئولون الإسرائيليون والتى سبق استعراض نماذج منها تحدد هذه الأهداف . فهم يعلنون صراحة أنهم لن ينسحبوا إلى حدود (٥ يونيو سنة ١٩٦٧) .

ويمكن القول أن إسرائيل مارست هذا النوع من أساليب القوة فى أطواره الساكنة والمتحركة ، والمحدودة وغير المحدودة ، لتحقيق أهداف عسكرية وسياسية فى آن واحد . وسوف يتضح ذلك بالتفصيل عند استعراضنا لنماذج الحروب الوقائية التى خاضتها إسرائيل ضد الدول العربية .

الفصل الخامس
نماذج الحرب الوقائية فى الحروب العربية الإسرائيلية

شهد الصراع العربى الإسرائيلى حتى الوقت الحاضر أربعة حروب تطورت خلالها أساليب القتال والاستراتيجيات العسكرية ، وسعى كل من العرب وإسرائيل إلى ترويض الآخر باستخدام القوة كأداة لتحقيق أهداف السياسة العليا .

والسؤال المطروح هو إلى أى حد استطاعت إسرائيل أن تحقق أهدافها خلال هذه الحروب الأربعة ؟ وكيف مارست عقيدتها الهجومية التى سبق شرحها ؟.

الملاحظة الأولى التى لابد وأن تكون واضحة هى أن الحرب أقامت إسرائيل وأن الحرب استطاعت إسرائيل أن تحقق التوسع الإقليمى خلال ثلاثة حروب . وبالحرب أيضا تسعى إسرائيل لتحقيق هدفها القومى الأول وهو اعتراف العرب بها والصلح معها وتحقيق السلام الذى يضمن وجودها ضمن حدود آمنة تحددها هى .

وما كان لإسرائيل أن تصل إلى ما وصلت إليه حدودها الراهنة لو أنها قبلت بما حددته لها الأمم المتحدة من حدود وفى قرار الجمعية العامة الصادر فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ . ومازالت تدعى وفقا لما ورد فى إعلان قيامها أنها تتعرض للهجمات العربية التى ترمى إلى إفنائها ، وذلك فى أعقاب دخول الجيوش العربية فلسطين عام ١٩٤٨ .

وعند تحليل العمليات العسكرية التى وقعت بين الجيوش العربية وإسرائيل أثناء حرب ١٩٤٨ يتأكد لنا أنها لم تحقق الأهداف الحقيقية من تدخلها ، بل على العكس كان لتدخل الجيوش العربية النظامية أثر معاكس سرعان ما اتضحت معالمه عندما تدخلت الأمم المتحدة لوقف القتال فى الهدنة الأولى والثانية وفى الوقت الذى تمكنت فيه القوات الإسرائيلية من المحافظة على الأراضى التى احتلتها والتزود بالعتاد والأسلحة والذخائر

وشن الهجمات لتوسيع نطاقها الإقليمي واحتلال أراض خصصتها الأمم المتحدة فى قررها السالف الذكر لدولة عربية فلسطينية .

إذن إدعاء اسرائيل آنذاك بتعرضها لخطر الفناء هو من قبيل إثارة الرأى العام العالمى من جهة ودعوة المنظمة الدولية للتدخل من جهة ثانية ، ومن جهة ثالثة كسب الوقت لإعادة تنظيم القوات وتزويدها وتسليحها للقيام بالوثبة الثانية التى تحقق لها ما أوضحه قادتها آنذاك وهو السيطرة على أكبر جزء من الأراضى الفلسطينية بما فى ذلك صحراء النقب ذاتها ، ذات الأهمية الاستراتيجية والتى يقع طرفها الجنوبى على خليج العقبة مما يمكن إسرائيل من الانفتاح على البحر الأحمر والاتصال بأفريقيا وآسيا . وهذا ما أكده حاييم وايزمان فى كتابه « التجربة والخطأ »[1] . وكانت هذه التجربة بداية للوصول إلى أهداف إسرائيل العليا دون أن يكون هناك محل لادعائها بعزم العرب على إفنائها .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الفكرة بقيت هى المخدر الذى تستخدمه الدعاية الاسرائيلية لتغطية مخططاتها التوسعية . ولما كان الصراع العربى الإسرائيلى هو صراع مصيرى على الوجود وشرعيته ، من هنا كانت أداة الحرب هى أداة الحسم ، وليس ذلك فحسب بل إن استخدامها من قبل إسرائيل لم يقتصر على الدفاع أو المحافظة على حدودها بل تعدى ذلك إلى تبنى فكرة الهجوم ونقل المعركة لأرض العدو . ومما سبق تبين أن هذه الفكرة تتفق مع طبيعة العقيدة الصهيونية ومع نشأة إسرائيل والغاية من قيامها كما تتفق مع استراتيجيتها العليا . ونستعرض الآن نماذج الحروب التى خاضتها إسرائيل . وكيف طبقت من خلالها فكرة الهجوم المسبق ثم الحرب الوقائية .

١ ــ تجربة حرب ١٩٤٨ :

لابد أن نحدد بادىء ذى بدء الغرض من استعراض هذا النموذج للعمليات العسكرية التى وقعت بين العرب واليهود إبان تجربة حرب ١٩٤٨ وإلى أى مدى تمكن اليهود من تطبيق استراتيجيتهم العسكرية أثناء مراحل الحرب . وكيف استطاعوا أن يستغلوا سيطرتهم على مناطق متعددة من البلاد فى توسيع رقعة هذه المناطق على حساب الحقوق العربية وفى استغلالها أيضا لضرب خطوط المواصلات للقوات النظامية العربية . ثم بعد ذلك تكتيل هذه القوى فى اتجاهين رئيسيين أحدهما – فى شمال فلسطين والآخر –

---

(١) Weizmann, C. OP. Cit. P.P. 458-459.

جنوبها . ومن أبرز الملاحظات على الوضع الجيواستراتيجى لليهود قبل بدء العمليات ما يلى :

١ ــ كانت معظم المستعمرات الإسرائيلية متخذة وضع الانتشار من الشمال إلى الجنوب وكان اختيارها يعتمد على أهمية موقعها الجغرافى وسيطرته على المنطقة التى تقع فيه خطوط المواصلات التى تمر بها .

٢ ــ كانت هناك مناطق تركز فيها اليهود مثل المنطقة الوسطى حول – تل أبيب ، ويافا ، ورحافوت ، ومنطقة حيفا ، ومنطقة طبرية كان العرب يسيطرون بصورة عامة على معظم المناطق فى السهل الساحلى ، والنقب والمرتفعات الوسطى ، والمرتفعات الشمالية ، وبذلك كان فى إمكانهم التحكم فى طرق المواصلات وقوافل التموين التى كانت تذهب إلى المستعمرات اليهودية .

إذن لم تكن المناطق اليهودية تمثل وضعا استراتيجيا يمكنها من مقاومة أى هجوم ، بل على العكس كان يمكن القضاء عليها كل على انفراد والتحكم فى وسائل اتصالها وتموينها . ولكن الذى لابد من ذكره بادىء ذى بدء هو أن الاسرائيليين تمكنوا من استغلال هذا الوضع الاستراتيجى الشاذ لصالحهم ومكنهم ذلك من تقييم عناصر القوة والضعف فى موقفهم . وكذلك فى موقف العرب . ووضعوا الخطة الاستراتيجية المناسبة التى تكفل لهم تحقيق أهدافهم العسكرية والسياسية معا .

ولم يكن ذلك نتيجة لقوتهم الذاتية فحسب ، بل لانعدام التنظيم والتخطيط عند العرب من ناحية ، ولاستغلالهم – أى اليهود – لسلطة الانتداب البريطانى لتحقيق مكاسب استراتيجية على حساب العرب من ناحية أخرى .

هذه العوامل كانت تمثل ثغرات فى الجبهة العربية استطاع الاسرائيليون أن يدرسوها جيدا ويعملوا على توسيعها بقدر الإمكان واستغلالها استغلالا أمثل ، كما كانت لهم خطة تمويهية فعلت فعلها فى تخدير أعصاب العرب . ومن أبرز أهدافها إخفاء حقيقة أهدافهم واتجاهات حركاتهم العسكرية .

أولا – موقف الجيوش العربية قبل الهدنة الأولى :

عند انتهاء الانتداب البريطانى فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ واشتداد الصراع المسلح بين

اليهود وعرب فلسطين ظهر فى الموقف السياسى للدول العربية اتجاهان حيث كان الاتجاه السائد عند الحكومات العربية منذ ابريل ١٩٤٧ هو أن يترك للفلسطينيين مواجهة التقسيم وما يترتب عليه من قيام دولة يهودية ولكن خلال الفترة ما بين صدور قرار التقسيم فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وحتى انتهاء فترة الانتداب البريطانى فى منتصف مايو ١٩٤٨ كان الموقف الفلسطينى ضعيفا وكان اليهود بمساعدة قوات الاحتلال البريطانى قد تمكنوا من السيطرة على المراكز الاستراتيجية الهامة فى البلاد من بينها مينائى حيفا ويافا وذلك لما سبق وأن ذكر من انعدام التنظيم والتخطيط فى صفوف الفلسطينيين . وقد أكد ذلك اسماعيل صفوة عضو اللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية إن الأمر لا يحتاج إلى تدخل الجيوش النظامية العربية فحسب بل لابد من وضع جميع ثقل هذه الجيوش فى معركة فلسطين والأمن الأفضل مفاوضة اليهود[1].

« انظر الخريطة » شكل (٤)

وقد أذاعت الحكومات العربية بيانا عددت فيه دواعى تدخل جيوشها فى فلسطين كما بينت الأهداف من وراء هذا التدخل فى هذا البيان :

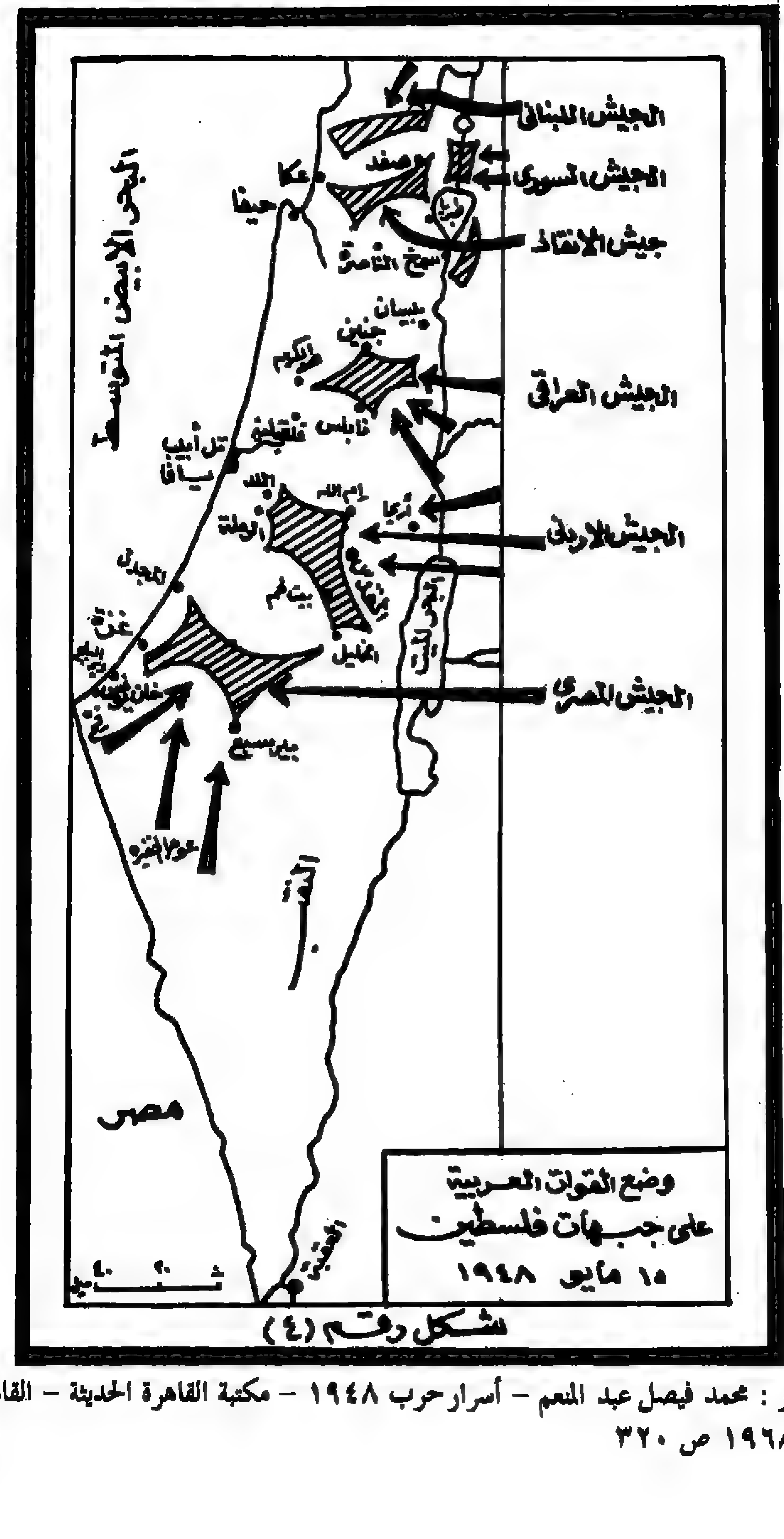
« وتؤكد حكومات الدول العربية فى هذه المناسبة ما سبق لها أن أعلنته أمام مؤتمر لندن والأمم المتحدة من أن الحل الوحيد العادل لقضية فلسطين هو إنشاء دولة فلسطينية موحدة وفق المبادىء الديمقراطية ، يتمتع سكانها بالمساواة التامة .. أمام القانون وتكفل للأقليات فيها جميع الضمانات المقررة فى البلاد الديمقراطية الدستورية وتصان الأماكن المقدسة وتكفل حرية الوصول إليها »[2] .

وكانت الخطة الحربية للجيوش العربية أن تتجه الكتائب العراقية والأردنية نحو القلب وفى اتجاه العفوله لفصل الشمال عن الجنوب بين حيفا ويافا وتصفى الشمال بالتعاون مع الكتائب السورية واللبنانية القادمة من الشمال وأن تتجه الكتائب المصرية نحو عزة فيافا من جهة ، وبئر سبع والخليل من جهة أخرى لعزل مستعمرات اليهود فى الجنوب ، وتتجه بعض الكتائب الأردنية من اريحا فالقدس فيافا وتتضامن مع الكتائب المصرية فى

---

(١) الدكتور صلاح العقاد – قضية فلسطين – المرحلة الحرجة – ١٩٤٥ – ١٩٥٦ .. معهد البحوث والدراسات العربية العالية – القاهرة – ١٩٦٩ ص ٨١ .

(٢) محمد عزة دروزة – القضية الفلسطينية فى مختلف مراحلها – الجزء الثانى – الطبعة الثانية – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – ١٩٦٠ ملحق ٧ – ص ٣٥ .



شكل رقم (٤)

المصدر : محمد فيصل عبد المنعم – أسرار حرب ١٩٤٨ – مكتبة القاهرة الحديثة – القاهرة – سنة ١٩٦٨ ص ٣٢٠

تصفية الجنوب ويقوم المناضلون الفلسطينيون بدورهم فى إطار الخطة العربية بالتعاون مع القيادات العربية فى مختلف المناطق . ولم تمر بضعة أيام حتى تمكنت القوات المصرية من الوصول إلى أسدود على السهل الساحلى وبئر السبع فى النقب واتجهت فى خطين واحد فى اتجاه الخليل وآخر فى اتجاه يافا . وعزلت مستعمرات النقب وسيطرت على مستعمرات أخرى واقعة فى نطاق اتجاهيها واحتلت بعضها بعد دك حصونها .

أما الجبهة الشمالية والوسطى فقد احتلت القوات العراقية مستعمرة الجسر عبر نهر اليرموك واتجهت فى خطين ، واحد فى اتجاه نابلس فطولكرم فقلقيليا فناتانيا على البحر الأبيض المتوسط ، وواحد فى اتجاه مرج بن عامر - العفوله مما اضطر اليهود إلى الانسحاب من بيسان ، وغدت ناتانيا فى مرمى مدافعها ومستعمرتا عوليم وكفريونا تحت سيطرة هذه المدافع . كما احتلت القوات السورية سمنح من جهة وأخذت تهيمن على عبر اليرموك من جسر بنات يعقوب باتجاه طبرية من جهة أخرى واحتلت القوات اللبنانية الناقورة والمالكية وأخذت تهيمن على معابر الجليل الغربى .

وفى الوسط قامت القوات الأردنية باحتلال أريحا فالقدس القديمة وغدت القدس الجديدة - أحياء اليهود - تحت سيطرة مدافعها . واتجهت نحو يافا فسيطرت على طريق القدس - الرملة ، كما عسكرت إحدى كتائبها حول واللد والرملة . وبتعبير آخر لم يكد يمضى اثنا عشر يوما على الزحف حتى كانت الجيوش العربية تسيطر على المناطق العربية المخصصة للعرب فى قرار التقسيم مع بعض استثناءات فيها زيادة من جهة أو نقصاً من جهة أخرى وتكاد تحدق بتل أبيب وتفصل الجنوب عن الشمال فى ناتانيا(١) .

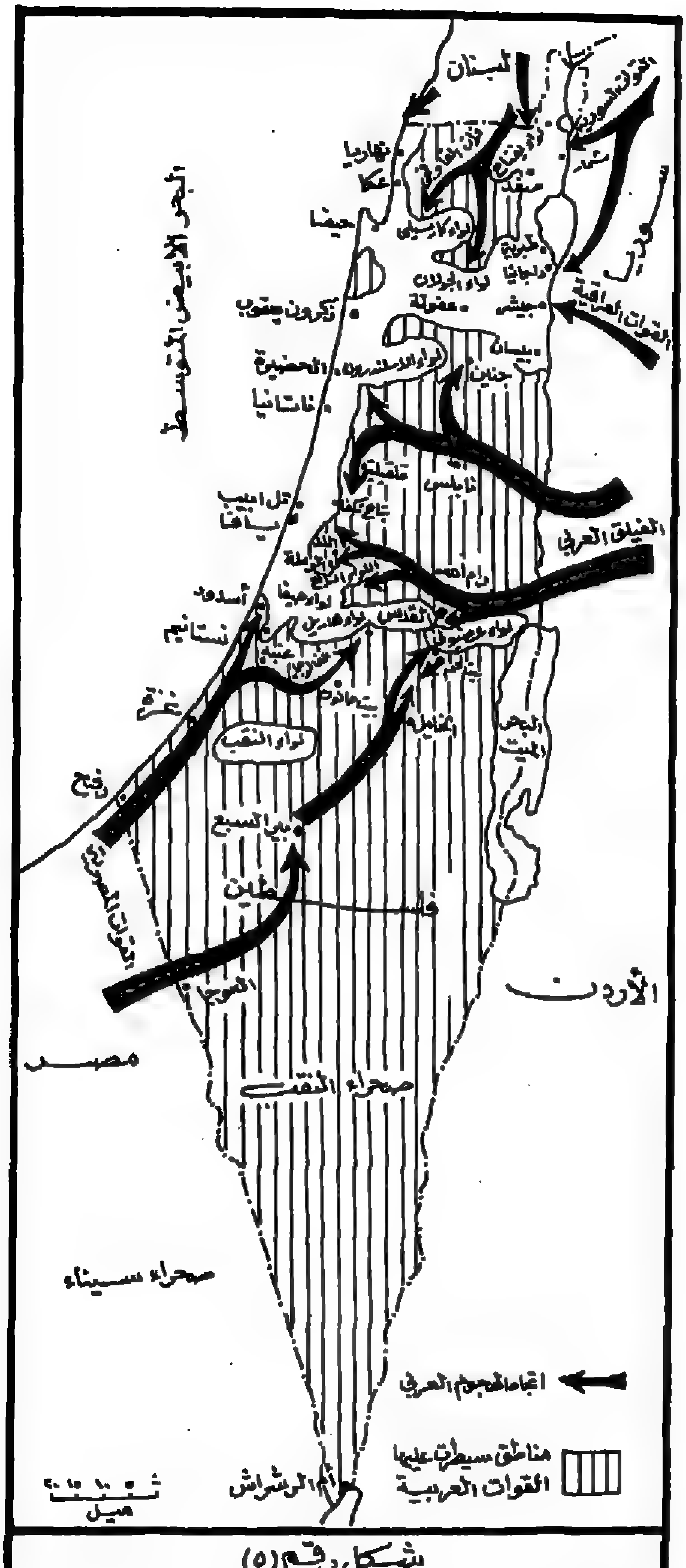
انظر الخريطة (شكل رقم ٥) :

هكذا يمكن القول أن الجيوش العربية تمكنت أن تعزز المناطق التى كانت بأيدى عرب فلسطين وذلك فى المرحلة الأولى من تقدمها . فما هى الامكانيات التى استخدمت لتحقيق هذه الخطة ؟ .

أما الجيش المصرى فلم تزد القوات التى استخدمت يوم ١٥ مايو عن ١٠,٠٠٠ عشرة آلاف جندى موزعة على النحو التالى - ٥ لواءات مشاة - لواء مدفعية - لواء

---

(١) محمد عزة دروزة - المصدر السابق - ص ١٥١ - ١٥٢ .



شكل رقم (٥)

الهجوم العربي في الجولة الأولى صيف ١٩٤٨

المصدر : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية - العسكرية الصهيونية - المجلد الأول - مصدر سبق ذكره ص ١٦٨

مدرع – وحدة مدافع مضادة للطائرات وأخرى مضادة الدبابات – ١٥ طائرة مقاتلة – ٥ طائرات نقل . واشترك من الجيش العراق ٤ لواءات مشاة وكتيبتين مدرعات – وثلاثة أسراب طائرات ١٥,٠٠٠ ألف جندى . بالإضافة إلى ٢٠٠٠ من المتطوعين الفلسطينيين . أما الجيش الأردنى فقد وضع بأكمله فى المعركة ، إلا أن فاعليته شلت إلى حد كبير ، فهو يخضع لقيادة أجنبية .. ويحتل أربعون ضابطا انجليزيا المراكز الهامة فى الفرقة العربية ، وكانت تضم لواء مدرعا وثلاث كتائب تتكون كل منها من ٤٥٠ رجلا ، ١٥ فصيلة مشاة تتكون كل منها من ٢٠٠ رجل ومجموع الفرقة نحو ٧٥٠٠ رجل .

ولم يكن الجيش السورى العامل يزيد عن ١٥ ألف رجل ، واللبنانى ٣٥٠٠ رجل وهو مقسم إلى كتائب . ولم تكن سوريا تمتلك سلاحا جويا على الإطلاق فى ذلك الوقت – ١٩٤٨ – ويمكن القول إجمالا أن مجموع الجيوش العربية التى دخلت فلسطين يوم ١٥ مايو يقدر بنحو ٥٠,٠٠٠[١] . انظر الجدول رقم (١) الذى يبين القوات العربية التى دخلت فلسطين عام ١٩٤٨ . وقد ذكر أحد المؤلفين الصهاينة هذه القوات فى الجدول المبين أدناه ، ثم قارنها مع قوات الإسرائيليين فى الجدول رقم (٢) .

الجدول رقم (١)

الـــدولـــة	عدد القـــوات
مصر	١٠,٠٠٠
الفيلق العربى (الأردن)	٤,٥٠٠
سوريا	٣,٠٠٠
العراق	٣,٠٠٠
لبنان	٣,٠٠٠

٢٣,٥٠٠[٢]

---

(١) د . صلاح العقاد – مصدر سبق ذكره – ص ٨٣ – ٨٤ .

(٢) Jon and David Kimche, Both sides of the hillsecker and warburg - London- 1960. P. 162.

ولما كان الهدف من هذا الكتاب بحث تطور العقيدة العسكرية الهجومية للجيش الإسرائيلى وذلك من خلال دراسة نماذج المعارك والحروب التى خاضها ضد العرب . فما هى الخطة الاستراتيجية التى واجه بها الإسرائيليون دخول الجيوش العربية لفلسطين ؟

الخطة الاستراتيجية الإسرائيلية فى مواجهة الجيوش العربية :

قبل التعرض فى التفصيل والتحليل للاستراتيجية الإسرائيلية تجدر الإشارة إلى الوضع الجيواستراتيجى والسكانى لليهود فى فلسطين عشية انتهاء الانتداب البريطانى نلاحظ أنهم كانوا يتركزون فى القطاع الساحلى فى المدن بصفة خاصة . مثل تل أبيب وحيفا وكان المزارعون منهم يقيمون فى مستعمرات جماعية منتشرة فى الشمال والجنوب وسهل مرج بن عامر ومنطقة طبريا وقد كان من الصعب عليهم الدفاع عن هذه المستعمرات النائية لولا أنها أسست على نمط معين من الدفاع الذاتى يمكنها من الصمود فى وجه الهجمات التى تتعرض لها ولذلك كان من أعقد المشكلات التى واجهت إسرائيل عند بداية الحرب هى المحافظة على طرق المواصلات للاتصال بهذه المستعمرات وتموينها بما تحتاج إليه من غذاء وعتاد حربى ورجال . أما الجيش الإسرائيلى فكان يتكون من تشكيلات مختلفة والمحترفون فيه يمثلون نسبة ضئيلة إذا ما قيسوا بتشكيلات الفرق المتخصصة أشهرها البالماخ وكانت تضم حوالى ٢٠٠٠ جندى من الطيارين والبحارة والفدائيين (انظر الجدول رقم ٢) . أما التشكيل الثانى فكان يتكون من الجيش الثابت ومعظمه من الشبان الذين يؤدون الخدمة العسكرية وقد بلغ عددهم ٨٠٠٠ آلاف ، إلا أن – لوزوسكى ذكر أن الجيش المحترف بلغ ٧٥٠٠٠ . أما التشكيل الثالث – ويدعى الحرس الوطنى ، وكان يضم جميع القادرين على حمل السلاح . وهناك تشكيل رابع للأعمال الوقائية كان يتكون من الشبيبة تحت سن السابعة عشر .

ولكن يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار أن إسرائيل كانت قد شرعت فى إقامة مصانع للأسلحة الخفيفة والذخيرة وقد ساعدها فى ذلك المؤسسات العلمية التى كانت قد سعت إلى تأسيسها منذ نشأة الاستعمار الاستيطانى فى فلسطين مثل – الجامعة العبرية فى القدس ، ومعهد التكنيون ، هذا بالإضافة إلى استعانتها بأعداد كبيرة من المتطوعين .

والجدول رقم (٢) حيث يبين مقارنة بين القوات العربية والاسرائيلية التى قاتلت على الجبهات المختلفة :

	القوات العربية	القوات الاسرائيلية
١ – الجبهة الجنوبية	٥٠٠٠ (مصر)	٥٠٠٠
٢ – الجبهة فى منطقة الخليل	٤٠٠٠ (مصر)	١,٥٠٠
٣ – جبهة منطقة القدس	٤٠٠٠ (الفيلق العربى)	٤,٥٠٠
٤ – المنطقة الوسطى (تل أبيب ناتانيا)	٣٠٠٠ (العراق)	٣٠٠٠
٥ – الجبهة الشمالية	٣٠٠٠ (سوريا)	٥٠٠٠
	١٠٠٠ (لبنان)	
المجموع	٢٣٠٠٠	١٩٠٠٠(١)

أما من ناحية مسارح العمليات فيمكن القول أن تقدم الجيوش العربية اتخذ مظهر الهجوم من الناحية الشكلية ، ولا يمكن أن نطلق عليه هجوما بالمعنى العسكرى لأنها – أى الجيوش العربية – لم تكن تتقدم فى ميادين معارك وإنما كانت تتقدم على مساحات من الأرض العربية جلى سكانها من العرب وخاصة فى المنطقة الجنوبية والوسطى . وكانت تصطدم أحيانا ببعض المستعمرات اليهودية التى كانت تكلفها الكثير قبل أن تتمكن من السيطرة عليها .

وقد مرت الاستراتيجية الإسرائيلية فى هذه الحرب بثلاثة مراحل رئيسية سوف نتناولها بالتحليل والبحث وهذه المراحل هى :

١ – مرحلة الدفاع الاستراتيجى .

٢ – مرحلة الدفاع الاستراتيجى المتحرك (الدفاع الاستراتيجى النشط) .

٣ – مرحلة الهجوم الاستراتيجى الفجائى .

---

(١) Kimche, J. Ibid. P. 162.

كانت خلف هذه المراحل قيادة واحدة ، وفكر عسكرى مخطط ، واستيعاب كامل لفرضيات الوضع القائم وإمكانيات الخصم ، وأهداف سياسية وعسكرية واضحة ، وسوف يتأكد ذلك من خلال تتبع مجرى العمليات العسكرية وماكتبه قادة إسرائيل العسكريون فى ذلك .

١ - المرحلة الأولى - مرحلة الدفاع الاستراتيجي :

قبل دخول الجيوش العربية إلى فلسطين بادرت القوات الإسرائيلية باحتلال المواقع الاستراتيجية الهامة . يقول آلون :

« وقد أتاح هذا الوضع الشاذ للهاجاناة فرصة القيام بجهود رئيسية فى مناطق بالغة الدقة لإقامة اتصال إقليمى داخل المناطق اليهودية ، وفيما بينها ، ولمد سيطرتها إلى مناطق كانت تحتلها من قبل قوات عربية ، وتدعيم ترتيباتها الدفاعية استعدادا للغزو الذى هددت به جيوشا نظامية من وراء الحدود . وخلال تلك الفترة لم تتمكن القوات اليهودية من صد غالبية الهجمات العربية على المستعمرات فحسب ولكنها تمكنت من « تحرير » مناطق حيوية كالجليل الأعلى والأدنى بما فيهما مراكز عربية مثل سمخ ، وبيسان ، وبعض المدن المختلطة مثل صفد ، وطبريا ، والجليل الغربى بما فيه مدينة حيفا المختلطة والمركز العربى الضخم يافا ، وأجزاء هامة من القدس الجديدة ، وقرى كثيرة هامة من الناحية الاستراتيجية فى طول البلاد وعرضها .. إن انجازاتها فى تلك الفترة أثبتت أهميتها فى خلق وضع جيواستراتيجى أفضل ، لمواجهة غزو وشيك لقوات متفوقة »[١] .

يمكن القول أن هذه الخطوة الاستراتيجية قد مكنت الإسرائيليين من وضع أيديهم على المراكز العصبية فى البلاد ، ومنع العرب من الوصول إليها تحت أى ظرف ، ولاسيما ميناء حيفا الذى كان يضم مصفاة للبترول ، كما كان معدا لاستقبال المهاجرين اليهود والعتاد الحربى الذى أخذ يصل إلى إسرائيل تباعا وكذلك ميناء يافا ؛ أما سيطرتهم على بعض القرى الاستراتيجية فكان بهدف التحكم فى طرق المواصلات وفتح الطرق أمام قوافل الامداد التى كانت ترسل إلى المستعمرات الإسرائيلية النائية وبذلك تكون القوات الإسرائيلية قد حسنت من موقفها الاستراتيجى قبل بدء العمليات .

ويصف محمد عزة دروزة موقف اليهود فى المرحلة الأولى من القتال قبل الهدنة الأولى

---

(١) Allon, Y, Op Cit .P.P 33-34.

قائلا : « ومع آن اليهود حاربوا بشدة وضراوة وقدرة فنية فى بعض الجبهات التى وجدوا فيها أنفسهم أمام الكتائب العربية مثل القدس ، وأطراف القدس الأخرى الموالية للجبهة العربية ، وباب الواد . واللطرون فى طريق القدس – يافا ، وعلى حدود سوريا ولبنان ، وفى مرج بن عامر . وقرب ناتانيا وفى مستعمرات النقب ، والمستعمرات الساحلية الجنوبية التى هاجمها المصريون واحتلوا بعضها . فقد كان ملحوظا منذ بدء هذا الشوط أنهم ضعفاء فى المدفعية والطيران بالنسبة للعرب ، وكان القصف الجوى يرهقهم أشد إرهاق ويزيد فى قلقهم وهلعهم وكان معولهم الأكبر على التحصينات القوية التى كانوا قد حصنوا بها مستعمراتهم التى بدأ أنهم كانوا يقيمونها ضمن خطة حربية بارعة كان لها الفضل الكبير فى استمساكهم فى مناطقهم »(١) .

هكذا يتضح أنهم كانوا فى موقف دفاعى صعب إزاء قوات تفوقهم فى العدد والعدة والتقدم الاستراتيجى هذا فضلا عن وجود سكان من العرب يحيطون بهم من كل جانب ، ولكنهم سعوا فى هذه المرحلة التى يمكن حصرها زمنيا فى الفترة مابين ١٥ مايو إلى ١٠ يونية إلى تحقيق الأهداف الآتية :

١ – المحافظة على المناطق التى تضم تجمعات يهودية كبيرة مثل – منطقة الوسط الساحلى .

٢ – المحافظة على مستعمراتهم ومحاولة الاتصال بها باستمرار .

٣ – منع العرب من تحقيق أهدافهم الاستراتيجية فى حصار المناطق اليهودية .

يصف آلون هذه المرحلة قائلا : « كانت فترة بالغة الصعوبة . كان التفوق العربى فى العدد والعتاد شديد الوضوح ، وكان للغزو ذاته أثر نفسى مثبط لا يقل عن أثر تفوق القوة العسكرية للعدو . ومن حسن الحظ المؤكد فى هذه الظروف ، أن الهاجاناة – التى لم تكن على استعداد لشن هجوم مضاد على الفور – رفضت الأخذ باستراتيجية دفاعية بحتة . ولو أنها ركزت على الدفاع وحده لخسرنا الحرب ، لأن المبادرة فى هذه الحالة كانت ستبقى فى يد العدو . الذى كان فى مركز يسمح له بأن يختار بحرية مكان وزمان هجومه وأن يركز من القوات ما يكفى لكسر خطوط الدفاع اليهودية فى كل مكان تقريبا وهكذا اتبعت الهاجاناه أسلوبا خليطا ، من الوسائل الدفاعية والأعمال الهجومية ،

---

(١) محمد عزه دروزة – مصدر سابق – ص ١٥٣ .

أصبحت تعرف باسم « الدفاع النشط » ولم يكن هناك بطبيعة الحال خط دفاعى متصل . كانت كل مستعمرة أو كتلة من المستعمرات تحمى بواسطة سكانها أنفسهم غالبا . وفى بعض الأماكن كانت التلال الاستراتيجية المعاقل الحصينة تحت حماية القوات النظامية . وقام الإسرائيليون بسلسلة من الغارات الليلية على أرض العدو ، كانت تصل أحيانا إلى عمق بلاده مما أرغمه على ممارسة قدر أكبر من اليقظة فى الدفاع عن قواعده وجسوره وغيرها من الأهداف العسكرية وفشلت معظم هجمات العدو المباشرة على المستعمرات المحصنة وأثبت القليل منها الذى نجح أنه كان باهظ التكاليف . ومع ذلك فقد أحرز العدو فى جبهتين على الأقل مكاسب جوهرية . لقد نجح المصريون فى التقدم إلى مسافة ١٢ اثنى عشر كيلو مترا من رحفوت ، وأقام السوريون رأس جسر عبر نهر الأردن فى الجليل الأعلى ، ورابطت قوات شرق الأردن فى البلدتين العربيتين . اللد والرملة ، كما نجحت فى صد الهجمات الإسرائيلية حول جنين واللطرون – ثم يبين آلون طبيعة موقف كلا الطرفين قائلا – وشيئا فشيئا وصلت الحالة إلى جمود . لقد فقدت الجيوش العربية قوة اندفاع هجومها ، والإسرائيليون لم يكونوا بعد على استعداد لشن هجوم كبير ، رغم ازدياد نشاطهم فى الدفاع . وبدا أن كلا من الجانبين يبحث عن مهلة لالتقاط الأنفاس .. وهكذا وافق الطرفان على الاستجابة لدعوة الأمم المتحدة لوقف إطلاق النار لمدة شهر واحد تبدأ من ١١ يونية[1] .

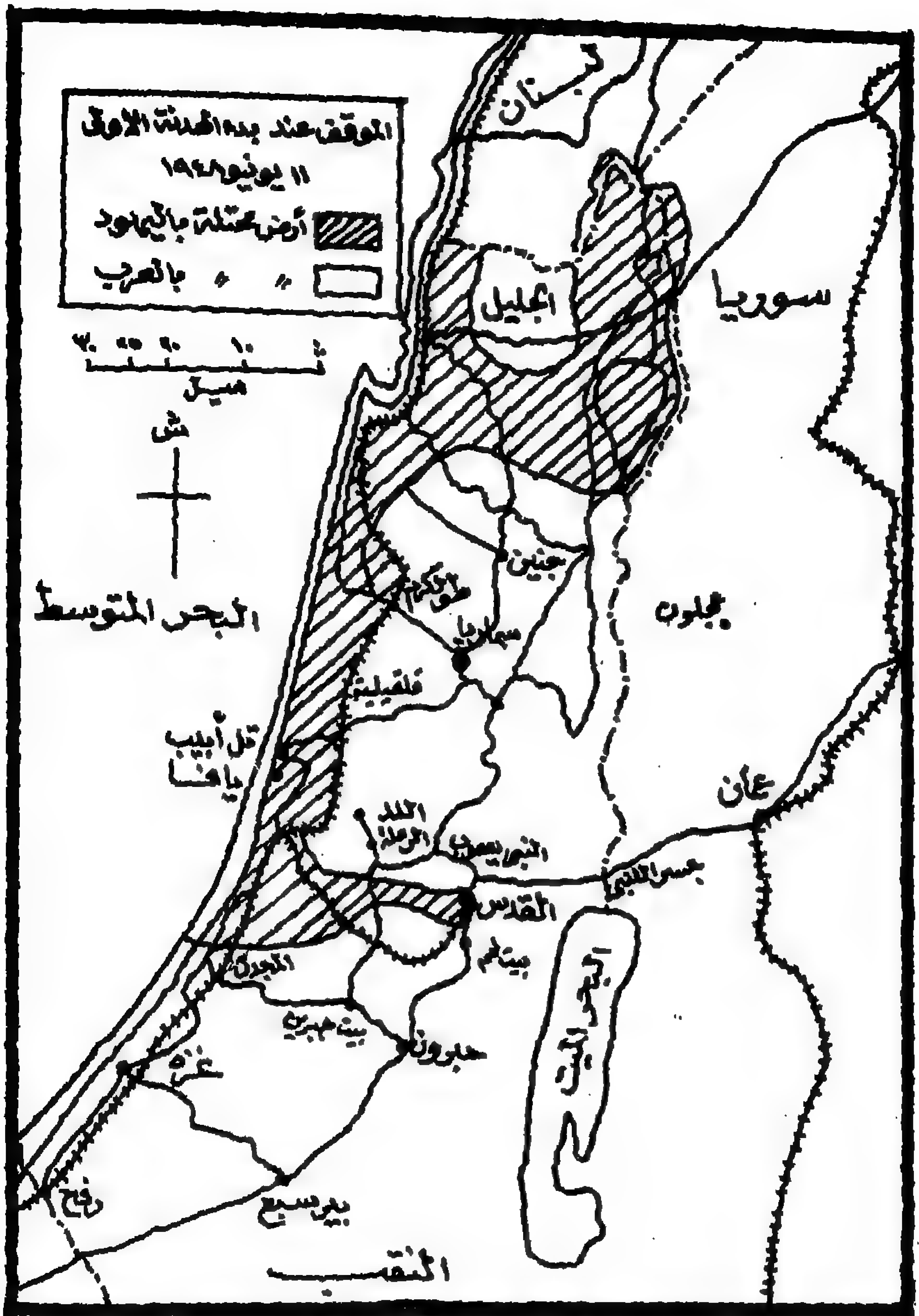
« انظر الخريطة شكل ٦ »

إذن خلال الجولة الأولى من المعارك العسكرية لم يتمكن العرب من تحقيق أى هدف استراتيجى وإنما حافظوا إلى حد ما على بعض المناطق العربية . ويقيم محمد عزة دروزة نتائج هذه المرحلة فيقول :

« فالدولة اليهودية كانت وظلت قائمة ، والجيوش العربية أثناء الجولة الأولى لم تشتبك بمعركة هامة مع اليهود وخاصة فى الأقسام المخصصة لهم باستثناء معركة القدس القديمة ، والزحف العربى لم يزحزح اليهود عن مدينة واحدة من مدن العرب التى استولوا عليها قبله باستثناء سمخ التى تقع فى منطقة عربية وعلى حدود سوريا والتى تخلى عنها مع ذلك بعد قليل ، وقد ظلت كل القوى العربية التى احتلها اليهود قبل نهاية الانتداب فى

---

(١) Allon, Y. OP. Cit. PP. 34 - 35.



شكل رقم (٦)

الموقف فى فلسطين عند بدء الهدنة الأولى - ١١ يونيو سنة ١٩٤٨
المصدر : محمد فيصل عبد المنعم - مصدر سبق ذكره - ص ٣٩١

حوزتهم كذلك ، وكل ما فعله الزحف العربى فى الأسبوعين الأولين أنه سيطر على الأقسام العربية التى لم يدخلها اليهود سيطرة سلمية واسترد بعض القرى والمواقع العربية الواقعة فى مناطق القدس – اللد – الرملة – طولكرم ، وعزل بعض المستعمرات النائية ، وبتدقيق أكثر مستعمرات النقب دون الاستيلاء عليها »(١) .

كما نسوق هنا تقييم الدكتور حسن صبرى الخولى للنتائج المترتبة على قبول العرب الهدنة الأولى قائلا :

« خضت حرب فلسطين فى سنة ١٩٤٨ من بدايتها إلى نهايتها فى مطلع ١٩٤٩ ضابطا عاملا فى القوات المسلحة المصرية ، وعشت فى أتون المعارك الضارية التى خضبت أرض فلسطين بدماء عشرات الآلاف من الشهداء ... ولمست عن كثب التيارات السياسية الخفية التى حفت بالموقف العسكرى بعد أن لاح انتصار الجيوش العربية قريب المنال فى الجولة الأولى من هذه الحرب . وكان قبول الهدنة الأولى خطأ سياسيا وعسكريا أدى إلى تدهور الموقف فى الجولات التالية »(٢) .

وقد علق وكيل القنصل الأمريكى بالقدس على قرار مجلس الأمن بوقف القتال وفرض الهدنة الأولى على العرب قائلا :

« إن قرار مجلس الأمن الذى فرض الهدنة الأولى هو وحده الذى خلص اليهود وحال دون سحقهم على أيدى الجيوش العربية »(٣) .

هكذا تمكن اليهود فى مرحلة الدفاع الاستراتيجى من حماية هدفهم السياسى الأول وهو وجود دولة إسرائيل التى أعلنوا قيامها فى ١٤ مايو ١٩٤٨ كما عززوا مواقعهم الاستراتيجية ومنعوا العرب من الاستيلاء عليها . وتأتى المرحلة الثانية لينتقلوا بعد الهدنة الأولى من الدفاع الاستراتيجى إلى الدفاع الاستراتيجى المتحرك .

---

(١) محمد عزة دروزة – مصدر سبق ذكره – ص ١٦٤ .

(٢) الدكتور حسن صبرى الخولى – سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين فى النصف الأول من القرن العشرين – المجلد الأول – دار المعارف بمصر – القاهرة – ١٩٧٣ – ص ٤٥ .

(٣) صالح مسعود بويصير – جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن : ١٩١٧ – ١٩٤٨ – الطبعة الأولى – دار الفتح للطباعة والنشر – بيروت ١٩٦٨ – ص ٤٠٦ (نقلا عن كنث بلبى – نجم جديد فى الشرق الأوسط ص ٢٥) .

٢ ــ المرحلة الثانية – الدفاع الاستراتيجي المتحرك :

المقصود بالدفاع الاستراتيجي المتحرك – مقاومة هجمات العدو لا عن طريق التصدى لها فحسب ، بل عن طريق القيام بهجمات مضادة على مراكز العدو وخطوط مواصلاته ومناطقه الإدارية وذلك لشغله عن الهجوم من ناحية ، وتشتيت قواته وتخفيف ضغط هجومه الرئيسى من ناحية أخرى ، ثم الإعداد لمرحلة تالية هى مرحلة الهجوم الاستراتيجي المفاجىء وذلك عندما تكون قواته قد أنهكت تماما . ومن أبرز القادة العسكريين الإسرائيليين الذين تعرضوا لهذا الموضوع الجنرال ايجال يادين حيث قال :

« إن المشكلة التى تواجه التصميم الاستراتيجي وكذلك التكتيكى – وإن كان هذا بمعنى أضيق – تنقسم إلى قسمين – فمن جهة علينا فى البداية أن نحاول بكل قوانا منع العدو عن العمل على أسس سليمة . ومن جهة أخرى فإنه يجب أن تبذل جهود جبارة لجعل قواتنا قادرة على استغلال هذه الأسس السليمة حتى يسهل الحصول على أهدافنا ومرامينا ، ولهذا السبب فإن كل مبدأ من الأرجح أن يطبقه العدو يجب أن يكون هدفا فى فكر واضعى برامج علمياتنا العسكرية . **ويحدد يادين الخطوط الاستراتيجية (سر التخطيط الاستراتيجي الممتاز) قائلا :**

١ ــ **فرض مبدأ المفاجأة** – عمل دائم لمراكز الجاسوسية المختلفة .

٢ ــ **فرض مبدأ الإصرار على وحدة الهدف** – هجومات تكتيكية تشتيتية وهجوم استراتيجي متواصل سياسى ونفسى .

٣ ــ **فرض مبدأ اقتصاد القوى** – هجوم على المواصلات والمراكز التموينية فى الظهر ، عاملين بذلك على إنهاك العدو وتشتيته .

٤ ــ **فرض مبدأ التعاون** – هجوم على خطوط الإدارة .

٥ ــ **فرض مبدأ التركيز** – هجومات تقنينية ونشاط فى الجو لقسم قوات العدو .

٦ ــ **فرض مبدأ الأمن** – مجموع العمليات المذكورة أعلاه واللاحقة ضمنا .

٧ ــ **فرض مبدأ الروح الهجومية** – روح هجومية مضادة .

٨ ــ **فرض مبدأ الحركة** – تحطيم خطوط المواصلات .

أما فيما يتعلق بنشاطنا ، والذى وضعته الحكومة لتحقيق الأهداف العسكرية والسياسية وذلك كل على حده – **فإن** هذا النشاط يجب أن يترابط بعمليات عسكرية

ثانوية « تشتيتية » لكنه يجب أن يظل فى تفكيرنا أن أهم الأمور دائما هو استغلال أسس الحرب تماما بشكل نستطيع عن طريقه أن نقرر نتيجة المعركة استراتيجيا قبل بدايتها – أو على الأقل أن المعركة ستمشى مع أكبر الأمل لصالحنا . ثم يحدد الأهداف بما يأتى :

١ ـ قطع خطوط المواصلات لدى العدو ، شالين بذلك إمكانيات ترابطه .

٢ ـ قطع طرق تراجعه محطمين بذلك ارادته ونفسيته .

٣ ـ ضرب مراكز إدراته وقطع مواصلاته السلكية واللاسلكية قاطعين بذلك الصلة بين الدماغ المفكر « القيادة العامة » والجسم « الجيش » .

وإن فكرنا بالأهداف الثلاثة هذه نرى برهان الحقيقة فى قول نابليون « إن كل سر فن الحرب يكمن فى إمكان السيطرة على خطوط المواصلات »(١) .

وقد تمكن اليهود خلال فترة الهدنة الأولى من تحقيق أهداف استراتيجية ، سواء عن طريق إعادة بناء قواتهم وتزويدها بالسلاح ، أو عن طريق السيطرة على بعض المناطق الاستراتيجية ، والقيام بمد بعض خطوط المواصلات بين بعض المناطق التى يسيطرون عليها وذلك تمهيدا لما قاموا به من أعمال حربية فيما بعد . يوضح ذلك عارف العارف قائلا :

« ولقد قاموا أثناء الهدنة الأولى ، بأعمال من شأنها أن تحسن موقفهم العسكرى منها – أنهم قاموا بهجمات متكررة على كافة القطاعات للحصول على معلومات عن القطاعات العربية – مواضعها ، ومناعتها ، وكانت طائراتهم تقوم باستطلاعات مستمرة فوق هذه المواضع للغرض نفسه ، وتمكنوا من تصوير معظم هذه المواضع ، ومعرفة تفاصيلها بدقة . وقاموا بتطهير جيوب المقاومة الكائنة ضمن مناطقهم ، فتمكنوا من طرد سكان بعض القرى العربية من منازلهم ، وبهذا أمنوا سلامة مواصلاتهم ، ومن القرى التى احتلوها ودمروها بعد أن طردوا سكانها – جبع ، أكرم ، عين غزال ، فقد هاجموا هذه القرى فى ١٦ حزيران ١٩٤٨ (أى أثناء الهدنة) واستمروا يقاتلون أهلها إلى أن تغلبوا عليهم .

قال الكاتب السياسى لجريدة (التايمس) اللندنية ، فى العدد (٥١,٢٧٣) الصادر

---

(١) حركة التحرير الوطنى الفلسطينى – فتح فى الاستراتيجية – بيروت ، القاهرة ١٩٦٧ – ص ٢٣ – ٢٥ – (نقلا عن مجلة بامحانيه الاسرائيلية الصادرة فى سبتمبر ١٩٤٩) .

بتاريخ ٧ يناير ١٩٤٩ ، ان وزارة الخارجية البريطانية كشفت الستار عن الأسلحة التى تمكنت إسرائيل من استيرادها بواسطة الحكومة التشكوسلوفاكية رغم القرار الذى أصدره مجلس الأمن فى ١ آيار سنة ١٩٤٨ والذى حظر فيه على الدول الأعضاء فى هيئة الأمم تصدير الأسلحة فى الوقت الذى امتنعت فيه بريطانيا عن توريد أى نوع من الأسلحة إلى الدول العربية رغم وجود اتفاقيات سابقة بينها وبين تلك الدول تقضى بتزويدها بأسلحة بريطانية فبعد أن لم يكن لدى إسرائيل – عند إعلان الهدنة الأولى فى ١١ حزيران سنة ١٩٤٨ – أكثر من أربع طائرات مقاتلة أصبح لديها ، بعد انتهاء الهدنة وعندما استؤنف القتال ، أربعون طائرة من هذا الطراز ، وكذلك قل عن الطائرات الخفيفة فقد ارتفع عددها من ٤ إلى ١٢ ، وطائرات النقل من ٣ إلى ٢٢ وطائرات الجو الاعتيادية من ٤٠ إلى ١١٤ ، وأن معظم هذه الطائرات من طراز مسر شميدت ، وبعد أن لم يكن لديها أية طائرة من قاذفات القنابل الثقيلة ، أصبحت تملك عشر طائرات من هذا الطراز ، بعضها ذو أربع محركات ، وكذلك قل عن المدافع ، والرشاشات والقنابل المحرقة والمتفجرات والاعتدة ، وأدوات التعمير المختلفة ، والأسلحة الخفيفة الأتوماتيكية فقد صدرت تشيكوسلوفاكيا مقادير كبيرة منها إلى إسرائيل ، رغم أنها – أى تشكيوسلوفاكيا – عضو فى هيئة الأمم ، وقد وقعت على قرار الحظر الذى أصدرته تلك الهيئة . ووضعت تشيكوسلوفاكيا تحت تصرف إسرائيل وعملائها مطارا جويا اسمه (زاتيك Zatec) كانت الطائرات الإسرائيلية ترسو فيه ، وتطير منه إلى إسرائيل . وكانت تلك الطائرات تعرج فى طريقها إلى تل أبيب على مطارات يوغوسلافيا لتتزود بالوقود وبعد أن تحلق فوق شاطىء ألبانيا واليونان والشاطىء الجنوبى لجزيرة كريت تصل إلى هدفها المنشود .

وتؤكد المراجع التى استقينا منها هذه الأخبار أن بعض تلك الأسلحة وإن كان مصدره شركات خصوصية إلا أن معظمه من مصانع حكومية[١] .

ويقيم محمد عزة دروزة موقف كلا من العرب واليهود بعد الهدنة الأولى تقييما أثبتت الأحداث صحته ، ومنطقة العلمى المحايد القائم على الحقائق الموضوعية التى تمخضت عن قبول العرب للهدنة دون أن تتمكن جيوشهم من تحقيق أى هدف استراتيجى سعت إليه فيقول :

---

(١) عارف العارف – النكبة – الجزء الثالث – المطبعة العصرية – صيدا – بيروت – د . ت – ٥٦٣ – ٥٦٤ .

« والأحداث التى وقعت منذ عقد الهدنة أثبتت أن العرب قد خسروا المعركة نهائيا حين قبلوها ، فقد كانت فرصة الدهر لليهود ، مكنت دولتهم تمكينا تاما حيث سخروا بشروط الهدنة كل السخرية من مختلف النواحى على مرأى ومسمع من مراقبيها . فبذلوا جهودهم الجبارة واستغلوا كل دقيقة فى جلب السلاح . والعتاد ، والطائرات ، والمدافع ، والطيارين . والجنود . والضباط والقواد . وظلوا يخرقون خطوط الهدنة فى مختلف الجبهات بقصد تحسين مراكزهم ، وتمكنوا من تموين مستعمراتهم المنعزلة وأحيائهم فى القدس الجديدة حتى أنهم أنشأوا طريقا جديدا بين القدس ويافا .. سموه طريق بورما ... وواصلوا مساعيهم لدى الدول فى سبيل الاعتراف بدولتهم لتغدوا وطيدة دوليا حتى تجاوز عدد المعترفات بها العشرين . وكان حين وقف إطلاق النار اثنى عشرة . ومن المؤسف أن نذكر أن الحكومات والجيوش العربية اكتفت - فيما كان يقدم عليه اليهود من خرق خطوط الهدنة - بالاحتجاج والشكوى التى ظلت تكررها وتولول فيها دون أن تفكر بالمقابلة بالمثل مع ما فى هذا من خطأ جعل اليهود يزدادون جرأة وقحة ويجنحون إلى إحداث الأمر الواقع وينجحون فيه المرة بعد المرة »[1] .

ثم يشرح بإسهاب الأخطاء التى ارتكبها قادة العرب من سياسيين وعسكريين فى هذه المرحلة بالذات . واضح من هذا التتبع التاريخى للأحداث أن هناك - كما سبق أن أوضحنا - خطة استراتيجية عليا ، اتبعتها إسرائيل ، ذات بعد سياسى وآخر عسكرى . أما على المستوى السياسى فلم يكن يعقل أن تطمع إسرائيل فى اعتراف العرب بها ولكنها كانت تسعى إلى اعتراف دول العالم الأخرى . وعلى المستوى العسكرى أوقفت الهجوم العربى ومنعته من تحقيق أهدافه الاستراتيجية .

ثم يبين آلون خصائص المرحلة الانتقالية من الدفاع الاستراتيجى إلى الدفاع الاستراتيجى المتحرك والتى بدأت بعد الهدنة الأولى فيقول :

« وكان من الواضح أنه عند انتهاء وقف إطلاق النار فإن كلا الطرفين سيحاول أن تكون له المبادرة فى استئناف الأعمال الحربية . وشهدت المرحلة الرابعة والأخيرة من حرب التحرير الإسرائيلية (بدأت يوم ٩ يوليو ١٩٤٨) تحولا جذريا فى القوات القتالية ، والإدارة ، والتنظيم والتموين ، لدى جيش الدفاع الإسرائيلى . ولما كان العدو

(١) محمد عزة دروزة - مصدر سابق - ص ١٦٢

بالغ القوة وشديد القرب من معظم المناطق اليهودية المكتظة بالسكان ، فإن الإسرائيليون لم يجرأوا على اتباع استراتيجية دفاعية بحتة ، وكان واضحا أنه إذا سمح للجيوش الغازية بأن تمارس مزايا الهجوم ، فإنها قد تنفذ خلال خطوط إسرائيل المشتتة ، وتسحق قواتها وتستولى على كافة المناطق التى يحتلها اليهود ، والتى كان يعوزها العمق مما يجعل من السهل سقوطها . على ذلك فقد كانت الاستراتيجية التى تقررت هى الاستراتيجية الوحيدة السليمة ... أخذ زمام المبادرة بمجرد انتهاء وقف إطلاق النار الذى فرضته الأمم المتحدة ولما كان الإسرائيليون غير راغبين فى انتهاك قرار الأمم المتحدة باستباق هجوم الأعداء ولو بيوم واحد ، ولما كانوا يعلمون أن من عادة العدو الهجوم فى ضوء النهار فقد قرروا سبقه بساعات قليلة فقط وشن الهجوم فى نفس لحظة انتهاء الهدنة رسميا ، وعلى وجه التحديد فى منتصف الليل »[1] .

هنا تبرز أهمية استغلال عنصر الوقت ، وعنصر المعرفة بتفكير الخصم ، كما أوضح ذلك آلون نفسه . فلن يأخذ العدو الإسرائيلى بالقواعد الجامدة ويؤخر الهجوم إلى حين انتهاء فترة وقف إطلاق النار ، ولكنه قدم ذلك بالنسبة لعملياته العسكرية حتى يتمكن من الأخذ بزمام المبادرة العسكرية ذاتها وهو نموذج لما يسميه آلون بالهجوم المسبق ثم يحدد إيجال آلون أهداف هذه المرحلة الوسطى وخطط إسرائيل لمواجهة الهجوم العربى فيقول :

« وما كانت الحرب لتكسب دون سحق قوات العدو . ولقد اقتضى تحقيق هذا الهدف النهائى تركيز قوات إسرائيل على جبهات معينة بدرجة أكبر من أى وقت مضى ، بهدف بلوغ تفوق محلى يعوض النقص العام من قواتها . وهو ما لا يمكن بطبيعة الحال تحقيقه على جميع الجبهات فى وقت واحد . ولذا فقد كان من اللازم وضع نظام للأولوية وكان يبدو أن أول المهام وأعجلها ما يلى : إزالة الخطر عن تل أبيب ، والمناطق المحيطة بها مباشرة ، بواسطة تحرير اللد والرملة ، والتوغل فى التلال الريفية الواقعة شرق السهل الساحلى ، فك الحصار عن القدس ، تطويق مدينة القدس القديمة من الشمال .. وكانت فى قبضة قوات شرق الأردن . وكانت المهمة الثانية تأمين منطقة حيفا بتحرير الناصرة والأجزاء المتبقية من الجليل الأدنى . وفى الوقت ذاته كان من اللازم صد هجوم المصريين فى الجنوب ، والعراقيين فى الشرق ، والسوريين فى الشمال ، بواسطة تكتيكات الدفاع

---

(١) Allon, Y. OP. Cit. P. 37.

النشط الذى يعتمد على المستعمرات والقوات المتحركة إلى أن يصبح من الممكن القيام بعمل هجومى ضدهم »(١) .

وقد تمكنت بالفعل القوات الإسرائيلية فى هذه المرحلة – المرحلة الوسطى أو المرحلة الانتقالية من أن تحقق أهداف مرحلة الدفاع الاستراتيجى المتحرك كما أوضحها آلون فرض الهدنة الثانية فى ١٩ يوليو سنة ١٩٤٨ وهى .

١ – تحسين الوضع الجيواستراتيجى باحتلال مواقع جديدة ودفع القوات العربية إلى الخلف وخاصة عن المناطق التى توجد فيها تحشدات سكانية يهودية ومناطق صناعية هامة .

٢ – القيام بهجمات محدودة فى الشمال والوسط والجنوب بهدف إجبار القوات العربية على اتخاذ موقف الدفاع .

٣ – إعطاء مجال أوسع لحرية الحركة والمناورة للقوات الاسرائيلية تمهيدا وإعداد لمرحلة الهجوم الاستراتيجى المفاجىء .

ويحدد آلون بوضوح الهدف النهائى قائلا : « وبصورة عامة تحققت كل الأهداف .. ولو لم تفرض الأمم المتحدة هدنة ثانية يوم ١٩ يوليو ١٩٤٨) لاستمر الهجوم الإسرائيلى دون عائق تقريبا ، مشتتا الجهد الرئيسى للعدو بين جبهة وأخرى إلى أن يتم تدميره تماما ، أو على الأقل انسحابه من جميع أراضى فلسطين »(٢) .

بهذه العبارات الموجزة حدد آلون الهدف العسكرى والهدف السياسى مبينا أنه لم تكن غاية الدولة اليهودية الحدود التى عينتها لها الأمم المتحدة فى قرار التقسيم الصادر فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ . وسرعان ما تأكد ذلك بالعمليات العسكرية الهجومية التى بادرت بها إسرائيل بعد الهدنة الثانية وحققت بواسطتها إنجازاتها الواسعة إذن لم يكن آلون مبالغا فيما ذهب إليه بل قدم تحليلا موضوعيا لخطط اليهود وإنجازاتهم .

وقد اعترفت الأقلام العربية بذلك . فيصف محمد عزة دروزة الوضع الحربى للعرب واليهود بعد استئناف القتال قائلا : « تم لبثت أن أخذت تتبدل وأخذ اليهود يشتدون

---

(١) Allon, Y. Ibid. PP. 37-38.

(٢) Allon, Y. Ibid. P. 38.

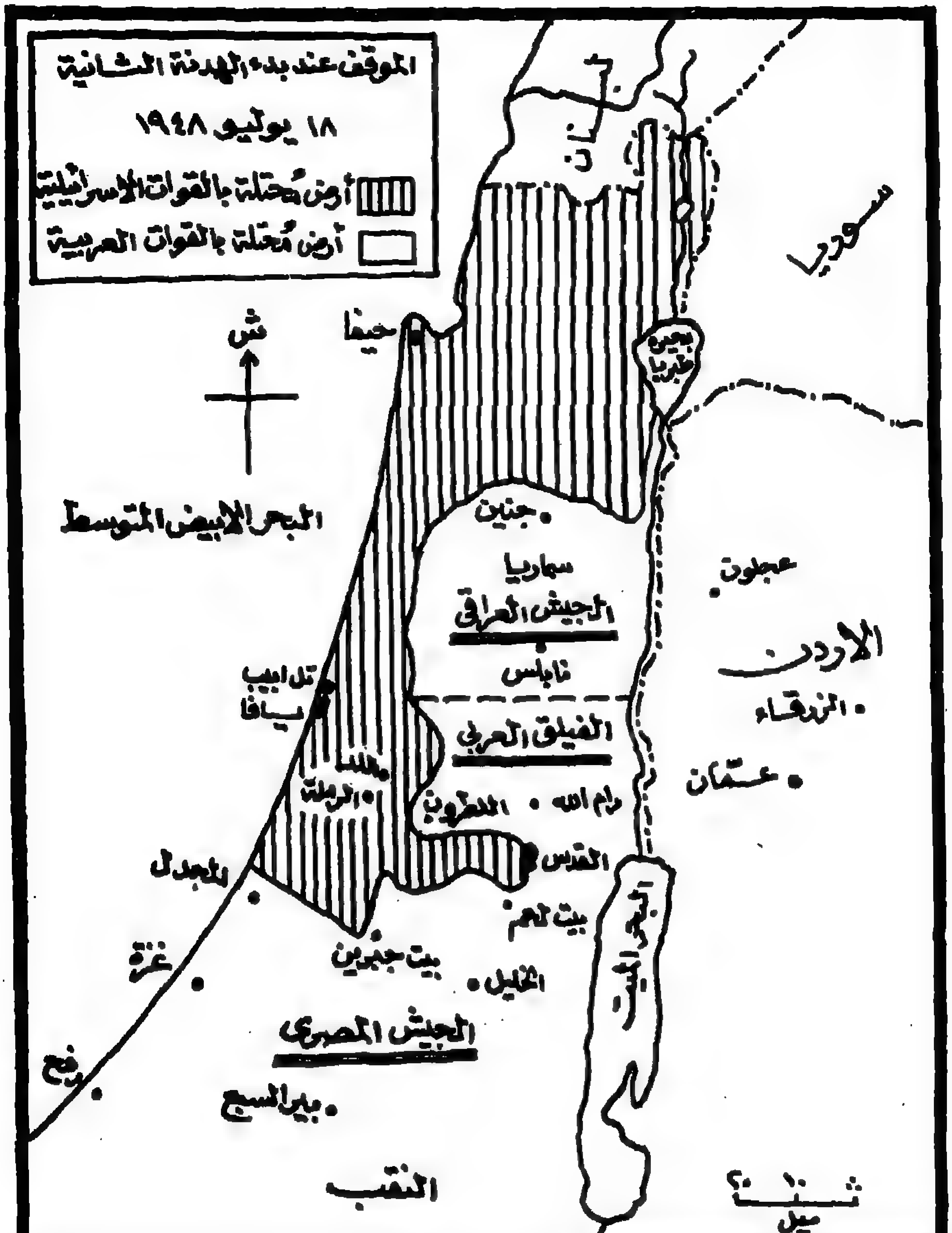
فى الضغط والنشاط فى مختلف الجبهات ، وخاصة فى المناطق التى كانت فى نطاق مجال الكتائب الأردنية والعراقية مثل : اللد والرملة ورأس العين ومرج بن عامر .. ثم كان انسحاب القوات الأردنية من حول اللد والرملة ، وانسحاب القوات العراقية من رأس العين ومجدل بنى فاضل وبعض مناطق مرج بن عامر ، وفصائل جيش الإنقاذ بعد ذلك من أنحاء الجليل الغربى الشمالية والوسطى ، فانقلب الميزان رأسا على عقب وبصورة مذهلة ومفاجئة لم تكن تخطر على البال أو تصدق ، وخسر العرب المركز الحربى الحسن الذى كان لهم قبل استئناف القتال وخسروا فوقه نحو ربع المنطقة العربية العامرة التى كانت فى يدهم بما فى ذلك مدن اللد ، والرملة ، والناصرة وشفا عمرو وما بقى حولها من القرى .. وقد توجت هذه المشاهد المفاجئة بقصف يهودى على القاهرة ودمشق وعمان بواسطة قلاع طائرة ، وكان من نتائج سقوط جبهة اللد والرملة – خاصة – أن ازداد ضغط اليهود على القدس وعززوا قواتهم فيها . واستولوا على معظم ما يقع بينها وبين يافا من مناطق وتحررت الكتائب اليهودية فيها فتفرغت للكتائب المصرية التى كانت قريبة منها حتى كادت تلحق بها الهزيمة ، وإن كان ذلك من الأسباب القوية لقبول العرب الهدنة الثانية »(١) .

« انظر الخريطة شكل ٧ »

ولم يضيع اليهود الوقت بل عملوا على مضاعفة قواتهم وأسلحتهم ، كما يبين الجدول (٣) المرفق أدناه مما مكنهم من الانتقال من الدفاع المتحرك إلى الهجوم الاستراتيجى المفاجىء .

---

(١) محمد عزة دروزة – مصدر سابق – ص ١٨٥ – ١٨٦ .



شكل رقم (٧)

الموقف في فلسطين عند بدء الهدنة الثانية ١٩٤٨/٧/١٨

المصدر : محمد فيصل عبد المنعم – مصدر سبق ذكره ص ٤٨٧

جدول رقم (٣) يبين تطور تسليح الاسرائيليين أثناء حرب ١٩٤٨ [1] .

	١٥ مايو ١٩٤٨	١٢ أكتوبر ١٩٤٨
١ – الجنود النظاميون	٣٥٠٠٠	٨٠٠٠٠
٢ – عدد المدافع	٤	٢٥٠
٣ – عدد الهاونات عيار ١٢٠ ملم	لا يوجد	١٢
٤ – عدد الهاونات عيار ٦ انج	لا يوجد	٣٣
٥ – عدد الهاونات عيار ٣ انج	١٠٥	٣٨٩
٦ – عدد الهاونات عيار ٢ أنج	٦٨٢	٦١٨
٧ – مدافع دافكا	١٦	٢٢
٨ – مدافع بيتز ضد الدبابات	٧٥	٦٧٥
٩ – مدافع رشاشه	١٥٥٠	٧٥٥٠
١٠ – بنادق	٢٢٠٠٠	٦٠٠٠٠
١١ – مدافع رشاشة نصف آلية	١١٠٠٠	٢١٣٠٠

كما قيم الدكتور حسن صبرى الخولى نتائج هذه المرحلة قائلا :

« ثم رأيت فى الجولة الثانية ، الأمل المرتجى يتهاوى ويخبووشيكا فقد استولى اليهود خلال عشرة أيام (٩ – ١٨ – من يوليو ١٩٤٨) على ألف كيلو متر مربع من الجزء المخصص للعرب ، والجزء المخصص لليهود على السواء ، وتساقطت فى أيدى اليهود أربع عشرة مدينة وأكثر من ثلاثمائة قرية . وكانت حصيلة مكاسب اليهود فى أسبوع واحد من الجولة الثانية تضارع ثلاثة أمثال ما حصلوا عليه فى الجولة الأولى . وكانت معظم المكاسب اليهودية فى الجبهتين الأردنية والسورية » [2] .

---

(١) Kimche, J, OP. Cit. P. 243.

(٢) الدكتور حسن صبرى الخولى – مصدر سبق ذكره – المجلد الأول – ٤٥ .

هكذا تكون قد انتهت مرحلة الدفاع الاستراتيجى المتحرك وبدأت المرحلة التالية وهى مرحلة الهجوم الاستراتيجى المفاجىء .

٣ ــ المرحلة الثالثة – مرحلة الهجوم الاستراتيجى المفاجىء :

بعد أن تمكنت القوات الإسرائيلية من تحقيق أهدافها الاستراتيجية المرحلية انتقلت إلى أول تطبيق قامت به للهجوم الاستراتيجى المفاجىء الذى يطلق عليه أحيانا « الحرب الخاطفة » وأهداف الهجوم الاستراتيجى كما هو واضح تحقيق أهداف استراتيجية على مستوى الحرب . وقد بين إيجال يادين الخطوط العامة لهذا الهجوم والخطط التى اتبعت فى تنفيذها قائلا :

« كانت أهم العمليات » :

(ا) عملية العشر ضربات « ضد المصريين » .

(ب) عملية عانين .

(جـ) عملية تثبيت ايلات « منطقة خليج العقبة »

(د) عملية حيرام « تحرير الجليل »

وبنظرة استراتيجية أن الدراسة سوف تظهر أن تخطيط كل العمليات أعلاه كان مبنيا على الأسس والمبادىء الاستراتيجية التى ذكرناها – استراتيجية التعرض غير المباشر ، قطع الخطوط ، سد الطرقات ... واستغلال طرق المحاباة لتحقيق المباغتة على أساس تفكيك تحرك العدو بسرعة . كذلك فقد أثر عامل الزمن بسبب التدخل المختلف على انتقاء الطرق »[1] .

وقد اتخذ الهجوم الاستراتيجى المفاجىء اتجاهين أساسيين :

الاتجاه الأول : نحو الجنوب .

الاتجاه الثانى : نحو الشمال .

---

(١) حركة التحرير الوطنى الفلسطينى – فى الاستراتيجية – مصدر سبق ذكره – ص ٢٩

١ ـ الهجوم الإسرائيلى على الجنوب :

لقد سعى اليهود من وراء هجومهم على الجنوب إلى تحقيق الأهداف الآتية :

(ا) التوسع والسيطرة على صحراء النقب بأسرها للوصول إلى البحر الأحمر تمهيدا لإيجاد منفذ بحرى لدولتهم يمكنهم من الاتصال بأفريقيا وآسيا ويخلصهم من عقبة حصارهم البحرى بغلق قناة السويس فى وجه سفنهم . هذا بالإضافة إلى أهمية صحراء النقب الاستراتيجية والاقتصادية(١) .

(ب) تدمير القوات المسلحة المصرية وإخراجها من الحرب .

(جـ) ولقد أصر الاستراتيجيون الإسرائيليون على ضم منطقة النقب حتى يتمكنوا من تحقيق فصل جزئى الوطن العربى إلى جزء فى المشرق وجزء فى المغرب ولهذا فإن النقب سيكون دائما مهددا بالخطر ، ما لم تصبح سيطرة إسرائيل عليه ثابتة لا منازع لها فيه(٢) .

يقول يادين « إن العدو المصرى الذى جاء يغزو أرضنا » كان يأمل أن تكون الأبواب مفتوحة أمامه ، لذلك تحرك إلى الشمال على الشاطىء باتجاه اسدود . وعندما أوقف تحول إلى الفالوجا باتجاه القدس وكانت قواته متفوقة جدا وأجبرتنا أن نتجنب المعارك الوجهية قدر الإمكان بسبب تفوقه ، ولأنه يحتل عدداً من المراكز الدفاعية ولأن لديه أسلحة دفاعية متفوقة فى الكم ، إلا أنه من الناحية الأخرى كانت نقطة ضعفه الكبرى فى تلك النقطة التى تحدث عنها نابليون قائلا : « إن كل سر فن الحرب يكمن فى السيطرة على خطوط المواصلات » . وكانت خطوط مواصلاته طويلة جداً . إن عملية العشر ضربات هدفها هو – فتح طريق النقب وتفكيك حركات العدو – قطع طرق التراجع – وضرب مراكز الإدارة(٣) .

ويبين محمد عزة دروزة خطط اليهود وعملياتهم الخطيرة فى تلك المرحلة من الحرب وفى منطقة النقب بالذات فيقول :

---

(١) Weizmann, Chaim, OP, Cit, PP. 252 - 259.

(٢) أرسكين تشيلدرز – الطريق إلى السويس – تعريب : خيرى حماد – الدار القومية القاهرة سنة ١٩٦٢ – ص ٢٠٢ وما بعدها .

(٣) حركة التحرير الوطنى الفلسطينى – فى الاستراتيجية – مصدر سبق ذكره – ص ٢٩ ، ٣٠ .

« وقد استمروا فى حركاتهم فى منطقة النقب خاصة ، لأنهم لم يجدوا من يردعهم بقوة وعنف من جهة . ورأوا من جهة ثانية فيما ذكرناه سابقا ما بين الدول العربية وخاصة بين مصر من ناحية ، والأردن والعراق من ناحية أخرى من خلاف وتوتر بسبب كارثة الهدنة الثانية . ثم اشتد فى هذه الآونة بالذات بسبب مشكلة حكومة عموم فلسطين فكانت فرصتهم الذهبية فلم يضيعوها ، ومع ما تذرعوا به من تموين مستعمراتهم فى النقب فقد بدأ من توسعهم فى الحركات ، وعنفهم واشتدادهم ، وسعة استعدادهم . ما أثبت أنهم رأوا أن يغتنموا الفرصة لاستقصاء النقب الذى خصص لهم فى قرار التقسيم .. وقد كانت الحركات فى بداية شهر تشرين الأول متوسطة فى سعتها وسجالا فى سيرها ثم أخذت توصف بالشدة وتثير التشاؤم فى الأوساط العربية لما كان يصيبه اليهود من النجاح فيها . ولم يفت هدفهم العرب حيث قال عبد الرحمن عزام عن حركاتهم (أنها ليست صدفة وإنما هى مدبرة ، حشدوا لها كل مالديهم من قوى لمفاجأة القوات المصرية . وأخذ المصريون يبذلون جهدهم فى المقابلة حتى لم ينته تشرين الأول حتى كان القتال شاملا فى البر والبحر والجو بين الفريقين . وكان فى بدئه سجالا ثم أخذ الجانب اليهودى يتفوق وأخذ القلق والتشاؤم يشتدان فى الأوساط العربية »[1] .

وقد نشرت مجلة آخر ساعة فى عددها الصادر فى ١٣ ديسمبر ١٩٥٠ سرا خطيرا وفيما ما يلى نصه : « فى العاشر من كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٤٨ رفض مجلس الأمن فى دورته المنعقدة فى قصر شايو بباريس اقتراحا بريطانيا لتأييد مشروع الكونت برنادوت لحل مشكلة فلسطين ، يعطى منطقة النقب للعرب وكان رفض هذا الاقتراح ، وقبول اقتراح غيره بشرعية بقاء قوة إسرائيل فى المراكز التى احتلتها فى النقب نصرا عظيما لإسرائيل . ولكن بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل ومعه عدد من قادة الجيش لم يكونوا على اطمئنان من الموقف فى النقب ، وكانوا يرون أنه من الضرورى أن تحدث حركات عسكرية فى الجنوب تعزز هذا النصر الدبلوماسى فى قصر شايو . وكان واضحا أن هذه الحركات يجب أن تكون موجهة إلى الجيش العربى المصرى الذى لا يزال - برغم الهزائم التى لحقت به - خطرا داهما على مستعمرات الجنوب وفى منتصف كانون الأول (ديسمبر) بدأت الفرصة سانحة . كان اجتماع هيئة الأمم المتحدة مؤجلا إلى شهر مارس ١٩٤٩ . وكان أعضاء مجلس الأمن متفرقين كل منهم يبحث عن

---

(١) محمد عزة دروزة - مصدر سبق ذكره - ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

مكان يقضى فيه أجازة عيد الميلاد ورأس السنة . وكان البرلمان البريطانى والكونجرس الأمريكى فى عطلة الأعياد . (ومن الجدير بالملاحظة على تدبير هذه العملية الهجومية أنها لم تغفل عن ضرورة استغلال الظرف الدولى الذى يسمح لمخططيها أن يحققوا الأهداف المرسومة لها وهذه سمة من سمات الاستراتيجية الإسرائيلية عموما كما سيتضح فيما بعد) وكان العالم كله مشغولا بالاحتفالات عما يجرى فى فلسطين ، ورأى بن جوريون أن هذه هى الفرصة السانحة للعمل ولتوجيه ضربة قاصمة ضد الجيش المصرى تجعله لمدة عشر سنوات مقبلة على الأقل - عاجزا عن العمل . وبعد أيام كانت الخطة معدة . وفى ٢١ كانون الأول (ديسمبر) أعطى آلون أمر الهجوم . وتقدم طابور متحرك يعتمد فى تسليحه على الرشاشات الخفيفة والثقيلة ، والمدافع المضادة للدبابات وهاجم القوات المصرية من جناحيها وفى نفس الوقت بدأت القلاع الطائرة اليهودية تضرب غزة وتضرب رفح . وكانت غزة مقدمة ارتكاز القوات المصريه ، ورفح مؤخرة ارتكازها وفى نفس الوقت كانت سيول اللاجئين الذين ملأ الفزع قلوبهم تسد الطرقات . وفجأة اندفع طابور إسرائيل ثان وانحدر على حدود المصريه فى اتجاه قاعدة العوجة واحتلها وأسر قيادة حاميتها بينما كان ضباطها المصريون يتناولون العشاء . وبدأت المعركة تتخذ سمات الحرب الخاطفة الحديثة بالمعنى الذى عرفت به فى الحرب العالمية الأخيرة . وشقت الطوابير الإسرائيلية طريقها داخل الحدود المصرية وتكشفت خطة « آلون » وهى أن تندفع طوابيره رأسا من الخلف إلى العريش أهم قاعدة مصرية فى صحراء سيناء فإذا ما وصلت إليها تتجه شمالا إلى رفح وغزة من الناحية الجنوبية العزلاء من التحصينات وبذلك يتم حصار الجيش المصرى وتباد قواته فى حركة سريعة . وتمت الخطوات الرئيسية فى الخطة ، وفى ليلة ٤ كانون الثانى (يناير) ١٩٤٩ كانت قوات آلون قد وصلت إلى نقطة تبعد ٧ أميال من مركز القيادة المصرية فى العريش ، ومن المطار الحربى فيها . وتجمعت القوات .. الطوابير المصفحة ، والمدفعية والدبابات ، لتوجيه ضربتها الأخيرة . وكتب إيجال آلون فى أوامر عملياته ليلة ٤ يناير أنه واثق من أن الجيش المصرى بعد هذه الضربة لن تقوم له قائمة لمدى سنوات طويلة وسجل ايجال آلون فى نفس أمر العمليات أن طابورا اسرائيليا ثالثا سريع الحركة ، قد تقدم لمسافة ثمانين كيلو مترا إلى قنال السويس على طريق الاسماعيلية وحدث فى ساعة متأخرة من نفس الليلة - ٤ يناير ١٩٤٩ - وآلون يتأهب لإصدار الأمر بتنفيذ المرحلة النهائية للهجوم أن تلقى من تل أبيب أمرا بوقف جميع العمليات الحربية ضد الجيش المصرى على

الفور . وسجل « ايجال آلون » فى يوميات الحرب فى نفس اليوم أنه سيستقل طائرته الخاصة إلى تل أبيب لكى يتباحث مع المسئولين عن سبب هذه الأوامر المفاجئة . وقد وصل إلى تل أبيب فى صباح يوم ٤ يناير وعلم أن موسى شاريت وزير خارجية إسرائيل هو المسئول عن هذه الأوامر ، وأن قيادة الجيش لم تصدرها إلا بعد تدخله الشخصى لأسباب أبداها لرئيس الوزراء ، وقيادة الجيش . وقد ظهر أن سبب هذه الأوامر الفجائية أن سفير الولايات المتحدة فى تل أبيب طلب مقابلة موسى شاريت وزير خارجية إسرائيل فى ساعة مبكرة من ليلة ٤ يناير لأمر عاجل وخطير وتمت المقابلة على الأثر . وكان سفير الولايات المتحدة يحمل إنذارا خطيرا لإسرائيل . وهو أنه من الضرورى ، فورا وقف عمليات النقب ضد الجيش المصرى وأوضح السفير الأمريكى لموسى شاريت أن الحكومة الأمريكية لن تستطيع منع الجيش البريطانى فى القنال من التدخل فى المعركة . وقال السفير الأمريكى إن حكومته علمت أن الجيش البريطانى سيتدخل بفرقتين قوتها ٤٠ ألف مقاتل إذا تقدمت العمليات الحربية الإسرائيلية خطوة واحدة . وانتهت المقابلة واتصل موسى شاريت ببن جوريون على الفور وعقد مجلس الوزراء بصفة عاجلة وتقرر أن يصدر الأمر إلى آلون بوقف عملياته . وفى ظهر يوم ٤ يناير وكان « آلون » قد أحيط علما بتفصيلات كل هذه الحوادث ، استقل طائرته عائدا إلى الجنوب حيث أشرف بنفسه على إلغاء التدابير التى كان قد أعدها لتنفيذ خطته . وبدأت الوحدات الإسرائيلية التى تغلغلت داخل الحدود المصرية تعود أدراجها بعد أن تدمر كل ما يصادف طريقها ، وقد تم تدمير مطارين مصريين بهذه الطريقة »(١) .

وقد أوضح آلون هذه الخطة قائلا : « وفى الثانى والعشرين من ديسمبر (١٩٤٨) بدأت عملية واسعة النطاق منتشرة على منطقة شاسعة وبأعلى درجة من قدرة الحركة ، وكان لها هدفان : الأول ، تطهير الطريق الرئيسى من جنوب بئر السبع إلى حدود سيناء تطهيرا نهائيا ، للقضاء على الخطر العاجل على بئر السبع . وتمهيد الطريق لضرب الجيش المصرى فى قطاع غزة نهائيا . والثانى تمهيد الأرض لتحرير النصف الجنوبى من النقب التى كانت تحتله قوات شرق الأردن . وبدون تفاصيل كثيرة ، يكفى أن يقال أن مزيجا من عمليات حرب العصابات والتقدم السريع لقوات ضخمة قد حطم القبضة المصرية جنوبى بئر السبع ، وفى حركة بالغة السرعة تم اجتياز حدود سيناء يوم ٢٨ ديسمبر — ثم

---

(١) محمد حسنين هيكل — مجلة آخر ساعة ـ عدد ٨٤٢ — ١٣ ديسمبر ١٩٥٠ ص ٣ .

يوجز الهدف من ذلك قائلا – وبخروج المصريين من الحرب أصبح فى قدرة الإسرائيليين تركيز قوات أكبر للتحرير النهائى لفلسطين . وفى حركة بعيدة المدى لثلاثة ألوية فتح النقب الجنوبى بأكمله ، بما فى ذلك جزء من خليج العقبة يوم (١٦ مارس ١٩٤٩) . وفى الوقت نفسه حرر القسم الغربى من البحر الميت الذى يضم ما سادا(*) وعين جدى وجزءا من الصحراء اليهودية »(١) .

« انظر الخريطة شكل ٨ » .

وهكذا يتبين باعتراف الطرفين وتقييمهما لهذا الهجوم أنه كان أول هجوم استراتيجى مدبر اتخذ خصائص الحرب السريعة ، ومع أنه كان فى إطار حرب فلسطين إلا أنه يمكن أن يكون أول نموذج للحرب الخاطفة « الوقائية » فى المنطقة وخاصة إذا ما قسنا ذلك على الخطة التى دبر بها ، والأهداف التى سعى إلى تحقيقها والتطبيق الاستراتيجى الذى نفذ به . وبذلك يكون الهجوم الاستراتيجى نحو الجنوب قد حقق أهدافه المطلوبة(٢) .

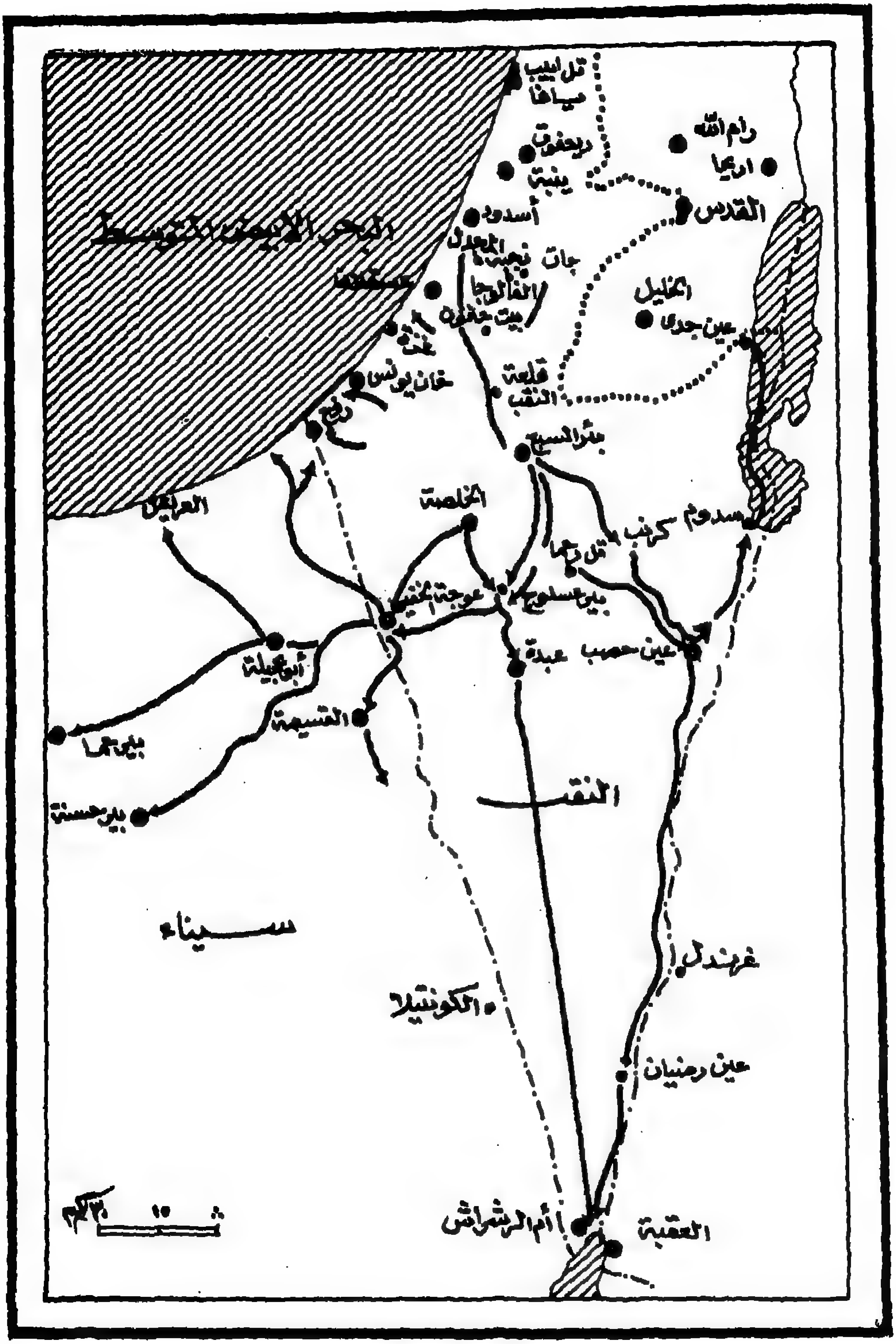
٢ – الهجوم الاستراتيجى نحو الشمال :

لم تكن منطقة شمال فلسطين تقل أهمية بالنسبة لإسرائيل عن الجنوب وخاصة من الناحية العسكرية حيث أن طبوغرافية هذه المنطقة الجبلية تجعل من يسيطر عليها يهدد قلب إسرائيل مباشرة ويستطيع أن يتحكم أيضا فى مصادر المياه التى تمونها وخاصة فى منطقتى بحيرة طبريا والحوله . وقد أطلق الإسرائيليون على هجومهم نحو الشمال اسم عملية حيرام ، يصفها ايجال يادين بقوله :

(*) الماسادا – وهى قلعة كانت تقع على قمة صخرة مرتفعة عند البحر الميت ، وقد احتل الرومان هذه القلعة ، لكن اليهود استولوا عليها ووعدوا حاميتها بالأمان إن هم استسلموا ، لكنهم عادوا فغدروا بهم وذبحوهم عن آخرهم .
وحاصر الرومان القلعة عدة سنوات وأحدثوا ثغرة فى جدارها .. وانتحر اليهود المحاصرون داخلها خوفا من انتقام الرومان . وقد حاول الصهاينة استغلال قصة « الماسادا » وحولوها إلى أسطورة قومية . حتى أن بعض أسلحة الجيش تقيم احتفالا سنويا ويرددون قسم الولاء على قمة القلعة أن « الماسادا لن تسقط ثانية » .

(١) Allon Y. OP. Cit. PP. 41-42.

(٢) انظر مذكرات عبد الله التل – كارثة فلسطين – الجزء الأول – الطبعة الأولى – دار القلم – القاهرة – سنة ١٩٥٩ ص ٤٠٧. وما بعدها .



شكل رقم (٨)

الهجوم الإسرائيلي على الجنوب نحو بئر السبع وصحراء النقب وإلى صحراء سيناء ١٩٤٨م

Allon, Yigal The making of Israel Army, vallentine mitchell - London - 1970 -P. 275.

« أخيرا وليس آخرا فسوف أسهب فى ذكر عملية حيرام فإنها كانت عملية صاعقة كلاسيكية إلا أنها أعطت مثلا فى القرار الاستراتيجى . إن التخطيط الاستراتيجى أشد فاعلية من التخطيط التكتيكى . فقد كان القاوقجى يريد أن يفرض علينا تعرضه التكتيكى الذى كان سوف ينتهى لصالحه لو أننا سمحنا لأنفسنا أن ندخل معارك جبهوية أخرى بعد ضغطه على المنارة(*) وبعد أن فشلنا فى بعض هذه المعارك ، ففى عملية حيرام طبقنا استراتيجية التعرض غير المباشر ، مستعملين كل إمكانياتها ، واضعين هدفنا فى برنامج شامل مبنى من جديد على تعاطى كل من قطع خطوط المواصلات وطرق التراجع وضرب مراكز الإدارة . إن قواتنا إذ تتحرك الأولى ، من صفد إلى الشمال نحو صاصا ، والثانية ، من كبرى (**) شمالا عن طريق ترشيحا قد أعطت مثلا عن الإحاطة الاستراتيجية المخططة فى معركة ١٩٤٨ وعن النتائج الحاسمة السريعة »(١) .

ونسوق هنا تقييم قائد عربى خاص معارك ١٩٤٨ هو عبدالله التل حيث يبين هجوم الجيش الإسرائيلى على الشمال قائلا : « بعد أن اطمأن اليهود إلى تحقيق أهدافهم فى الجنوب تجمعوا فى الشمال وهاجموا جيش الإنقاذ الذى كان يحتل قسما كبيرا من الجليل ، ويساعد الجيش اللبنانى فى حماية حدود لبنان وقد بدأ هجوم اليهود المفاجىء فى ١٩٤٨/١٠/٣٠ وانتهى فى ١٩٤٨/١١/١ أى أنه لم يدم أكثر من ٣٦ ساعة . واستطاع اليهود بتفوقهم فى العدد والعدة أن يستولوا على الجليل بأكمله ، بما فى ذلك قاعدة جيش الإنقاذ فى (ترشيحا) وتوغلوا كذلك فى الأراضى اللبنانية واحتلوا ١٥ قرية لجأ أغلب أهلها إلى الداخل وتمكن جيش الإنقاذ من سحب بعض وحداته سليمة . ولكنه تكبد خسائر فادحة فى الرجال والعتاد . وهل نلوم جيش الإنقاذ والجيش اللبنانى وهما يقابلان جموع اليهود الحاشدة ومدافعهم وطائراتهم » والجيشان العراقى — والأردنى يرقبان النتائج وكما حصل فى جنوب فلسطين حصل فى شمالها ، إذ استغل اليهود الموقف وانتقلوا بقواتهم الضاربة لاستخدامها فى المكان والزمان المناسبين . وكيف لا يفعلون ذلك وهم يعرفون جيدا أن الجيشين الهاشميين لن يحركا ساكناً ؟ وحتى مجلس الأمن ، واللجنة السياسية لهيئة الأمم ، وهيئة الأمم نفسها رفضت أن يدرج اعتداء اليهود فى الشمال مكتفين بالأمر

---

* المنارة : منطقة عربية أقامت إسرائيل فيها مستعمرة « راميم » قرب صفد فى الجليل الأعلى الشرقى قرب الحدود اللبنانية .

** « كبرى » : « مستوطنة صهيونية تعاونية » تقع فى الطرف الشرقى من وادى عكا .

(١) حركة التحرير الوطنى الفلسطينى — فى الاستراتيجية — مصدر سابق ٣٠ — ٣١ .

الذى – صدر لإيقاف الرمى والعودة إلى المراكز السابقة . وأن الذى يحز فى النفس ويزيد الآلام أن نرى أن العالم لم يكترث بما وقع فى شمال فلسطين حتى أن العالم العربى نفسه لم يهتم بما وقع ، ولم نعد نسمع عن الموقف الذى وقفه الجيشان الهاشميان من جيش الإنقاذ والجيش اللبنانى ، وأسدل الستار على تلك المأساة ولقد ظل اليهود فى الأراضى اللبنانية بضعة أشهر ولم يخرجوا منها إلا بعد توقيع الهدنة الدائمة فى فلسطين »[1] .

« انظر الخريطة شكل ٩ »

كما قيم الدكتور حسن صبرى الخولى نتائج حرب ١٩٤٨ قائلا : « فقد كان فرض هذه الاتفاقيات تأكيدا لهزيمة الدول العربية فى حرب ١٩٤٨ .

وفى هذه الاتفاقيات لم تفرض إسرائيل على الدول العربية مبدأ التقسيم فحسب . بل استطاعت أن تحصل على المزيد من الأراضى المخصصة لها فى قرار التقسيم الذى أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة فى التاسع والعشرين من شهر نوفمبر ١٩٤٧ .

« فكان إبرام اتفاقيات الهدنة على هذا النحو ، مثلا صارخا على سيادة مبدأ الأمر الواقع . وكسبا استراتيجيا وسياسيا لإسرائيل »[2] .

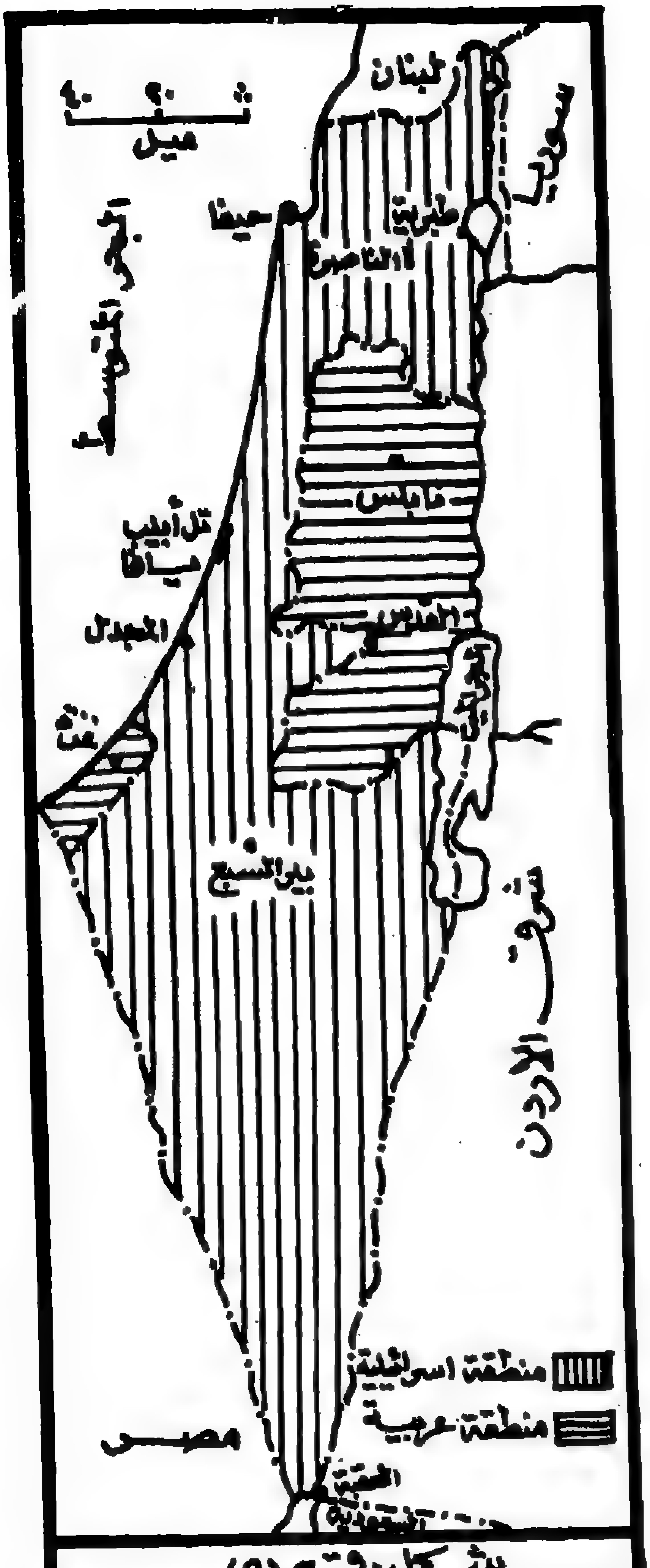
إن التقييم العسكرى لنتائج حرب ١٩٤٨ يبين أن الإسرائيليين قد استغلوا الإمكانيات التى كانت متاحة لهم بطريقة مثلى ، سواء على الصعيد الجيواستراتيجى ، أو التسليح أو استغلال الوضع الدولى ، وخاصة فرض الهدنة واستغلال وقت وقف إطلاق النار بالتزود بالأسلحة والعتاد والرجال من المتطوعين ولكن ... وفى إطار هذا الكتاب فإن تقييم الحرب على الصعيد الاستراتيجى يبين مدى اعتماد العقلية العسكرية الإسرائيلية على فكرة الهجوم واتخاذها أساسا لتحقيق أهداف الاستراتيجية العليا . ويجمل آلون الأهداف التى حققوها فى هذه الحرب قائلا :

« ولقد أدى ذلك كله بطبيعة الحال إلى منع إقامة دولة عربية فى فلسطين كما تصورها قرار التقسيم الذى أصدرته الأمم المتحدة . وخرجت دولة إسرائيل من الحرب وقد سيطرت على مناطق أوسع وأقيم من الناحية الاستراتيجية ، مما أعطاها مشروع التقسيم

---

(١) عبدالله التل – مصدر سابق – ص ٤١٧ .

(٢) الدكتور حسن صبرى الخولى – مصدر سبق ذكره – المجلد الأول ص ٧٨٤ – ٧٨٥ .



شكل رقم (٩)

اسرائيل بعد نهاية الجولة الأولى سنة ١٩٤٩

المصدر : محمد فيصل عبد المنعم - فلسطين والغزو الصهيونى - مكتبة القاهرة الحديثة - القاهرة - سنة ١٩٧٠ - ص ٤٤٦ .

أصلا . ومع ذلك فقد كان هذا أقل كثيرا مما هو فى مقدور طاقتها العسكرية بلوغه ومما يلزمها للدفاع عن نفسها ضد أى تهديد آخر من نفس الأعداء »[1] .

اتضح لنا مما تقدم طبيعة الاستراتيجية الإسرائيلية والأهداف التوسعية التى حددتها لتحركها فى المراحل المختلفة لحرب ١٩٤٨ .

ففى المرحلة الأولى : تم استيعاب هجمات الجيوش العربية ومحاولة تعطيل تقدمها بواسطة المستعمرات اليهودية المنتشرة فى مناطق متفرقة من البلاد .

وفى المرحلة الثانية : أى بعد الهدنة الأولى ، بادر اليهود بالهجوم وعملوا على كسر الطوق الذى ضربته القوات العربية حول المنطقة الوسطى الساحلية التى كانت مزدحمة بالسكان اليهود .

وفى المرحلة الثالثة : قاموا بهجومين كبيرين واسعى النطاق أحدهما شمل منطقة الجليل فى الشمال حتى الحدود السورية اللبنانية وذلك لتأمين السيطرة على المرتفعات فى تلك المنطقة والتى تسيطر على الجليل الغربى ، وسهل مرج بن عامر والذى يعتبر المفتاح الجغرافى لفلسطين . وفى الجنوب شمل هجوم منطقة السهل الساحلى ، الممتدة من أسدود حتى رفح ، بعمق يمتد من الفالوجا حتى الخليل ، ومن بئر السبع إلى حدود سيناء . وبالتالى يكونون قد حققوا التوسع الإقليمى الذى يهدفون من ورائه إلى تحقيق مجال جغرافى يسمح لهم بالوقوف على خطوط جغرافية أوسع بكثير من تلك التى حددها لهم قرار التقسيم . ومن ناحية أخرى احتلال منطقة النقب بما فى ذلك ميناء ايلات على البحر الأحمر الذى كان يعرف فى ذلك الوقت باسم « أم الرشراش » وكانت نتيجة هذه الهجمات ناجحة إلى حد كبير .

وعند تقييم مواقف الجيوش العربية العسكرى يتضح أن هذه الجيوش أثناء حرب عام ١٩٤٨ كان ينقصها الاستعداد العسكرى بالإضافة إلى انعدام الخطة الاستراتيجية الواحدة ذات الأبعاد الواضحة والمحددة . كما أنها لم تستخدم كامل إمكانياتها التى كانت متوفرة لها . وعلى سبيل المثال : الجيش العراقى رغم دخوله وسيطرته على عدة مناطق استراتيجية فى وسط فلسطين وشمالها وتوفر الفرصة له لتحقيق الهدف الاستراتيجى العربى آنذاك ونقصد به منع قيام الدولة الصهيونية ، إلا أنه لم يقم بدوره المقرر له خاصة

---

(١) Allon, Y. OP. Cit. P. 43.

وأن الجيش العراق يتمتع بإمكانيات ومقومات كانت تسمح له بتحقيق هذا الهدف القومى .

وسوف يتكرر هذا الخطأ الاستراتيجى فى الحروب التى خاضها العرب ضد إسرائيل فى عام ١٩٦٧ و ١٩٧٣ :

٢ ــ تجربة العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦

النموذج الثانى للتطبيق الفعلى للحرب الوقائية فى استراتيجية اسرائيل العسكرية هو الدور الذى قامت به إسرائيل بالمشاركة مع القوات الفرنسية والبريطانية أثناء عدوان عام ١٩٥٦ على مصر . فما هى دوافع الهجوم الإسرائيلى ؟ وما هى أهدافه ؟ وكيفية التطبيق الفعلى الذى تم بها ومدى انطباق ذلك على مفهوم الحرب الوقائية .

لابد من الإشارة مسبقا إلى أن اعتماد إسرائيل لهذا الأسلوب من أساليب التعامل القتالى فى الصراع بينها وبين العرب مصدره فى الأصل الايديولوجية الصهيونية التى تعتبر إسرائيل ثمرتها وأداتها التنفيذية فى المنطقة العربية . ولما كانت حرب ١٩٤٨ لم تحقق للصهيونية ولإسرائيل كل أهدافهما وبقى الصراع مع العرب قائما ومحتدماً واستمر العرب فى رفضهم المطلق لوجود إسرائيل كدولة على جزء من فلسطين وماترتب على ذلك من نتائج عسكرية واقتصادية وضعت إسرائيل فى الحقيقة فى شبه حصار ، خاصة ، أنه لم يكن يسمح لها بالملاحة فى خليج العقبة أو قناة السويس . وفى ظل هذه الأوضاع وجدت إسرائيل نفسها فى حاجة للعودة إلى الحرب ، وإلى الحرب الوقائية بالذات لتحقيق المزيد من أهدافها السياسية ، والعسكرية ، والاقتصادية التى سبق ذكرها .

إذن لم تكن مشاركة إسرائيل بريطانيا وفرنسا فى العدوان الثلاثى لتحقيق أهداف الدولتين فحسب بل وقبل ذلك لاستخدام الدولتين أيضا لمساعدتها فى تحقيق أهدافها .

(أ) مقومات العدوان وأهدافه :

تبدأ الحرب عندما تعجز السياسة عن تحقيق أهدافها بالوسائل السليمة والحرب بذلك وسيلة لتحقيق أهداف السياسة . فما من حرب شنت إلا وارتبطت بالأهداف العليا للطرف الذى يبدأ بها . وإذا طبقنا ذلك على سلوك إسرائيل فى تعاملها مع البلاد العربية

نجدها تطبق هذه القاعدة نظرا لعدم وجود أية فرصة لتحقيق أهدافها بالوسائل الأخرى ، لذلك لم تكن علاقات الصراع تقبل أى منطقة للتعامل غير منطق الإحتكام إلى السلاح . ومن الجدير بالملاحظة أنه بعد احتلال إسرائيل لأجزاء واسعة من فلسطين وخاصة صحراء النقب عمد قادتها إلى تلافى الأخطاء التى يمكن أن يقعوا فيها لو سمحوا للجيوش العربية أن تبادرهم بالهجوم وخاصة فى تلك المرحلة التى أعقبت قيام إسرائيل . وكانت تعانى فيها من عملية تغيير جذرى قامت بها من الناحية السكانية والاقتصادية بهدف تهويد الأرض ، كما أن المدن قد ازدحمت بالسكان ، فأى مجازفة بقبول هجوم عربى عليها يعني القضاء على ماحققته فى ساعات قليلة لذلك كان لابد من وضع القاعدة الثابتة فى الفكر العسكرى الإسرائيلى والتى تقوم على أساس نقل المعركة إلى أرض العدو باستمرار . وقد حدثت فى المنطقة العربية بعد حرب فلسطين تغييرات جذرية فى النظم السياسية وتسليح وتنظيم القوات المسلحة العربية والتقدم الاقتصادى . كل هذه التغييرات كانت مبعث قلق لقادة إسرائيل لأنها – فى حد ذاتها – بقدر ماتكون إضافة جديدة إلى قوة العرب نحو تحقيق أهدافهم فإنها فى الحد الأدنى طاقة دفاعية لم تمكنهم من منع إسرائيل من تحقيق أهدافها ومن أبرز هذه التغييرات :

١ – **تغير بعض النظم السياسية العربية** : وخاصة فى مصر وسوريا وقيام نظم تستند إلى الفكر القومى وتسعى إلى تغيير موازين القوى السياسية والاقتصادية والعسكرية . كما أنها حددت موقفها بوضوح منذ قيامها من اعتبار إسرائيل كيانا دخيلا ومستعمراً جاثماً على قلب الأمة العربية ومن ثم لابد من تحرير الأرض العربية المحتلة منه ، وحتى يتحقق ذلك لابد من بناء قوات عربية حديثة ، تسليحا وتدريباً وفكراً . وقد قطعت مصر فى ذلك شوطا يعتد به وخاصة فى أعقاب عقدها لصفقة الأسلحة التشيكية ، مما أدى إلى اختلال ميزان القوى بينها وبين إسرائيل .

وقد عبر عن ذلك شمعون بيريز فقال :

« فى عام ١٩٥٥ اختل التوازن العسكرى فى الشرق الأوسط بصورة مدهشة بعد أن عمد الاتحاد السوفيتى لأول مرة فى تاريخ هذه المنطقة إلى تزويدها بالأسلحة مافوق الحديثة »[1] .

---

(١) شمعون بيريز – مصدر سابق – ص ١٤٠ .

ولم يقف هذا الاحتلال عن حد ردع العدو بل سرعان ماانعكس على الوضع العسكرى الذي كان سائدا على جانبى خطوط الهدنة بين مصر وإسرائيل وبين إسرائيل وسوريا أيضا. وأصبحت الاعتداءات الإسرائيلية لاتمر بدون عقاب . وقامت مصر بتنظيم مجموعات فدائية أخذت تطلقها فى مهام قتالية عبر الحدود . مما كان له أثر عميق فى خلق الرعب والاضطراب بين السكان فى إسرائيل . هذا بالإضافة إلى تدعيم موقف مصر السياسى الداخلى والخارجى . الداخلى : بجلاء القوات البريطانية عنها ، وتأميم شركة قناة السويس . وإعادة البناء الاقتصادى . والخارجى : بتعزيز موقفها فى العالم العربى ، وبين دول العالم ، وخاصة فى أعقاب مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ وما تلاه من مؤتمرات دولية ، وانفتاح سياستها الخارجية على الكتلة الشرقية . كل ذلك أعطى مصر ثقلا دوليا وعربيا مكنها من تزعم الأمة العربية فى نضالها ضد الاستعمار والصهيونية وإسرائيل وجعلها قاعدة للقومية العربية »[1] .

٢ ــ **من الناحية العسكرية** : كانت خطوط الهدنة مع إسرائيل فى حالة اشتعال مستمر ، وكان للعمليات الفدائية آثار فعالة فى اضطراب الأمن ورادعة لسياسة إسرائيل العدوانية ، وكاد الوضع العسكرى ينقلب إلى مرحلة الهجوم . ويبين « آيجال آلون » مفصيلا أثر هذا العامل فى التخطيط لحرب ١٩٥٦ قائلا :

« كل ذلك ، وتطورات مزعجة تجرى على حدود إسرائيل جميعها (باستثناء حدودها مع لبنان) مما أثر أكثر على نظريتها العسكرية . لقد أصبح من الأمور المعتادة أن تقوم قوات عربية غير نظامية ، وشبه نظامية وأحيانا نظامية . سواء بتوجيه رسمى أو باجازة رسمية – باجتياز حدود إسرائيل ليلا وأحيانا فى ضوء النهار لأغراض الإرهاب الشخصى ضد المدنيين والجنود ، وشهدت الفترة ما بين ١٩٥١ و ١٩٥٦ عدداً متزايداً من عمليات التسلل ، التى اكتسبت طابعا أكثر خطورة مع الوقت . لايمكن لدولة حديثة أن تحيط نفسها بجدار ، ولم تكن الدوريات والكمائن لتكفى لوضع حد لمثل هذا التسلل . إن حدود إسرائيل طويلة جداً ، لدرجة لايمكن تصورها بالنسبة لحجمها . والمستعمرات مبعثرة فى جميع أنحاء البلاد وبعضها كان معزولا تقريبا .. ان هذه الظروف قد جعلت من السهل جداً على العدو إزعاج الحياة فى إسرائيل بوسائل الإرهاب . ولقد كانت هذه الأعمال ، بطبيعة الحال ، نتيجة مباشرة لحالة الحرب التى أصرت عليها

---

(١) أرسكين تشيلدرز – مصدر سابق – ص ٢٠٤ وما بعدها .

الحكومات العربية بعناد . وفى كثير من الأحيان ، اعترفت البلاغات الرسمية بأن هذه الأعمال كانت عمليات مأذونة . وذهبت الحكومة المصرية إلى حد إنشاء وحدة خاصة تحمل اسم العصور الوسطى « الفدائيين » تخصصت فى عبور الحدود الإسرائيلية لأعمال الإرهاب . وخلقت هذه التطورات مشاكل حادة لإسرائيل من ناحيتى الأمن والسيادة . لقد كان عدد الخسائر فى أرواح المدنيين والعسكريين يتزايد بانتظام ، كذلك ازدادت - الخسائر ، فى الممتلكات ، وبدأ شعور من عدم القدرة على عمل شيء والإحباط يتفشى كالعدوى بين المواطنين »[1] .

٣ - **جلاء القوات البريطانية عن قناة السويس** : حرم إسرائيل من الحماية الخلفية لها وكشف الدور الذى لعبته هذه القوات فى إضعاف موقف الجيش المصرى أبان حرب سنة ١٩٤٨ . لذلك سعت إسرائيل إلى منع مصر من الاستمرار فى الاستفادة من هذا الوضع الاستراتيجى الجديد .

٤ - **الحصار العربى لاسرائيل** : كانت إسرائيل تعيش فى شبه حصار محكم ولم تتمكن من المرور فى قناة السويس ، أو خليج العقبة ، أو إقامة أى نوع من أنواع التعامل السلمى مع البلاد العربية .

لقد مثلث الظواهر السابقة بتطور علاقات الصراع بين العرب وإسرائيل أسبابا مباشرة كان لها أثرها فى إذكاء الأفكار الصهيونية القديمة التى تنادى بالتوسع فى اتجاه سيناء وذلك لتأمين القاعدة السكانية فى النقب وتحقيق العمق الاستراتيجى فى الجنوب . ولم تكن الحملة الإسرائيلية فى سيناء سنة ١٩٥٦ إلا استمرارا لسياستها المخططة . يوضح ذلك ارسكين تشيلدرز قائلا :

« هناك كثيرون يعتقدون فى جميع أنحاء العالم ، طبقا لما أكده الناطق بلسان إسرائيل أكثر من مرة بأن قرار الهجوم على سيناء قد اتخذ فى القسم الأخير من شهر أكتوبر عام ١٩٥٦ ، أنه جاء على أثر استئناف غارات الفدائيين ، والإعلان الذى صدر عن عمان عن تأليف قيادة مشتركة لقوات مصر وسوريا والأردن ، لكن جميع الدلائل تشير عند جمع بعضها إلى بعض إلى حقيقة تختلف عن هذا الزعم كل الاختلاف ، وتوضح وجود تصميم طويل الأجل منذ أمد بعيد على احتلال شبه جزيرة سيناء ، فى الوقت المناسب .

---

(١) Allon, Y. OP. Cit. PP. 54- 55.

وتتألف الدوافع التى تقف وراء هذا الهدف ، كما هو الوضع دائما ، من مزيج متقلب من الأحلام ، الدينية ، والتاريخية ، والأهداف الاستراتيجية ، والضرورات السياسية ، وأغراض الدفاع عن النفس ، وليس من البعيد عن الصواب أن يقال ان شبه جزيرة سيناء كانت قد بدأت تحتل مكانها فى التفكير الصهيونى الإسرائيلى منذ عام ١٩٤٨ - ١٩٤٩ .

وتضمن الأمر اليومى الذى أصدرته إسرائيل إلى قواتها التى هاجمت سيناء فى التاسع والعشرين من أكتوبر « حصر جيش النيل فى بلاده » وأبلغ « بن جوريون » مجلس الكنيست أن الأوامر قد صدرت إلى القوات بعدم اجتياز قناة السويس أو مهاجمة الأراضى المصرية الأصلية .. وتحدث عن أهداف الحملة ، فذكر أن من بينها « تحرير هذا الجزء من الوطن من احتلال الغزاة » وأشار بن جوريون إلى احتلال قواته لجزيرة تيران فى خليج العقبة فقال : « إننا نريد هذه الجزيرة لأنها كانت مركز دولة عبرية قديمة انتهى أمرها قبل ١٤٠٠ ألف وأربعمائة عام (ولم يصل شىء من هذه المعلومات الجوهرية فعلا إلى الغرب حيث كانت الصورة التى ارتسمت فى مخيلة الكثيرين هناك ، أن غزو سيناء لم يكن إلا بقصد تطهيرها من أوكار الفدائيين وإحباط هجوم كان المصريون يعدون العدة له ، لكن غزو شبه الجزيرة كان قد وقع على الصورة التى أوردتها قبل قليل ، والتى تعتبر فى منتهى الخطورة ، وليس ثمة من سبب - مهما كان نوعه - يدعو إلى الاعتقاد بأن هذه الأحلام التوسعية الغامضة قد ومضت فجأة فى عقل بن جوريون فى شهر أكتوبر من عام ١٩٥٦ ، فلقد كان مستهل عام ١٩٥١ يعلن ذلك بصورة رسمية واضحة ، « إن دولة إسرائيل لا تتحدد شخصيتها ، بأرضها ولا بشعبها . فلقد أقيمت فقط على جزء ليس إلا جزءاً من أرض إسرائيل ، وحتى أولئك الذين يلتبس عليهم موضوع إعادة إسرائيل إلى حدودها التاريخية كما تحددت وتبلورت وأعطيت لها منذ الأزل ، لن يستطيعوا أن ينكروا ما فى حدودها الراهنة من شذوذ »[١] .

هذه شهادة محايد تستند إلى الوقائع والتحليل ، التى أكدتها الأحداث وترتبط ارتباطا منطقيا صريحا بالايديولوجية الصهيونية من ناحية ، وأهداف إسرائيل التوسعية من ناحية أخرى ، فبقدر ما يكون للأسباب المباشرة من آثار فى تحريك المخطط الصهيونى ، بقدر ما يجد قادة إسرائيل من الأسباب التبريرية فى الفرصة المناسبة للسعى

(١) ارسكين تشيلدرز - المصدر السابق ص ٢٠٠ - ٢٠٢ .

لتحقيق هذا المخطط ، وسيتأكد ذلك - حالا - فى استخدامهم للأداة العسكرية لتحقيق أهدافهم السياسية العليا وسيتكرر ذلك أكثر من مرة .

فمنذ عام ١٩٥٥ ، بدأت تظهر النوايا الإسرائيلية فى التوسع والعدوان وقد اتخذت سيناء بمركزها الاستراتيجي الهام أهمية خاصة عند الاستراتيجيين الإسرائيليين . فإلى جانب كونها تفصلهم عن أكبر دولة عربية إلا أنها أيضا تمثل قاعدة حماية لمواصلاتهم البحرية وخاصة فى خليج العقبة ، والبحر الأحمر . وتزايد ذلك بعد جلاء القوات البريطانية عن قناة السويس عام ١٩٥٦ . يفصل ذلك « أرسكين تشيلدرز » مستوضحا اتجاهات الفكر الإسرائيلى فى تلك الفترة قائلا :

« فهل يمكن تحويل هذا الخطر إلى فائدة إيجابية بأية طريقة من الطرق تضمن تحقيق الأهداف التوسعية والوقائية معا . ليس من الإجحاف والحالة هذه أن نقول بأن هذه المشكلة أنهكت تفكير بن جوريون وكافة مستشاريه السياسيين والعسكريين الموثوق بهم . وقد شرح « ايجال يادين » - وهو من العسكريين الإسرائيليين - هذه الأهداف التى لجأت إسرائيل إلى كل وسيلة دعائية وعسكرية لتحقيقها ، وكانت القضية الآن بالنسبة لوضع إسرائيل ، وإلى أهداف الصهيونية ، كما حددتها فى نهاية عام ١٩٥٤ ، هى ما إذا لم يكن فى الإمكان استغلال الأخطار الناجمة عن جلاء القوات البريطانية عن منطقة القناة كفرصة لتوسع حدود إسرائيل الغربية إلى حدودها التى تتلهف للوصول إليها على القناة نفسها . فإن هذا الهدف ، إذا تحقق ، سيضمن لإسرائيل استعادة جزء من أرض الوطن القديم ، ويؤمن لها المرور عبر القناة بعد سنوات طويلة من الحصار الذى فرضته مصر ، وسيكرس حماية النقب ، ويبعد القواعد الجوية المصرية مسافة ١٥٠ ميلا أخرى إلى الوراء بعيدا عن مناطق المدن الإسرائيلية المأهولة وستقيم فاصلا أرضيا مماثلا فى بعده لهذه المسافة بين مصر وغيرها من الجيوش العربية »(١) .

يؤكد ذلك ماورد فى يوميات أحد الصهاينة الإنجليز ، وهو الكولونيل ريتشارد ما ينرز تهاجن حيث يحدد فى خطوط عريضة الضرورات التى توجب على إسرائيل أن تبادر بالهجوم على مصر واحتلال شبه جزيرة سيناء حيث يقول :

---

(١) ارسكين تشيلدرز - المصدر نفسه - ص ٢٠٥ - ٢٠٦

« لقد وضعت هذه المذكرة فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٥ لأقدمها إلى قادة إسرائيل وتشمل النقاط الآتية :

١ ــ دفع مصر للظهور بمظهر المعتدى وذلك عن طريق إرسال سفينة للمرور فى مضيق العقبة وعند تعرض المصريون لها ، إتخاذ ذلك ذريعة لتبرير العدوان بعد التأكد من أن مدفعيتهم سوف تعمل على إغراقها .

٢ ــ وعلى الفور تقوم القوات الجوية بالهجوم على القناة واحتلال أجزاء واسعة من سيناء .

٣ ــ عقب احتلال منطقة القناة تعلن كممر مائى دولى وتوضع تحت إشراف دولى ثم يتم إيجاد منطقة عازلة بين مصر وإسرائيل .

٤ ــ يتم إعلان سيادة إسرائيل على سيناء »[١] .

ومن الجدير بالملاحظة – ذات الأهمية العسكرية الاستراتيجية – أن بن جوريون أصدر أوامره فى سبتمبر سنة ١٩٥٥ باحتلال منطقة العوجة بما تتضمنه من طرق صحراوية متشابكة وحيوية تؤدى إلى الغرب . وانتهت بذلك سلسلة الأعمال العسكرية الإسرائيلية فى هذه المنطقة التى كانت قد شرعت فيها منذ عام ١٩٥٠ .

وقد بين سكرتير عام الأمم المتحدة المستر « همرشولد » أهمية هذه المنطقة وإصرار إسرائيل على الاستمرار فى احتلالها رغم كونها من المناطق المنزوعة السلاح . فقال فى أحد تقاريره إلى الأمم المتحدة :

« تتلخص الأهمية الاستراتيجية للطرق المتوزعة من العوجة ، فى أنه إذا فكر أحد الفريقين فى عدوان على نطاق واسع على أراضى الفريق الآخر ، فإن طرق مواصلاته الرئيسية والفرعية اللازمة للعملية العدوانية يجب أن تمر فى هذه المنطقة المنزوعة السلاح »[٢] .

وقد خلص تشليدرز فى تقييمه لنوايا إسرائيل العدوانية والتوسعية فى سيناء إلى :

---

(١) Colonel, R. Meiner Tzhagerr. Middle Easrt diary 1917 - 1956. The Cresset Press - London, 1959 PP. 277 - 278.

(٢) اوسكين تشيلدرز – مصدر سبق ذكره – ص ٢٠٩ .

« وعلى ضوء هذه الحقائق يمكننا أن نقول بالاختصار ، أن ثمة مجموعة ضخمة من الأدلة ، تقوم وراءها مجموعة ضخمة أيضا من الاستنتاجات المعقولة ، كل العقل ، تؤكد أن بن جوريون وعددا من مستشاريه كانوا يعدون العدة لاحتلال سيناء منذ أشهر طويلة بل منذ سنوات قبل أن يشنوا هجومهم الفعلى »[1] .

ويؤكد ، ما ذهب إليه تشيلدرز ، مناحم بيجن - زعيم كتلة ليكود الصهيونية والقائد السابق لمنظمة الارجون - ورئيس وزراء إسرائيل فيما بعد - وذلك عندما وقف فى يوم ١٢ أكتوبر سنه ١٩٥٥ أمام الكنيست الإسرائيلى « يعرب عن إيمانه العميق بضرورة شن حرب وقائية ضد الدول العربية دون أى تردد حتى تستطيع إسرائيل أن تقضى على القوة العربية وأن توسع حدودها »[2] .

يتضح لنا مما تقدم أن الظروف الدولية التى نجمت عن تأميم مصر لشركة قناة السويس ، ومعارضة كل من بريطانيا وفرنسا لذلك ، وإظهارهما لنوايا العداء إزاء مصر ، ونيتهما لاستخدام القوة لثنيها عن موقفها ، وقد أوجد هذا المناخ الدولى والحلفاء الدوليين لتسهيل مهمة إسرائيل نحو تحقيق أهدافها التى يمكن تحديدها بما يأتى :

١ ـــ فك الحصار البحرى عن خليج العقبة .

٢ ـــ القضاء على قوة الجيش المصرى المتطورة ، وقواعد الفدائيين ، وتأمين حدود إسرائيل الجنوبية . وخاصة بعد إعلان اتفاقية الأسلحة بين مصر وتشيكوسلوفاكيا ، وما تمثله هذه الاتفاقية من خطر على إسرائيل . يؤكد ذلك « موسى شاريت » عندما علق على هذه الاتفاقية بقوله :

« انها خطر لا مثيل له ، ومن المحتم أن يؤثر تأثيراً بالغاً على أمن إسرائيل .. كما أنها غيرت ميزان القوى تغييراً حاسماً وضع حدا لتفوق إسرائيل النوعى على مصر .. انها خطر داهم لم تشهده إسرائيل منذ حرب الاستقلال »[3] .

٣ - التوسع الإقليمى وتغيير الوضع الجيواستراتيجى لإسرائيل .

---

(١) ارسكين تشليدرز - المصدر السابق - ص ٢١١ .

(٢) مركز الدراسات السياسة والاستراتيجية - العسكرية الصهيونية - المجلد الأول - مؤسسة الأهرام - القاهرة - سنة ١٩٧٢ - ص ٢٠٠ .

(٣) مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية - العسكرية الصهيونية - المجلد الأول - مؤسسة الأهرام - القاهرة - سنة ١٩٧٢ - ص ١٨٤ .

ولقد قامت إسرائيل بأول تطبيق فعلى شامل لنظرية الحرب الوقائية التى تعتمد على التدبير المسبق لتحقيق أهداف سياسية وعسكرية قد تحددت وهذا ما سبق أن اتضح .

(ب) التطبيق الفعلى للحرب الوقائية عام ١٩٥٦ :

يعترف آلون بأن أول تطبيق لهذه النظرية قد تم الأخذ به فى حملة إسرائيل على سيناء فيقول :

« هذه هى النظرية التى لم تلبث أن وضعت موضع التنفيذ فى حملة سيناء فى أكتوبر عام ١٩٥٦ ، وفى نفس الوقت فقد تبين بوضوح أن الإجراءات الاجهاضية يجب أن تستخدم بأكبر قدر من الحذر ... بطبيعة الحال فقط عندما وحيثما يجرى التأكد من نوايا العدو العدوانية بدرجة كافية . ولذلك فإنه تفاديا للوقوع ضحية هجوم مفاجىء ، وتجنبا فى الوقت نفسه للقيام بعمل إجهاض متسرع ، كان لابد من تطوير جهاز مخابرات من الطراز الأول ، وربطه بمختلف عناصر قوات الدفاع الإسرائيلية السابق ذكرها ... إن أسباب إسرائيل فى اللجوء إلى هذه الحرب الاجهاضية قد تبقى موضع جدل فى بعض الدوائر ، ولكن الذى يجب الاعتراف به هنا ، هو أن القرارقد اتخذ على ضوء تقييم للموقف وصل إليه واضعو الاستراتيجية الإسرائيليون المسئولون ، على أساس تقارير مخابرات موثوق بها . إن الحظر المفروض على الملاحة الإسرائيلية فى قناة السويس والبحر الأحمر ، إلى جانب ما فيه من انتهاك للقانون الدولى ، كان – فى الحقيقة – جزءا من حرب اقتصادية شاملة ضد إسرائيل . وبصفة خاصة فإن الحصار حول ميناء إيلات على البحر الأحمر يجعل من المستحيل على نصف إسرائيل الجنوبى « النقب » الذى تتركز فيه موارد البلاد المعدنية الطبيعية – أن يتطور اقتصاديا . ووصلت غارات الفدائيين التى ينظمها المصريون من سيناء وقطاع غزة إلى درجة مثيرة للقلق ، وأصبحت مشكلة أمن ، من المرتبة الأولى . أما غارات إسرائيل المضادة فرغم تكلفتها للعدو لم يعد لها القدرة على ردعه . وكان تركيز القوات المصرية فى شمال سيناء قريبا جدا من الحدود الاسرائيلية ، واتخاذها وضع العمليات أمرا شديد التهديد بالخطر ... وبدا أن هجوما مصريا شاملا على وشك الوقوع ... وتركت أوضاع الأمن – السابق الإشارة إليها – الإسرائيليين وليس أمامهم خيار إلا أن يلجأوا إلى حرب إجهاض بوصفها شراً لا مفر منه »[1] .

---

(١) Allon, Y, OP. Cit. PP. 53, 56 - 57.

هذا الاعتراف الصريح والتبرير الواضح ، لتبنى إسرائيل للحرب الوقائية ، قد تضمن أيضا الإفصاح عن أهدافها العسكرية والاقتصادية والسياسية التى سعت إلى تحقيقها من وراء ذلك أى أنه لم تكن العملية لمجرد الحماية والدفاع ضد هجمات الفدائيين كما أعلنت إسرائيل ، كما اتضح أيضا أن العملية قامت بناء على الحساب الدقيق ، والتبرير المحكم ، الذى يعتمد على تقارير أجهزة المخابرات لكى توفر لها أكبر قدر ممكن من السرية . وعلى حد رواية آلون فقد تم الهجوم على النحو التالى : « ولضمان أفضل فرص النجاح ، كان لابد من ضمان تفوق عسكرى محلى على الجبهة المصرية . وقد استدعى ذلك تركيز قوات ضاربة كافية على هذه الجبهة من المدرعات ، والمشاة الميكانيكية وفصائل الاستطلاع الخفيفة ، وقوة جوية تكتيكية ، ومظليين ، ومدفعية الميدان ، والخدمات الضرورية للصيانة ، والهندسة والإمداد والتموين - العناية الطبية - حتى ولو كان ذلك على حساب إضعاف جبهات أخرى محتملة . ولقد أمكن القيام بهذه المخاطرة بفضل التعبئة التامة للاحتياط وتدعيم نظام الدفاع الاقليمى والاحتفاظ بوحدات متحركة كبيرة فى المؤخرة لاستخدامها حيثما تدعو الضرورة وكان من الواجب استغلال عنصر المفاجأة إلى أقصى حد فى الاستعدادات ، وفى الجبهة نفسها ، وفيما يتعلق بتوقيت الهجوم وأسلوبه . تمت تعبئة الاحتياط بسرعة وفى صمت .. وبثت شائعات بأن الأردن على وشك أن يهاجم ، على حين كانت القوات الكبرى تحشد قريبا من ساعة الصفر فى مواقع الانطلاق على حدود سيناء . وتم إنزال شجاع للمظليين عميقا داخل سيناء ، تبعه عبور سريع لقوات برية من المدرعات ، والمشاة الميكانيكية ، بهدف تطويق تشكيلات العدو وسحقها ، بقدر الإمكان ، والاستيلاء على ذخائره وأسلحته الحيوية ، وإرغام قواته المتبقية على التقهقر .. وذلك لتحقيق السيطرة الكاملة على شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة حتى قناة السويس . وكان الهدف الأول - بطبيعة الحال - هو إزالة الخطر الفورى لهجوم مصرى كبير على إسرائيل ، وكان هناك هدف آخر هو استخدام سيناء كقوة تفاوض فى أى مفاوضات صلح تجرى مع المصريين إذا حدثت . وصحب تحريك القوات البرية ضرب بالقنابل وقصف جوى لمطارات العدو وخطوط مواصلاته وقواعده العسكرية ، وتبعه على الفور زحف طابور راكب جنوبا إلى مدخل خليج العقبة للاستيلاء على جزيرتى تيران وصنافير . إن هذه العملية المتعددة الجوانب لم تأخذ العدو بالمفاجأة فقط ، ولكنها ساعدت أيضا على تحقيق مكاسب حاسمة حتى فى هذه المرحلة الأولية من الحملة . وبعد ذلك مكن اجتياز خدمات الصيانة المتحركة ، المدرعات

والطوابير الميكانيكية من التحرك بسرعة إلى الأمام ، مما وضع الوحدات الإسرائيلية المتقدمة على بعد مائة ساعة من الضفة الشرقية لقناة السويس – ويبالغ آلون فى قوة اندفاع الهجوم الإسرائيلى فيقول مستطردا – ولولا الإنذار البريطانى – الفرنسى بالابتعاد عن قناة السويس لعبرتها القوات الإسرائيلية وأسقطت النظام المصرى »[1].

هذه هى الرواية الإسرائيلية لحرب ١٩٥٦ والتى يعترف فيها آلون – كما تبين – بأنها كانت حربا هجومية مخططة لتحقيق أهداف إسرائيل . وهناك رواية ناقدة لهذه الرواية قام بسردها أرسكين تشيلدرز حيث قال :

« وأعدت إسرائيل خطتها العسكرية ، على أساس الإفادة مما حققته الاستعدادات السياسية ، والعسكرية ، والنفسية ، التى قامت بها الدول الثلاث من ثمار ونتائج . وقد عرفت المخابرات الإسرائيلية ، أن مصر قد ركزت قواتها الدفاعية الأمامية على حدود قطاع غزة وعلى مراكز تقاطع الطرق المهمة فى العوجة ، لمنع إسرائيل من تكرار اعتداءاتها ، كما عرفت – تبعا لذلك – أن القوات الدفاعية فى منطقة سيناء نفسها ، ولا سيما ، على الطريق الصحراوى الممتد من الكونتلا عبر مضيق المتيلة إلى بور توفيق على قناة السويس . لم تكن كثيفة لأن التركيز فى الدفاع كان قائما فى المنطقة الساحلية . ولم يكن بالفعل فى هذه المنطقة الصحراوية فى التاسع والعشرين من أكتوبر ١٩٥٦ أكثر من ١٥٠٠ جندى موزعين على بعض النقاط المهمة كثامد ، ونخل ، وهكذا تركزت الخطة الإسرائيلية كما يظهر فى الخريطة الملحقة على القيام بتوغل عميق فى هذه المنطقة الوسطى الصحراوية عن طريق إلقاء قوات من المظليين على مضيق المتيلة ، وإرسال لواء مدرع على جناح السرعة بطريق البر على طريق (الكونتلا – المتيلة) للاتصال بالمظليين . واعتقد الإسرائيليون أن نجاح هذه الخطة سيذهل القيادة المصرية ويحول انتباهها فورا إلى مضيق المتيلة . مما يؤدى إلى إغلاق الطريق إلى وسط شبه جزيرة سيناء نفسها .. وهنا يبدأ تنفيذ المرحلة الثانية من الخطة الإسرائيلية . بعد أن يكون اهتمام القوات المصرية قد انصرف إلى المتيلة فى الصحراء وهى تقضى القيام بهجوم قوى باتجاه الغرب من مثلث العوجة على الخطوط المصرية الدفاعية حول « أبى عجيلة » باتجاه الطريق المهم الآخر الذى يعبر سيناء إلى الإسماعيلية ، وتبدأ المرحلة الثالثة فى موعد مقرر بعد ذلك بشن هجوم رئيسى ثالث على رفح فى الشمال لعزل قطاع غزة ، وفتح الطريق

---

(١) Allon, Y, Lbid. PP. 57 - 58.

الساحلى إلى القنطرة على القناة ، فى حين تتجه قوة رابعة من ميناء إيلات فى الجنوب على طول ساحل خليج العقبة للوصول إلى شرم الشيخ [1] .

ويبين أرسكين تشيلدرز أن الغاية العسكرية للهجوم الإسرائيلى بقدر ما كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بخطة بريطانيا وفرنسا للهجوم على مصر ، إلا أنها اتخذت الصفة المستقلة فى التنفيذ وذلك لتحقيق نصر عسكرى مستقل على القوات المصرية كى تتمكن من تدمير أكبر جزء منها ومن الأسلحة الحديثة التى زودت بها ، وعندئذ يكون قد تحقق لها الهدف العسكرى الذى يعيد التوازن فى المنطقة لصالحها ، كما يمكنها من فرض شروطها السياسية على مصر وبالتالى على العرب ويتضح ذلك من قوله :

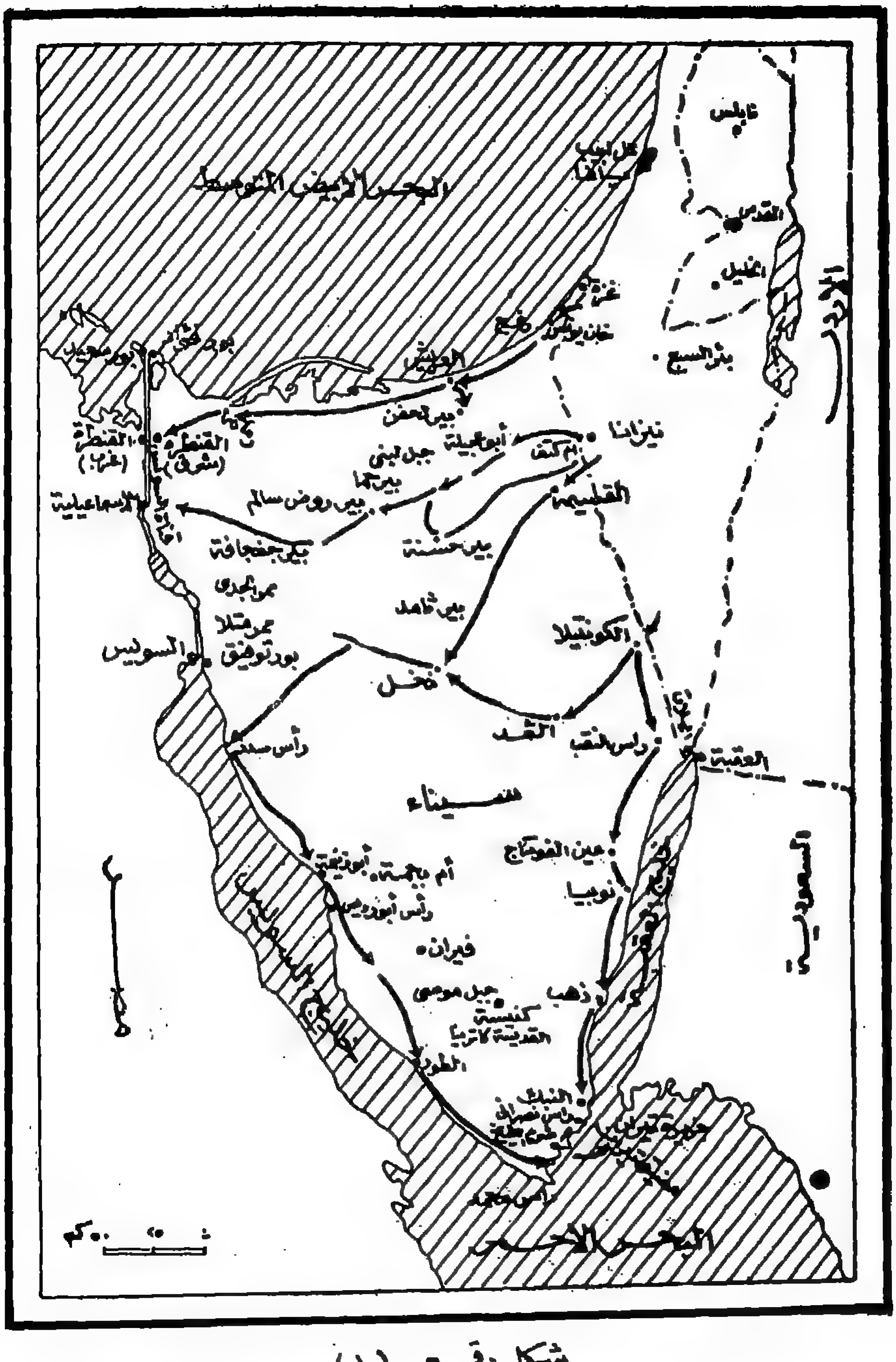
« وأود أن أؤكد نقطة مهمة هنا ، وهى أن بن جوريون ، وديان ، بالرغم من اعتمادهما الكلى على تواطؤ فرنسا وبريطانيا معهما وعلى مايتيحه لهما هذا التواطؤ من مزايا ، لم يقيما خطتهما لحملة سيناء على أساس قصف الطائرات البريطانية لمطارات مصر بعد ٤٨ ساعة من بدء الهجوم على سيناء أو على التدخل البريطانى – الفرنسى عن طريق الإنذار المشترك بعد ٢٤ ساعة من نقطة البداية ، إن الخطة الإسرائيلية كانت تستهدف منذ البداية الحصول على نصر مستقل » وهو ما كان إيدن يريده أيضا لإبعاد شبهة التواطؤ عن بريطانيا . وتنتج عن هذه النقطة عدة ملاحظات يجب إيرادها ، وهى أن الإسرائيليين لم يفترضوا أن يقوم السلاح الجوى البريطانى بإبعاد سلاح مصر الجوى عن سماء المعركة فى مثل هذا الوقت القصير . كانوا يفترضون أنهم سيواجهون قوة مصر الجوية العاملة . ولم يكن الإسرائيليون أيضا يتوقعون عملية انسحاب مصرى مبكر من سيناء أمام التدخل الانجليزى – الفرنسى وإنما كانوا يركنون إلى شىء آخر . وهو أن التدخل الانجليزى – الفرنسى بعد أربعة أيام من بدء الهجوم سيؤدى إلى عزل القوات المصرية فى سيناء . وإلى إبعاد الطيران المصرى عن سماء المعركة بعد هذه الأيام الأربعة »[2] .

ولكن هذا غير منقطع الصلة بالخطة العامة لدول العدوان الثلاثى . ورغم أن القوات

---

(١) ارسكين تشيلدرز – مصدر سبق ذكره – ص ٣٣٨ – ٣٣٩ .

(٢) ارسكين تشليدرز – المصدر السابق – ص ٣٣٩ .



شكل رقم (١٠)

الهجوم الإسرائيلي على مصر عندما اشتركت اسرائيل مع بريطانيا وفرنسا سنة ١٩٥٦

Allon, Y. OP. Cit. P. 276.

الإسرائيلية تمكنت من اختراق خطوط ألدفاع المصرية فى سيناء ، كما اتبعت استراتيجية الهجوم غير المباشر عندما أنزلت قوات المظلات فى مضائق « متيلة » خلف القوات المصرية . إلا أن تشليدرز يعترف أنها كانت تخشى أن يتأخر الهجوم البريطاني الفرنسى وأن تتدخل الجيوش العربية ، وخاصة احتمال قيامها بقصف المطارات الإسرائيلية بالطيران مما كان سيؤدى إلى اضطراب خلف القوات المتقدمة . ويستطرد تشليدرز قائلا : « وكانت المغامرة والحالة هذه خطيرة ، ولكن ما يخفف من خطورتها أن لها فترة محدودة ضمنها التواطؤ بينها وبين الدولتين الغربيتين وهو التواطؤ الذى يحول حتما دون وقوع أى هجوم من دولة عربية أخرى . وكان مدى التوغل عاملاً هاماً فى إنجاح الخطة الإسرائيلية ، مما دفع قادتها المسئولين إلى الإدعاء فى البلاغ الحربى الأول ، زوراً وبهتاناً بأن قواتهم وصلت إلى مشارف القناة . ومن هنا تظهر أهمية النزول من الجو فى مضيق المتيله ، فى الخطة الإسرائيلية كلها ، إذ أن هذا النزول كان يهدف إلى إكساب إسرائيل ما تريده من هدف عن طريق إدعاء التوغل البعيد المدى بالإضافة إلى ما يتركه من آثار نفسية فى القاهرة ، وعمان ، ودمشق ، وغيرهما من العواصم العربية وكذلك من اثار فى دول العالم تهيئا لقبول فكرة التدخل الانجليزى الفرنسى . ولا أكون مبالغا إن قلت : أن محور الخطة الإسرائيلية كلها قد تركز على هؤلاء الأربعمائة مظلى ، الذين أنزلتهم الطائرات فى المتيلة ليكونوا محور المفهوم الإسرائيلى التقليدى عن « السوقية اللامباشرة » «الاستراتيجية غير المباشرة »[1] .

من هذا يتبين أن الاستراتيجية الإسرائيلية لن تحيد عن خطها الأساسى الذى يمكن إيجازه فى ثلاث نقاط :

١ ــ المبادرة بالهجوم .

٢ ــ الانفراد بكل جبهة عربية على حدة .

٣ ــ الاستناد على قوة دولية .

ورغم ذلك فإن نقد الروايات الإسرائيلية عن المعارك التى دارت تبين أنها لم تتمكن من تحقيق أهدافها العسكرية إلا فى أعقاب تدخل القوات البريطانية والفرنسية وخاصة فى الجو ومساندتها أثناء تقدمها فى سيناء وعقب الإنذار البريطانى – الفرنسى الذى وجه إلى

---

(١) أرسكين تشيلدرز – المصدر السابق ص ٣٤٠ – ٣٤١ .

مصر واضطرها إلى اتخاذ قرار بسحب قواتها للدفاع عن منطقة قناة السويس ضد هجوم فرنسى انجليزى محتمل .

وينقل تشيلدرز عن أوبلانس قوله : « لو لم يقع التدخل لطالت حملة سيناء أياما وأياما ، وأسابيع وأسابيع ، وقد لا تتغير النتيجة . ولكن إسرائيل كانت ستخرج من القتال حتما وهى مثخنة بالجراح ومجهدة ماليا واقتصاديا وماديا ، وكانت خسائرها فى الأرواح ستبلغ حداً مرعباً بالنسبة إلى دولة صغيرة كإسرائيل »(١) .

والذى لابد من ملاحظته بادىء ذى بدء أن إسرائيل لم تقم وحدها بهذه العمليات العسكرية بل كانت تعتمد على تدخل بريطانيا وفرنسا لمساعدتها فى القضاء على الجيش المصرى ، ولو نظرنا إلى حملة سيناء من هذه الزاوية لاتضح أن القوات الإسرائيلية لم تشتبك اشتباكا فعليا مع القوات المصرية الضاربة وإنما استغلت عنصر المفاجأة لتتقدم بسرعة خلف الخطوط ثم جاء الإنذار البريطانى الفرنسى ليعطيها الفرصة بانسحاب الجيش المصرى من مسرح العمليات فى سيناء واتخاذ مواقع دفاعية عن مدن القناة .

ولكن ما هو تقييم القادة العسكريين الإسرائيليين لحملة سيناء من حيث تحقيقها للأهداف العسكرية والسياسية التى وضعت لها يوضح ذلك ايجال آلون قائلا :

« إن حقيقة أن بريطانيا وفرنسا كانتا على خلاف مع مصر ، قد خلقت وضعا ملائما لإسرائيل من الناحية السياسية والعسكرية . وإذا نظرنا إلى انتصار سيناء ككل ، فإننى أعتقد أنه يعزى أساسا إلى تلك الملامح من قوات إسرائيل المسلحة ، التى كانت فى عام ١٩٥٦ قد أصبحت عقيدة عسكرية .. عدم النظرة التقليدية إلى الحرب ، قدرتها على التلاؤم مع المواقف ، موقفها العملى المرتبط تماما بمهمتها ، نظامها الواعى وشجاعتها المحسوبة مقرونة من ناحية بفهم ذكى لمبادىء الحرب ومن ناحية أخرى بالمهارة العملية القيمة لقدرة القتال بالليل والنهار على السواء .. ومع ذلك ، فإن هذا كله ، مضافا إليه وسائل الحرب الحديثة ، وأكثر نظم الجيش تقدما ، وعقب ذلك كان على الإسرائيليين أن ينسحبوا من جميع المناطق الواقعة وراء خطوط هدنة عام ١٩٤٩ . إن هذا الانسحاب الذى ثار حوله جدل كثير لم يحدث نتيجة ضعف عسكرى ، ولكن تحت ضغط سياسى من الأمم المتحدة ، وجهد مشترك من الولايات المتحدة والاتحاد

---

(١) ارسكين تشليدزر – المصدر السابق – ص ٣٥٦ .

السوفييتى .. الأولى بصفة خاصة ، وكما حدث عام ١٩٤٩ أُعيدت سيناء إلى المصريين المنهزمين دون إصرار من إسرائيل على الصلح الدائم فى مقابل ذلك .. وهو صلح كان فى نظرى ممكنا فى الحالتين(*) . وكانت هناك بالطبع مكاسب شاملة تعوض ، إلى حد ما ، عن الخسائر . لقد أرغمت القيادة المصرية العليا على تبين أن غارات حرب العصابات الصغيرة قد تتصاعد إلى حرب كبرى . وأن وضع القوات فى وضع تهديد قد يستفز هجوما مضادا مجهضا .. ورغم أن المصريين أخذوا على عاتقهم مشروعا ضخما لإعادة التسليح ، فإنهم لم يخاطروا لمدة أحد عشر عاما بحشد قواتهم بطريقة مهددة . وخلال هذه الأحد عشر عاما استمرت الملاحة الإسرائيلية فى البحر الأحمر وخليج العقبة »(١) .

على ضوء ما سبق يتضح أن الأهداف التى رمت إسرائيل إلى تحقيقها من وراء حربها الوقائية على مصر عام ١٩٥٦ قد تحقق بعضها وبعضها حال دون تحقيقه الموقف الدولى . أما الأهداف التى تحققت فهى :

١ ــ نجحت القوات الإسرائيلية فى تدمير جزء من القوات المصرية فى قطاع غزة وسيناء ، أثناء بدء العمليات العسكرية . ولكنها فشلت فى تنفيذ هدفها العسكرى المرسوم لتدمير القوات الضاربة لمصر والتى تحركت لمواجهتها عند بدء هجومها فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ .

٢ ــ تم لها القضاء على مجموعات الفدائيين وقواعدهم التى كانت تتمركز فى قطاع غزة وسيناء ، وبذلك تمكنت من تحقيق هدف طالما سعت إليه وهو استتباب واستقرار الأمن داخلها وعلى جانبى خط الهدنة مع مصر .

٣ ــ حصلت على ضمانات دولية بحرية الملاحة لسفنها فى خليج العقبة ومضائق تيران .

وقد أوضح الدكتور حسن صبرى الخولى الكسب الاستراتيجى الذى عاد على إسرائيل من جراء فتح خليج العقبة ومضائق تيران أمام السفن الإسرائيلية قائلا :

---

(١) Allon: Y, OP. Cit, PP. 56 - 58 - 59

(*) وهذا ما تفعله إسرائيل الآن وتسعى إلى تحقيقه متبعة كافة الوسائل السياسية بممارسة الضغوط بأنواعها على الولايات المتحدة الأمريكية وعلى دول أوربا الغربية وذلك لفرض شروطها على العرب وفق المفهوم الصهيونى — الاسرائيلى للسلام . وإذا ما فشلت — الوسائل السياسية فى تحقيق أهداف إسرائيل العليا عندئذ سوف تلجأ إلى القوة العسكرية لتحقيق ما عجزت عن تحقيقه الوسائل الدبلوماسية لفرض إرادتها على العرب .

« أما بالنسبة لإسرائيل فإن فتح خليج العقبة أمام السفن الإسرائيلية كان أعظم وأثمن وأكبر كسب حققته إسرائيل من العدوان الثلاثى على مصر مما أتاح لها الانفتاح على دول افريقيا وآسيا عن طريق البحر الأحمر »[1] .

٤ ــ ضمنت عدم تكرار الهجمات الفدائية عليها وذلك بوضع قوات الطوارىء الدولية على طول حدود قطاع غزة المواجهة للحدود الإسرائيلية وفى منطقة شرم الشيخ .

وبذلك تكون إسرائيل قد حققت الأهداف الثانوية ، ولم تتمكن من تحقيق الأهداف الأساسية المتمثلة – كما سبق وأن اتضح – فى التوسع الإقليمى لتحقيق العمق الاستراتيجى وفرض الصلح والسلام الإسرائيلى على العرب .

ويمكن القول أن إخفاقها فى تحقيق هذين الهدفين الأساسيين كان من أهم الأسباب التى هيأت لإعدادها للقيام بعدوان جديد ، ليس على مصر وحدها ، هذه المرة ، بل على الأردن وسوريا أيضا . وهو العدوان الذى قامت به فى يوم ٥ يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧ . ووصل فيه تطبيقها للحرب الوقائية ذروته . فلجوءها لاستخدام الأداة العسكرية مرة ثانية يؤكد أن أهدافها الاستراتيجية العليا هى التى تتحكم فى سلوكها السياسى فى المنطقة العربية ويزيد من تأكيد ذلك أنه فى هذه المرة ، أى فى عام ١٩٦٧ . قامت بالهجوم منفردة دون أن يشترك معها أطراف دولية أخرى . وهذا يؤكد ما سبق وأن اتضح من أن عدوان سنة ١٩٥٦ قد هيأ لها الظروف لتحقيق أهدافها ولم يكن اشتراكها مجرد أداة فى يد فرنسا وبريطانيا .

إذن : « الدرس الذى يمكن أن تلقننا إياه حرب العدوان الثلاثى هو أن إسرائيل مصممة على شن حرب وقائية ، كلما ثبت أن القوة العسكرية العربية قد رجحت كفة طاقة استيعابها فى التسليح وقدرتها فى القتال والدفاع عن كيانها ، شريطة أن تتوفر لها ظروف تبرر العدوان فى نظرها ونظر أعوانها من الدول الاستعمارية ، ولا يكون من وراء مخاطر سياسية تؤدى إلى زعزعة كيان إسرائيل كدولة »[2] .

---

(١) الدكتور حسن صبرى الخولى – مصدر سبق ذكره – المجلد الأول – ص ٨٣٦ .

(٢) هيثم الكيلانى – الموقع الاستراتيجى العربى – وزارة الثقافة والارشاد القومى – دمشق – سنة ١٩٦٦ – ص ٢٣٩ .

٣ ــ نموذج حرب عام ١٩٦٧ :

من خلال البحث فى تجربة حرب عام ١٩٥٦ يتأكد أنها كانت تطبيقا أوليا لمفهوم الحرب الوقائية ، ذلك أنها لن تقع إلا على جبهة عربية واحدة هى الجبهة المصرية ، كما أن إسرائيل لم تقم بها منفردة بل اشتركت مع بريطانيا وفرنسا . كما أن تحقيق أهدافها التى وضعت لها لم تتم بالكامل وقد أخذت القيادة الإسرائيلية العليا كل ما وقع فى هذه التجربة من أخطاء بعين الاعتبار والفحص ويرجع ذلك إلى عدة أسباب منها :

١ ــ قوة وثبات مصر بقيادة جمال عبد الناصر وقدرته آنذاك على تعبئة الشعور الوطنى والقومى لمواجهة العدوان ومنعه من تحقيق أهدافه .

٢ ــ التضامن العربى مع مصر والمواقف الإيجابية التى وقفتها الدول العربية من دول العدوان وخاصة نسف أنابيب البترول التى تمر بالأراضى السورية ومنع ضخه إلى دول العدوان . وقد كان لذلك أثر فعال فى حينه .

٣ ــ موقف الاتحاد السوفييتى الذى عبر عنه الإنذار الذى وجهه إلى الدول المتعدية وطالبها بالانسحاب من الأراضى المصرية .

٤ ــ موقف الولايات المتحدة الأمريكية فى الأمم المتحدة حيث أيدت قرار وقف إطلاق النار وانسحاب القوات المعتدية .

٥ ــ عدم تمكن القوات المعتدية من القضاء على الجيش المصرى .

لذلك عجزت إسرائيل عن تحقيق كل ما أرادت . وكما يوضح آلون سعت إسرائيل بعد هذه التجربة إلى الاعتماد على قوتها الذاتية وتنميتها وتطوير قواتها المسلحة وتزويدها بأحدث الأسلحة استعداداً لجولة تهيىء فيها الظروف مناخاً أفضل لتحقيق أهدافها(١) .

هكذا يبين الربط الواضح بين استراتيجية إسرائيل العليا واستراتيجيتها العسكرية . واستمرار الإعداد لحرب عام ١٩٦٧ عشر سنوات . « ومن هنا كان الإعداد المتواصل ، الممتد على مدى سنوات – وقد رسمت فى أماكن متفرقة فى صحراء النقب نماذج تفصيلية لقواعدنا الجوية جميعا – بالتدريب على طرائق الهجوم ، وأفضل وسائل التدمير وأنجعها أثرا ، تدريب شاق متصل لا يفرض على الطيارين الذين هم قوام القوات

---

(١) Allon. Y. OP. Cit. P. 61.

الجوية الإسرائيلية فحسب ، وإنما على كل طيار يهودى يوثق به من مضارب الأرض »[1] . وكانت له أسباب مباشرة وأخرى غير مباشرة أى بمعنى آخر كان الدافع للعدوان مخططا سبق وضعه ثم اتخذت بعض مظاهر العلاقات بين العرب وإسرائيل لتبرير شن الحرب . وفى هذه المرة يمكن القول مسبقا أنها كانت حربا وقائية شاملة لكافة الجبهات العربية ، وهذا يبين أنها كانت قمة تنفيذ المخطط الصهيونى فى المنطقة العربية . فقد شملت الجبهات المصرية والأردنية والسورية . ومن ثم فإن حرب سنة ١٩٦٧ مثلت التطبيق النموذجى للحرب الوقائية بكافة خصائصها السياسية والعسكرية . وقد طبقت فيها إسرائيل خلاصة ما توصل إليه الفكر العسكرى من علم وفن .

أولا – الإعداد لحرب ١٩٦٧ :

إن الربط بين الاستراتيجية الإسرائيلية – كما سبق وأن بيناه وبين أهداف عدوان سنة ١٩٦٧ يوضح أن إسرائيل أعدت لهذه الحرب عدتها منذ زمن بعيد . لأن ما سعت إلى تحقيقه هو فى الحقيقة جزء من أهدافها الدائمة سواء بالتوسع أو فرض الصلح على العرب أو إنكار حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره ، وقد تذرعت إسرائيل فى تبريرها لبدء الحرب بعدة أسباب ، وكان أول هذه الأسباب إثارتها لمشكلة هجمات الفدائيين الفلسطينيين على أراضيها فى الشمال والوسط . مما دفعها إلى حشد قواتها على الجبهة السورية وتهديدها بالتقدم نحو دمشق وإسقاط نظام الحكم فيها .

وهذا ، فى حد ذاته ، سعى منها لتحقيق هدف من أهدافها العليا وهو منع الشعب الفلسطينى من ممارسة حقوقه واستخلاصها بالكفاح المسلح . أما الأسباب الأخرى فهى التى ترتبت على هذا السلوك من جانبها وأدت إلى أن تتخذ مصر موقفاً مسانداً – سياسياً وعسكرياً – لسوريا .

وقد سبق أن ذكر آلون الأسباب التى قد تدفع إسرائيل لشن الحرب الهجومية على العرب ومن بينها استمرار أعمال حرب العصابات فى الأراضى التى تحتلها إسرائيل . وذكر ديان أيضا عن الأسباب التى يجب على إسرائيل أن تشن الحرب إذا ما وقعت وهى :

---

(١) حسين ذو الفقار صبرى – أضواء على ٥ يونيو – مؤسسة أخبار اليوم – القاهرة – سنة ١٩٦٩ – ص ٢٢ .

١ ـــ ازدياد أعمال الفدائيين العرب ضد إسرائيل .

٢ ـــ قفل الملاحة الإسرائيلية فى مضائق تيران .

٣ ـــ حصول مصر على الأسلحة ودلالته الحاسمة على أن مصر تستعد لجولة تالية[١] .

وبقدر ما تتعارض الاستراتيجية الإسرائيلية مع الاستراتيجية العربية فى هذا الصراع المصيرى ، بقدر ما يكون الصدام المسلح أمراً محتوماً لا مفر منه . فكلا الطرفان يسعى دائما لمنع الطرف الآخر من تحقيق أهدافه الاستراتيجية ذلك أن فى تحقيقه لأهدافه خطر مباشر على أهداف خصمه . وقد فصل ذلك آلون قائلا :

« كانت سياسة حكومة إسرائيل هى منع الحرب ، إما عن طريق الاتفاقات الوقتية ، أو بالقوة الرادعة الكامنة فى القوة العسكرية لقوات الدفاع الإسرائيلية وفى هذا الشأن أثبتت هذه السياسة أنها كانت عديمة الجدوى وعقيمة . فمن الواضح أن العدو لم يحسن تقدير قوة إسرائيل العسكرية ومدى تأهبها واستعدادها لاستخدام هذه القوة فى استراتيجية هجومية . ولذا فقد مضى فى سلسلة من الاستفزازات التى أرغمت إسرائيل على أن تمد يدها وجعلت من اللازم عليها أن تستخدم كامل قوتها العسكرية »[٢] .

إذن فالربط واضح بين علاقات الصراع ، وأداة الحسم فيه هى القوة المسلحة ، والتأكيد على الاستراتيجية الهجومية التى تبنتها إسرائيل كى تصل إلى منع العرب من تحقيق أهدافهم . وقد طبقت هذه الاستراتيجية بحذافيرها فى حرب ١٩٦٧ . ويفصح آلون عن أسباب ذلك قائلا :

« يبدو أنه منذ منتصف مايو سنة ١٩٦٧ لم تترك حكومات مصر ، والأردن ، وسوريا ، والعراق ، خطوة خطيرة إلا خطتها . وباجتيازها الخط الفاصل للخطر ، لم يبق أمامها مخرج ، كان لابد من حدوث مواجهة عسكرية . لقد حشدت قوات مصرية مؤثرة فى شبه جزيرة سيناء وأغلقت مضائق تيران فى وجه الملاحة الإسرائيلية . ودخلت الأردن حلفا عدوانيا عسكريا مع مصر ، فاتحة أراضيها للقوات المصرية والعراقية وواضعة قواتها هى تحت قيادة مصرية كما حشدت أسلحة مدرعة فى ضفتها الغربية ...

---

(١) مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية – العسكرية الصهيونية – المجلد الأول – مؤسسة الأهرام – القاهرة – سنة ١٩٧٢ – ص ٢٠١ .

(٢) Allon, Y. OP. Cit. P. 76.

إن المراحل المتتابعة لأزمة مايو تشكل درسا موضوعياً بارزاً . انها توضح كم هو سهل الانزلاق على منحدر الحرب الزلق . بدا كل شيء عندما ادعى السوريون أن إسرائيل تحشد قوات عسكرية فى الجليل وتعد لغزو سوريا »(١) .

هذه دواعى الحرب من وجهة النظر الإسرائيلية ومبرراتها . وقد أوضح الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة فى مؤتمره الصحفى الذى عقد فى ١٩٦٧/٥/٢٨ المبررات التى حدت بمصر إلى اتخاذ ما قامت به من إجراءات فقال :

« إذا كانت إسرائيل تحرشت بنا ، أو بأى دولة عربية ، أو سوريا فاحنا مستعدين نواجه إسرائيل ، وإذا أرادت الحرب زى ما قالت فأهلا وسهلا بالحرب . ولما وجدنا إسرائيل تبجحت وزادت تهديداتها للدول العربية . قلنا يجب أن نمسك بزمام الموقف وعدنا إلى خليج العقبة ورجعنا الحالة إلى ما كانت عليه عام ١٩٥٦ . المكاسب اللى أخذتها إسرائيل عام ١٩٥٦ نتيجة العدوان الغير مقبول رجعت إلى ما كانت عليه . أنا ما أخترتش هذا الكلام ، اللى اختار هذا التوقيت هو المستر أشكول رئيس وزراء إسرائيل . احنا كان الموضوع فى تفكيرنا وقلنا لم نختار الوقت وزى ما قلت فى الأول لما أشكول هدد بالزحف إلى دمشق ، ولما أشكول هدد باحتلال سوريا ، ولما أشكول هدد باسقاط الحكم الوطنى فى سوريا ، كان من الواجب علينا أن نهب لنجده أخواننا العرب . ولهذا كان واجب علينا أن نطلب سحب قوات الطوارىء الدولية . وبما أن قوات الطوارىء الدولية مشيت ، كان لابد لنا من أن احنا نروح خليج العقبة ونعيد الأوضاع لما كانت عليه ، حينما كنا فى خليج العقبة سنة ١٩٥٦ أنا زى ما قلت أن وجود إسرائيل فى حد ذاته عدوان . الآن قد تم القضاء على آخر المكاسب الإقليمية التى أحرزتها إسرائيل فى حرب عام ١٩٥٦ »(٢) .

ووفقا لهذه التصريحات وما ترتب عليها من إجراءات أدت فى النهاية إلى غلق خليج العقبة وسحب القوات الدولية وحشد القوات المصرية فى سيناء فإن أهداف إسرائيل الاستراتيجية التى حققتها فى عدوانها على مصر فى عام ١٩٥٦ بالاشتراك مع بريطانيا وفرنسا فإن هذه الأهداف قد انتهت ، يقول شمعون بيريز :

---

(١) Allon, Y. Ibid. P. 76.

(٢) جريدة الأهرام – ١٩٦٧/٥/٢٩ .

« ولو فكر عبد الناصر بهدوء وتعقل لأدرك أن إسرائيل سوف تأخذ خطوته هذه بجدية لأن حق حرية الملاحة فى مضائق تيران يحمل نفس الأهمية المتمثلة فى حق السيادة الإقليمية ويجب الدفاع عنها بنفس الحماس لأن الفشل فى الدفاع عن حقوق الملاحة أو الأرض يظهر ضعفا عسكريا لدى الدولة ويؤدى بالتالى إلى نسف أمنها »[1] .

هكذا يتضح أن الأسباب المباشرة لحرب ١٩٦٧ هى الخطوات الحاسمة التى اتخذتها الدول العربية ، والشعب الفلسطينى ، لمنع إسرائيل من الاستمرار فى جنى ثمار ما حققته فى حربى ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ . بذلك تعطلت خططها للتوسع وحاجتها الملحة لمزيد من الأراضى كى تحقق العمق الاستراتيجى وتحصل على مزيد من الموارد الاقتصادية وتستعد لاستيعاب أعداد جديدة من المهاجرين . وكتب ابراهيم العابد مبينا الأسباب الحقيقية للعدوان قائلا :

« لم يكن العدوان الإسرائيلى الأخير على الدول العربية فى الخامس من حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧ حادثا مقطوع الجذور عن النهج الثابت والمستمر الذى سارت عليه الحركة الصهيونية وإسرائيل منذ بداية العمل الصهيونى لاغتصاب فلسطين . وان تصريحات وكتابات قادة الحركة الصهيونية وإسرائيل تحفل بالأمثلة على ذلك .

وقبل قيام إسرائيل بفترة قصيرة ، وفى مباحثاته مع الكونت برنادوت ، أعلن موسى شاريت : « إن رقعة إسرائيل يجب أن تتسع بعد قيام الدولة » وأعلنت الحكومة الإسرائيلية فى الكتاب السنوى الذى يعتبر وثيقة حكومية رسمية « إن قيام الدولة الجديدة لا ينتقص بأى حال من الأحوال من إطار أرض إسرائيل التاريخية ، وإن دولة إسرائيل قد قامت فى الجزء الغربى من الأرض وإننا حصلنا على الاستقلال فى جزء من أرضنا » . وفى ١٩٥٢/٢/١٣ أعلن بن جوريون فى البرلمان الإسرائيلى أن « هناك ثلاثة أوجه لمعركة إسرائيل : عسكرى ، وسياسى ، واقتصادى . وحتى الآن لم يكتمل أى من هذه الوجوه ، وقال فى الكتاب السنوى لحكومة إسرائيل :

« إننا لم نرث بلادا واسعة ولكننا وصلنا بعد جهد سبعين سنة إلى أولى مراحل استقلالنا فى قسم من بلادنا الصغيرة »[2] .

شمعون بيريز – حروبنا مع العرب دار الأمم للطباعة والنشر – بيروت – سنة ١٩٧١ – ص ١٢٢ .

(٢) ابراهيم العابد – أسباب العدوان الإسرائيلى الأخير – فلسطينيات – مركز الأبحاث – بيروت سنة ١٩٦٨ – ص ١٠٠ – ١٠١ .

وفى ذلك بيان واضح لتخطيط إسرائيل ونيتها لإتخاذ الغزو أداة من أدوات التوسع . وعودة الوضع إلى ما كان عليه قبل عام ١٩٥٦ يعنى فقدان إسرائيل للأمن على حدودها الجنوبية . وقد فصل ذلك أحد العسكريين الإسرائيليين مستندا إلى الأخطار الكامنة فى إمكانية هجوم عربى على إسرائيل قائلا :

« إن حماية حدود الدولة اليهودية بشكلها المرسوم خرافة عسكرية . إن قوتنا بموجب قرار التقسيم ، تكمن فى الشريط الساحلى المحصور بين جبال يهوذا والبحر . بينما يمتلك العرب الأرض المرتفعة فى الشرق وبالتالى يستطيعون مهاجمتنا فى الوقت والمكان اللذين يريدونه إذا بقينا فى موقف الدفاع . وهذا بالطبع شىء مستحيل . وإلى الشمال نمتلك نحن الجليل الشرقى معزولا عن البحر بسبب الأراضى العربية فى الجليل الغربى ، ومتصلا بمنطقتنا الساحلية بممر ضيق عبر مرج بن عامر . وبالتالى فإننا لن نستطيع الاحتفاظ بالجليل إلا إذا بادرنا بالهجوم لتوسيع هذا الممر وإيجاد خطوط مواصلات ثابتة لقواتنا »(١) . وأعلن موشى ديان فى مقال كتبه فى مجلة الشئون الخارجية فى ٥ كانون الثانى (يناير) سنة ١٩٥٥ قائلا :

« إن إسرائيل تواجه مشكلة أمن معقدة تعقيدا غير عادى . إن مساحة البلاد لا تتجاوز ٨,١٠٠ ميل مربع . ويبلغ طول حدودها ٤٠٠ ميل إن ثلاثة أرباع السكان يعيشون فى السهل الساحلى الممتد من شمال حيفا إلى جنوب تل أبيب . إن معدل عرض هذه المنطقة المكتظة بالسكان لا يتجاوز ١٢ ميلا بين البحر المتوسط وحدود الأردن . وبالإمكان رؤية الجنود الأردنيين على بعد مئات الأمتار من مبنى البرلمان الإسرائيلى فى القدس . كما أنه بالإمكان رؤية مقر رئاسة الأركان الإسرائيلية الواقعة على الحدود الساحلية . إن الطرق الرئيسية وسكك الحديد معرضة للغزو السريع السهل . ويكاد لا يوجد مكان فى إسرائيل لا تطوله نيران العدو باستثناء صحراء النقب . فقد علق المعلق العسكرى الإسرائيلى « ليبرمان » على ذلك بقوله : « وبالتالى ينبغى على إسرائيل أن تقوم بهجوم عاجل خاطف يمكنها من احتلال النقاط الاستراتيجية على حدودها بما فى ذلك قطاع غزة وعليها بعد ذلك أن تجتاح مملكة الأردن »(٢) .

---

(١) العابد – المصدر السابق – ص ١٠٢ – (« نقلا عن جورج فيلدنغ » – ايليوت – الحقد والأمل والانفجارات الشديدة – ص ٢١ – ٢٢) .

(٢) المصدر السابق – ١٠٢ .

يتضح من ذلك أن التفكير فى الحرب كان يشغل بال القادة العسكريين الاسرائيليين كما أنه جزء من التفكير الصهيونى وهدف من أهداف سياسة إسرائيل فى المنطقة العربية . يقول فى ذلك الفريق صلاح الدين الحديدى فى تقييمه لحرب الأيام الستة : « أعلن كبار المسئولون فى إسرائيل ، فى أكثر من مناسبة أنهم إذا اضطروا لخوض الحرب فسوف تكون هذه الحرب حربا وقائية ، وهم يعنون بذلك نقل القتال إلى خارج حدودهم ، ليضمنوا لأراضيهم وسكانهم أمنا ووقاية ، بالإضافة إلى ما يتمتع به المهاجم عادة من مزايا عسكرية ضخمة ومزايا معنوية لا حد لها . وفى الواقع أن إسرائيل لم يكن لها مناص من أتباع هذه الاستراتيجية لأسباب كثيرة » . وذلك لإحاطتها بدول عربية معادية لها بعضها فى وضع يسمح لها بشطر إسرائيل إلى قسمين عند (خصرها) بالقرب من البحر ولصغر مساحة عمقها الاستراتيجى الذى لا يسمح لها بالمناورة داخل أراضيها ، هذه الأراضى الكثيفة السكان والمليئة بالمنشآت الصناعية »(١) .

نخلص من ذلك إلى القول بأن بدء إسرائيل للحرب – وعلى جبهات عربية ثلاث – قد أعد إعدادا طويلا ولم يكن وليدا تلقائيا للأحداث التى وقعت فى مايو سنة ١٩٦٧ . وقد تنبأت المجلة الأسبوعية الإسرائيلية « بيرزلاى » منذ سنة ١٩٦٥ بجولة ثالثة فى المجابهة العربية الإسرائيلية . فقد كتبت فى الثالث من آذار سنة ١٩٦٥ تقول :

« ينظر المراقبون السياسيون والعسكريون جادين فى احتمال نشوب حرب عربية إسرائيلية أخرى . ويؤكدون أن القتال متوقع إذا لم تمارس الدول الكبرى ضغطا لمنعه ، وسوف يندلع حالما يرى رئيس الوزراء أشكول ووزير الدفاع الوضع مناسبا لبدء العمل ، فنحن وكما يفهم من التعليق السابق ، نقترب من لحظة اتخاذ قرار ستكون له نتائج لا يمكن التنبؤ بها .. على أن العالم ينبغى له أن يفهم ، وقبل حدوث هذا ، أننا نقاتل من أجل قضية عامة هى لنا قضية حياة أو موت ، فتهيئة الأساس السياسى بين الدول الكبرى والأمم الأخرى فى العالم هى مهمة ضرورية وهامة جداً ينبغى على دبلوماسيتنا أن تقوم بها قبل اتخاذ القرار النهائى »(٢) .

---

(١) صلاح الدين الحديدى – شاهد على حرب ١٩٦٧ – دار الشرق – بيروت – سنة ١٩٧٤ – ص ١١٧ .
(٢) يان جيجيك وتاديوش فالشونوفسكى – خفايا عدوان حزيران سنة ١٩٦٧ ترجمة : محمود فلاحة – الطبعة الأولى – منشورات إدارة الشئون العامة والتوجيه المعنوى لجيش التحرير الفلسطينى وقوات التحرير الشعبية – دمشق – سنة ١٩٧٣ – ص ٢٣ .

ويلاحظ أن هذا المقال لم يأت بصورة عارضة . فقد كتب فى مارس سنة ١٩٦٥ ، أى بعد وقوع ثلاثة أحداث استراتيجية هامة فى المنطقة العربية هذه الأحداث هى :

١ ــ عقد مؤتمرات القمة العربية التى بدأت فى وضع الخطط لمنع إسرائيل من الاستمرار فى تحويل مياه مجرى نهر الأردن .

٢ ــ قيام منظمة التحرير الفلسطينية .

٣ ــ بدء العمليات الفدائية التى قامت بها وحدات العاصفة العسكرية لمنظمة فتح الفلسطينية وذلك فى يناير ١٩٦٥ .

إذن هذه الأحداث قد دفعت المحللين الإسرائيليين إلى التنبؤ بالتطورات القادمة وبتحديد أسلوب المواجهة بين العرب وإسرائيل فى ظل ما تمخض عن ذلك من أوضاع جديدة وهى الحرب . نخلص من ذلك إلى ما يأتى :

١ ــ كانت حرب ١٩٦٧ حربا مخططة أعدت لها إسرائيل اعداداً كاملا ودقيقا كى تصل إلى أهدافها الاستراتيجية ، السياسية والعسكرية والاقتصادية ، وحتى تستكمل ما عجزت عن تحقيقه فى عدوان ١٩٥٦ .

٢ ــ فقدان إسرائيل للمكاسب التى حققتها نتيجة لعدوان ١٩٥٦ ، مما جعلها تعود إلى النقطة التى انتهت إليها فى عام ١٩٤٩ فى أثر عقدها لاتفاقيات الهدنة مع البلاد العربية المحيطة بها ، وهذا يعنى أن تكون محاصرة من الناحية البحرية ، ومعرضة لهجمات الفدائيين من الناحية العسكرية ، وهذا ما ترفضه استراتيجيتها ، وما لا تستطيع أن تحتمله فى ظل ظروفها التى كانت سائدة فى تلك الفترة .

٣ ــ استمرار التعارض المطلق بين الاستراتيجية الإسرائيلية والاستراتيجية العربية . وقد عبر عن ذلك بوضوح الرئيس جمال عبد الناصر فى مؤتمره الصحفى السالف الذكر والذى اعتبر فيه إسرائيل أصلا « وجوداً عدوانياً » قائماً على اغتصاب الحقوق العربية ورفض قرارات الأمم المتحدة التى أيدت هذه الحقوق منذ عام ١٩٤٨(١) .

٤ ــ وجدت إسرائيل فى هذا الوضع الطارىء فرصة لتبرير شنها لحرب واسعة

(١) انظر نص المؤتمر الصحفى الذى عقده الرئيس جمال عبد الناصر – فى ١٩٦٧/٥/٢٨ – ونشر فى صحفية الأهرام يوم ١٩٦٧/٥/٢٩ .

النطاق ، تمكنها من أخذ زمام المبادرة فى يدها والخروج من المأزق الاستراتيجى الذى وضعتها فيه مصر بغلق خليج العقبة وسحب قوات الطوارىء الدولية .

ثانيا - مراحل حرب ١٩٦٧ :

بدأت إسرائيل عملياتها الهجومية فى الصباح الباكر من يوم ٥ يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧ ، وطبقت أثناء هذا الهجوم قواعد الحرب الخاطفة السريعة(*) معتمدة فى ذلك على سلاحها الجوى وسلاح المدرعات . كما تجنبت أن تشمل العمليات العسكرية فى آن واحد جميع الجبهات العربية الثلاث . فركزت فى البداية ثقل هجومها على الجبهة الأقوى وهى الجبهة المصرية وعندما تأكدت من تدميرها لمعظم القوات الضاربة انتقلت إلى الجبهتين الأردنية والسورية . وقد تحقق لها فى ذلك الأهداف العسكرية الرئيسية .

١ ـ المعارك على الجبهة المصرية :

كانت حشود القوات المصرية والإسرائيلية فى كل من سيناء وصحراء النقب قد اتخذت وضع التأهب للهجوم ، وفى ظل تلك الأوضاع توقع كلا الطرفان أن يبادره الطرف الآخر بالهجوم . ومن هنا كانت المفاجأة الاستراتيجية التى قامت بها القوات الإسرائيلية ، عندما تمكنت من اختيار الوقت والهدف معا . يوضح ذلك آلون قائلا :

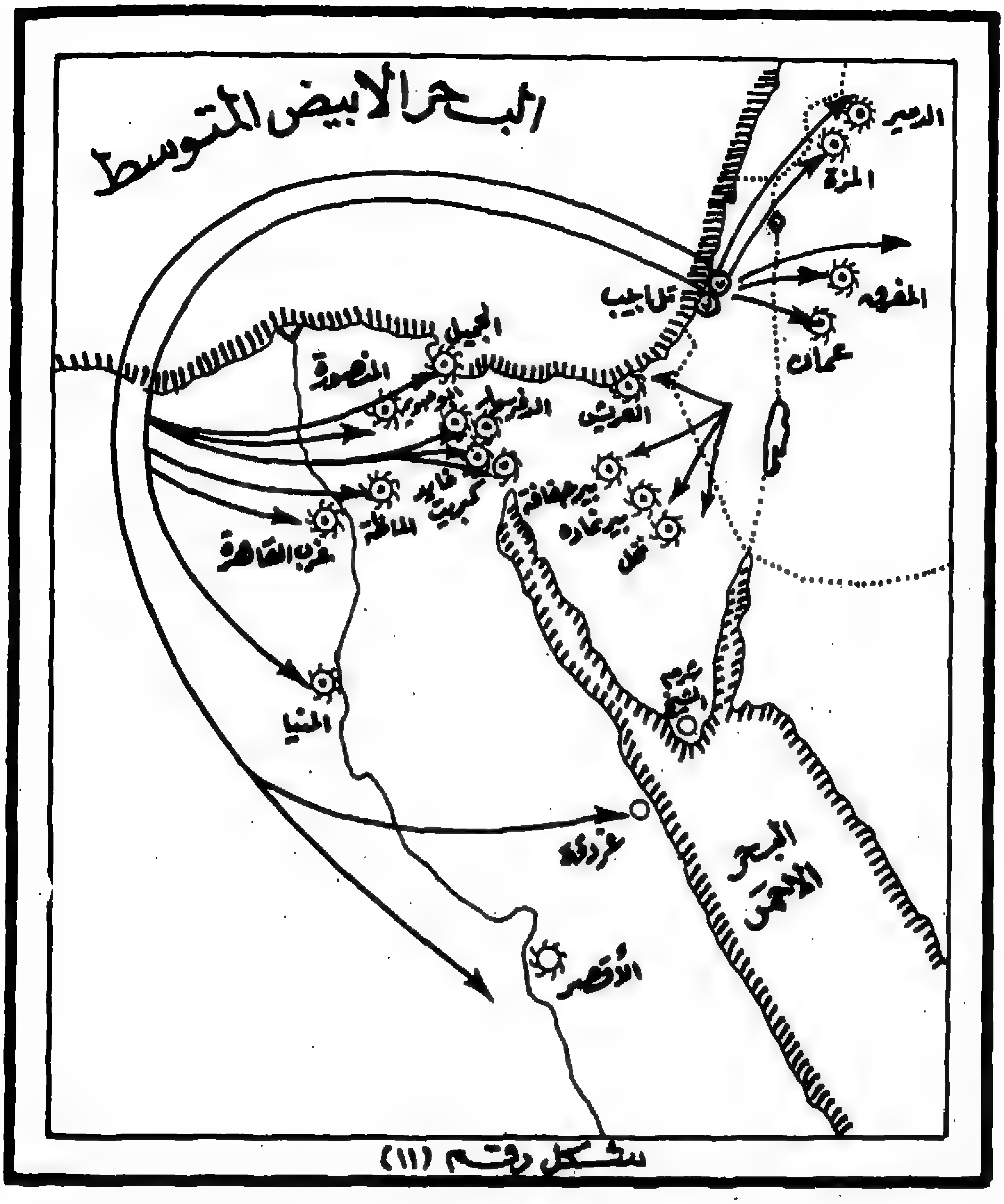
« وكانت المفاجأة كاملة على مستوى العمليات ، والمستوى التكتيكى ، بفضل قوة المبادرة ، وتعدد المواهب ، والشجاعة ، والمهارة الفنية ، التى أبداها جميع الرجال الذين اشتركوا فى العملية . ان الضربة الأولى قد أخرجت من العمل كل أسراب قاذفات العدو ، ومجموع مقاتلاته ، ومطاراته ومعداته الضرورية . وفى أقل من ثلاث ساعات لم تعد القوة الجوية المصرية أداة حرب فعالة »(١) .

« انظر الخريطة شكل ١١ » .

لقد اختارت إسرائيل القوات الجوية المصرية - كهدف عسكرى - للقضاء عليها

(*) الحرب الخاطفة : « هى حرب هجومية سريعة وحاسمة تتضمن امتلاك التفوق الجوى ، والمفاجأة الاستراتيجية ، وحركة القوات السريعة . وطبقت إسرائيل هذه القواعد فى حربى ١٩٥٦ و١٩٦٧ .

(١) Allon. Y. OP. Cit, P. 84.



شكل رقم (١١)

الهجوم الجوى الإسرائيلى المفاجىء على مطارات ومنشآت ج . ع . م
صباح ٥ يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧ .
المصدر : صالح مسعود بو يصير – مصدر سبق ذكره – ص ٥٣٧.

حتى تتمكن من السيطرة على أجواء المعركة ، وتحقق بذلك الخطوة الأولى نحو النصر بتحكمها فى الجو ، وضمانها لعدم قدرة قوات العدو الجوية من شن غارات داخل أراضيها ، أو مهاجمة قواتها فى مسارح العمليات ثم بعد أن تأكد لها تدمير القوات الجوية المصرية ، بدأت هجومها البرى . يوضح ذلك الكيلانى قائلا : « تحركت القوات البرية الإسرائيلية فى مناوراتها منفذة استراتيجية الهجوم غير المباشر ، بالالتفاف ، والتطويق ، والخرق المارق ، والحشد المركز . ففى القطاع الشمالى تم احتلال رفح ، والعريش ، والمواقع الدفاعية ، بالالتفاف عليها من الخلف . وفى المنطقة الوسطى تسللت القوات الإسرائيلية بعمق ، والتفت على القوات المصرية . واتبع الجيش الإسرائيلى المناورة ذاتها فى احتلال مواقع أبو عجيلة مستعيناً بالمظليين المنزلين من الجو . وتابعت القوات هجومها المارق قاصدة هدفها الرئيسى « قناة السويس » ثم « شرم الشيخ » وفى خلال ذلك اشتبكت القوات فى معارك ضارية ، كانت معظمها تجرى بأساليب الالتفاف والتطويق والخرق المارق »(١) .

وقد اعتمدت إسرائيل فى ذلك على الخطوة الأولى التى خطاها سلاح الطيران وأمنت قواتها المتقدمة . وفى ذلك يقول آلون : « اشتبكت القوات البرية فى القتال دون خشية هجمات جوية قاتلة ، بل انها كانت تستطيع الاعتماد على معونة جوية فعالة ضد أهدافها . وتمت الخدمات الأخرى ، كالنقل والإمداد ، والتموين ، والمخابرات ، والإنقاذ ، وراء الخطوط والاسعاف على أكمل وجه »(٢) .

إذن سرعة التقدم البرى لم تكن نتيجة لقدرات القوات البرية الإسرائيلية ، ولكن كان بفضل ما وفرته لها القوات الجوية من حماية وإمداد أثناء سير العمليات . وهنا تجدر الإشارة إلى إمكانية قيام القوات البرية المصرية بالمعارك دون أن تتوفر لها ما توفرت للقوات الإسرائيلية من حماية جوية ، وقد أثار هذا الموضوع جدلا واسع النطاق بين العسكريين . ولكن المفاجأة لم تكن فى تدمير السلاح الجوى المصرى فحسب ، بل فى القضاء على وسائل الاتصال بين الوحدات الميدانية وبين القيادات الرئيسية . وفى السيطرة على خطوط المواصلات وقطعها ، ومنع القوات من الاتصال بعضها ببعض . كل ذلك أفقد القوات المقاتلة العقل المدبر والاتصال الذى يحركها فى اتجاه أهدافها .

---

(١) هيثم الكيلانى – المذهب العسكرى الإسرائيلى – مصدر سابق – ص ٥١٤ .

(٢) Allon, Y. OP. Cit, PP, 84 - 85.

لذلك كانت المفاجأة استراتيجية لأن آثارها انعكست فيما بعد على تقرير مصير المعارك كلها . وبذلك تمكنت القوات الإسرائيلية من الاندفاع فى صحراء سيناء على ثلاثة محاور .

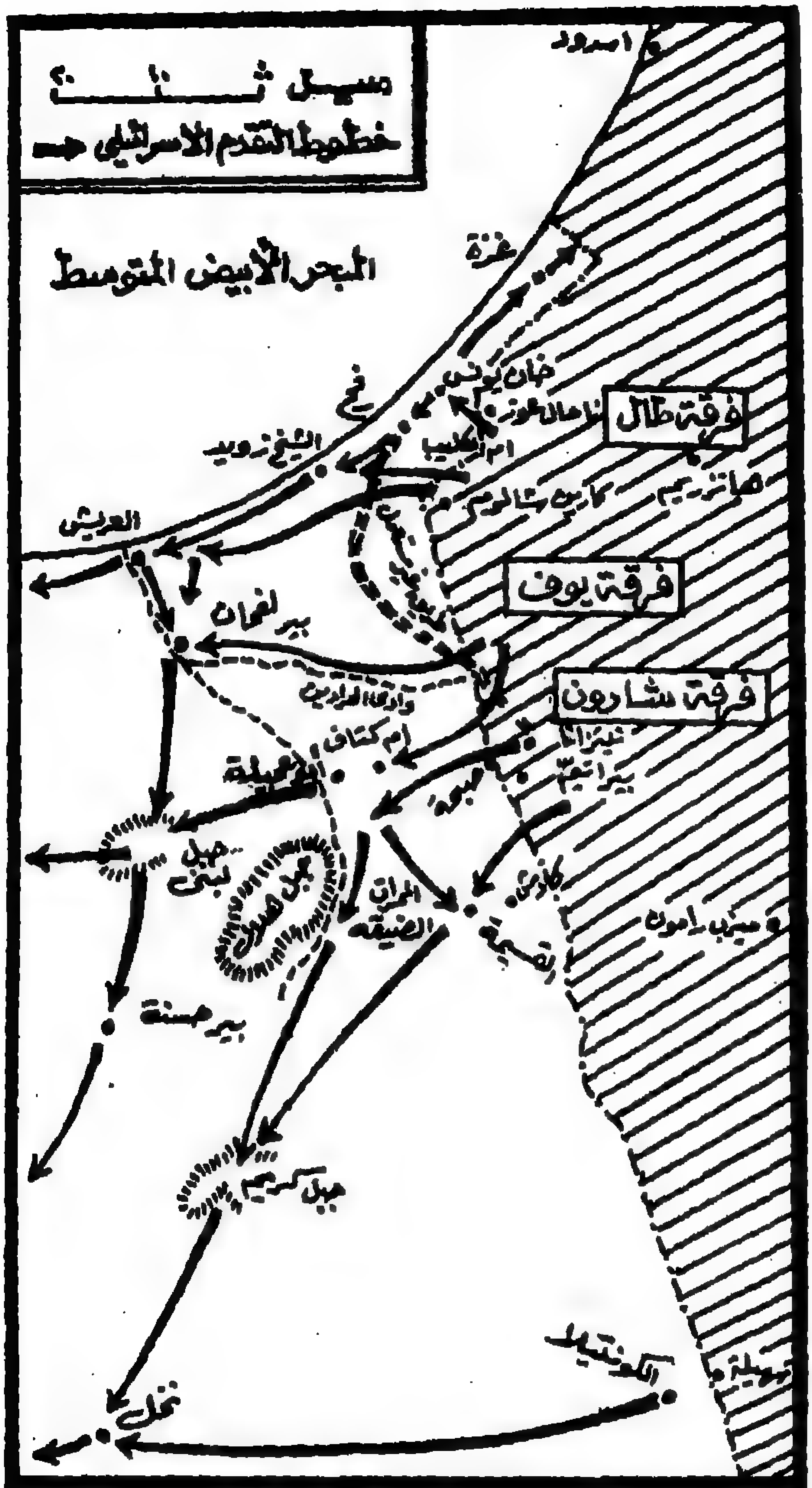
(ا) **المحور الشمالى** : يبدأ من نقطة بين رفح وخان يونس ، ثم تنطلق القوات فى اتجاهين أحدهما فرعى إلى الشمال نحو غزة والثانى رئيسى نحو الجنوب باتجاه العريش فالقنطرة .

(ب) **المحور الأوسط** : وينطلق من منطقة العوجة ويتفرع فى اتجاهات مختلفة تقوم بموجبها القوات المهاجمة بحركات التفافية حول القوات المصرية فى وسط سيناء وتتجه إلى قناة السويس فالاسماعيلية .

(جـ) **المحور الجنوبى** : يبدأ من إيلات ويتجه نحو شرم الشيخ .

« انظر الخريطة شكل ١٢ »

يقول آلون : « لقد طبقت الاستراتيجية التقليدية فى الاقتراب غير المباشر وفق أصولها تماما ، باستثناء واحد هو أن عملية الاختراق الرئيسية تمت على ثلاثة محاور مختلفة . فى شمال شبه جزيرة سيناء ووسطها وجنوبها ، قبل الالتفاف والتطويق وإغلاق الممرات الجبلية فى المؤخرة على جميع جبهات القتال . إن المحاور التى تتكون منها الطرق المتوازية من النقب إلى قناة السويس تفصلها عن بعضها أرض بالغة الصعوبة مستحيلة عمليا على المدرعات وغيرها من العربات ، اللهم إلا فى بعض النقط . وهذا العامل الجغرافى قد مكن طوابير القوات الإسرائيلية السريعة الحركة من أن تركز على أهدافها الرئيسية لأنه وفر عليها توزيع قوتها بتخصيص بعضها لحراسة أجنحتها وبقوة اندفاعها الكبير وبطاقة نيرانها الحامية المؤثرة وسرعة تقدمها على أرض صعبة .. تمكنت القوات البرية بما لها من معونة جوية ، من تحطيم كل الأرقام القياسية فى الوصول إلى الممرات الجبلية عند مؤخرة العدو ، قاطعة بذلك الطريق على تراجعه نحو قناة السويس ومصر ، وجاعلة تحطيم معظم معداته الحربية أو الاستيلاء عليها أمرا لا مفر منه ، أى مجتثة جيشه من جذوره ، لقد كان هذا النصر – مداه والسرعة التى تم بها – متوقعا حتى أصغر تفصيلاته فى خطط هيئة الأركان العامة والقوات الجوية والقيادة الجنوبية وقيادات



شكل رقم (١٢)

الهجوم الاسرائيلي على ج.ع.م. في حرب ٥ يونيو سنة ١٩٦٧

المصدر : ادغار أوبلانس – الحرب الثالثة بين العرب واسرائيل – ٥ يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧ – ترجمة : مازن البندك – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – الطبعة الأولى – سنة ١٩٧٣ – ص ٩٥ .

الفرق . ولعل هذا هو الدليل القاطع على كمال التخطيط العام وقدرات القيادة التى جعلت هذا النصر ممكنا »[1] .

وينقد الكيلانى الرواية الإسرائيلية عن سير العمليات على الجبهة المصرية فيقول :

« لقد اختارت القيادة الإسرائيلية محور العريش — بورسعيد المحاذى لشاطىء البحر الأبيض المتوسط محور استراتيجيا أساسيا للجهد الاستراتيجى العام الأصلى للوصول إلى القناة ، وأخذ مداخلها من البحر . وفى اعتقادها أن هذا المحور أسهل للدعم البحرى والجوى . وأدنى لتدخل الأسطول الأمريكى السادس ، واقرب وأضمن لقواعد التموين ، وأسهل وأسرع للإخلاء من المحاور الصحراوية . وما أن سارت المجموعة القتالية الشمالية المكلفة بالجهد الرئيسى لإسقاط خان يونس ورفح والعريش والتوغل نحو الساحل باتجاه بورسعيد حتى اصطدمت بمقاومة القوات العربية . وشنت الموجة الأولى المدرعة من الرتل الإسرائيلى هجوما عنيفا خلال عشرين دقيقة على خان يونس غير أنها أخفقت وفقدت الجزء الأكبر من مدرعاتها . ثم قامت بعدة هجمات على المدينة خلال يومين فكانت القوات العربية تطردها وتدمر عدداً من مدرعاتها وآلياتها التى كانت تحاول التقدم بموجات متعاقبة . وقد اضطرت المجموعة إلى ترك خان يونس محاصرة ، والتوجه إلى رفح على رتلين . واستقدمت المجموعة ما تبقى لديها من احتياط فعززت الرتلين المدرعين برتل ثالث .

وقد استطاعت العناصر الخفيفة من القوات المصرية إيقاف هذا الهجوم الكثيف المدرع ، بالأسلحة المضادة للدبابات المتمركزة فى خنادق ميدان عادية . ولم تستطع المجموعة أن تزيل هذه المقاومة المصرية . فاستدرات جنوبا حولها وتقدمت باتجاه العريش . لقد كان موقع الشيخ زويد وموقع الجرادى ، على مشارف العريش ، يشكلان المواقع الدفاعية الأمامية لموقع العريش ، وهى مواقع محصنة بالأسلاك الشائكة وحقول الألغام ، ومختلف أنواع الأسلحة المضادة للدبابات مع وحدات مدرعة متمركزة . وقد توقفت الارتال الثلاثة للمجموعة الإسرائيلية أمام هذه المواقع وشنت هجمات متعاقبة متلاحقة بموجات عديدة لاقتحام هذه المواقع ، ولكنها فى كل مرة كانت ترتد مخلفة وراءها حطام مدرعاتها وعرباتها المجنزرة . ولم تستطع أن تصل إلى

---

(١) Allon, Y. Ibid, PP. 85 - 86.

العريش بالرغم من إدعاء الإسرائيليين وصولهم إليها خلال اليوم الثانى . لقد استنزفت المجموعة الشمالية كل جهدها دون أن تصل إلى هدف المرحلة الأولى من العملية وهو : اختراق الدفاعات المصرية ، والتوجه نحو الطريق الساحلى إلى بورسعيد . ولما تعذر عليها القيام بخرق دفاعات العريش اجتمع قائدها مع قائد المجموعة الوسطى وغير كل منهما اتجاهه الاستراتيجى الأصلى . وهكذا تغيرت الخطة أثناء التنفيذ لضعف الإمكانيات العسكرية إزاء الأهداف المقصودة . وقد جرى هذا التغيير بالتشاور بين قائدى المجموعتين ، دون أن يكون لقيادة الجبهة ورئاسة الأركان العامة يد كبيرة فى الإيعاز بهذا التغيير المفاجىء والتبديل للاتجاه والمهمات أثناء العمليات . ونتيجة لهذه الفوضى فقد اختلطت أرتال المجموعة الشمالية بالمجموعة الوسطى ، وتداخلت ارتال المجموعة الوسطى بالمجموعة الجنوبية . وصار عسيرا تمييز الوحدات من بعضها ، أو تفريقها عن الوحدات المدرعة المصرية ، وكانت قمة الفوضى والارتباك تعذر الاتصال اللاسلكى بين الوحدات المدرعة لأنها قد حصرت فى مجال ضيق ، فتداخلت وتشابكت الموجات اللاسلكية ، ولم تعد القيادة تستطيع الاتصال والارتباط بقطعاتها وممارسة القيادة عليها . مما دفع القيادة إلى أن تزاول عملها خلال هذه المرحلة بالإشارات الضوئية وبالمراسلين على سيارات نصف مجنزرة وسيارات الجيب . أما المجموعة الوسطى ، فبالرغم من تقدمها فى منطقة خالية ، فقد استمرت تسير بالرتل مدة اثنتى عشر ساعة فى وادى حريضين الذى لا يتجاوز طوله ٣٥ كيلو مترا . فوصلت إلى بئر « لحفن » على الطريق المؤدى إلى العريش ولم تستطع التقدم أكثر من ذلك فغيرت اتجاهها نحو الجنوب وتداخلت أرتالها بأرتال المجموعة الجنوبية . أما المجموعة الجنوبية المتوجهة إلى أبو عجيلة فقد اصطدمت منذ دخولها الأراضى المصرية بالطلائع الأولى المصرية فتأخرت عن الوصول إلى هدفها أكثر من أربع وعشرين ساعة . ولما وصلت إلى مشارف أبو عجيلة اصطدمت بدفاعات جديدة واستمرت مدة يومين دون أن تستطيع التأثير فى دفاعات أبو عجيلة . أما الرتل الإسرائيلى الآتى من النقب والمتوجه إلى الكونتلا فقد أوقفته الوحدات المدرعة المصرية فى الأراضى الإسرائيلية دون أن يتمكن من تجاوز ممر الكونتلا ، لقد اصطدمت المجموعات الإسرائيلية بالدفاعات الأساسية لمنطقة سيناء ، ما بين العريش وأبو عجيلة ، فلم تستطع خلال يومين إحراز أى تقدم وخسرت كثيرا من مدرعاتها وآلياتها ، واضطرت إلى تغيير اتجاهاتها الأصلية وأهدافها ، والتوجه نحو الجنوب . لقد بدأ هذا الانهاك والاستنزاف على القوات الإسرائيلية منذ اليوم الثانى ، وعندما توجه أحد الأرتال الإسرائيلية باتجاه قناة

السويس لم يكن معه أكثر من ٢٠ دبابة . أما الرتل المتوجه إلى ممر متلا لقد بلغ هذا الممر ولم يكن معه سوى خمس دبابات »[١] .

هكذا يتضح أن القوات الإسرائيلية واجهت مقاومة متفرقة كانت فى الأصل نابعة من المبادرة الفردية لقادة الوحدات ولو قدر لهذه المقاومة أن تكون إطار خطة دفاعية مترابطة لأمكن إحباط الهجوم البرى الإسرائيلى وامتصاص نتائج الضربة الجوية المفاجئة .. وفى إطار التحليل الموضوعى لنتائج العمليات العسكرية التى وقعت على الجبهة الجنوبية ، نخلص إلى أنها حققت ثلاثة أهداف رئيسية :

١ ــ تدمير القوات الجوية المصرية .

٢ ــ تدمير معظم القوات البرية التى تواجدت فى مسرح العمليات فى سيناء وإخراجها من المعركة .

٣ ــ الاستيلاء على شبه جزيرة سيناء والسيطرة عليها .

وقد كان لهذا النصر الإسرائيلى على الجبهة الجنوبية آثاره العسكرية والنفسية على الجبهتين الأردنية والسورية .

إذن لم تكن الأسباب المباشرة وغير المباشرة لهزيمة الخامس من حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧ راجعة إلى قوة إسرائيل العسكرية وحربها الخاطفة الوقائية التى شنتها ضد مصر ومباغتتها تكتيكيا واستراتيجيا . لم يكن كل هذا النصر الذى أحرزته خلال مدة قصيرة عائدا كما قلت إلى قوتها العسكرية وعبقرية قادتها على مستوى السياسى والعسكرى وإنما ساعدها فى انتصارها هذا ، الأخطاء الفادحة التى وقعت فيها القيادة المصرية سواء عن قصد أو غير قصد ، سواء عن جهل بحقيقة الموقف على الجبهة أو نتيجة التقصير واللامبالاة[٢] .

٢ ــ المعارك على الجبهة الأردنية :

انتقلت القوات الإسرائيلية بعد أن ضمنت التقدم على جبهة سيناء ، انتقلت لتبدأ عملياتها الهجومية على الجبهة الأردنية وهى تختلف من حيث طبيعتها الطبوغرافية

(١) الكيلانى – المذهب العسكرى الإسرائيلى – مصدر سابق – ص ٦٠٩ – ٦١١ .

(٢) انظر تفاصيل ذلك فى : حسين ذو الفقار صبرى – مصدر سبق ذكره – ص ١٩ وما بعدها .

والسكانية عن الجبهة الجنوبية ، أى أنها تتكون من سلسلة من الجبال تمتد من الشمال إلى الجنوب ، كما أنها تقترب فى أكثر من موضع على خط الهدنة من المراكز السكانية والصناعية فى إسرائيل . وقد وقعت العمليات العسكرية بأن « بدأ الجيش الإسرائيلى عملياته فى اليوم الأول للعدوان بالهجوم على مدينة القدس بالالتفاف والتطويق والاندفاع فى جميع الجهات بدون استثناء وفى الوقت ذاته بدأ تطبيق الخطة القائمة على أساس الهجوم غير المباشر بأسلوب الالتفاف . فقد كان أساس الخطة هو احتلال خط الذرى العرضانى القائم فى وسط الضفة الغربية والذى يمر بالمواقع والمدن التالية : جنين – طوباس – نابلس – رام الله – القدس – بيت لحم – الخليل – السموع . إن احتلال هذا الخط يشطر الضفة الغربية إلى شطرين : شرقى وغربى ، ويدفع بالقوات الأردنية إلى الانسحاب إلى الشطر الشرقى حتى لا تبقى قواتها الموجودة فى الشطر الغربى محصورة بين فكى الكماشة . كما أن احتلال الخط يضع الجيش الإسرائيلى فى ذرى المرتفعات المشرفة على الشطر الشرقى المنحدر حتى ينتهى عند نهر الأردن ، مما يسهل على القوات الإسرائيلية عمليات الهجوم على محاور الطرق ويجبر القوات الأردنية على الانسحاب إلى خط الدفاع الطبيعى وهو نهر الأردن ، وتتمركز على الضفة الشرقية منه ، وهكذا بدأ تنفيذ الخطة ، ففى اليومين الأولين (٥ – ٦) حزيران هاجمت القوات الإسرائيلية من الشمال على ثلاثة محاور اتجهت إلى كل من : جنين – طوباس – نابلس . وفى الوقت ذاته هاجمت القوات ، مدينة القدس ، ومدينة رام الله ، لتسير فيما بعد شمالا على خط الذرى ثم تلتقى بالقوات النازية من جنين إلى جنوب . وفى القدس اتبع الإسرائيليون أسلوب الإحاطة المزدوجة – أى الكماشة – وكانت عملياتهم هذه تطبيقا تقليديا لحركة الكماشة المعروفة ، تم خلالها التغلب على المواقع الأردنية الموزعة فى بعض أنحاء المدينة . وفى اليوم الثانى اندفعت قوات إسرائيلية من الوسط لتهاجم طولكرم وقلقيلية – حيث يبلغ عرض إسرائيل فى هذه المنطقة ١٤ كم – وتلتف على المواقع الأردنية فى الشطر الغربى من خط الذرى ، بغية دفع حدود إسرائيل إلى الأمام ، وتعريض هذه المنطقة الضيقة ، وقطع الطريق على القوات العراقية ، التى بدأت طلائعها تجتاز نهر الأردن »(١) . وقد تابعت القوات الإسرائيلية تنفيذ خطتها فى الهجوم المباشر حتى تم لها

(١) لابد هنا من إيضاح الدور الذى كان يجب أن يقوم به الجيش العراقى فى الجبهة الشرقية وهو دور أساسى واستراتيجى بحيث يمنع العدوان الإسرائيلى من تحقيق أهدافه ، وقد تبين ذلك فى حرب عام ١٩٤٨ أن وجود الجيش العراقى فى الضفة الغربية لنهر الأردن آنذاك منع من سقوطها فى أيدى العدو لذلك حرصت القيادة الاسرائيلية فى حرب عام ١٩٦٧ أن تمنع وصول القوات العراقية الفعالة إلى ميدان المعركة الحقيقى وكانت النتيجة ضياع الضفة الغربية لنهر الأردن .

احتلال خط الذرى الذى أشرنا إليه بالتقاء القوات النازلة من الشمال (جنين - وطوباس - ونابلس) ، والقوات الصاعدة من الجنوب (القدس - ورام الله) ، وذلك فى جنوب نابلس ، ثم توجهت إلى نهر الأردن بأربعة محاور »[1] .

« انظر الخريطة شكل ١٣ »

ويقول آلون واصفا عمليات الجيش الإسرائيلى على الجبهة الأردنية :

« كان واضحا أن المملكة الأردنية قد شاركت بكل قلبها فى الحرب ضد إسرائيل ، وعند ذلك أخذ الجيش الإسرائيلى المبادرة على الجبهة الأردنية ، بصورة محلية فى أول الأمر . ثم بصورة شاملة . بدأ بسلسلة من الهجمات المضادة المحدودة ، التى تطورت إلى هجوم مضاد كبير . كانت العمليات تتم بصورة مشتركة . بقوات مدرعة ومشاة ومظليين ، تعمل كقوة مشاة لتتلقى الصدمة الأولى حينما يشتد القتال ، كما حدث فى القدس الشرقية . وبحركة كماشة كبرى على طول حافة الجبل ، أصبح لإسرائيل السيطرة فى ٧ يونيو على جميع المناطق التى تحتلها الأردن على الضفة الغربية لنهر الأردن »[2] .

وهكذا تكون القوات الإسرائيلية قد تفرغت للجبهة الشمالية بعد أن دفعت الخطر عنها فى الجنوب والوسط .

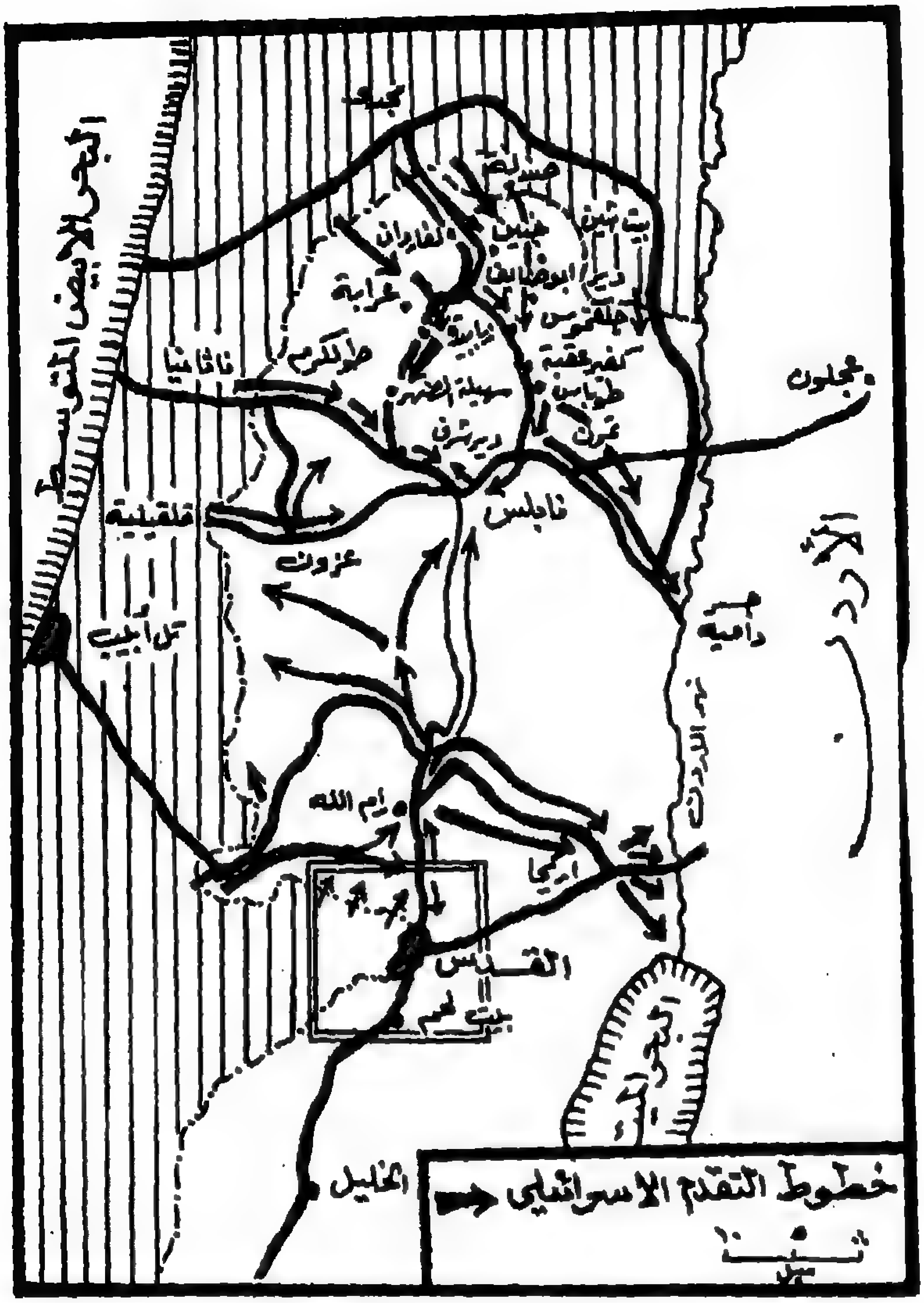
٣ ـ المعارك على الجبهة السورية :

لقد كانت الجبهة السورية تمثل الجبهة الأكثر تحديا لإسرائيل من النواحى السياسية ، والعسكرية ، والجغرافية أيضا ، وقد كانت سوريا - دائما - تمثل الجانب العربى المتشدد المطالب بضرورة تحرير الأرض العربية فى فلسطين من الغزوة الصهيونية ، كما أعطت تأييدها المطلق للفدائيين الفلسطينيين . وكما سبق وأن اتضح مثل ذلك سببا مباشراً من أسباب قيام إسرائيل بعدوانها فى ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ، هذا من الناحية السياسية . أما من الناحية العسكرية فمن المعروف أن مرتفعات الجولان تشرف على سهل الحولة ، وبحيرة طبريا ومنطقة الجليل فى شمال فلسطين ، مما يعطيها ميزة استراتيجية من الناحيتين الهجومية والدفاعية معا . وقد واجهت إسرائيل صعوبات جمة على هذه الجبهة . يصف ذلك آلون قائلا :

---

(١) هيثم الكيلانى - المذهب العسكرى الإسرائيلى - مصدر سبق ذكره - ص ٥١٤ - ٥١٦ :

(٢) Allon, Y. OP. Cit, PP. 7 - 88.



شكل رقم (١٣)

الهجوم الإسرائيلى على الجبهة الأردنية « الشرقية »
فى حرب ٥ يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧
المصدر : ادغار أوبلانس – الحرب الثالثة بين العرب وإسرائيل – مصدر سبق ذكره ص ١٥٨

« على الجبهة السورية لم يبد أن هناك مبادرة إسرائيلية فى الطريق . ولم تأت على الإطلاق تقريبا . كان السوريون يضعون مدفعية ثقيلة ويقصفون منها بصورة متواصلة المستعمرات الإسرائيلية فى وادى الحولة ووادى الأردن ، كما حاولوا القيام بعملية اختراق مدرعة ، وغزو الجليل الأعلى . ومع ذلك فقد بقيت إسرائيل على استراتيجية دفاعية فى هذه الجبهة فى الأيام القليلة الأولى ... لقد حدث هذا التأجيل الخطر بسبب التردد السياسى . كانت هناك مبالغة فى القوة العسكرية السورية ، ولم يكن متوقعا أن يوافق المصريون على وقف إطلاق النار بمثل هذه السرعة . وكان يخشى أن يؤدى الاشتباك مع سوريا – التى كان الحكم فيها موضع تقدير خاص من جانب السوفييت – إلى جر الاتحاد السوفيتى إلى الحرب ، أو على الأقل إلى نوع أعنف من الضغط ، وفى تقديرى أنه كان على إسرائيل أن تهاجم على الجبهة السورية بمجرد انتهاء قواتها الجوية من إخراج القوات الجوية العربية من المعركة . بما فيها القوات الجوية السورية . كان يجب القيام بمجهود فى ذلك الوقت لإنزال السوريين من على الهضبة وسحق قواتهم المدرعة وإرغام الباقى منها على إعادة توزيع نفسها ، فى وضع دفاعى عن دمشق واحتلال جنوب سوريا كله »(١) .

وقد جرت المعارك على الجبهة السورية على النحو الآتى : « بدأت القوات الإسرائيلية فى اليوم التاسع من حزيران يونيو » بهجمات على طول الجبهة للتعرف على إمكانية الخرق والبحث عن ممرات له . وقد ركزت القوات الإسرائيلية هجماتها على ثلاثة مواقع : فى الشمال والوسط والجنوب ، آملة أن تتمكن من فتح ثغرة فى أحدها . وقد تمكنت – بواسطة هجمات موجات متتالية كثيفة من الدبابات وبمعونة الطائرات التى كانت تغير بهجمات مستمرة وتلقى القنابل المتفجرة وقنابل النابالم على طول الجبهة وخاصة فى القطاع الشمالى – من إحداث خرق فى القطاع الشمالى جنوبى مدينة بانياس عند موقع القلع « واستمرت القوات الإسرائيلية فى ضغطها بغية توسيع الثغرة . وحين ذاك بدأت عمليات الإلتفاف الواسع يمينا ويسارا . وفى اليوم العاشر من حزيران (يونيو) وسعت القوات الإسرائيلية عمليات الالتفاف والتطويق وإنزال المظليين ، حتى تمكنت من احتلال هضبة الجولان . وهكذا اتبعت القيادة الإسرائيلية أسلوب الهجوم الجبهى المباشر – اضطرارا – من أجل فتح ثغرة فى الجبهة السورية ، ولكنها سرعان ما عادت

---

(١) Allon, Y. Ibid, P. 88.

إلى الهجوم غير المباشر بأساليب الالتفاف والتطويق وإنزال المظليين أثر توفر الشروط اللازمة لاتباع هذه الأساليب »[1] .

« انظر الخريطة شكل ١٤ »

وبذلك تكون إسرائيل قد تمكنت من تحقيق الأهداف التى وضعتها لعدوانها . ويقول آلون : « حققت إسرائيل التى كانت تقاتل من أجل بقائها ، نصراً عبقرياً حاسماً . ورغم أنها من ناحية العمليات انتهجت استراتيجية هجومية ، فإن حرب الأيام الستة تعتبر نموذجا رائعا لحرب الدفاع عن النفس قل أن يوجد مثله فى التاريخ المعروف للجنس البشرى »[2] .

وهنا يخالف الجنرال « ما تتياهو بيليد » ما ذهب إليه آلون من أن حرب الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ كانت نموذجاً رائعاً للدفاع عن النفس مؤكداً أن هذه الحرب لم تكن دفاعا عن النفس ، لأن إسرائيل لم تكن مهددة بالفناء كما ادعى قادتها قبل الحرب أو بعدها . يوضح ذلك قائلا :

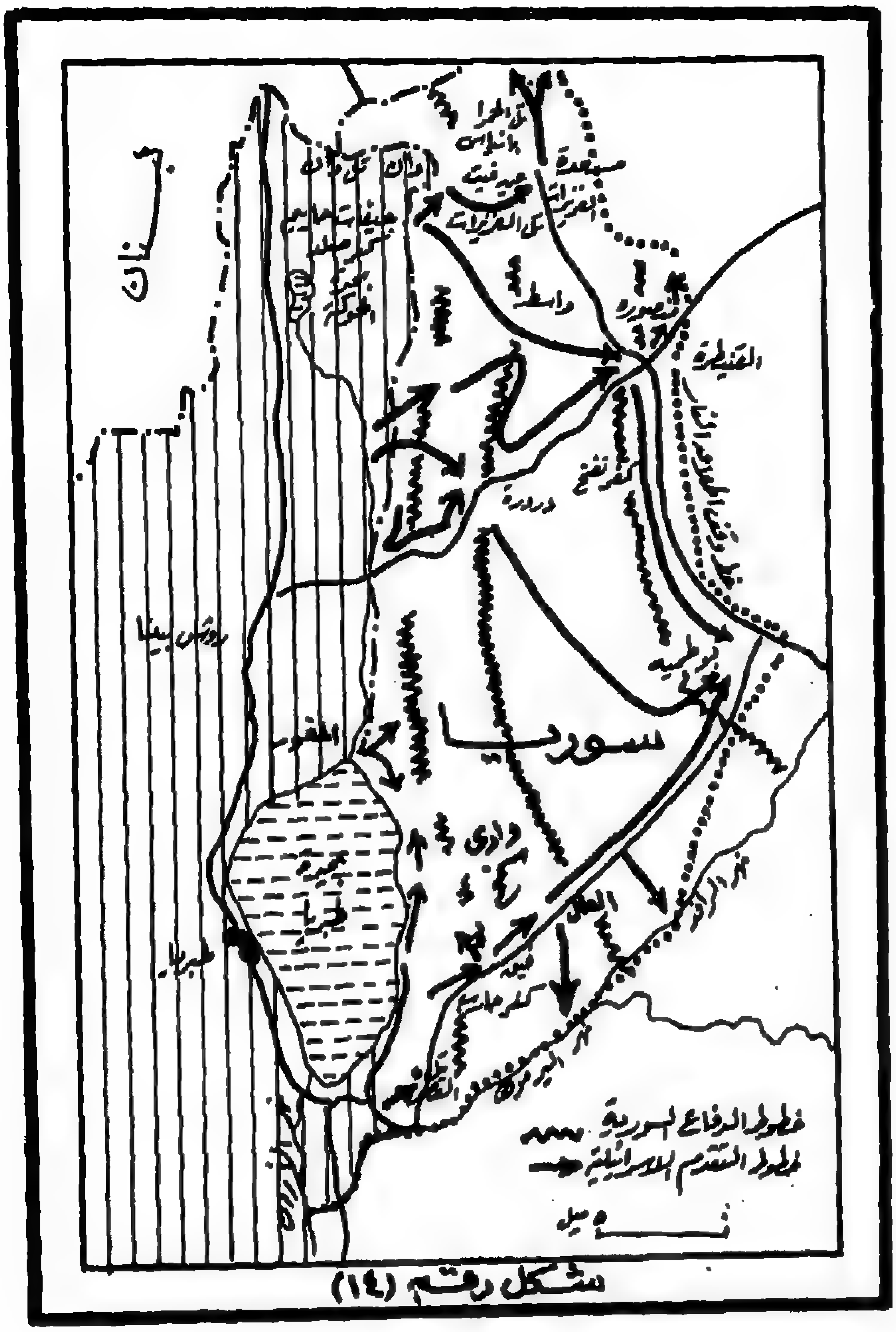
« أنا أرفضه تماما ، واعتبره زائفا كليا القول بأن الإسرائيليين كانوا معرضين لخطر الإبادة كأفراد أو جماعة . لقد حشد المصريون فى سيناء ٨٠,٠٠٠ جندى ، وعبأنا نحن ضدهم مئات الألوف .. وأنا مقتنع تماما بأن الحكومة لم تسمع أبداً من هيئة الأركان ، أن التهديد المصرى كان خطيراً على إسرائيل ، أو أنه لم يكن فى مقدور الجيش الإسرائيلى هزيمة الجيش المصرى الذى كان مكشوفا ، ومعرضا للضربات القاصمة من الجيش الإسرائيلى بغباء مدهش . لقد اختفت كل هذه القصص بعد الحرب ببضعة شهور فقط ، ولم يكن لها أى نصيب من مجموع الاعتبارات التى روعيت فى تلك الأيام .

ومن بين تلك القصص قصة أن إسرائيل كانت تواجه خطرا رهيبا بسبب حدودها الضيقة . فعندما عبأ الجيش الإسرائيلى قوة كاملة والتى تجاوزت قوة الجيش المصرى عدة مرات لم يكن هناك شخص عاقل يؤمن بأنه كان من الضرورى لنا أن ندافع عن أنفسنا ضد تهديد مصرى . لقد كانت هذه القوة ضرورية لإنزال هزيمة حاسمة بالجيش المصرى فى ميدان المعركة ، وبحماتهم السوفييت فى الميدان السياسى .

---

(١) الكيلانى – المذهب العسكرى الإسرائيلى – مصدر سابق – ص ٥١٦ .

(٢) Allon, Y. OP. Cit. P. 89.



شكل رقم (١٤)

الهجوم الإسرائيلي على الجبهة السورية فى حرب
٥ حزيران (يوليو) سنة ١٩٦٧
المصدر : أدغار أوبلانس – مصدر سبق ذكره ص ٢٠٣ .

لإنزال هزيمة حاسمة بالجيش المصرى فى ميدان المعركة ، وبحماتهم السوفييت فى الميدان السياسى .

والقول بأن القوة المصرية التى كانت متمركزة على حدودنا الجنوبية كانت قادرة على تهديد وجود إسرائيل ، ليس فقط إهانة لذكاء أى شخص قادر على تقييم مثل هذا الوضع ، ولكنه قبل كل شىء إهانة للجيش الإسرائيلى » . لقد كان عدم وجود خطر إبادة يسبب للحكومة صعوبات بالغة فى إقناع الرأى العام فى « الشتات » بخططها . إذ إن الحرب يكون لها ما يبررها ، فقط إذا كان هناك خطر إبادة ، لأنه من غير المسموح به شن حرب لأسباب سياسية . إن من أصعب الأمور جعل الناس يعتقدون أنهم فى خطر غير موجود فعلا . إن الحكومة باختلاق أسباب للحرب ، ولف دوافعها الحقيقية بستار من الضباب والإبهام ، تسعى إلى جعل الشعب يقبل مبدأ ضم الأراضى جزئياً أو بصورة كاملة إذا كان ذلك ممكنا ... إنه لتبرير ضم الأراضى العربية ، نشرت الحكومة فى الرأى العام مرضاً نفسياً ليس له ما يبرره ، وقدمت صورة زائفة عن الظروف التى سبقت حرب الأيام الستة وذلك لأنها ترى فى الحصول على أراض جديدة وصفة شافية ودواء سحريا وحلا لكافة مشاكل أمتنا »(١) .

وهكذا يتبين ما سعت إسرائيل إلى تحقيقه ، والأسلوب العسكرى الذى اختارته وهو الاستراتيجية الهجومية ، ونظرية الهجوم المضاد المسبق ، وهو الحرب الوقائية بعينها(٢) . وقد تمكنت إسرائيل بحربها سنة ١٩٦٧ أن تحقق الأهداف الآتية :

١ ــ تدمير القوات المسلحة لكل من مصر وسوريا والأردن .

٢ ــ توسيع رقعتها الجغرافية وتحقيق ما يمكن أن نطلق عليه بالاسترخاء الجيواستراتيجى وذلك باحتلال كل من سيناء والضفة الغربية لنهر الأردن ومرتفعات الجولان .

٣ ــ إعادة فتح خليج العقبة للملاحة الإسرائيلية .

ولكن لم تتمكن إسرائيل من تحقيق هدفها السياسى الرئيسى ، وهو الصلح والسلام مع العرب . كما أنها فشلت فى القضاء على الكفاح المسلح الفلسطينى . وبذلك ظلت

---

(١) جاك كوبار ــ من حرب الأيام الستة إلى حرب الساعات الستة ــ ترجمة : كمال السيد ــ مكتبة الوطن العربى ــ بيروت ــ سنة ١٩٧٣ ــ ص ٥٢ ــ ٥٥ .

(٢) Allon, Y. OP. Cit. P. 91.

حالة الحرب قائمة والصراع المسلح يمثل أداتها الأساسية ، وهذا ما أدى بالطبع إلى حرب رابعة شنها العرب لتحرير أراضيهم فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ .

ولا يفوت آلون فى هذه المناسبة أن يربط ذلك كله بما تسعى إليه إسرائيل فى منطقة الشرق الأوسط فيقول : « إن دولة إسرائيل أصبحت منذ إنشائها أقوى عنصر فى الشرق الأوسط . اجتماعيا وعسكريا على السواء . وقد أكدت حرب الأيام الستة ذلك تأكيدا قاطعا . أن ديناميكية إسرائيل واتساع أفقها قد تم التعبير عنهما الآن كما لم يحدث من قبل ، وهى واضحة للعالم أجمع ، يستطيع أن يراها ويحكم على قيمتها الحقيقية »(١) .

ويوضح لنا الدكتور محمد فاروق الهيثمى أسباب هزيمة حرب الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ قائلا : « من الجائز أن الكثيرين منا قد أذهلتهم النتيجة القاسية للمعركة الأخيرة . وفى موجة من اليأس وخيبة الأمل اعتقدوا أن العدو الذى جابهناه يملك قوة عسكرية لا قبل لنا بالتصدى لها . والحقيقة هى أن العدو على جانب لا يستهان به من القوة ، وأن تكتيكاته وخططه الاستراتيجية التى استخدمها فى المعركة تشير إلى أنه كان على معرفة وثيقة بمواطن الضعف فينا فركز عليها ، بل وبمواطن قوتنا فاجتنبها ، أو وجهها حيث لا تجدى ، فانتفع بها بطريقة غير مباشرة . وقد أجمع عدد وفير من المفكرين على أن معرفة العرب بعدوهم محدودة إلى درجة خطيرة ، بل وقد ذهب البعض إلى اعتبار النقص الظاهرى فى المعلومات عن إسرائيل ومخططاتها العسكرية من أهم أسباب نكسة يونيو عام ١٩٦٧ ، وما ترتبت عليها من تفتت فى معنويات الشعوب العربية . ومع أن ذلك النقد يعكس ، ولا شك ، ظاهرة حقيقية وعجيبة ، يصعب تبريرها ، سوى أن هناك من يشك بمقدرة الشعب فى تقبل الحقيقة سافرة ، ولكن مهما كانت طبيعة وأسباب تلك الظاهرة ، إلا أننا لا يمكن أن نشك فى أن أجهزة الاستخبارات الرسمية فى معظم البلاد العربية ، والبلاد الصديقة كانت لديها معلومات دقيقة ووافية ومفصلة عن قوة العدو وعن بعض نواياه . وعلى ذلك يكون مجال الشك هنا فى صحة طريقة تحليل وتقييم المعلومات المتوافرة واستنباط نتائجها المنطقية أو التنبؤ بتحركات العدو على الصعيدين السياسى والعسكرى ، وأنه لمن المؤسف حقا ، أن سياسة عدم نشر الحقائق عن إسرائيل قد أضاعت على البلاد العربية فرصة إسهام مثقفيها

---

(١) Allon, Y. Ibid. PP. 92 - 93.

عموما ، وخبرائها خارج النطاق الرسمى والعسكرى على الخصوص فى مناقشة أو دراسة ، وتحليل مصادر القوة والضعف فى سياسة إسرائيل العسكرية »[1] .

يتضح لنا مما تقدم أنه لم يفت مخططى السياسة العليا لإسرائيل احتواء التحرك الدولى المحتمل ، وأن يأخذوا بعين الاعتبار خصائص المجتمع الدولى الذى يتحركون فى إطاره وظاهرتى : توازن القوى ، والتنظيم الدولى . وهما الظاهرتان المعاصرتان اللتان تقومان بالتحكم فى تحرك الدول داخل نطاق العلاقات الدولية فى السلم والحرب . فلم تسمح إسرائيل لأى من الظاهرتين أن تكون عائقا لحركتها نحو تحقيق أهدافها فى المنطقة العربية . وقد تحقق لها ذلك إبان حرب سنة ١٩٤٨ ، وحققت بعض الشيء من أهدافها فى عدوان سنة ١٩٥٦ ، ووصلت إلى أهدافها النهائية فى عام ١٩٦٧ . وذلك فى نطاق حركتها التوسعية باستخدام أسلوب الحرب الوقائية . فحسبت حركتها زمنيا ، وسبقت التحرك الدولى قبل أن يحدث ، وجعلته ينشغل فى مناقشة الواقع بدلا من أن يسعى لمنع ما قد يقع ، واتضح ذلك أثناء حرب ١٩٦٧ فتوفرت لحركتها العسكرية جميع الخصائص التى سبق ذكرها واختصرت الفترة الزمنية فى الحرب لدرجة أنها تركت مجلس الأمن أياما عديدة دون أن يتمكن من اتخاذ قرار يوافق عليه جميع أعضاء الدول الدائمة ، أى الدول الكبرى لوقف إطلاق النار إلى أن وصلت قواتها الهدف المحدد . كما كانت حركتها ، هذه ، سريعة ومفاجئة وقوية ، لدرجة أنها أفقدت إحدى القوتين الأعظم – ونعنى بها الاتحاد السوفييتى – مبرر الحركة نحو تأييد المجموعة العربية خاصة مصر على الرغم من أن علاقاته بها كانت علاقات قوية يستفيد منها الطرفان . وكان واضحا أن أى تحرك يضعف من موقف مصر فى المنطقة هو سبب مباشر لإضعاف موقف الاتحاد السوفييتى أيضا . هذا فضلا عن أن إسرائيل تمكنت من إرسال دفعات من الموجات الدعائية الذكية والمركزة لمختلف قطاعات الرأى العام العالمى موهمة إياها أنها باتت معرضة لخطر الفناء بسبب السياسة العربية العدوانية . وكانت أكثر المناطق العالمية أهمية تأثراً بهذه الموجات الدعائية منطقة غرب أوروبا صاحبة الدور الحيوى فى التحرك الدولى .

ومن هنا ازداد تحكمها – أى إسرائيل – فى حركة الدول العظمى من ناحية ، والأمم المتحدة من ناحية أخرى ، ظهر ذلك واضحا فى عجز مجلس الأمن عن أن يتخذ قراراً

---

(١) الدكتور محمد فاروق الهيثمى – مجلة السياسة الدولية – العدد : ١٣ – القاهرة سنة ١٩٦٨ – المجلد الرابع . ص ١٠٤ .

لوقف إطلاق النار يتضمن من بين نصوصه انسحاب القوات المعتدية . واكتفى فى نص القرار على موقف إطلاق النار فقط . كما أن الجمعية العامة عجزت أيضا عن اتخاذ مثل هذا القرار .

وهكذا يتضح أن إسرائيل استنفذت كل خصائص الحركة الدولية لصالحها ، ولم يتمكن مجلس الأمن من اتخاذه قراره إلا بعد الاجتماع الثانى الذى عقد بين اليكسى كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى والرئيس جونسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية فى غلاس بورو « أى بعد موافقة الدولتين العظميين عليه » . ومع ذلك لم يكن قراراً صريحاً ، واضحاً قاطعاً .

إذن فإن الحركة الاسرائيلية فى إطار الحرب الوقائية لم تكن حركة غير محسوبة ولم يسبق إعدادها جهداً كبيراً وفترة طويلة من الإعداد والتنسيق بل استفادت من جميع التجارب التى مرت بها لتصل إلى غرضها الذى حددته بالضبط وتقيد حركة المجتمع الدولى وتمنعه من أن يؤدى رسالته التى قام التنظيم الدولى من أجلها . كل ذلك يرجع فى الأصل والأساس إلى سرعة الحركة فى استخدام أسلوب الحرب الوقائية . وقد أوضح شمعون بيريز النتيجة التى انتهت إليها حرب ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ على الجبهات الثلاثة قائلا :

« وهكذا انتهت الحرب بالاستيلاء على شبه جزيرة سيناء ، وقطاع غزة وقناة السويس ، وشرم الشيخ ، والضفة الغربية ، ومرتفعات الجولان ، وتغيرت خريطة الشرق الأوسط فى أقل من أسبوع لتحل محلها خريطة جديدة جغرافية وسياسية رسمت بالدماء »(١) .

٤ - استراتيجية حرب أكتوبر بين الحرب المحدودة واستيعاب الهجوم :

حققت إسرائيل نتيجة لعدوان ١٩٦٧ تغييراً جذرياً فى وضعها الجيواستراتيجى ، فوسعت حدودها فى الجنوب والشرق والشمال ، وأحاطت قلبها فى الوسط ، الذى يضم كبريات المدن والتجمعات السكانية والمراكز الصناعية ، والاقتصادية بمواقع دفاعية تمنع خطر أى هجوم عربى محتمل . وأدى ذلك إلى تغيير جذرى فى استراتيجيتها العسكرية وموقفها السياسى . فقد بنت عقب قيامها تلك الاستراتيجية على أسس

---

(١) شمعون بيريز - حروبنا مع العرب - مصدر سابق - ص ١٦٣ .

هجومية مجردة وقد تبين فيما سبق الدوافع السياسية والجغرافية التى حكمت ذلك . ومن الناحية السياسية ، أخذت تطالب بحدود آمنة يمكن الدفاع عنها لتحقيق أهدافها التوسعية وإضفاء الشرعية عليها ، ومن ثم طالبت بإجراء مفاوضات مباشرة مع العرب للوصول إلى السلام الحقيقى ، وقد تفاعلت الاستراتيجية العسكرية الجديدة ، والموقف السياسى فيما بينهما طيلة الأعوام التى أعقبت حرب ١٩٦٧ وتبلورت فى نظرية جديدة تقوم على أساس الاستمرار فى احتلال الأراضى العربية ، وردع العرب ، ومنعهم من تحريرها ولتحقيق ذلك يبين آلون أبعاد تلك السياسة القائمة فيقول :

« إن إسرائيل لا تستطيع أن تبقى إلى ما لا نهاية انتظارا لرسم حدود أمنها وكأنها مجرد وكيل من الدول العربية فى إدارة هذه المناطق . ونظرا لازدياد التهديدات العربية وتدهور الموقف على الحدود باستمرار ، فإنه من حق إسرائيل – وبالتأكيد من واجبها – أن تقيم مستعمرات ومواقع أمن ، فى مناطق الحدود التى لها أهمية من ناحية الأمن ، وأن تتخذ بنفسها ما ترى من القرارات بشأن الأمور السياسية المتعلقة بذلك . إن مثل هذه الحقائق الثابتة – فضلا عن قيمتها الأساسية لأمن إسرائيل – ستساهم بنصيبها فى النضال السياسى من أجل حدود سياسية دائمة ، لأنها تبين للعرب ، أن الوقت فى هذا المجال كما فى غيره ، ليس بالضرورة فى صفهم . ومع ذلك فإن استراتيجية « خلق الحقائق » هذه يجب أن ترسم بشكل يسمح بترك أكثر من خيار فى وسائل تحقيق الصلح بينما تحقق لإسرائيل الحدود الآمنة الضرورية »[1] .

وقد انعكس ذلك على الإجراءات الدفاعية والهجومية التى انتهجتها .. إسرائيل وبموجبها تحددت سياستها العسكرية ، فقامت ببناء خطوط دفاعية ثابتة ومحصنة على الجبهتين الجنوبية والشمالية . ففى الجنوب مثل خط بارليف (*) جزءاً كبيرا من الثقة

---

(١) Allon, Y. OP. Cit. P. 100.

(*) خط بارليف « مانع صناعى محصن جيدا ، يبلغ طوله ١٨٠ كم » .. ويمتد من جنوب بور فؤاد شمالا حتى بور توفيق جنوبا على طول الضفة الشرقية لقناة السويس . ويحتوى على نقاط حصينة للغاية « ٢٥ نقطة » مدعمة بالخرسانة المسلحة وقضبان الفولاذ .. وتبلغ قوة الأفراد فى كل نقطة « ٣٠ فردا » وقد أنفق على تحصينه وإقامة المدافع والدشم الخرسانة حوالى « ٢٣٨ » مليون دولار .

والنقط القوية بخط بارليف منظمة بطريقة الدفاع الدائرى . أى إمكانية الدفاع عنها من جميع الجهات حتى فى حالة الهجوم عليها من الخلف . وجميع المواقع بداخل خط بارليف المحصن تقع تحت الأرض ومغطاة من أعلى بحيث تتحمل الاصابات المباشرة للمدفعية .. والمواقع محاطة من الخارج بموانع مزدوجة من الاسلاك الشائكة .. وله نظام انذار متعدد =

الذاتية التى عمت إسرائيل وقادتها وكرر الناطقون بلسان القيادة العسكرية والسياسية فى إسرائيل خلال السنوات الماضية الإعراب عن رأيهم الراسخ بأن مصر لن تستطيع أبدا اجتياز هذا العائق – ضد الدبابات – الأكبر من نوعه فى العالم . وكان الخطأ فى هذا التقدير أولا وقبل كل شىء فى أنه لم يتنبأ كيف ستتطور الحرب القادمة ، بل ارتكز إلى الحرب الأيام الستة كنموذج . وكان ذلك تطبيقا عمليا لنظرية دفاع الخنادق التى أخذت بها فرنسا بعد الحرب العالمية الأولى عندما أقامت « خط ماجينو » . ومنذ أن احتل الجيش الإسرائيلى المواقع التى وقف عليها بعد حرب ١٩٦٧ تغيرت النظريات الأساسية المتعلقة بتحريك الجيش فى حالة الحرب ، كانت الفرضية المقبولة حتى حزيران ١٩٦٧ أنه فى حالة اندلاع الحرب سوف تنتقل المعركة إلى أرض العدو ، ولكن وجود هذا الامتداد الصحراوى خلف القوات الاسرائيلية المرابطة على القناة والذى يصل إلى حوالى ١٠٠ كيلو متر بالإضافة إلى اقترابها من المراكز السكانية فى مصر وانعدام الرغبة لاحتلال مزيد من الأراضى هو الذى دعم وجهة النظر الدفاعية هذه[1] .

وقد حدد آلون أبعاد السياسة الدفاعية الجديدة ومبرراتها مبينا طرق المواجهة فى ظل الوضع العسكرى بعد ١٩٦٧ إذا ما تعرضت إسرائيل لهجوم عربى مفاجىء قائلا : « إن حق إسرائيل الأدبى ، وقدرة قواتها على شن هجوم إجهاضى مضاد ، لايزال لهما أهمية أولى . ولكن هذه الضربة الآن ليست لها الأهمية الكبرى التى كانت لها قبل يونيو ١٩٦٧ ، وبخاصة فى مناطق كثيرة على طول مختلف الجبهات ، وللقوات البرية بالذات . وهناك بطبيعة الحال مناطق كثيرة يحسن أن يترك العدو يهاجم فيها أولا ، وبذلك يعرض

= الأنواع ، كما أن الخط مجهز بوسائل الوقاية ضد الحرب الكيماوية ، وبالألغام المضادة للأشخاص والدبابات بكثافة خرافية ، وقد قام الاسرائيليون بتجهيز كل نقطة حصينة من تلك النقط بكميات وافرة من الذخيرة والمياه والتموين ووسائل الاتصال السريعة سواء مع النقط الأخرى أو مع القيادة الجنوبية فى الخلف ..' كما أن النقط مدعمة بوحدات مدرعة ومدفعية متحركة قوية .. أما فى أوقات نشوب القتال فتزود هذه النقاط بالمياه من الخلف بواسطة مواسير اقيمت تحت سطح الأرض .. كما يتم نقل الجرحى فيها بواسطة طائرات الهليوكبتر .. والنقط الحصينة معززة بالرشاشات والمدافع والصواريخ والهاونات ، كما أنها مزودة بوسائل اتصال لاسلكية بالقوات الجوية الاسرائيلية خلال الاشتباكات .. ويوجد طبيب فى كل نقطة حصينة للعناية بأفرادها » المصور : كتاب الهلال الذهبى – القاهرة – سنة ١٩٧٧ ص ٤٧٠ » .

(١) يشياهو بن فورات وآخرون – التقصير – ترجمة : مؤسسة الدراسات الفلسطينية – بيروت – سنة ١٩٧٤ – ص ١١٩ وما بعدها .

نفسه لاكتشاف نيران المدفعية والقذائف المضادة للدبابات قبل أن تبدأ القوات الإسرائيلية هجومها المضاد »[1] .

وبناء على ذلك ظلت إسرائيل ترفض الانسحاب من الأراضى العربية المحتلة بما أبقى الوضع فى المنطقة فى حالة حرب مستمرة . وقد رد العرب على ذلك بالقرارات التى صدرت عن مؤتمر الخرطوم ١٩٦٧ والتى أكدت عدم الاعتراف بإسرائيل ، وعدم الصلح معها ، وعدم التفريط فى حق من حقوق الشعب الفلسطينى .

وهكذا عاد الصدام الاستراتيجى إلى طبيعة الصراع المصيرى بين الطرفين وبقيت الأداة العسكرية أداة حسم ، لتحقيق الأهداف . وقد استفاد العرب كثيراً من دروس حروبهم مع إسرائيل ، وخاصة حرب ١٩٦٧ وأعدوا قواتهم إعداداً عصرياً أثبت قدرتهم على استيعاب تكنولوجيا العصر . كما أحدثوا تغييراً باستراتيجيتهم العسكرية متخذين فى هذه المرة الهجوم مبدءاً قتالياً لمواجهة العدو .

معارك حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ :

لم ينتظر العرب - فى جولتهم الرابعة مع إسرائيل . الضربة الأولى بل وضعوا خطة للهجوم على جبهتين فى الشمال وفى الجنوب . وكان هدفهم محدوداً ومؤقتاً يرمى فى الأصل إلى تحقيق الأهداف الآتية :

١ - مفاجأة العدو والقضاء على قواته فى الجبهة .

٢ - كسر نظرية الأمن الإسرائيلية وفكرة الحدود الآمنة .

٣ - تحريك مشكلة الشرق الأوسط على الصعيد الدولى .

ومن هنا يمكن القول أن أهداف الحرب فى مجملها كانت محدودة ولم تسع إلى تحقيق أهداف مطلقة ولذلك ما يبرره بالنسبة لحساسية الشرق الأوسط وتأثيرها على الصراع الدولى .

ونتساءل : كيف واجهت إسرائيل الهجوم العربى فى الشمال والجنوب على ضوء ما سبق إيضاحه عن استراتيجيتها ؟ .

---

(١) Allon, Y. OP. Cit, P. 105.

أولا – المعارك على الجبهة المصرية :

مرت المعارك على الجبهة المصرية بخمس مراحل متميزة هى :

١ ــ مرحلة عبور القناة وتحطيم خط بارليف .

٢ ــ مرحلة الحفاظ على الجسور العائمة عبر القناة .

٣ ــ مرحلة توسيع رءوس الجسور وصد الهجمات المعاكسة .

٤ ــ مرحلة التقدم باتجاه الشرق .

٥ ــ مرحلة الهجوم الاستراتيجى الإسرائيلى المعاكس .

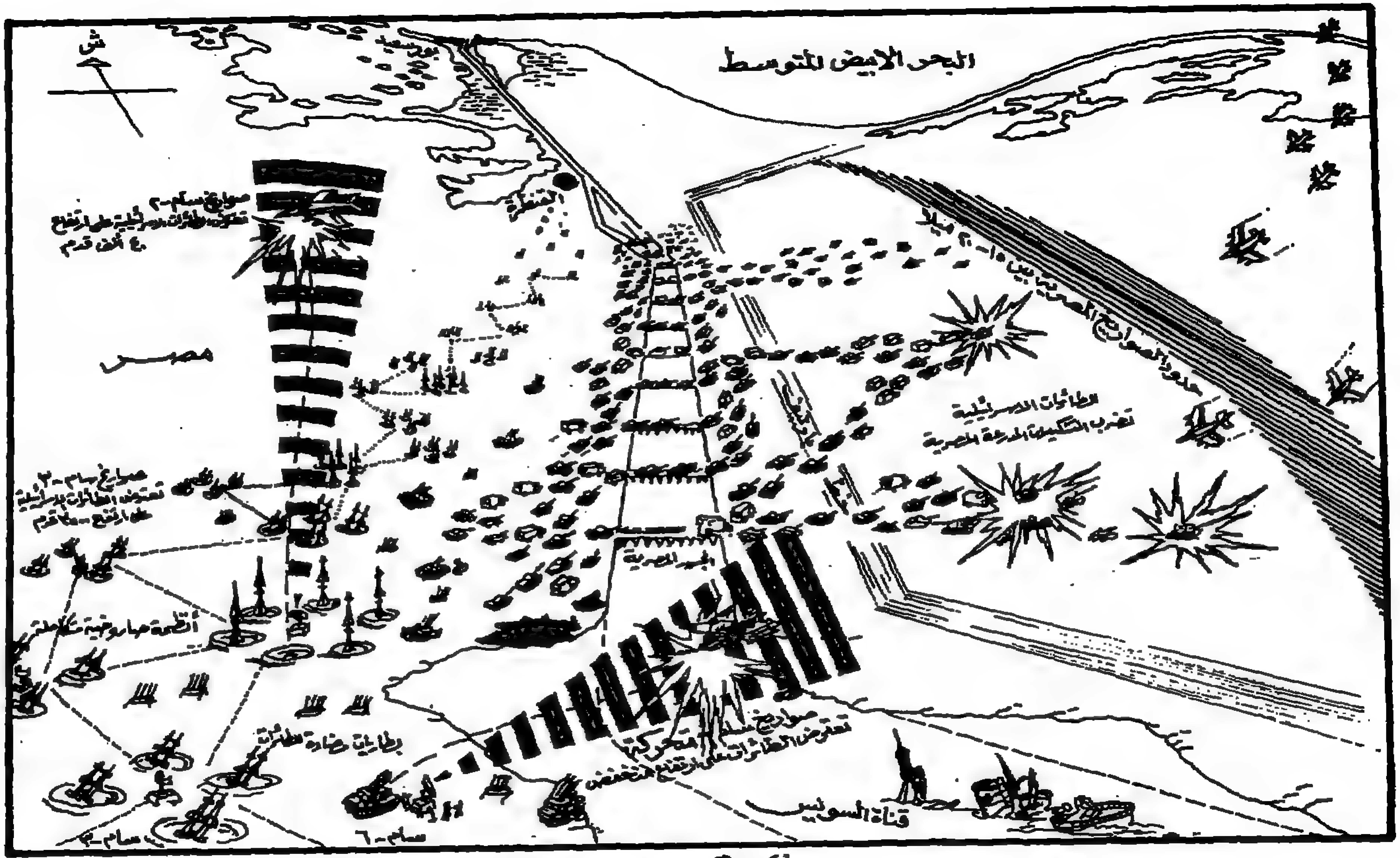
١ ــ المرحلة الأولى : مرحلة عبور القناة وتحطيم خط بارليف :

فقد قامت القوات المصرية فى هذه المرحلة بعبور القناة واقتحام تحصينات خط بارليف ، والسيطرة عليه ، وذلك تمهيداً لعبور القوات الضاربة القادرة على تحطيم قوة العدو والتصدى لهجماته المضادة المحتملة شرق القناة . ولقد تمت هذه المرحلة بنجاح وسرعة ، ولم يتمكن الطيران الإسرائيلى من التدخل رغم تفوقه . ولذلك أسبابه العسكرية والتكنولوجية منها : تقدم القوات البرية المصرية تحت حماية شبكة محكمة من الصواريخ المضادة للطائرات وكان لهذا التقدم فى استخدام الأسلحة التكنولوجية أثره فى استمرار تدفق مختلف الأسلحة المصرية شرق القناة مع استمرار صلاحية الجسور للعمل وعجز سلاح الطيران الإسرائيلى عن النيل منها . وفى هذه المرحلة أيضا تمكنت القوات المصرية من تعزيز مواقعها على الأرض المحررة .

« انظر الخريطة شكل ١٥ »

٢ ــ المرحلة الثانية : مرحلة الحفاظ على الجسور العائمة عبر القناة :

بدأت هذه المرحلة عندما استخدم العدو الطيران والمدفعية لقطع الجسور وعزل القوات التى عبرت إلى الضفة الشرقية بغية تدميرها . وكانت هذه المرحلة مبارزة عنيفة بين الطيران المعادى ووسائل الدفاع الجوى المصرية ، وانتصرت وسائل الدفاع بشكل مذهل ، ويذكر مراسل نيوزويك الذى شهد معركة الحفاظ على الجسور فى الأيام الأولى للحرب أن ٣ طائرات من كل خمس طائرات إسرائيلية حلقت فوق منطقة القناة



شكل رقم (١٥)

عملية الشرارة: اجتياز القناة وتدمير خط بارليف

المرحلة الأولى : مرحلة عبور القناة وتحطيم خط بارليف

المصدر : دار الصياد – الشرارة – طريق النصر – بيروت – سنة ١٩٧٤ ص ٩٤ – ٩٥

أسقطت بفعل وسائل الدفاع الجوى . وأن هذه الطائرات اضطرت إلى إلقاء قنابلها من ارتفاعات عالية الأمر الذى خفض نسبة إصابتها إلى حد كبير . ولقد عجزت المدفعية الإسرائيلية بعيدة المدى عن ضرب الجسور لأن الدفاعات الجوية لم تسمح بتحليق طائرات الهيلوكبتر الخاصة بملاحظة الرمايات وتصحيحها ، وكانت قنابل المدفعية تسقط بعيدة عن الجسور بما لا يقل عن ٢٠٠ متر . ومن المعروف أن المدفعية الإسرائيلية لا تملك سوى عدد محدود من المدافع بعيدة المدى ذاتية الحركة من طراز م - ١٠٧ (عيار ١٧٥ مم) والتى يبلغ مداها ٣٢ كيلو مترا نظراً لأن العدو بنى تكتيكات الدعم النارى أساسا على القوات الجوية التى شلتها الدفاعات الأرضية بشكل ملحوظ .

« انظر الخريطة شكل ١٦ »

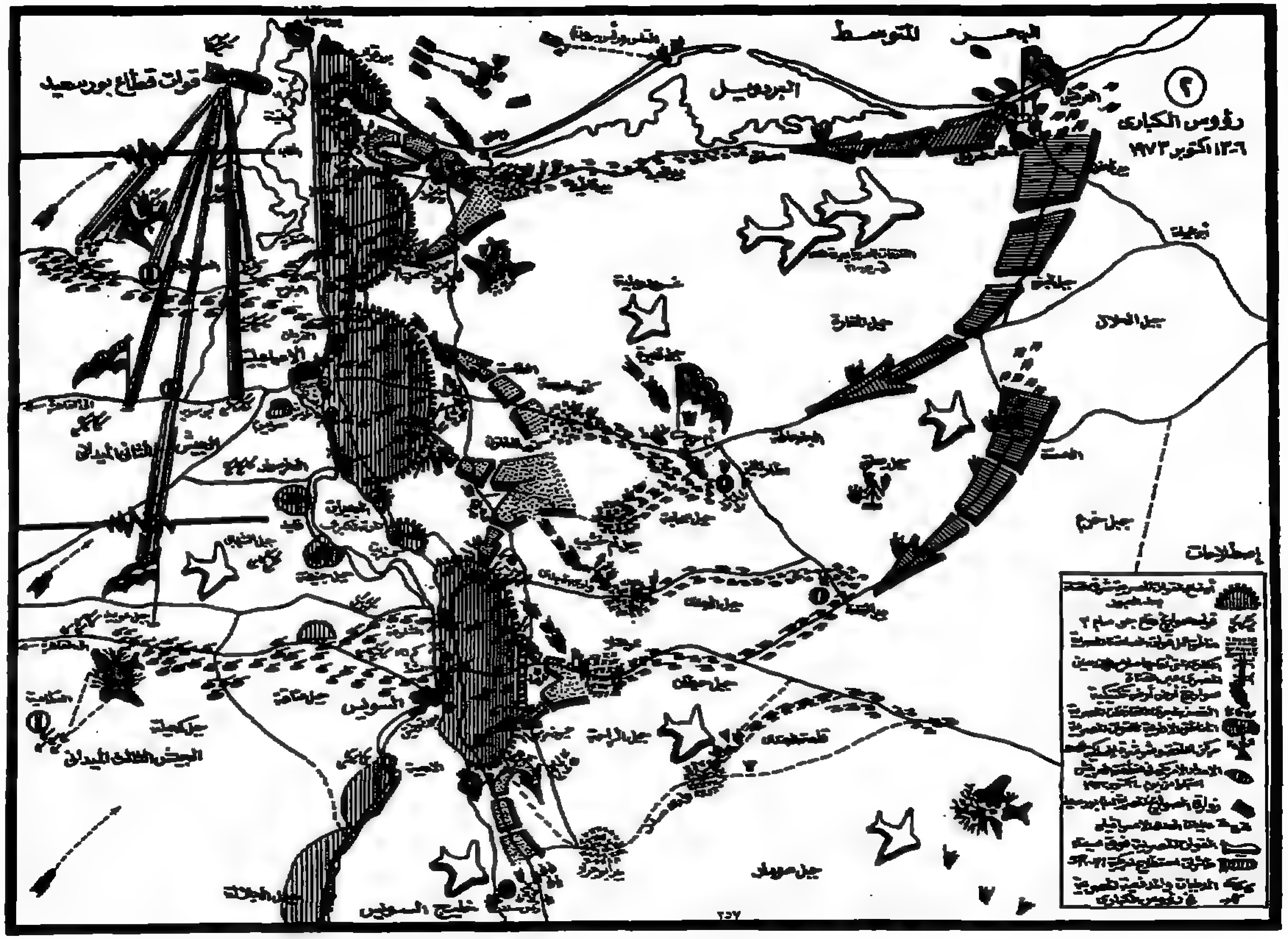
٣ - المرحلة الثالثة : مرحلة توسيع رؤوس الجسور وصد الهجمات المعاكسة :

وبعد هذا النجاح الذى حققته القوات التى تمركزت فى الشمال والجنوب من الجيشين الثانى والثالث بتأمينهما لنقطة ارتكاز أرضية بدأت المرحلة الثالثة بتدفق القوات المصرية عبر الجسور لتدعيمها وتوسيع رقعة الأرض المحررة . ولقد بدأت هذه المرحلة بتطهير كافة مواقع العدو الحصينة فى خط بارليف . وقد قام العدو بعدة محاولات وهجمات مضادة مستخدما الاستراتيجية الجبهوية أى التصادم المباشر . ولكنه لم يحقق أى نجاح . واستطاعت القوات المصرية من الجيشين الثانى والثالث أن تمتص هذه الهجمات وتحطم القوات المهاجمة وتردها على أعقابها .

« انظر الخريطة شكل ١٧ »

٤ - المرحلة الرابعة : مرحلة التقدم باتجاه الشرق :

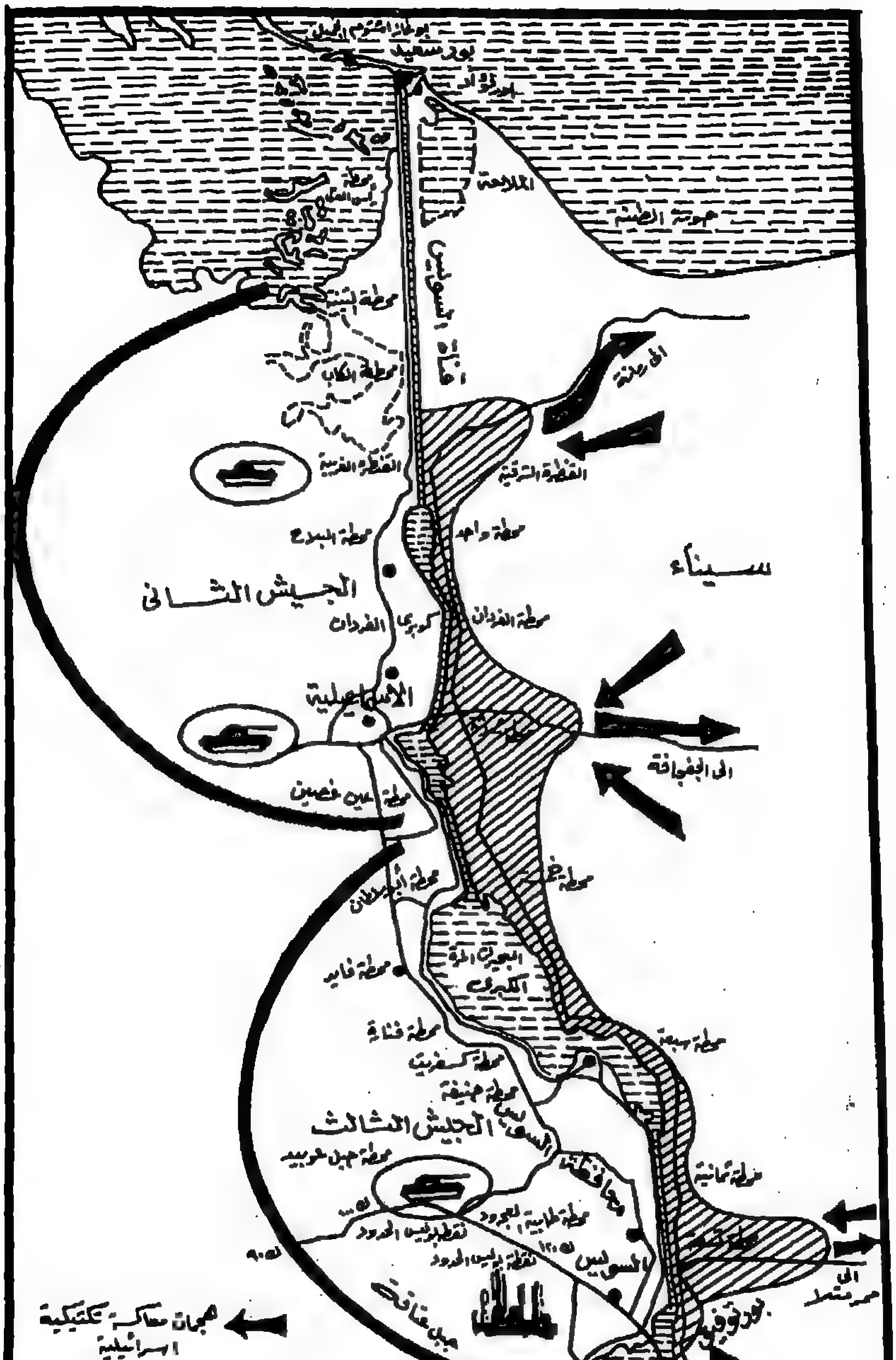
بدأت المرحلة الرابعة فى ١٣ اكتوبر ١٩٧٣ عندما عززت رءوس الجسور مواقعها وعبرت إلى الضفة الشرقية قوات مدرعة ، ومشاة ميكانيكية ومدفعية بحجم هجومى قادر على التغلغل فى عمق سيناء ، وتحولت رءوس الجسور إلى جيوب واسعة فى المناطق الواقعة ، شرق القنطرة ، وشرق الاسماعيلية ، وشرق الشط ويعتبر الجيب الأول قاعدة للانطلاق على المحور الشمالى - قنطرة شرق - العريش - ويعتبر الجيب الثانى قاعدة للانطلاق على المحور الأوسط الاسماعيلية - جفجافة - أبو عجيلة . ويعتبر الجيب الثالث



شكل رقم (١٦) المرحلة الثالثة : توسيع رؤوس الجسور وصد الهجمات المعاكسة

المصدر : دار الصياد – مصدر سبق ذكره – ص ٩٦

مرحلة الحفاظ على الجسور العائمة عبر القناة



شكل رقم (١٧)
المرحلة الثالثة

المرحلة الرابعة : مرحلة التقدم باتجاه الشرق – المصدر : دار الصياد – والمصدر السابق ص ٩٧

قاعدة للانطلاق على المحور الجنوبى الشط – ممر متلا – صدر الحيطان والذى يتفرع بعد ذلك إلى محورين يتجه أحدهما نحو القسيمة كما يتجه الآخر إلى الكونتلا وإلى إيلات .

وتتميز هذه المرحلة بتقدم المصريين نحو الشرق بحذر وثقة دون التورط بالابتعاد عن مدى حماية الصواريخ المضادة للطائرات ، ودون إطالة المواصلات بشكل يخلق لها معضلات إدارية حادة . وتتقدم القوات المصرية مستخدمة أسلوب الهجوم الدفاعى المتمثل بالتقدم بحجم هجومى ، وتحصين الأرض المستولى عليها بشكل يجتذب هجمات العدو المعاكسة ويدمرها ،دون أن يسعى إلى مطاردتها أو يخضع لإغراءات التقدم السريع العميق الذى يعرضه لأخطار الطيران فى أرض مكشوفة جرداء . وما أن يتم تحصين المناطق المحتلة حتى تتقدم القوات وثبة أخرى تحتل بها مناطق جديدة وتدمر قوات جديدة للعدو . مقابل هذا التكتيك استعملت القوات الإسرائيلية أسلوب « الدفاع الهجومى » المبنى على الهجمات المعاكسة المستمرة النشطة ، مع محاولة لإخراج الخصم عن خطته واستدراجه إلى مجابهة من نوع آخر . ولقد جرت معارك هذه المرحلة فى المنطقة المحصورة بين المرتفعات ورؤوس الجسور . وهى منطقة واسعة منبسطة صالحة لقتال القطعات المدرعة الكبيرة . وتمكن المصريون من استنزاف القوات الإسرائيلية الاحتياطية قبل اقتحام المرتفعات والممرات . على حين حاول الاسرائيليون فيها منع تقدم المصريين ، وتقليص رؤوس جسورهم والجيوب التى خلقوها ، أو إجبارهم على الوقوف فى هذه الجيوب ريثما تصل الإمدادات الأمريكية المنتظرة . وتمتاز خطة المصريين بأنها تؤمن الحشد والحفاظ على القوى وإجبار العدو على القتال على الأرض التى يختارونها ، ويرون أنها تقدم لهم أفضل الشروط . فقد قاتلوا غرب المرتفعات على أرض قريبة من قواعد إمدادهم وتموينهم هذا فضلا عن وسائل الحماية من قواعد الصواريخ التى شلت تماما هجمات القوات الجوية الإسرائيلية .

اتضح مما سبق أن الهجوم المصرى تمكن من تدمير تحصينات خط بارليف ، كما نجح فى امتصاص كل الهجمات الاسرائيلية المضادة ، وشل فاعلية الطيران الإسرائيلى المتفوق . فاستمر هذا الوضع إلى يوم ١٩٧٣/١٠/١٦ حيث بدأ العدو الإسرائيلى يتبع أسلوبه الأصيل فى القتال الذى تعود عليه طيلة ربع القرن الماضى وهو الهجوم غير المباشر فعندما فشلت هجماته المضادة على القوات المصرية المتقدمة أخذ يبحث عن نقطة الضعف فى خط تقدم القوات المصرية ليستغلها لصالحه مخترقا هذه النقطة ومتدفقا عبرها

بقوات ضخمة كى يتكمن من الالتفاف خلف خطوط الجيش الثانى والثالث وتدمير قواعد الصواريخ المضادة للطائرات التى تحقق حماية للقوات المتقدمة .

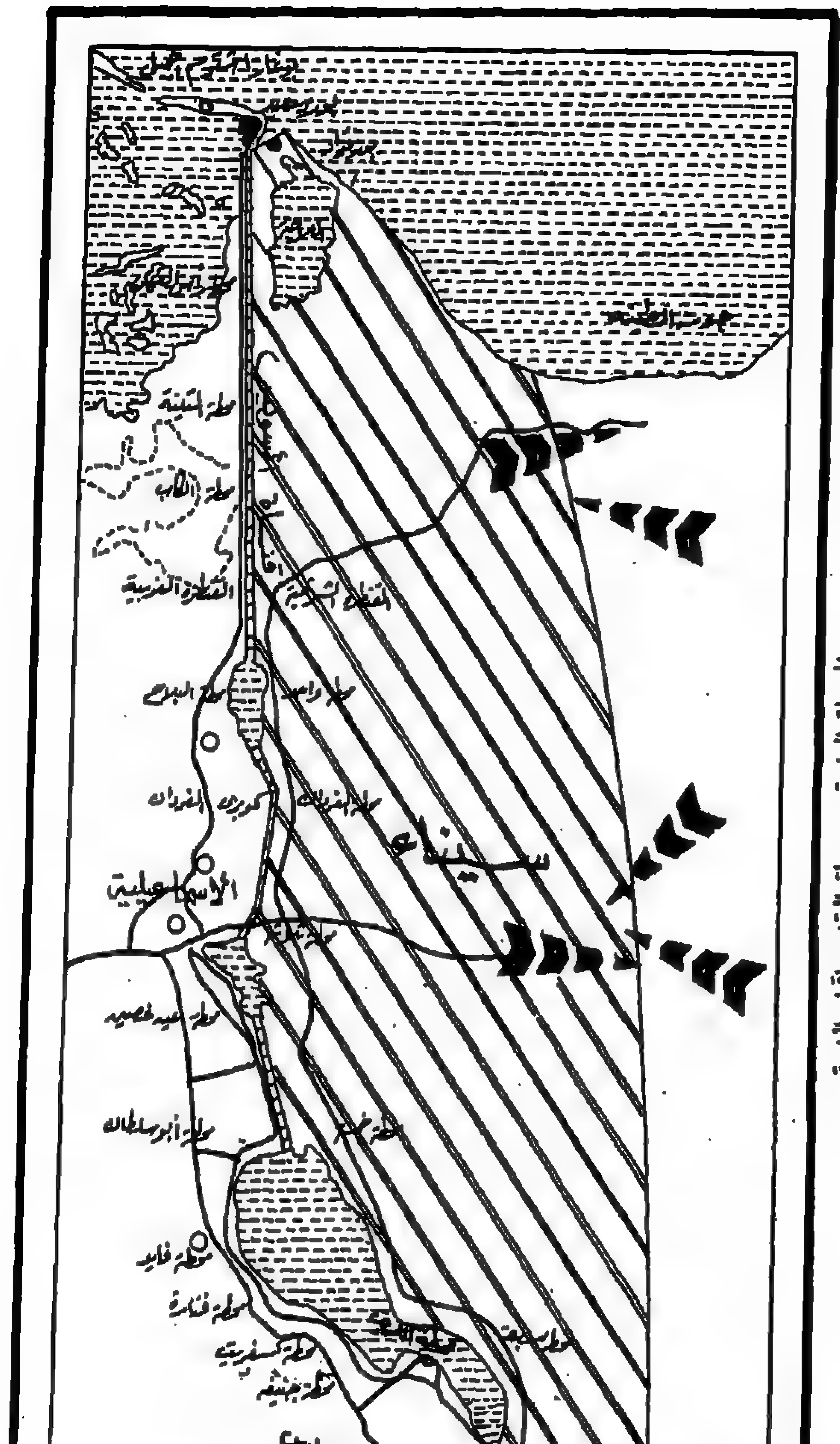
نجمل المرحلة الرابعة بأنها مرحلة وصول القوات المصرية على المحاور الثلاثة إلى عمق يتراوح بين ١٨ – ٢٠ كيلو مترا مع ترك فرجات خالية ما بين المحاور خاصة ما بين المحور الأوسط والمحور الجنوبى ، والأمر الذى ظهرت مضاعفاته فى المرحلة الخامسة . ولا يعتبر الإبقاء على فرجات خطأ عسكريا نظراً إلى أن ، القتال فى الصحراء يتم على محاور ، ولكن الخطأ فى عدم رصد هذه الفرجات جيداً أو دعمها بقوة قادرة على سدها عند الحاجة ..

« انظر الخريطة ١٨ »

٥ ــ المرحلة الخامسة : مرحلة الهجوم الاستراتيجى الإسرائيلى المعاكس

وفى يوم ١٩٧٣/١٠/١٦ انتهت المرحلة الرابعة وبدأت المرحلة الخامسة إذ بينما كانت القوات المصرية المحتشدة شرق القناة تتقدم باتجاه الشرق وتصد الهجمات المعاكسة المتتالية انطلق الهجوم المعاكس الإسرائيلى فى القطاع الأوسط ووافق هذا الهجوم قيام قوة خاصة من المدرعات البرمائية بالتسلل بين الجيبين المصريين الأوسط والجنوبى والعبور من البحيرات المرة إلى الضفة الغربية للقناة ، وخلق رأس جسر على هذه الضفة . ولقد دعم العدو هذه القوة بمدرعات ومدفعية نقلها على عبارات بالإضافة إلى وحدات محمولة جواً نقلها بالهليوكبتر . ثم أمن لها نقاط عبور جوى على القناة وبدأ تعزيزها بالمعدات القتالية الثقيلة . وكانت خطة العدو تتمثل بتدمير جيب القطاع الأوسط بهجوم برى وجوى قوى تشترك فيه قوات احتياطية كبيرة فى الوقت الذى تقوم به القوة الخاصة بتهديد طريق مواصلات هذا الجيب وجسوره ، وتدمير مرابض مدفعيته ، ومقرات قيادته ، وقوافل تموينه وإمداده ، ومن المؤكد أن المهمة الرئيسية كانت ملقاة على عائق الهجوم المعاكس البرى على الضفة الشرقية . أما القوة الخاصة فلم تكن تستهدف سوى إزعاج المؤخرة . وسرعان ما تدفقت الإمدادات العسكرية الأمريكية الضخمة بالأسلحة الحديثة لتعزيز هذا الهجوم الإسرائيلى مما مكن القوات الإسرائيلية من توسيع رقعة الأرض التى احتلتها غرب القناة وخاصة فى اتجاه المنطقة الجنوبية وحول مدينة السويس مما كانت له نتائج خطيرة على طرق الاتصال مع قوات الجيش الثالث المتقدمة . وقبل أن تحسم المعركة فى ميدان القتال تم الاتفاق بين الأطراف المتقاتلة على وقف إطلاق النار[١] .

(١) المقدم الهيثم الأيوبى وآخرون – الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة – مجلة شئون فلسطينية – العدد : ٢٧ – مركز الأبحاث – بيروت – نوفمبر ١٩٧٣ ص ٤١ – ٤٤ .



شكل رقم (١٨)

المرحلة الرابعة : مرحلة التقدم باتجاه الشرق.
المصدر : دار الصياد – مصدر سبق ذكره ص ٩٨

« انظر الخريطة شكل ١٩ »

ويمكن تقييم المرحلة الخامسة بأنها كانت تنفيذا ناجحا لعملية الخرق الذى يليه انتشار على شكل مروحة وتستهدف هذه العملية عادة إجراء التطويق رغم عدم وجود مجنبات صالحه للالتفاف . وهى فى جوهرها استراتيجية غير مباشرة تحاول ضرب المؤخرة وإجبار الخصم على القتال على جبهة معكوسة بدلا من مجابهته من الأمام .. وذلك عن طريق المفاجأة والضرب على المحور غير المتوقع وأخذ مكان يحمل فى طياته احتمالات التقدم فى عدة اتجاهات ، ثم الاندفاع فى اتجاه خط المقاومة الأضعف . ولقد حقق العدو النجاح فى هذه العملية للأسباب التالية وأهمها :

١ ــ وجود ثغرة غير مراقبة جيداً بين المحورين الأوسط والجنوبى .

٢ ــ اختيار العدو لمكان غير متوقع .

٣ ــ استغلال معدات مصرية لتنفيذ الخدعة .

٤ ــ الإعداد المسبق لهذه العملية طوال السنوات الماضية التى كان العدو مسيطراً فيها على الضفة الشرقية .

٥ ــ الاستفادة من صور طائرات التجسس والأقمار الصناعية الأمريكية التى رصدت المؤخرات الدفاعية الضعيفة للقوات المصرية .

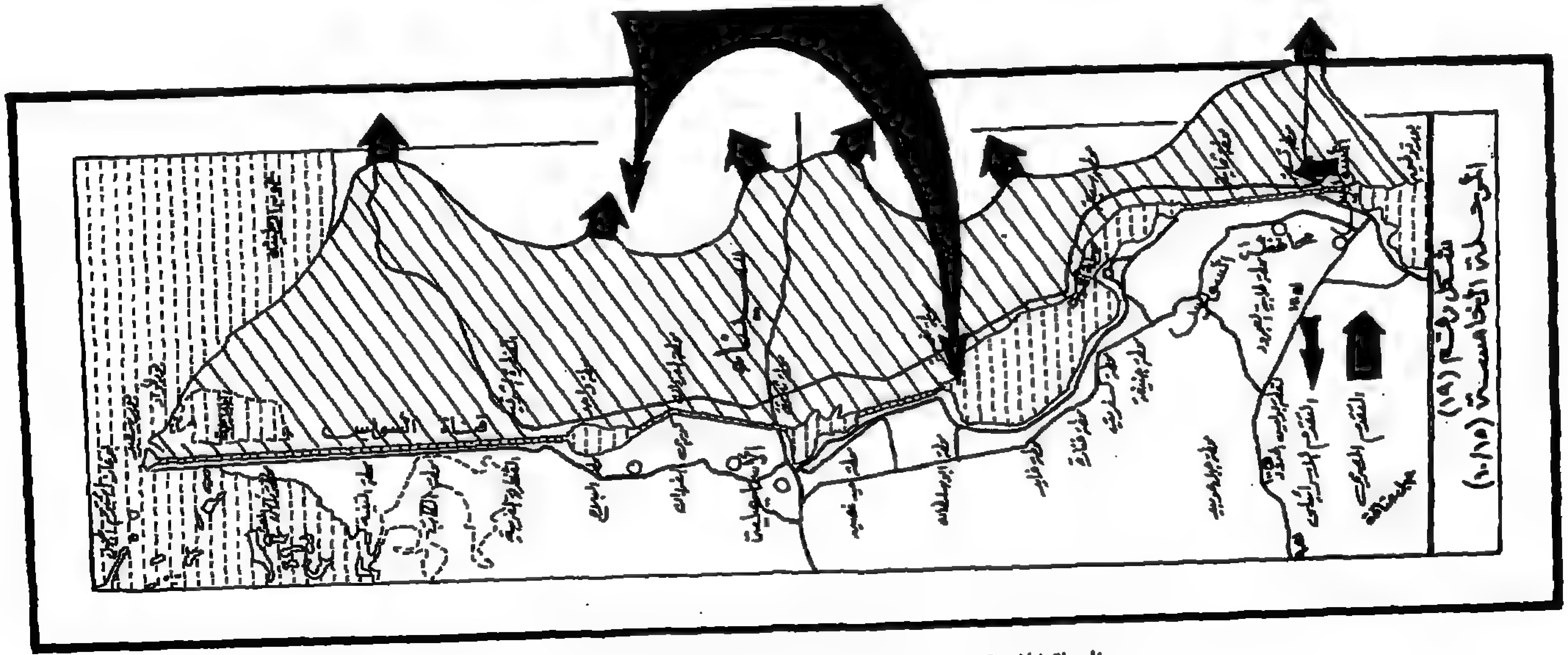
٦ ــ سرعة حركة العدو ، ومبادأته واستعداد قيادته للمغامرة لاستعادة سمعتها التى فقدتها فى سيناء والجولان .

٧ ــ بطء الهجمات المعاكسة المصرية فى يومى ١٦ و١٧ واعتمادها على النار بدلا من تركيزها على النار والصدمة العنيفة .

٨ ــ عودة سلاح الطيران الإسرائيلى إلى أجواء المعركة بعد تدمير قواعد الصواريخ أرض - جو فى مكان الخرق .

٩ ــ وصول الامدادات الأمريكية ، وخاصة الطائرات والصواريخ والقنابل التليفزيونية المتطورة .

١٠ ــ تأخر الهجوم المصرى الكبير نحو الشرق الذى كان من المفروض أن يبدأ يوم ١٢ ، ١٣ ، على أبعد تقدير ، الأمر الذى أعطى الاسرائيليون فرصة المبادرة بهجوم إجهاضى لم يخرق الجبهة فحسب بل أوقف الهجوم المصرى الكبير المنتظر نحو الممرات .



المرحلة الخامسة : مرحلة الهجوم الاستراتيجي الاسرائيلي المعاكس .
المصدر : دار الصياد - مصدر سبق ذكره - ص ٩٨ .

لقد استطاع الإسرائيليون فى المرحلة الخامسة أن يغرسوا اسفينا لا يستهان به وكان هذا العمل أول تحول أساسى فى اتجاه العمليات العسكرية على الجبهة المصرية . والتحول الثانى استغلال العدو وقف القتال واتجاهه نحو طريق السويس القاهرة(*) .

« انظر الخريطة شكل ٢٠ »

وبنهاية الحرب كانت مصر قد حررت من الضفة الشرقية للقناة منطقة تمتد على طول خط المواجهة من رأس مسلة على الشاطىء الشرقى لخليج السويس حتى بور فؤاد بطول ٢٠٠ كيلو متر وبعمق يتروح بين ١٢ - ١٧ كيلو متر شرقا بما فيها مدينة القنطرة شرق .

ثانيا - المعارك على الجبهة الشمالية :

يمكن تقسيم العمليات التى دارت على هذه الجبهة منذ بدء القتال حتى وقف إطلاق النار إلى ثلاثة مراحل أساسية هى :

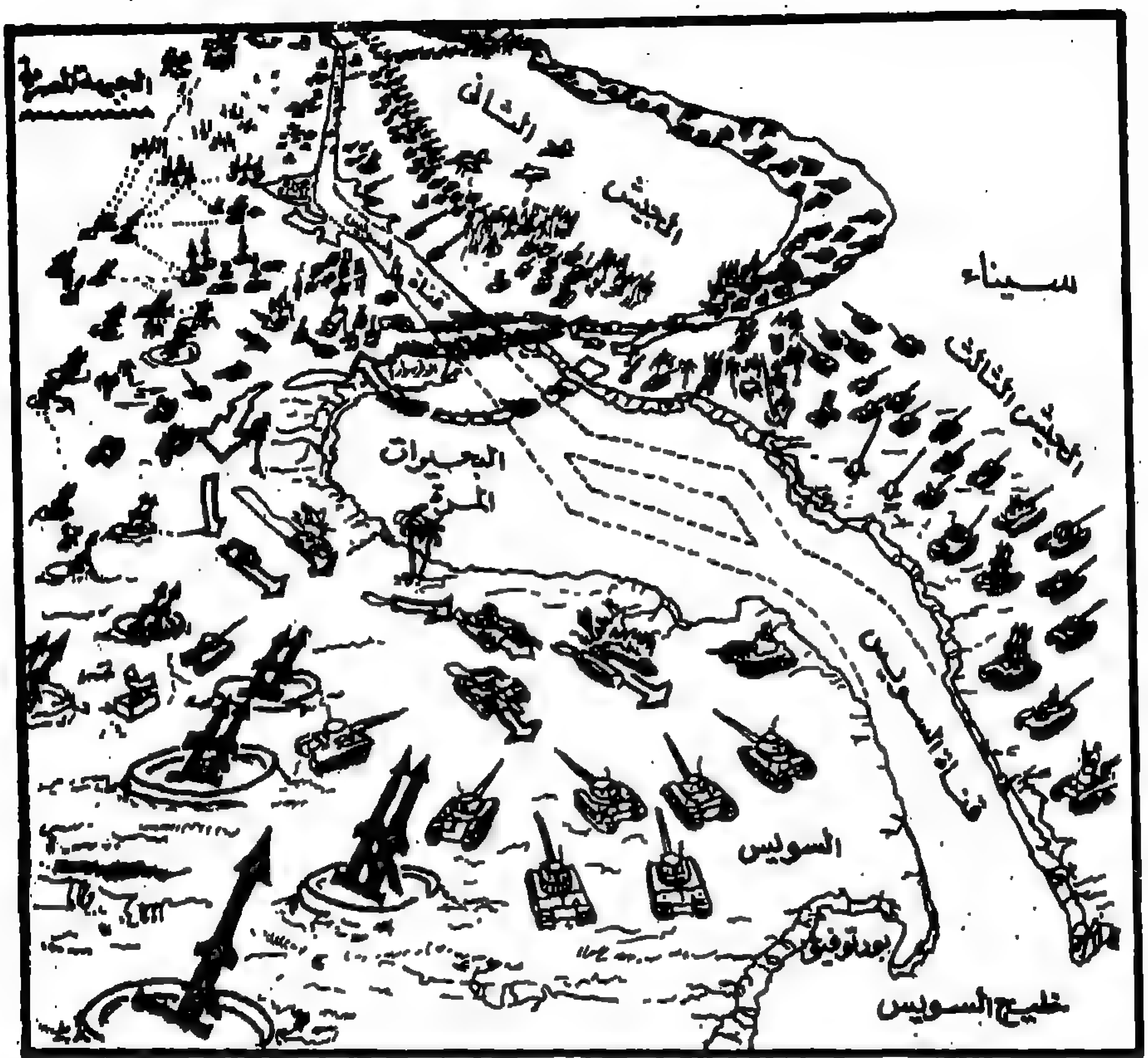
١ ـــ مرحلة الهجوم السورى .
٢ ـــ مرحلة الهجوم المعاكس المعادى .
٣ ـــ توازن الجبهة .

١ - المرحلة الأولى : مرحلة الهجوم السورى :

بدأت هذه المرحلة فى يوم ١٩٧٣/١٠/٦ باندفاع القوات السورية والمغربية ، وقوات جيش التحرير الفلسطينى ، من قواعد انطلاقها فى شرق الجولان والمنطقة الغربية من حوران وتقدمت هذه القوات نحو مواقع العدو على طول خط وقف إطلاق النار

(*) « وقد كان من الممكن استعادة الأراضى المحتلة لو كانت هناك قيادة عليا أكثر حيوية وخيالا وتحرك أكبر فى الوحدات الأساسية وانتشار أكثر سرعة ومرونة للصواريخ المضادة للطائرات واستخدام حاذق لغطاء الصواريخ المضادة للدبابات ضد الهجمات الاسرائيلية المضادة » .

« انظر : الجنرال . ا . ميرجلين - الندوة الدولية اكتوبر سنة ١٩٧٣ من ٢٧ - ٣١ اكتوبر سنة ١٩٧٥ - المجلد الأول - إدارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة - القاهرة - سنة ١٩٧٦ - ص ١٣٠ » .



شكل رقم (٣٠)

الإختراق الاسرائيلي عند البحيرات المرة

(ثغرة الدفرسوار)

المصدر : دار الصياد - المصدر السابق - ص ٩٩

تحت غطاء من نيران المدفعية والصواريخ والطيران . وتحققت المفاجأة كاملة بالنسبة للعدو بفضل العوامل الاستراتيجية والنفسية وساعة بدء الهجوم . وقد اجتاحت القوات المتقدمة ما يعرف بخط آلون (*) على الجبهة السورية واسترداد موقع جبل الشيخ منذ اليوم الأول للقتال . ولقد تركز الهجوم السورى على ثلاثة محاور :

أولا - المحور الأوسط :

وهو المحور الرئيسى وقد حققت القوات السورية خرقين أساسيين يتجه أولهما على محور خان أرينبة - الحميدية - طريق القنيطرة - مسعدة ويطوق القنيطرة من الشمال . والثانى يكمل الطوق حول القنيطرة من الجنوب . وكانت غاية هذا الهجوم محاصرة القوات المعادية الموجودة فى القنيطرة وتدميرها والتحرك بعد ذلك غربا على محورين . القنيطرة - واسط قنبعة ، والقنيطرة - كفر نفاخ - صنابر . ولقد رافق هذه العمليات إنزال قوات محمولة بالهليوكبتر على التلال المجاورة للقنيطرة ، وتطهير هذه التلال بالقنابل اليدوية والسلاح الأبيض .

ثانيا - المحور الشمالى :

وهو محور ثانوى يخرق هضبة الجولان باتجاه مجدل شمس - مسعده بانياس . وكان من المنتظر تحرك جزء من هذا المحور نحو الجنوب على طريق مسعده - واسط (العرضانى) لمشاركة قوات القطاع الأوسط المنطلقة باتجاه الشمال لتطويق قوات العدو الموجودة بين طريق مسعده - واسط (العرضانى) وخط وقف إطلاق النار . ولقد اشتركت القوات البرية مدرعات مشاة ميكانيكية ، مهندسون ، صواريخ مضادة للدبابات فى التقدم ، وحققت الخرق فى الساعة الأولى واندفعت لتطهير المواقع والخنادق والتغلغل فى عمق الدفاع .

(*) خط آلون : « عبارة عن خندق يبلغ طوله نحو « ٧٩ كم » زرعت الألغام أمامه من الجهة المقاتلة للقوات السورية . وخلفه حاجز ترابى ، ثم حقل آخر للألغام تليه تحصينات من الأسمنت المسلح قادرة على مقاومة القذائف والنيران .. وقد عبرت القوات السورية هذا الخط فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ » انظر كتاب الهلاك الذهبى - مصدر سبق ذكره - ص ٤٧٠ - ٤٧١ » .

ثالثا – المحور الجنوبى :

وهو محور ثانوى يخرق الجبهة عند الرفيد وينقسم إلى فرعين : فرع يتجه شمالا على محور الرفيد – تل فرس – الفرارة – القنيطرة – لتطويق القوات المحصورة بين الخط الأمامى وطريق الرفيد – القنيطرة – وفرع يتجه نحو الجنوب الغربى على طريق الرفيد – الجوخدار – فيق – كفر حارب – الحمة – بالإضافة إلى ضربة تتجه من تسيل باتجاه طريق الرفيد – فيق لقطع مواصلات قوات العدو فى الجوخدار . ولقد حققت هذه الهجمات نجاحاً واضحاً فى الأيام الأربعة الأولى وفرقت دفاعات العدو واندفعت فى العمق محررة أجزاء كبيرة من الجولان . وبدأ فى نهاية هذه المرحلة أن دفاعات العدو قد سقطت وأن مدينة القنيطرة غدت بيد القوات السورية .

ولقد حققت الهجمات على المحاور الثلاثة أهدافها ، وحررت أجزاء كبيرة من أراضى الجولان . وبدأ فى نهاية هذه المرحلة التى استمرت لمدة أربعة أيام أن الجزء الأكبر من هضبة الجولان قد تحرر . ولقد فشل الطيران الإسرائيلى فى إيقاف الهجوم السورى ، كما عجزت الهجمات المعاكسة التكتيكية المدرعة عن استعادة المواقع التى سقطت بيد القوات السورية .

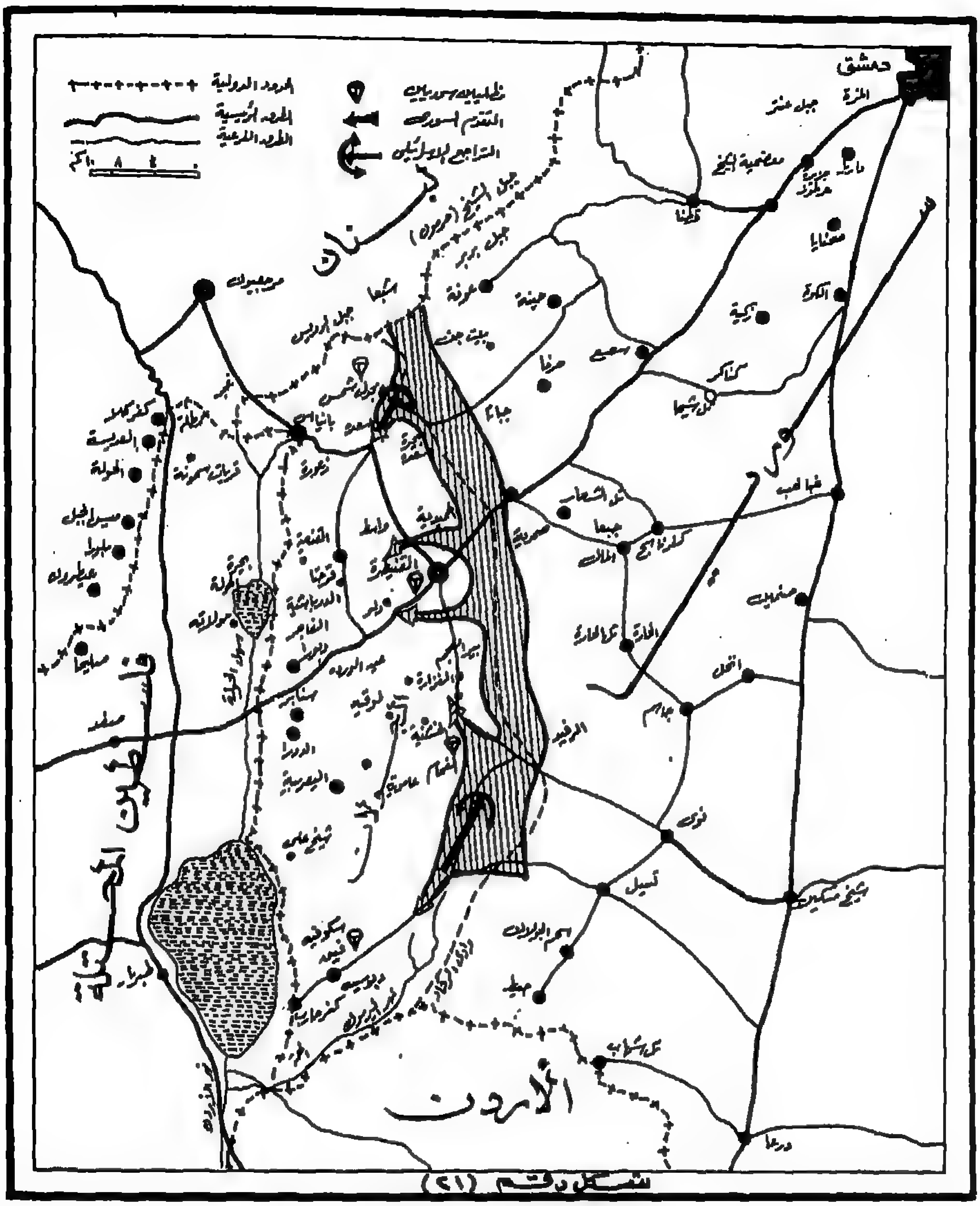
« انظر الخريطة شكل ٢١ »

٢ ــ المرحلة الثانية : مرحلة الهجوم المعاكس المعادى :

وفى اليوم الخامس للقتال (١٩٧٣/١٠/١٠) أنهى العدو جمع احتياطيه المدرع الاستراتيجى ودفع بقوات احتياطية كبيرة : مدرعات ، مشاة ، مدفعية وصواريخ مضادة للدبابات ، نحو الجبهة السورية . وركز ثقل قواته الجوية على الجبهة السورية . بذلك انتهت المرحلة الأولى وبدأت مرحلة الهجوم المعاكس . وكانت خطة العدو تعتمد على النقاط الآتية :

(ا) محاولة استعادة السيطرة الجوية مهما كلف ذلك من خسائر بالطائرات وذلك عن طريق قصف المطارات وتدمير قواعد الصواريخ أرض – جو ، وبطاريات المدفعية المضادة ، ومراكز الرادار ، ومجابهة الطائرات فى الجو .

(ب) القيام بقصف جوى وبحرى ضد أهداف استراتيجية ومنشآت حيوية مدنية ، وتهديد المناطق السكنية لتشتيت انتباه القيادة السورية ، والتأثير بشكل غير مباشر على معنويات المقاتلين .



شكل رقم (٢١)

المرحلة الأولى : الهجوم السورى على إسرائيل .
المصدر : دار الصياد - المصدر السابق - ص ١٠٤

(جـ) القيام بعمليات تشتيتية بحرية على الساحل السورى ، وخلق احتمالات انزال بحرى لإجبار القيادة السورية على سحب جزء من قواتها الاحتياطية وتجميدها لمجابهة احتمالات الخطر الذى يمكن أن يأتى من البحر .

(د) شن هجوم معاكس استراتيجى على طول الجبهة السورية قبل وصول كل القوات العراقية ، البرية والجوية وانتشارها وأخذ مواقعها القتالية على مسرح العمليات

شهدت المرحلة الثانية وصول القوات العراقية إلى الجبهة السورية واشتراكها فى المعركة . وكان لوصولها أثر كبير على ميزان القوى لأنها كانت تتألف من فرقة مدرعة . وفرقة ميكانيكية عملت بالتعاون مع الفرقة الرابعة المدرعة السورية وبالتعاون مع الطيران السورى والعراقى (*) لتدعيم الدفاع والاشتراك فى الهجمات المعاكسة(١) .

(*) « تميزت الأعمال القتالية للقوات الجوية العراقية فى حرب تشرين بالنشاط والفاعلية كما أنها الوحدات المقاتلة الوحيدة من الجيش العراقى التى كان لها شرف الاشتراك فى القتال على الجبهتين المصرية والسورية أثناء العمليات وفى سماء سيناء وفى سماء الجولان شارك الطيارون العراقيون ببسالة فى أبرز الصور المشرفة للمقاتل العربى والتى تبلورت بوضوح خلال حرب تشرين .. وكانت الظروف التى حاربت فيها القوات الجوية العراقية على الجبهة السورية دقيقة ، وصعبة فالقوات الجوية العراقية لم تكن مرابطة على الجبهة السورية ، إنما تحركت مع خيوط الضوء الأول فجر يوم ٧ أكتوبر سنة ١٩٧٣ إلى الجبهة السورية ، بعد صدور قرار القيادة العراقية بالاشتراك فى القتال .. وصدر قرار بوضع الجيش العراقى كله تحت امرة القيادتين المصرية والسورية .. وهكذا اندفعت طائرات « الميج ٢١ » و « سيخوى ٧ » يوم ٧ اكتوبر واشتركت نفس اليوم فى القتال ، وتميزت أعمال القوات الجوية العراقية باشتراك عدد كبير من الطائرات المقاتلة وطائرات الإسناد ، وتعدد الواجبات القتالية المكلفة بها ، حيث تضمنت : إسناد القطعات الأرضية – مظلات جوية لحماية المطارات والمناطق الحيوية التصدى للطيران الصهيونى والاشتباك معه – الاستطلاع البصرى – حماية الطائرات المقاتلة القاصفة – إسناد الوحدات البرية المقاتلة .

ويتضح من هذا حجم المهام الضخمة التى كلفت بها الطائرات العراقية المقاتلة على الجبهة السورية ، ويرجع هذا إلى العدد الكبير من الطائرات « العراقية » المشتركة فى القتال ، وإلى الأوضاع الصعبة التى كانت تمر بها الجبهة السورية ، لقد دفعت القيادة العراقية بطائرات السلاح الجوى العراقى لدرجة أنه لم يبق فى العراق كله إلا بعض الطائرات لأغراض الحراسة والتصدى لأية محاولة يقوم بها « العدو » للهجوم على الأراضى العراقية عن طريق الأراضى الأردنية والسعودية ، حيث يوجد لدى الكيان الصهيونى طائرات بعيدة المدى يمكنها سلوك هذا الطريق . وطوال أيام القتال استمرت طائرات الإسناد من طراز « سيخوى ٧ » فى ضرب الارتال المعادية والدبابات الصهيونية المتقدمة ، وكانت بسالة الطيارين العراقيين الذين اشتركوا جنبا إلى جنب مع الطائرات السورية أحد العوامل الحاسمة . الأساسية فى وقف الهجوم الصهيونى والذى كان يهدف بالدرجة الأولى إلى تطويق دمشق ..

« انظر : كتاب الهلال الذهبى – القاهرة سنة ١٩٧٧ – ص ١٦٤ – ١٦٧ » .

(١) لمعرفة دور الجيش العراقى مفصلا انظر : كتاب المركز العربى للدراسات الاستراتيجية – دور الجيش العراقى فى حرب تشرين ١٩٧٣ – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – الطبعة الأولى – بيروت سنة ١٩٧٥ .

كانت معارك يوم ١٩٧٣/١٠/١١ تشرين الأول من أعنف معارك الهجوم المعاكس الاستراتيجي المعادى ، الذى اشترك فيه الطيران والاحتياط الاستراتيجي ولقد حقق هذا الهجوم عددا من النجاحات على المحاور الثلاثة . وأجبر القوات السورية على التراجع باتجاه الشرق . وترجع هذه النجاحات إلى عدم قيام السوريين بتحصين جيد للمواقع التى استولوا عليها خلال المرحلة الأولى ، وتقدم قواتهم إلى مدى أبعد من مدى الحماية الجوية التى تؤمنها لهم قواعد الصواريخ أرض – جو (المحدود نسبيا) نظرا لتوغل الوحدات المدرعة بعمق خلال مطاردة فلول العدو . وكان جهد العدو الرئيسى مركزا على المحورين الشمالى والأوسط نظراً لأنهما ينفتحان على الطرق المؤدية إلى دمشق . وكان الاسرائيليون يحاولون التظاهر بتهديد دمشق ذاتها وذلك لخلق نوع من الارتباك فى القيادة السورية والتأثير النفسى بين الجماهير مما يؤدى إلى التأثير على الجبهة الداخلية ، وفى نهاية يوم ١٩٧٣/١٠/١١ بدأ بوضوح أن العدو قد نجح على القطاع الشمالى أكثر من أى مكان آخر ، وأنه ينوى استثمار هذا النجاح المحلى فى اليوم التالى وبالفعل حاولت تحشدات العدو المدرعة المدعومة بالطيران تركيز جهدها فى اليومين التاليين على المحور الشمالى لاستغلال الخرق ومتابعة التقدم . ولقد أبلت القوات المدرعة السورية . والقوات المدرعة العراقية . وخاصة اللواء المدرع الثانى عشر العراقى بلاء حسنا خلال هذين اليومين(١) . وكان الاسرائيليون قد اعتقدوا بعد صد الهجوم السورى والتقدم فى

---

(١) الحقيقة التى لابد من الإشارة إليها لتحديد الدور القومى الفعال للجيش العراقى فى هذه الحروب أنه لم توضع أمامه الخطط الاستراتيجية قبل بدء المعارك حتى يتمكن من القيام بدوره الطبيعى ، وعلى الرغم من أنه قام بصد موجات الهجمات الإسرائيلية الشرسة التى كانت تهدف إلى تحطيم القوات العربية على الجبهة الشمالية ، لكنه أجبر على اتخاذ موقف الدفاع دون أن يمكن منذ البداية من اتخاذ موقف الهجوم مما كان سيؤدى إلى اختلال التوازن العسكرى فى الجبهة الشمالية لصالح القوات العربية لاوبل تهديد المراكز الهامة فى شمال اسرائيل ووسطها .

وحتى لا يتكرر ذلك لابد من أن تكون هناك استراتيجية عربية واحدة تستفيد من الامكانيات المتاحة خاصة على الجبهة الشمالية والشرقية حيث تؤكد حقائق التاريخ أن القوة القادرة على تحقيق الأهداف القومية تفرض وجود مثل هذه الاستراتيجية .

وقد ألمح بن جوريون إلى ذلك فى مقدمة الكتاب السنوى لحكومة إسرائيل لسنة ١٩٥٢ : انظر : وما بعدها .

« The Israel Government yearbook, 1952. Publication, I. t. d. p. 2.

إلى أن ظهور قوة سياسية وعسكرية فى الشرق العربى تهدد أمن ووجود إسرائيل ذاته . ولذلك يجب ألا تسمح إسرائيل بقيام مثل هذه القوة بأى ثمن إذا كانت تريد البقاء لأن الخطر الحقيقى يأتى من الشرق . فبن جوريون استنطق التاريخ البعيد ودرسه وحلله واستقصى الحوادث مستشهدا بظهور الدولة الآشورية فيما بين النهرين حيث بدأت جيوشها بالزحف على مملكة إسرائيل فى شمال فلسطين عام ٧٢١ قبل الميلاد على يد سرجون الثانى وقضى عليها =

القطاعين الأوسط والشمالى وتجاوز خط وقف إطلاق النار أنهم سينتقلون بعد الخرق إلى حرب الحركة التى تبنوا عقيدتها وطبقوها بنجاح فى أواخر حرب ١٩٥٦ و ١٩٦٧ . ولكن اعتقادهم كان مبنيا على فهم خاطىء لحقائق الحرب الرابعة وموازين قواها على المعركة . فلقد جابهم دفاع قوى عززه قدوم قطعات عراقية . وكان الدفاع السورى مبنيا على صفحة لا على خط ، أى ليس دفاع خنادق وإنما اتساع أرض لمسافة بعيدة وهذا يعنى أن خرق الموضع الأمامى لا يقدم إمكانية الاندفاع فى أرض خالية من الدفاعات كما أن موازين القوى وضخامة الحشد العربى يعنى أن التقدم سيصطدم بقوات احتياطية مجهزة لشن الهجمات المعاكسة على جميع المستويات . بالإضافة إلى عامل هام هو عدم قدرة الطيران الإسرائيلى على تحقيق السيطرة الجوية التى تعطيه تفوقا بريا ساحقا ، واضطرار القوات المتقدمة إلى العمل على أرض وعرة صخرية محدوة المسالك لا تسمح بالمناورة الآلية ، ولا تعطى القوات المدرعة والميكانيكية فرصا جيدة لاستغلال إمكانياتها الحركية . واصطدام الهجوم الإسرائيلى بالفعل بدفاعات قوية ، ورمايات مدفعية وصواريخ كثيفة ، ولم يستطع الطيران تأمين الدعم الجوى اللازم للتقدم ، كما لم يستطع الطيران تأمين الدعم الجوى اللازم للتقدم ، كما لم يستطع إسكات بطاريات المدفعية التى نصبت أمام العدو سدوداً نارية قوية ، وطبقت القوات السورية والعراقية أساليب الدفاع الديناميكى وشنت هجمات معاكسة شديدة كسرت حدة الهجمات المعاضدية وأوقفتها على جميع المحاور ، وأجبرتها على التراجع عن بعض المواقع التى احتلتها فى القطاعين الشمالى والأوسط وفى ١٤/ ١٠/ ١٩٧٣ توقفت الآلة الإسرائيلية عن التقدم وانتهت المرحلة الثانية . وتوازن قوى الطرفين المتجابهين ، ولم تعد دمشق مهددة بأى خطر . ولم يعد لدى الإسرائيليين أى أمل بتحقيق مفاجأة استراتيجية حاسمة[1] .

= وأسر ٢٠ ألف يهودى . ثم أعقبتها جيوش الدولة البابلية بقيادة ملكها نبو خذ نصر حيث قضى على مملكة يهوذا فى جنوب فلسطين وذلك فى عام ٥٩٧ قبل الميلاد وهو السبى البابلى الأول ثم السبى البابلى الثانى فى عام ٥٨٧ قبل الميلاد ودمر الهيكل وسبى ٥٠ ألف يهودى إلى بابل وهو السبى البابلى المشهور .

إذن قادة إسرائيل درسوا التاريخ دراسة مستفيضة فعرفوا مصدر الخطر والقوة الحقيقية التى تهدد وجودهم فعالجوها بأسلوبهم وطريقتهم الخاصة . وهذا يحتاج إلى دراسة مستقلة عن الاستراتيجية العربية بمختلف أبعادها .

(١) المقدم الهيثم الأيوبى وآخرون – الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة – مجلة شؤون فلسطينية – العدد ٢٧ –: منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث – بيروت – سنة ١٩٧٣ – ص ٣٩ – ٤٠ .

٣ ــ المرحلة الثالثة : مرحلة توازن الجبهة :

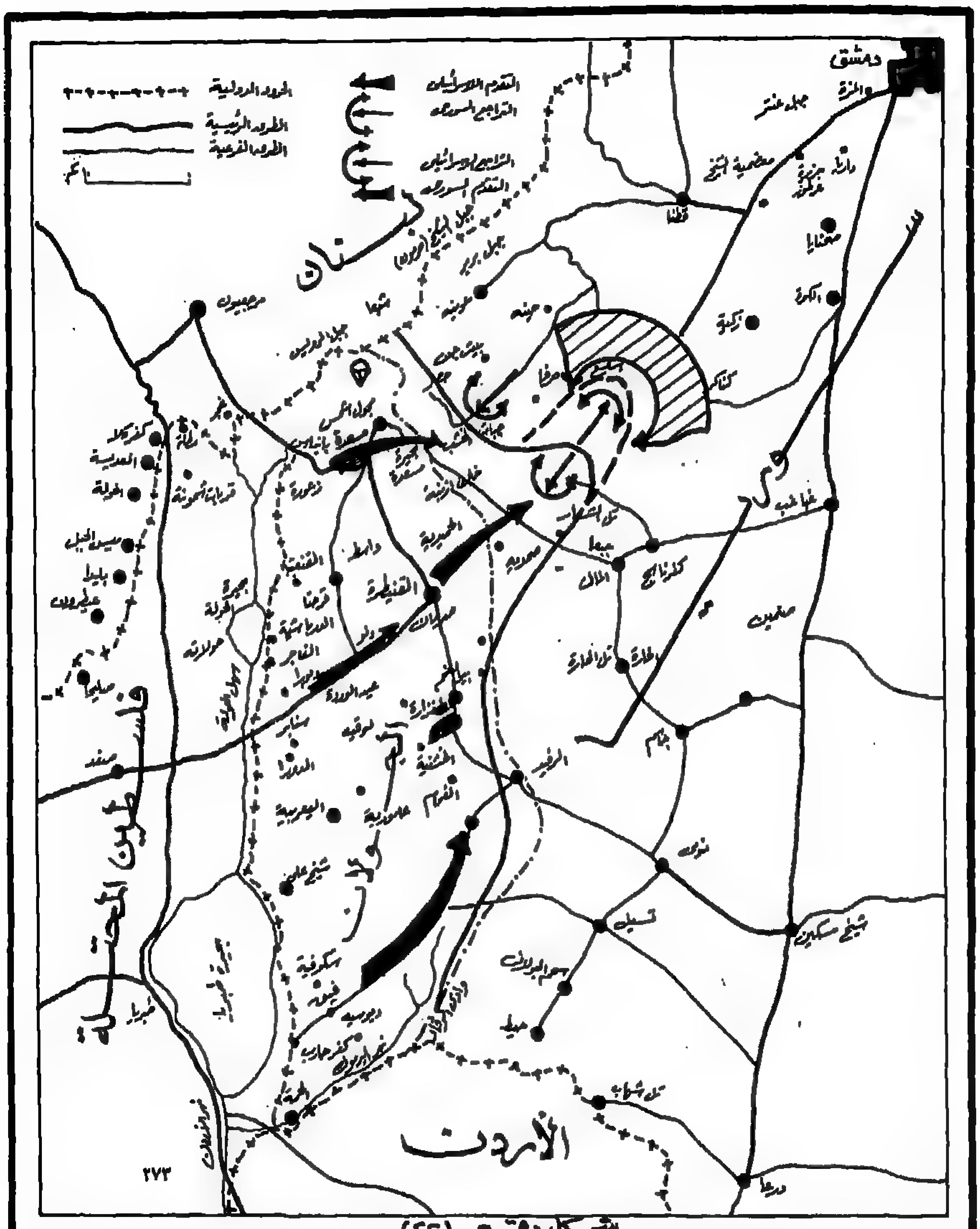
لم يكن خط الجبهة فى المرحلة الثالثة منطبقا على خط وقف إطلاق النار لعام ١٩٦٧ . بل كانت قوات الطرفين تقف على خط متعرج متشابك . ويرجع ذلك إلى أن الهجمات السورية الأولى حققت النجاح فى مختلف القطاعات . ثم جاءت الهجمات الإسرائيلية المعاكسة لتحقيق بعض النجاح على القطاعين الشمالى والأوسط . وشن السوريون – والعراقيون بعد ذلك هجمات معاكسة ردت الاسرائيليين وانتزعت منهم بعض الأراضى . ولقد تجمد الموقف على هذا الخط المتعرج طوال المرحلة الثالثة وخاصة بعد أن نقل الإسرائيليون جهدهم الجوى نحو الجبهة الجنوبية لتحقيق خرق الدفرسوار . وكانت المعارك خلال هذه المرحلة محدودة ذات أهداف تكتيكية ، وكان كل طرف من الطرفين يحاول تحسين وضعه عن طريق احتلال مرتفع ، أو طرد قوة معادية من مكان حاسم ، أو خط يصلح للدفاع أو الانتشار . وجرت خلال هذه المرحلة مبارزات بين بطاريات الصواريخ ومدفعية الميدان . ومبارزات بين مواقع الدبابات دون أن تقوم هذه الدبابات بحركات واسعة . وتحول القتال إلى حرب استنزاف برية وجوية تبادل فيها الطرفان ضربات متعاقبة محدودة . وكان السوريون والعراقيون يحشدون المزيد من القوى ويراهنون على تحقيق التفوق للبدء بهجوم واسع جديد . ووسط الاستعداد للهجوم جاء قرار وقف القتال الذى فاجأ السوريون والعراقيون معا .

« انظر الخريطة شكل ٢٢ »

« ويمكن إيجاز العمليات العسكرية على الجبهة السورية بأنها كانت ضربة سورية إجهاضية لمنع التحشدات الإسرائيلية من شن العدوان ، تلتها هجمة معاكسة معادية حاولت استثمار النجاحات الأولية وتطويرها إلى مطاردة بالعمق ولكنها اصطدمت بدفاع قوى وهجمات معاكسة شرسة استنزفت قواها وحدت من اندفاعها وأجبرتها على الوقوف حيث بدأت مرحلة « تناطح الأكباش » بين قوتين متوازيتين . ولقد لعبت القوات السورية بمساعدة قوات جيش التحرير الفلسطينى والقوة المغربية دورها كاملا فى المرحلة الأولى ، ثم انضمت إليها القوات العراقية فى المرحلتين الثانية والثالثة وقامت بدورها بشكل مشرف . أما الوحدات الأردنية والسعودية التى التحقت بالجبهة السورية وتمركزت على القطاع الجنوبى ، فقد كان اشتراكها فى العمليات محدوداً نظراً لوجودها فى الانساق الاحتياطية لمحور ثانوى[١] .

---

(١) دار الصياد – مصدر سبق ذكره – ص ١٢٧ .



شكل رقم (٢٢)

المرحلة الثالثة : المرحلة النهائية وتوازن الجبهة – المصدر دار الصياد – المصدر السابق ص ١٠٥

وبتوقف إطلاق النار تنتهى مرحلة ساخنة من مراحل حوار الإرادات بين العرب وإسرائيل . إنها الحرب الرابعة . حرب العرب . ولقد أرادها العدو حربا خاطفة يدمر فيها الجيوش العربية خلال أيام ويجرد العرب من درعهم ويفرض عليهم الركوع فى ظل السلم الإسرائيلى » وأرادها العرب حربا طويلة تستنزف العدو ماديا ومعنويا حتى تحطم قواه العسكرية وتخضعه لإرادتها السياسية وتحرر الأرض العربية وتعيد الحق لأصحابه الشرعيين ، بيد أن حساسية المنطقة وضخامة المصالح العالمية فيها ، وخطورة تطور الصراع جعلت الدولتين العملاقتين تتدخلان لإيقاف القتال شريطة انسحاب العدو الإسرائيلى من الأراضى التى احتلها فى حرب ١٩٦٧ . وقبلت إسرائيل قرار الأمم المتحدة المبنى على اقتراح سوفيتى - أمريكى شريطة تطبيق القرار رقم ٢٤٢ وفق تفسيرها . وقبلت مصر وسوريا وقف إطلاق النار . فإذا لم يكن فى الأمر لعبة أمريكية - إسرائيلية جديدة فإن قبول تل أبيب لهذا القرار يعنى من جملة ما يعنى خضوع إسرائيل للهدف السياسى الذى قبلته مصر من قبل ، واضطرارها لأن تنفذ والمسدس في صدغها ما لم تستطع المساعى السياسية إجبارها على تنفيذه خلال ستة أعوام .

وبهذا تتم مرحلة تصفية آثار العدوان التى تعتبرها جماهيرنا المناضلة خطوة على طريق التحرير الشامل لكامل تراب الوطن المغتصب[١] .

وقد أوجز المشير أحمد اسماعيل على وزير الحربية المصرى السابق والقائد العام للقوات المصرية والسورية النتائج العسكرية والسياسية التى حققتها الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة فى حديثه مع رئيس تحرير الأهرام فقال :

« هناك مجموعة من النتائج العسكرية أعدها كما يلى :

١ - لقد زالت خرافة الجندى الإسرائيلى بعد أن كادت تثبت فى بعض الأذهان بطريقة خطيرة ، لقد وجدناه جنديا عاديا ، درب تدريبا حسنا عزز من قدرته القتالية وهذا هو كل شيء . إلا أنه فى مقدور جندى غيره درب تدريبا حسنا يعزز قدرته القتالية أن يتصدى له وأن يهزمه .

٢ - لقد ثبت أمامى أن الجندى المصرى من أشجع الجنود وأصلبهم فى العالم ويكفيه صبره وجسارته .

---

(١) الهيثم الأيوبى - الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة - مصدر سبق ذكره - ص ٤٤ .

٣ – إن أى عمل يحسن التخطيط له علمياً ، ويحسن التدريب عليه عمليا ، قابل للنجاح بنسبة مائة فى المائة .

٤ – هناك دروس أخرى مستفادة فى نواحى فنية ولا أظنه مما يهم الناس بصفة عامة وإنما هى تهم القوات المسلحة بصفة خاصة .

أما النتائج الاستراتيجية والسياسية فهى :

١ – لقد كسرنا الجمود الذى كان يحيط بأزمة الشرق الأوسط .

٢ – لقد غيرنا صورتنا أمام العالم كله . وبعد أن كان يظننا جثة هامدة فلقد رآنا قادرين على الحركة ، قادرين على القتال ، قادرين على الانتصار ولم تتغير صورة مصر وحدها أمام العالم ولكن تغيرت صورة الأمة العربية كلها »[١] .

ففى الحرب الأخيرة أى حرب ١٩٧٣ لم تتمكن إسرائيل من تطبيق استراتيجيتها التى درجت عليها منذ قيامها ، كما تبين فيما سبق . وسبب ذلك واضح فى قيام العرب ببدء الهجوم . وقد أدى ذلك إلى ارتباكات فى القيادة الإسرائيلية انعكست على الفوضى والاضطراب التى عمت تحريك القوات إلى مسارح العمليات فضلا عن أن السلاح الرئيسى الذى كانت تعتمد عليه إسرائيل دائما فى توجيه الضربة الوقائية ، ونعنى به سلاح الطيران ، قد فقد فاعليته ولم يتمكن من القيام بواجباته القتالية حتى لحماية القوات الإسرائيلية فى ميدان المعركة[٢] .

وبعد هذا الاستعراض للنموذج المختلف من نماذج الحروب العربية الإسرائيلية والذى انتقل فيه الفعل العسكرى والسياسى أيضا إلى يد العرب مما أدى إلى تغيير جذرى فى مقومات الموقف الاستراتيجى العسكرى على الجبهتين المصرية والسورية ، كما أدى أيضا بالضرورة إلى تغيير استراتيجى فى القيادة الإسرائيلية . ويقارن بيليد بين نتائج حرب ١٩٦٧ وحرب ١٩٧٣ على ضوء التفكير الاستراتيجى الإسرائيلى فى مواجهة الحربين فيقول : « خلال حرب الأيام الستة تأكد أن العقيدة الاستراتيجية الإسرائيلية كانت

---

(١) محمد حسنين هيكل – أحاديث السلاح – مقابلة مع أحمد اسماعيل – جريدة الأهرام ١٨ نوفمبر سنة ١٩٧٣ – ص ٤ .

(٢) هشام عبد الله – بدايات تعثر العسكرية الاسرائيلية مجلة شئون فلسطينية – العدد : ٢٨ – مركز الأبحاث – بيروت كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٣ – ص ٦٨ .

سليمة الأساس وأن الحلول التى اعتمدت على صعيد التكتيك وتقنية المعركة تستجيب إلى الحاجات الاستراتيجية تماما . أى أنها تتلاءم والحرب القصيرة الحاسمة . كذلك برهنت على أن الانتصار الكامل في ميدان المعركة يتيح للدبلوماسيين الإسرائيليين إمكان الحفاظ على المكاسب مدة طويلة ، كما يتيح لهم المساومة على التنازلات التى قد يضطرون إليها . وأخيرا برهنت حرب الأيام الستة على أن الخوف من الإقدام على حرب ، دون حليف ، لا مبرر له ، بل بالعكس ، تستطيع إسرائيل دون مساعدة خارجية (....) ولأنها تتحرك وحدها أن تعتمد أسلوبا فى التصرف مستقلا تماما . إنما على المدى البعيد قد تكون هذه الحرب قد برهنت على أنه مع مضى الوقت ، ومع ظهور عوامل مميزة أخرى (كاليد العاملة غير محدودة مثلا) يستطيع بلد ما أن يشكل قوة عسكرية متقدمة جدا اعتمادا على هيكله الاجتماعى والاقتصادى والتقنى . صحيح أن الاتحاد السوفيتى – وهو مثل آخر على الظاهرة نفسها – إذا كان قد استطاع التوصل وحده إلى ذلك ، فإن العرب قد احتاجوا إلى المساعدة لكن هذا الاحتمال بالذات ، يمكن على المدى البعيد أن يكون الدرس الأكبر بالنسبة إلى نتائج حرب ١٩٧٣ »[1] .

وهكذا يتضح أن حرب ١٩٧٣ لم تكن ذات أهداف مطلقة . بمعنى تحقيق النصر الكامل والهزيمة الكاملة وإنما كانت ذات أهداف محدودة كما سبق وأن بينها وزير الحربية المصرية . وقد تساءل بهذا الشأن عبد الستار طويلة فى كتابة حرب الساعات الست قائلا : « هل كانت معركة اكتوبر حربا محدودة ؟ فأجاب الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية على ذلك قائلا : « إننا نعلم وندرك أبعاد التوازن الدولى وحساسية منطقة الشرق الأوسط وأهميتها بالنسبة للغرب والشرق . ولذلك فإن حرب اكتوبر كانت حربا محدودة تضرب نظرية الأمن الإسرائيلى فى الصميم لإدراكنا أن ذلك سيتبعه تغييرات هامة تخطو بنا نحو التحرير الكامل للأرض وفى الأمر الاستراتيجى الذى أصدرته للقائد العام للقوات المسلحة حددت له أهداف هذه الحرب المحدودة فى أربع نقاط :

١ ــ إرغام إسرائيل على الحرب فى جبهتين .

٢ ــ إلحاق خسائر بها لم تتكبد مثلها من قبل .

---

(١) الدكتور م . بيليد (ميجور جنرال) – هذه هى استراتيجية إسرائيل – مجلة الحوادث – العدد ٩٤٧ – بيروت – كانون ثانى – ١٩٧٥ ص ٣٥ ، ٤٠ .

٣ — إلزامها بالتعبئة العسكرية أطول مدة ممكنة .

٤ — إيقاظ التضامن العربى بحيث يستخدم العرب لأول مرة كافة أسلحتهم فى المعركة . وقد تحققت كل هذه الأهداف فى حرب اكتوبر . وأثبتنا للعالم فساد نظرية الأمن الإسرائيلية » . وعن سبب اختيار خطة الحرب المحدودة أجاب الرئيس قائلا : « لا تستطيع أية قيادة أن تتجاوز الظروف والامكانيات . إن الشرق الأوسط منطقة ساخنة جداً ... ومجرد تحريك مشكلته يكفى لإيقاظ العالم كله وكل خطة مسئولة يجب أن تضع فى حسابها الظروف الدولية والإمكانيات »[١] .

وهذا ما أعطى إسرائيل فرصة الوقت وأكثر ما تحتاج إليه القيادة الإسرائيلية هو الوقت وأن تتمكن من استغلاله بشكل أفضل من العرب . لقد راهنت إسرائيل طويلا على هذه النقطة وتمكنت من إحراز السبق . إلا أنه وفى ظل المتغيرات التى طرأت على الموقف يصعب التنبؤ بما سوف تتخذه القيادة الإسرائيلية من خطط استراتيجية فى المستقبل . وهذا ما يوجب الدراسة لاحتمالات الحرب الخامسة ودور الأداة العسكرية فى الصراع العربى الإسرائيلى .

إذن تتداخل العوامل المختلفة فى اتخاذ دولة ما الحرب كوسيلة لتحقيق أهدافها . وقد تبين أن إسرائيل قد اعتمدت هذا الأسلوب إلى أن استنفذت غالبية أهدافها السياسية والعسكرية ثم ما لبثت أن امتنعت عن الاستمرار فى استخدام الحرب الوقائية لتنفيذ أهدافها العسكرية المجردة لأن ذلك سوف تكون له نتائج عكسية على موقفها على المستوى الدولى . قال ايجال آلون :

« إن إسرائيل لا تنوى التوسع خلف خطوط وقف إطلاق النار — يقصد خطوط ما بعد ٥ يونيو عام ١٩٦٧ — حتى ولو كان هذا ضروريا لتحسين مركزها الاستراتيجى . فهذا أمر لا تحتمه الناحية العسكرية . كما أنه معرض للخطر من الناحية السياسية . إن مثل هذه الخطوة تكون مصداقاً للحكمة القائلة « إنك إذا احتللت المزيد

---

(١) عبد الستار طويلة — حرب الساعات الست واحتمالات الحرب الخامسة — الطبعة الثانية : الهيئة العامة للكتاب — القاهرة ١٩٧٤ ص ٤٤٣ .

فإنك لم تحتل شيئا » . وربما تؤدى إلى ضغوط متزايدة للعودة ليس فقط إلى حدود ١٩٦٧ ... بل إلى خطوط ١٩٤٩ »(١) .

وسوف يتضح أن المعلومات التى وصلت القيادة العسكرية الإسرائيلية كانت تؤكد أن مصر وسوريا تستعدان لشن هجوم عليها . ولكن القيادة السياسية عارضت القيادة العسكرية فى شن الهجوم المضاد المسبق ، لأنه لم تعد هناك أهداف سياسية مرتبطة بمثل هذا الأسلوب . يؤكد ذلك دافيد اليعازر رئيس أركان الجيش الإسرائيلى عندما طلب من رئيسة الوزراء جولدا مائير القيام بضربة إجهاض ضد القوات العربية المحتشدة على الجبهتين الشمالية والجنوبية ردت عليه قائلة « إننى أعرف كل الحجج التى فى صالح الضربة الوقائية . ولكننى ضد الحرب الوقائية . فنحن لا نعرف الآن . ماذا سيحدث غدا . ثم إننا فى حاجة إلى مساعدة أمريكا . فإذا ضربناهم أولا ، فلن نحصل على شىء . وأريد أن أؤيدك ولكنى أعرف الثمن ... ولذلك سوف اعترض على الحرب الوقائية وقلبى يقطر دما »(٢) .

هذا بالإضافة إلى أن الوضع الجيواستراتيجى الذى تمخض عن حرب عام ١٩٦٧ قد أبعد خطر أية هجمات عربية على قلب إسرائيل ومراكز التجمع السكانى فيها والتجمع الصناعى . وكما أثبتت العمليات العسكرية فى حرب ١٩٧٣ مكنها هذا الوضع من استيعاب هجومين وقعا عليها فى آن واحد من جبهتين مختلفتين فى الشمال والجنوب واستطاعت بفضل هذا الوضع الجيواستراتيجى الجديد أن تحارب ولأول مرة على جبهتين ، بل وتحتوى الهجمات التى شنت عليها .

وبناء عليه فإنها لم تجد نفسها مضطرة للقيام بما يصطلح على تسميته ضربة إجهاض . ربما يرجع ذلك لعدم قدرتها على تبرير مثل هذه الضربة فى ظل الأوضاع الدولية التى كانت سائدة . واحتمال آخر هو أنها سعت إلى الوصول لوضع من التوازن النفسى مع العرب حتى تتمكن من المساومة للحصول على أهداف سياسية إلى جانب الأهداف العسكرية والجغرافية التى حققتها فى حرب ١٩٦٧ . وما يجرى قد يفيد ذلك فهى تسعى إلى استخدام ما فى يدها من أراض للحصول على الاعتراف تدريجيا . ومن ثم تهيئة

---

(١) العسكرية الصهيونية – المجلد الأول – مصدر سابق – ص ٣٣٢ .

(٢) جريدة أخبار اليوم – العدد ١٦١٤ – القاهرة – فى ١١ – ١٠ – ١٩٧٥ ص ١٢ .

الأوضاع لإقامة علاقات طبيعية تكفل نموها الاقتصادى وقدرتها على استيعاب أكبر عدد ممكن من المهاجرين اليهود .

من هنا يأتى الارتباط بين البعد السياسى والبعد العسكرى لمفهوم الحرب الوقائية . ولو كانت مجرد تحقيق أهداف عسكرية لتمكنت إسرائيل أن تشل على الأقل القوات العربية التى كانت متجمعة على الجبهتين الشمالية والجنوبية وتمنعها من الهجوم وتحقيق أهدافها . يؤكد ذلك الميجر جنرال الدكتور م . بيليد قائلا : « مثل هذه العمليات الوقائية صباح يوم الغفران كان من شأنها إعاقة العمليات السورية وبث كثير من الفوضى بين صفوف المصريين إلا أن الصحيح أيضا أن هجوما مفاجئا كان يمكن أن يؤدى إلى إلحاق خسائر جدية بالوحدات التى تستعد لاجتياز قناة السويس »[1] .

---

(١) م بيليد (ميجر جنرال) – هذه هى استراتيجية إسرائيل – مجلة الحوادث العدد : ٩٤٧ – بيروت ١٩٧٥ – ص ٣٦ .

الفصل السادس

تطبيق إسرائيل للردع المسبق فى استراتيجيتها العسكرية

فى الفصول السابقة استعرضنا بشىء من التفصيل تطبيق إسرائيل للحرب الوقائية فى استراتيجيتها العسكرية منذ الحرب العربية الإسرائيلية الأولى فى سنة ١٩٤٨ وحتى الحرب العربية الإسرائيلية الثالثة فى سنة ١٩٦٧ ، لم تشذ عن ذلك إلا فى الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة التى وقعت فى سنة ١٩٧٣ حيث كان العرب هم الذين بادروا بالهجوم على الجبهتين المصرية والسورية كما ذكرنا ذلك مفصلا فى الفصل الخامس .

وعندما تعرضنا للحروب التى قامت بها إسرائيل ضد العرب لاحظنا أنها كانت فى كل حرب تستخدم تكتيكات عسكرية تناسب وضعها الجيواستراتيجى وتتفق مع الوضع العربى والوضع الدولى بصورة عامة وتعليل ذلك أن الحرب الوقائية هى فى الأساس حرب نظامية شاملة تقع بين دولتين أو أكثر ولها خصائصها العسكرية والسياسية ، كما لها قواعدها القانونية التى تحكمها .

ومن الجدير بالذكر أن إسرائيل كانت تقوم بإعداد المناخ الدولى قبل أن تقدم على شن الحرب ، وذلك لتضمن تأييد الرأى العام العالمى ووقوفه إلى جانبها لأنها تعلم أن القانون الدولى العام ومبادىء الأمم المتحدة تحرم استخدام القوة فى حل المنازعات الدولية أو فى العدوان على دولة أخرى ، ولا يجوز لأى دولة عضو فى الأمم المتحدة أن تلجأ إلى استخدام القوة إلا فى حالة الدفاع عن النفس وفقا لما نصت عليه المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة .

ويمكننا القول بادىء ذى بدء أن إسرائيل استطاعت فى أعقاب الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة فى سنة ١٩٧٣ ، أن تسخر نتائج هذه الحرب لتحقيق بعض أهدافها السياسية والعسكرية نذكر منها ما يلى :

١ – عقد صلح منفرد مع مصر وفقا لاتفاقيات كامب ديفيد فى سبتمبر سنة ١٩٧٨ ، ثم التوصل إلى اتفاقية منفردة بينهما فى مارس سنة ١٩٧٩ .

٢ – بموجب الاتفاقيات السابقة اعترفت مصر باسرائيل (١) وهى ما كانت تسعى إليه منذ قيامها وهذا الاعتراف يساعدها على الحصول على شرعية وجودها المغتصب لحقوق الشعب الفلسطينى على أرض فلسطين خاصة أن مصر تعتبر أكبر دولة عربية ومن مؤسسى جامعة الدول العربية وعضو فى ميثاق الضمان الجماعي العربى .

٣ – بموجب الاتفاقيات السابقة تم وضع ترتيبات أمن على الحدود بين البلدين تضمن لإسرائيل بالذات عدم وجود قوات مصرية ضاربة على طول حدودها الجنوبية .

٤ – وكانت النتيجة التى ترتبت على كل ما سبق أن إسرائيل حشدت قوتها العسكرية الضاربة لمواجهة الجبهات العربية الأخرى خاصة فى الشمال على حدودها مع لبنان .

وقد ترتب على تغير الأوضاع الاستراتيجية والسياسية فى المنطقة أن قامت إسرائيل بتطوير استراتيجيتها بتطبيق الردع المسبق للوصول إلى أهدافها . وهناك فرق واضح من الناحية العسكرية البحتة بين الحرب الوقائية كحرب نظامية شاملة وبين الردع المسبق كأسلوب تستخدم فيه الدولة القوة العسكرية أو تهدد باستخدامها للوصول إلى أهداف محدودة تخدم مصالحها الاستراتيجية . ويحدد ييجال آلون معنى الردع العسكرى حسب المفهوم الإسرائيلى فيقول : « أن الردع العسكرى لا يكون بكمية أو بنوع الأسلحة . ولكن بالاستعداد الدائم ضد الهجوم المباغت ، وبقدرة الأمة على إقناع الغير بأنها مستعدة لاستخدام القوة سواء عن طريق عرض قوتها العسكرية فى المناورات العسكرية أو عن طريق استخدامها بالفعل جزئيا أو كليا حسبما تقتضى الظروف (٢) » .

وقد استخدمت إسرائيل فى نماذجها التطبيقية تفوقها العسكرى الذى أعطاها ميزة الاستراتيجية المتحركة التى تسخر جميع أنواع الأسلحة لتحقيق الأهداف من كل عملية

---

(١) نصت الفقرة الثالثة من المادة الثالثة لمعاهدة السلام بين مصر واسرائيل على ما يأتى :
« يتفق الطرفان على أن العلاقات الطبيعية التى ستقام بينهما ستتضمن الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية وإنهاء المقاطعة الاقتصادية والحواجز ذات الطابع التمييزى المفروضة ضد حرية انتقال الأفراد والسلع » .

(٢) هيثم الكيلانى – المذهب العسكرى الإسرائيلى – مصدر سابق – ص ٤٥٤ .

تقوم بها [1] . وقبل أن نتناول النماذج التطبيقية التى قامت بها إسرائيل يجدر بنا أن نستعرض ولو بشيء من الإيجاز العوامل التى سادت المنطقة العربية والعلاقات الدولية وساعدت بدورها إسرائيل على تحقيق أهدافها باستخدامها للردع العسكرى المسبق .

أولا – العوامل التى ساعدت إسرائيل فى تطبيق ضربات الردع العسكرى المسبق :

توجد عدة عوامل رئيسية كان لها أثرها فى خلق الظروف المناسبة التى هيأت لإسرائيل مناسبتين تاريخيتين فى تطبيق أسلوب الردع المسبق ، ونعنى بهما هجومها الجوى على المفاعل الذرى العراقى قرب بغداد ، ثم غزوها للبنان . وسوف نتناولهما بالتفصيل .

هذه العوامل هى فى الحقيقة مقومات أساسية بعضها ذو طابع سياسى والبعض الآخر له صفة استراتيجية عسكرية ، فإسرائيل وكما عهدنا فى تطبيقها للحرب الوقائية لا تقدم على أى عمل من فراغ ولكنها تسرع فى الحقيقة لانتهاز الفرص عند وجودها لتقتنص هدف من أهدافها . ومن أبرز العوامل التى استغلتها إسرائيل لصالحها فى العمليتين المذكورتين ما يأتى :

١ – إن الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة فى أكتوبر سنة ١٩٧٣ التى كان فيها للعرب زمام المبادرة بالهجوم واستطاعوا بالفعل كما رأينا فى الأيام الأولى من الحرب أن يحققوا تقدما عسكريا مؤثراً على إسرائيل وقوتها لم يستطيعوا أن يحسموا الحرب لصالحهم لا من الناحية العسكرية ولا من الناحية السياسية ، واستطاعت إسرائيل بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية[2] أن تستوعب الهجوم العربى وتجهضه عسكريا وسياسيا واقتصاديا ليس ذلك وحسب بل وتحقق بعض أهدافها بالتوصل إلى اتفاقيات صلح مع مصر وبذلك تكون قد حققت هدفين أساسيين هما الصلح مع مصر ثم تمزيق الصف العربى ، هذا العامل مثل فى الحقيقة الأساس الذى قامت عليه العوامل الأخرى .

٢ – تفتيت الموقف العربى ، وتمزيق وحدة التضامن بين البلاد العربية وذلك فى

---

(١) انظر فى تفاصيل الاستراتيجية المتحركة مؤلف :
Neville Brown- Strategic Mobility- London The Institute for Strategic Studies- 1963.

(٢) انظر :
Henry Kissinger- Years of Upheaval Boston- Little, Brown and Company, 1982- pp.491- 503.

أعقاب حرب أكتوبر مباشرة فقد توصلت مصر إلى إتفاقية منفردة مع إسرائيل لفصل القوات فى سنة ١٩٧٥ ثمّ توصلت سوريا لاتفاقية مماثلة ووضعت على حدود البلدين قوات دولية تفصل بينهما وبين إسرائيل وبالتالى أصبحت القوات العسكرية الإسرائيلية متفرغة لمواجهة البلاد العربية الأخرى ومن بينها وفى مقدمتها الشعب الفلسطينى داخل الأراضى المحتلة وخارج الأراضى المحتلة .

٣ – جمود الوضع العسكرى على أطول جبهة من الجبهات العربية المواجهة لإسرائيل ونعنى بها الجبهةالأردنية ومن ثم فإن هذه الجبهة بالنسبة لاهتمامات إسرائيل العسكرية تأتى فى نهاية سلم تلك الاهتمامات إن لم نقل أنها مماثلة فى وضعها العسكرى للجبهتين المصرية والسورية ، هذا الوضع العسكرى زاد من قدرة إسرائيل على استخدام القوة العسكرية لتحقيق أهدافها المحددة وغير المحددة فى المنطقة العربية .

٤ – ازدياد قدرة إسرائيل العسكرية بعد حرب اكتوبر بحيث حصلت على صفقات أسلحة متقدمة من الولايات المتحدة الأمريكية وأصبحت جزءاً من استراتيجيتها فى منطقة الشرق الأوسط وغرب آسيا وذلك بموجب الاتفاق الاستراتيجى الموقع بينهما فى سنة ١٩٨١ الذى تم التوصل إليه من قبل هذا التاريخ بسنوات وعلى وجه التحديد فى سنة ١٩٧٥ وهو يرمى إلى تحقيق هدفين :

« الأول : إنشاء قاعدة عسكرية ضخمة جنوب الاتحاد السوفيتى وقريبة من أراضيه دون أن ترتبط معه فى حدود مشتركة يسهل على الجيش الأحمر اجتياحها .

والثانى : تحويل إسرائيل بالفعل إلى قوة تدخل سريع خاضعة لأمريكا وتعمل بتنسيق وتعاون تأمين » مع البنتاجون « بهدف حماية المصالح الأمريكية فى المنطقة ومقاومة أى تحركات سوفيتية أو مدفوعة من قبل السوفييت أو مهددة هذه المصالح [١] » . وبموجب ذلك حققت إسرائيل تفوقا استراتيجيا فى التسليح من حيث الكيف والكم معا .

٥ – ازدياد أخطار المواجهة الدولية بين القوتين الأعظم فى منطقة الشرق الأوسط

---

(١) مجلة الحوادث – ٢٥ / ٩ / ١٩٨١ – ص ٣٠

وذلك فى أعقاب حرب اكتوبر ، فمن المعروف أن منطقة الشرق الأوسط تقع على حدود الاتحاد السوفييتى الجنوبية أو قريبة منها ، بمعنى آخر تقع فى نطاق إطاره الجيو استراتيجى ، وتقع فى المنطقة ذاتها مصالح أمريكا الاستراتيجية والتى تهم الدول الغربية بصفة عامة . وفى ظل الأوضاع المتفجرة بسبب عدم وجود حل للصراع العربى الإسرائيلى وفى أعقاب الغزو السوفييتى لأفغانستان فى سنة ١٩٧٩ ، وقيام ثورة إسلامية فى إيران أصبحت المنطقة مهددة بأخطار المواجهة المباشرة من قبل القوتين الأعظم(١) .

هذا الوضع مكن إسرائيل من استغلاله لصالحها وحرم العرب من فرصة الحصول على مساعدات عسكرية لأسلحة متقدمة تكنولوجيا تمكنهم من الوصول إلى تحقيق التوازن الاستراتيجى مع إسرائيل .

هذه العوامل أوجدت الظروف الملائمة التى استغلتها إسرائيل استغلالا حقيقيا لاستكمال تحقيق مخططها السياسى والاقتصادى والعسكرى فى المنطقة العربية ، وذلك دون أن تلجأ إلى استخدام الحرب الوقائية كما فعلت من قبل بل يمكننا أنه فى ظل الظروف الراهنة لا تستطيع إسرائيل استخدام أسلوب الحرب الوقائية لأن مثل هذا العمل من جانبها قد يؤدى إلى مواجهة عسكرية مباشرة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية .

لذلك سنجد أنها أثناء غزوها للبنان قامت بضرب قواعد الصواريخ السورية التى كانت منصوبة فى سهل البقاع ولم تتعد ذلك إلى ضرب القواعد الموجودة فى الأراضى السورية لأن هذا يتعارض مع الحسابات الاستراتيجية الدولية . فمن المعروف أن هناك اتفاقية صداقة بين الاتحاد السوفييتى وسوريا تلزم الأول بتقديم المساعدات العسكرية فى حالة تعرض الأراضى السورية للعدوان .

ثانيا – الهجوم الجوى الإسرائيلى على المفاعل الذرى العراقى :

سعت إسرائيل منذ قيامها للاحتفاظ بتفوقها العسكرى على البلاد العربية ، وقد ساعدها فى تحقيق هذا التفوق المساعدات العسكرية والاقتصادية التى قدمتها إليها

---

(١) انظر :

Walter Laqueur- Confrontation: The Middle East War and World politics- London- Butler and Tanner Ltd., 1974.

الولايات المتحدة بصفة خاصة ومعظم الدول الأوروبية بصفة عامة [1] . والتفوق العسكرى كما ذكرناه فى صفحة ١٣٩ من هذا الكتاب ينقسم إلى ثلاثة أنواع :

(أ) تفوق فى نوع وكمية الأسلحة الهجومية التقليدية ، مثل الصواريخ أرض أرض ، وجو جو ، وأرض جو ، والطائرات على اختلاف أنواعها وكذلك المدرعات .

(ب) تفوق فى نظام التعبئة العامة للقوات المسلحة فى حالات الطوارىء القصوى وإعداد القوى البشرية إعداداً عسكريا يمكنها من الالتحاق بوحداتها فى زمن قياسى .

(جـ) تفوق فى القدرات التخطيطية ذات الطابع الاستراتيجي والمتخصصة فى توجيه الضربات الاجهاضية للمواقع والقوات العسكرية فى البلاد العربية .

هذا المستوى من مستويات التفوق التقليدى مكن إسرائيل فيما مضى من القيام بحروبها الوقائية كما رأينا . وقد أثبتت مجريات الصراع العربى الإسرائيلى ، أن إسرائيل نجحت إلى حد كبير فى استغلال هذا التفوق تعويضا للنقص الذى تعانى منه فى وضعها الجيو - استراتيجى وقوتها البشرية . ولابد أن نذكر ان حرصها على تحقيق ذلك ينبع في الأصل والأساس من العقيدة الصهيونية وأهدافها التوسعية فى المنطقة العربية . فهى ترفض أن تكون فى وضع يسمح لأى دولة عربية أن تملك القدرة على توجيه تهديدا فعلى لها ، يمثل خطرا حقيقيا على وجودها أو يوجد عقبة فى سبيل تحقيق أهدافها . وسيتضح لنا أنها استطاعت أن ترصد بدقة كل الجهود والمحاولات التى بذلتها وتبذلها بعض الدول العربية لإقامة مفاعلات ذرية على أراضيها سواء كانت الغاية من هذه المفاعلات الاستخدام السلمى للطاقة النووية ، أو استخدامها فى إنتاج الأسلحة النووية فيما بعد ، لأن إسرائيل تدرك تماما أن امتلاك أى بلد عربى القدرة التكنولوجية اللازمة لإنتاج السلاح النووى ، أو حصولها على هذا السلاح من أى مصدر آخر من شأنه أن يغير التوازن الاستراتيجى بينها وبين العرب ، ليس ذلك وحسب وإنما يخلق حالة من الردع النووى الذى يعنى ، القدرة على توجيه ضربات تدميرية شاملة للعدو حتى ولو كان هذا العدو يمتلك نفس السلاح ، ذلك أنه فى ظل نظرية الردع النووى يصبح مهددا بنفس القدر الذى يهدد هو فيه خصمه . وإذا تحقق ذلك للعرب تكون إسرائيل قد فقدت الميزة الاستراتيجية الأولى التى تعتمد عليها فى وجودها وهى التفوق . ليس ذلك وحسب وإنما تفقد القدرة على تطبيق استراتيجيتها التوسعية فى المنطقة العربية ، كما تخلق مناخا من الرعب النفسى بين سكانها وبين من تسعى دائما إلى جلبهم كمهاجرين إليها ويستتبع

(١) انظر سياسة الولايات المتحدة في تسليح العرب وإسرائيل - مؤلف :

Ahmed R. Elkashef— United stat es policyTowards the Arab - gsraell Arms Race 1950—1966 Beirue—P. L. O. Research center, 1969.

ذلك أيضا هروب رءوس الأموال منها وتأثير ذلك على مقوماتها الاقتصادية كل هذه النتائج محتملة الحدوث إذا ما انتقل التوازن بينها وبين البلاد العربية إلى مستوى الردع النووى .

ومن المعروف أن العراق سعى إلى إقامة مفاعل ذرى للاستفادة منه فى الأغراض السلمية ، وقد اتجه نحو فرنسا كى تقدم المساعدات الفنية والعلمية اللازمة لذلك ، وبالفعل تم بناء هذا المفاعل قرب بغداد وهو المعروف باسم مفاعل ١٤ تموز . ومن الجدير بالذكر أن الدولة الغربية الوحيدة التى قدمت المساعدات لإسرائيل ومكنتها من بناء أكثر من مفاعل ذرى على أراضيها هى فرنسا . وعندما أدركت إسرائيل المغزى من قيام التعاون بين العراق وفرنسا فى مجال الطاقة النووية ، سعت فى البداية لعرقلة هذا التعاون ولتعطيل إتمام قيام المفاعل الذرى المذكور ، وأقدمت على تنفيذ بعض الأعمال التخريبية نذكر منها على سبيل المثال اغتيال الدكتور يحيى المشد وهو عالم مصرى وكان يشرف على إدارة البرنامج النووى العراق وقيام مجموعة من رجال الاستخبارات الإسرائيلية فى مطلع سنة ١٩٧٩ بنسف قلب المفاعل النووى المعد للعراق على مقربة من مدينة طولون الفرنسية[١] . هذا بالإضافة إلى حملات الدعاية والضغط السياسى الذى وجهته إسرائيل وجماعات الضغط الصهيونية ضد فرنسا وتعاونها الذرى مع العراق . وتحت تأثير هذه الحملات الدعائية أذاعت وزارة الخارجية الفرنسية فى ٢٩ يوليو سنة ١٩٨٠ بيانا توضح فيه تعاونها النووى مع العراق ومما جاء فيه :

١ -إن العراق كأى دولة يملك الحق باستخدام الطاقة النووية لأغراض سلمية .

٢- انضم العراق إلى معاهدة عدم انتشار الأسلحة الذرية ، ورضى بأن تتولى الوكالة الدولية للطاقة الذرية مراقبة مجموع نشاطاته النووية ولا شيء يسمح بالشك فى فاعلية هذه الرقابة .

٣ - بموجب الاتفاق الفرنسى العراق الموقع فى ١٨ من نوفمبر ١٩٧٥ تعهد العراق لفرنسا بإخضاع منشآته النووية لأية مراقبة دولية .

٤ - معظم مفاعلات الأبحاث الموجودة فى العالم تغذى باليورانيوم المخصب جدا ، إذن هذا الأمر ليس جديدا بالنسبة للمفاعل العراق .

---

(١) مجلة الحوداث - ١٩ يونيو سنة ١٩٨١ - ص ٢١ .

٥ – شحنات اليورانيوم المرسلة إلى العراق تتناسب وحاجة المفاعل دون زيادة وهى مبرمجة ومحاطة بالضمانات الضرورية [١] » .

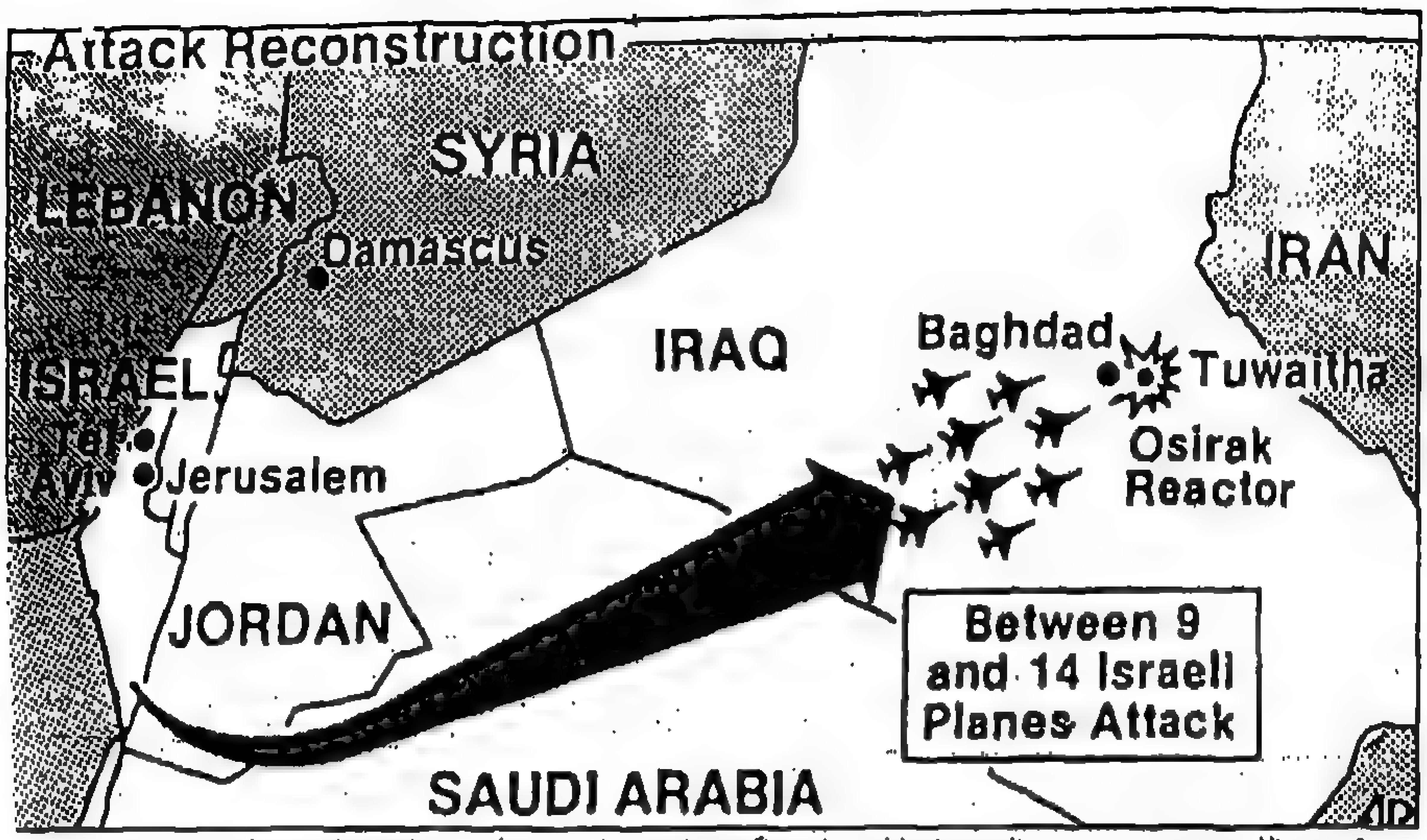
وعلى الرغم من كل هذه التوضيحات التى قدمتها وزارة الخارجية الفرنسية والتى تصل فى مضمونها إلى درجة الضمانات المؤكدة بعدم استخدام المفاعل العراقى فى إنتاج الأسلحة النووية ، على الرغم من ذلك كله لم تغير إسرائيل رأيها بأن العراق يملك الامكانات الفعلية لإنتاج السلاح الذرى وهو على حد ما ذهبت إليه المصادر الإسرائيلية ، قام بإنشاء مختبرات سرية إلى جانب المفاعل تحتوى على تجهيزات إضافية وعلى أنفاق لنقل المحروقات وتخزينها . وأعلن مناحيم بيجن الذى كان يشغل منصب رئيس وزراء إسرائيل آنذاك أن فرنسا وإيطاليا تتعاونان فى تقديم المساعدات الذرية للعراق كما أعلن خبراء أوروبيون أن المفاعلين العراقيين اللذين تبلغ طاقة أحداهما ٧٠ ميفاوات والثانى ٨٠٠ كيلو وات لا ينتجان الكهرباء خلافا لغيرهما ، إنما ينتجان « نوترونات » تستخدم فى مختلف التجارب ويمكن توجيهها لإعداد مواد لها صلة "تقنية النووية المدنية والعسكرية .

وتوالت حملات الدعاية الإسرائيلية فى وسائل الإعلام الأوروبية فأعلنت مجلة الاكسبريس أن بغداد تعتبر عاصمة العالم العربى النووية . كل هذه البيانات لخلق المناخ الدعائى الذى مهد بدوره للقيام بالهجوم الجوى على المفاعل الذرى العراقى .

ففى اليوم السادس من يونيه سنة ١٩٨١ قامت عدة أسراب من سلاح الجو الإسرائيلى بهجوم مكثف ودقيق على المفاعل الذرى العراقى قرب بغداد . « انظر الخريطة شكل ٢٣ التى توضح الاتجاه الذى سلكته أسراب الطائرات الإسرائيلية فى هجومها نحو الهدف » . واستطاع ذلك الهجوم أن يدمر الهدف تدميرا لا يسمح بصلاحيته للعمل مرة أخرى ... » . « انظر الصورة شكل ٢٤ الموضحة للمفاعل الذرى وإصابته إصابة مباشرة » وبذلك تكون إسرائيل قد طبقت نموذجا للردع المسبق الفعلى بحيث منعت « العدو » من امتلاك الفرصة التى تمكنه من الحصول على السلاح النووى والذى يجعله إن امتلكه قادراً على مواجهة تفوقها العسكرى التقليدى والنووى معا . فمن الناحية العسكرية البحتة نجد أن إسرائيل استطاعت أن تحدد الهدف فى اطار استراتيجيتها العليا دون أن تلقى بالا للمحذورات القانونية أو الصعوبات التكتيكية التى

---

(١) مجلة الحوادث – ١٩ يونيو سنة ١٩٨١ – ص ٢٩ .

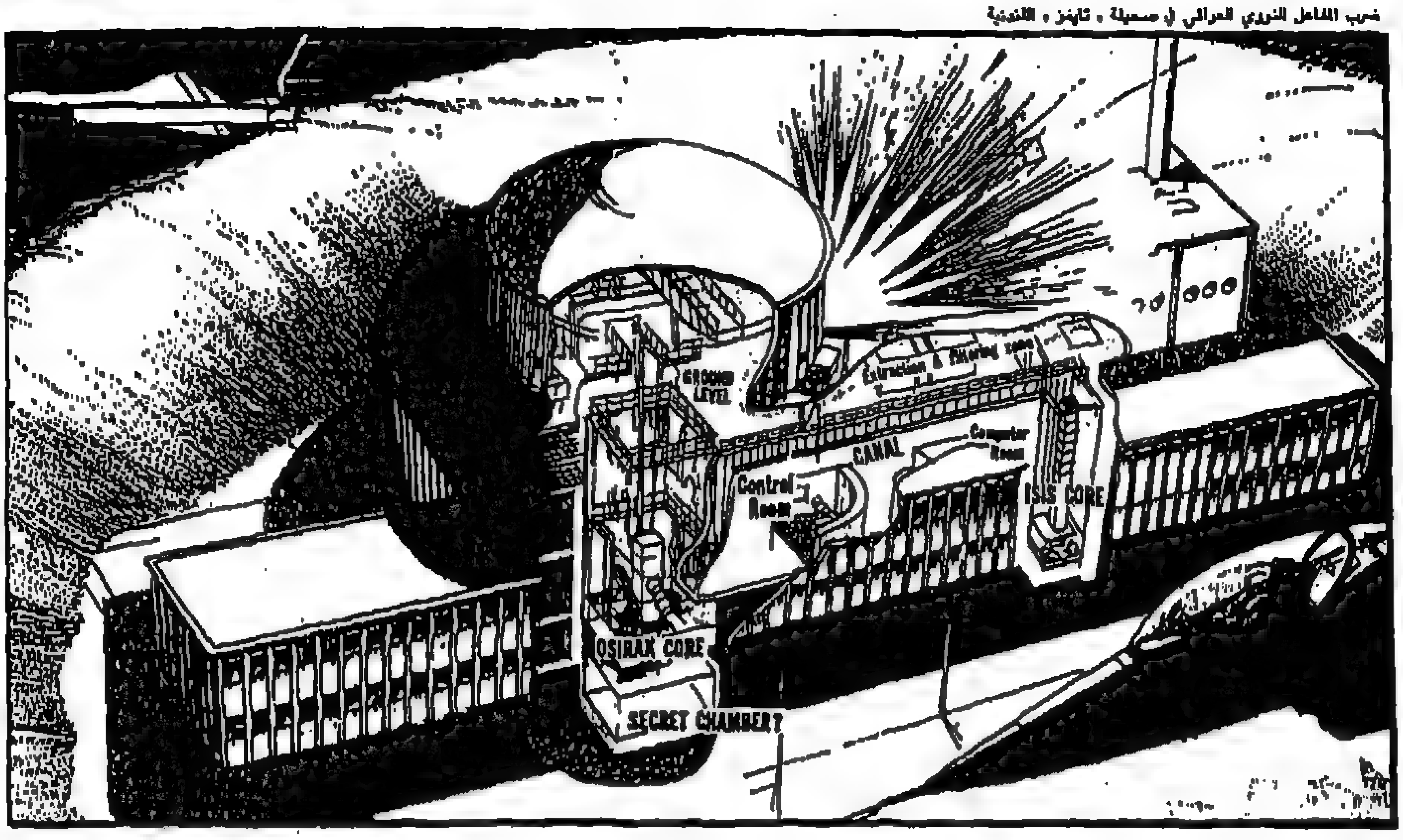


صورة من « الاسوشيتدبرس » تشير بالسهم إلى الطريق التي سلكتها الطائرات الإسرائيلية لضرب المفاعل النووي في بغداد .



فانتوم « أف - ٤ » قال الاسرائيليون انهم استعملوها في عملية بغداد .
المصدر : مجلة الحوادث في ١٩ / ٦ / ١٩٨١ م - ص ٢١ .

ضرب المفاعل النووي العراقي في صحيفة « تايمز » اللندنية



الحوادث ٢٨

المصدر : مجلة الحوادث اللبنانية في ١٩ / ٦ / ١٩٨١ - ص٢٨.

كانت جميعها تفيد بعدم احتمال قيامها بمثل هذا الهجوم المباشر . إلا أننا إذا عدنا إلى خصائص العقلية العسكرية الإسرائيلية كما فصلها وأجملها العسكريون الإسرائيليون أنفسهم نجد أن القيام بمثل هذا العمل من جانبها كان متوقعا إن لم نقل بديهيا .

وكان اختيار الوقت المناسب موافقا للأهداف التى سعت إسرائيل إلى تحقيقها ، فقد تمت العملية بعد مضى ما يقرب من عام على اندلاع الحرب بين العراق وإيران واستطاعت إسرائيل أن تستغل ظروف هذه الحرب لتحقيق أحد أهدافها العليا فى الوقت الذى كان فيه الجهد العسكرى العراقى موجها بكل ثقله إلى الجبهة الإيرانية ، انتهزت إسرائيل هذه الفرصة للقيام بغارتها وتدمير المفاعل الذرى العراقى . إذن تحديد الهدف الاستراتيجى واختيار الوقت الملائم لتنفيذه كانا من أهم العوامل فى تطبيق هذا النموذج من الردع المسبق كما عرفه ييجال آلون الذى سبقت الإشارة إليه . وقد استطاعت إسرائيل فى هذه العملية أن تحقق أهدافها المباشرة وغير المباشرة . أما الأهداف المباشرة فهى :

١ – القضاء على هدف استراتيجى حيوى يمنع العدو من امتلاك فرصة تحقيق تفوق عسكرى على إسرائيل فى الحاضر أو المستقبل .

٢ – أثبتت إسرائيل تفوقها وقدرتها العسكرية على ضرب أى موقع تختاره فى اطارها الجيواستراتيجى ، وهو الاطار الذى يبعد بالتأكيد عن الأطار الجغرافى والذى تقدره عقيدة الدولة وقيادتها العليا ، وهو يعنى الإعداد لمواجهة أى خطر محتمل عليها فى نطاق هذا الاطار .

٣ – أثبتت اسرائيل من خلال هذه العملية أنها القوة العسكرية الفعالة فى منطقة الشرق الأوسط ولا شك أن العمليات التى قامت بها فى الماضى كانت كلها ترمى إلى تحقيق ذلك وهذا بالطبع يخفى وراءه هدفا غير مباشر وهو إقناع الولايات المتحدة الأمريكية بالاعتماد عليها فى تحقيق استراتيجيتها والمحافظة على مصالحها ومصالح الغرب عموما فى منطقة الشرق الأوسط وغرب آسيا كما سبق وأن ذكرنا .

٤ – إرهاب البلاد العربية ومحاولة إقناعها أنها فى حالة من العجز والارتباك العسكريين بحيث أنها لا تستطيع معهما أن توفر الأمن لأى موقع على أراضيها ، ليس ذلك وحسب وإنما العمل على إثارة الخلافات والنزاعات بين هذه البلاد من خلال إثبات عدم قدرتها على التضامن لحماية أمن بعضها البعض . فمن

المعروف وكما هو معلن أن الطائرات الإسرائيلية مرت عبر مئات الكيلو مترات فوق أكثر من بلد عربى ولم تتمكن أى منها من التصدى لها أو رصدها .

وعلى ضوء هذه الأهداف المباشرة من العملية المذكورة نلاحظ أن إسرائيل وسعت من نطاق حدود أمنها الجيواستراتيجى ، أى الامتداد الجغرافى الذى تحدده قيادتها العليا لأى خطر محتمل يمكن أن يهددها فى نطاق هذا الاطار فلم تعد عملياتها مقصورة على دول المواجهة العربية المحيطة بها ونعنى بذلك الأردن وسوريا ولبنان » ، ومصر قبل اتفاقيات « كامب ديفيد »بل أصبح هذا النطاق يشمل أى موقع عربى فى أى بلد عربى وهذا ما أكدته إسرائيل أكثر من مرة على لسان كبار المسئولين فيها .

أما الأهداف غير المباشرة للعملية فهى :

١ – تدمير مركز حيوى من مراكز الطاقة النووية فى بلد عربى كان مقررا له أن يمثل دفعة قوية للبناء الاقتصادى والصناعى بما يوفره من طاقة تعتمد على الذرة ، هذا بالإضافة إلى خسارة التكاليف والجهود التى بذلت فى بناء هذا المفاعل .

٢ – إقناع الدول الأوروبية والتى تقوم بينها وبين البلاد العربية علاقات وثيقة ونذكر منها على سبيل المثال فرنسا أن مساعداتها للبلاد العربية لابد أن تقف عند حدود معينة [١] » .

٣ – محاولة منع أى دولة عربية من الإقدام على أى عمل يهدف إن عاجلا أو آجلا إلى امتلاكها للسلاح الذرى لأن مثل هذا العمل يجب أن تتحقق له أولا الحماية الكافية وإلا سيكون مصيره مصير المفاعل الذرى العراقى .

٤ – احتفاظ إسرائيل لنفسها بفرصة التفوق النووى ومنذ سنوات عدة تثور التساؤلات حول قدرة إسرائيل على امتلاك القنبلة الذرية وقد أفادت بعض التقارير أنها تمتلك بالفعل عدد من القنابل الذرية وربما كان الباعث على امتلاكها عدة قنابل ذرية منذ عدة سنوات فى قدرتها أن تنتج نوعا من القنابل الذرية تصل فى حجمها وقوتها التدميرية إلى القنبلة التى ألقتها أمريكا على هيروشيما فى نهاية الحرب العالمية الثانية [٢] .

---

(١) مجلة الحوادث – ١٩ / ٦ / ١٩٨١ – ص ٢١ – ٢٢ .

(٢) انظر كتاب الزعيم الركن حسن مصطفى – إسرائيل والقنبلة الذرية – بيروت – دار الطليعة – سنة ١٩٦١ – ص ١١٣ وما بعدها .

من هذه الأهداف نلاحظ أن إسرائيل تبذل الجهود دائما إلى تحقيق التفوق بعيد المدى أى التفوق الذى يعطيها القدرة على تحقيق أهدافها دون أن تخاف أو تتوقع بروز قوة أخرى فى المنطقة تمتلك القدرة على وضع حد لتوسعها ، وسوف يتأكد لنا ذلك عند التعرض بالتحليل لقيامها بتطبيق نموذج آخر من نماذج الردع المسبق ونعنى به غزوها لجنوب لبنان .

وإذا ما انتقلنا بعد إلقاء الضوء على هذا النموذج للردع المسبق إلى تقييم الهجوم الإسرائيلى المذكور على ضوء الموقف العربى يتضح لنا أن المدلول الاستراتيجى المجرد لهذه الغارة إنما يكمن فى توسيع نطاق حدود الأمن الجيواستراتيجى لإسرائيل ، كما يفيد أيضا أنها مازالت مصممة على القيام بأى عمل عسكرى لتحقيق أهدافها دون أى اعتبار لمبادىء القانون الدولى أو مبادىء الأمم المتحدة وقراراتها أو الرأى العام العالمى أو حتى مواقف الدول الأخرى لأن جميع الدول بدون استثناء ومن بينها الولايات المتحدة الأمريكية أعلنت عن استنكارها لهذه العملية كما أن مجلس الأمن الدولى أدان هذه العملية ، ولكن لم يحدث ما كان يجب أن يحدث فى مثل هذه الحالة وهو إنزال العقوبات الاقتصادية والسياسية على إسرائيل لإقدامها على استخدام القوة المسلحة فى عدوانها على بلد عضو فى الأمم المتحدة دون أن تلجأ إلى الوسائل التى حددها ميثاق الأمم المتحدة فى مثل هذه الحالات ، وقد نصت المادة الحادية والأربعون من الميثاق على مثل هذه العقوبات ، وهذا يؤكد أن إعداد القدرة أو القوة العسكرية العربية هو الضمان الحقيقى لحماية أمن البلاد العربية من مثل هذه الاعتداءات خاصة إذا ما كان العدو نفسه هو الذى يحدد الهدف الاستراتيجى الذى يختاره لكى يقوم بالعدوان عليه ويحدد الزمن لعدوانه ، علما بأن العراق أعلن كما سبق وأن ذكرنا أن المفاعل الذرى كان لخدمة الأغراض السلمية وهو تحت إشراف الرقابة الدولية لمنع انتشار الأسلحة النووية فى منطقة الشرق الأوسط ، غير أن هذا كله لم يمنع إسرائيل من القيام بما أقدمت عليه[1] .

ثالثا – غزو إسرائيل للبنان فى ٦ يونيو سنة ١٩٨٢ :

قامت إسرائيل فى أعقاب حرب سنة ١٩٦٧ باعتداءات كثيرة ومتكررة على الأراضى اللبنانية وذلك بهدف الانتقام من الشعبين اللبنانى والفلسطينى ، من جراء قيام رجال

---

(١) د . يحيى محمد زكى عبد المتجلى – « الاختيارات المتاحة أمام الدول العربية لمقابلة التهديد النووى الإسرائيلى فى ضوء تدمير المفاعل العراقى » – مجلة شئون عربية – عدد ٣٥ – يناير ١٩٨٤ – ص ١٣٢ وما بعدها .

المقاومة الفلسطينية بعمليات فدائية عبر الحدود اللبنانية . ولا داعى للخوض فى تفصيل تلك الاعتداءات التى قامت بها إسرائيل ولكن يجدر بنا هنا وفى إطار التحليل العسكرى المجرد أن نميز بين الأهداف الاستراتيجية العسكرية والأهداف الاستراتيجية العليا للدولة . فما قامت به إسرائيل قبل غزوها للبنان فى سنة ١٩٨٢ كان جزءا من سياسة الانتقام من اللبنانيين والفلسطينيين ، غير أن غزوها الأخير كان لتحقيق أهداف استراتيجيتها العليا . فمنذ أن تركزت منظمات المقاومة الفلسطينية على أرض لبنان وخاصة فى منطقة الجنوب وذلك بعد أن فقدت قواعدها الاستراتيجية فى الأردن بعد سنة ١٩٧٠ ، تزايد الوجود الفلسطينى العسكرى والسياسى والبشرى على أرض لبنان عموما وفى المناطق المتاخمة لفلسطين المحتلة على وجه الخصوص ، واستتبع ذلك بالضرورة زيادة العمليات الفدائية داخل فلسطين المحتلة عبر الحدود اللبنانية ، ومن المعروف من الناحية الجيواستراتيجية أن شمال فلسطين قريب جدا من المواقع الحيوية فى الوسط التى تتمركز فيها المدن والتجمعات الإسرائيلية وقد قامت بالفعل قوات المقاومة الفلسطينية بعدة هجمات على مدن حيفا وناتانيا وحتى تل أبيب هذا فضلا عن هجماتها المعتادة على المستوطنات الإسرائيلية التى تقع بالقرب من الحدود . ونقول بادىء ذى بدء انه لو كانت قوات المقاومة الفلسطينية متحدة ومنظمة تنظيما على مستوى المسئولية التاريخية التى تقوم بها وتخضع لإشراف قيادة استراتيجية عليا تمكنت بالفعل من توجيه ضربات مؤثرة وقوية إلى عمق العدو الإسرائيلى ولكن لم تكن قوات المنظمات الفلسطينية على هذا القدر من التخطيط والتنظيم والإشراف ، ولا نريد أن نقول أنها كانت أحيانا تشتبك فى صراعات ونزاعات فيما بينها .

وفى ظل هذا الوضع غير المستقر الذى كان سائدا فى شمال فلسطين ووسطها من جراء استمرار الهجمات الفلسطينية أدى ذلك إلى حدوث نوع من الهجرة الداخلية بين المستوطنين اليهود من شمال فلسطين إلى الداخل كما أدى ذلك أيضا إلى وقوع خسائر مؤثرة فى الجانب الإسرائيلى لذلك أصبح أحد الأهداف الاستراتيجية لإسرائيل هو التخلص من حالة التهديد والاضطراب وعدم الاستقرار على حدودها الشمالية وفى وسطها . ولا يتحقق لها ذلك إلا إذا تمكنت من القضاء قضاءا تاما على الوجود الفلسطينى العسكرى والسياسى فى لبنان عموما . وفى منطقة الجنوب على وجه الخصوص ولتنفيذ مثل هذا العمل لابد من وضع خطة استراتيجية يتم فيها تهيئة الأوضاع المحلية والإقليمية والدولية لتقبل مثل هذا الغزو العدوانى أو بمعنى آخر لاحتمال مثل هذه الغزو المباشر على دولة

عضو فى الأمم المتحدة وتلقى فى نفس الوقت العطف والتأييد من معظم الدول الأوروبية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية .

لذلك نقول أن الغزو الإسرائيلى للبنان كجزء من استراتيجية الردع المسبق قامت به إسرائيل لتحقيق أهداف بعيدة المدى ، واستطاعت أن تستغل الظروف السائدة فى لبنان بسبب الحرب الأهلية وتستغل الأوضاع العربية المتردية والصراع الدولى فى المنطقة والنتائج السلبية التى ترتبت على الحرب بين العراق وإيران لتنفيذ خطتها الاستراتيجية التى سنتعرض لها بالتحليل من حيث أسبابها وأهدافها وأحداثها ونتائجها .

(أ) أسباب الغزو الإسرائيلى :

توجد عدة أسباب لما أقدمت عليه إسرائيل فى لبنان هذه الأسباب بعضها واضح ومباشر والبعض الآخر معقد وغير مباشر ، بمعنى آخر أن الغزو العسكرى الإسرائيلى للبنان واستمرار احتلال القوات الإسرائيلية لجزء من الأراضى اللبنانية ما يزيد على عامين كان جزءاً من استراتيجية أبعد مدى من العمليات العسكرية الانتقامية ، ولا نغالى ان ذهبنا فى القول إلى إنها أبعد مدى من هدف القضاء على الوجود الفلسطينى على أرض لبنان . ومن أهم الأسباب التى دفعت إسرائيل لوضع خطة غزوها للبنان موضع التنفيذ ما يأتى :

١ – ازدياد وتركز الوجود العسكرى والسياسى والبشرى الفلسطينى على أرض لبنان خاصة بعد أن أقفلت الحدود العربية الأخرى فى وجه المنظمات الفلسطينية ونعنى بها حدود مصر والأردن وسوريا . وتركز النشاط العسكرى والسياسى فى لبنان وبذلك أصبح يمثل تحدياً مؤثراً وخطراً فعلياً للوجود الإسرائيلى سواء على أرض فلسطين أو فى مناطق أخرى من العالم .

٢ – وجود قوات الردع السورية على الأراضى اللبنانية وقريبة من المناطق الحيوية فى جنوب لبنان وشمال فلسطين ، ليس ذلك وحسب فالقوات السورية كانت مزودة بأسلحة متقدمة من بينها صواريخ أرض جو من طراز سام ٣ وسام ٦ ، وهذا الوجود فى حد ذاته كان يعتبر دعما للمنظمات الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية .

٣ – تفجر الصراع الطائفى فى لبنان وتحوله إلى حرب أهلية شملت معظم الطوائف

المختلفة وذلك منذ سنة ١٩٧٥ وكان من نتيجة ذلك أن ضعفت سيطرة الدولة على اراضيها بل أصبحت كل طائفة من الطوائف لها قواتها الخاصة بها ومثل هذا الوضع يمثل خطر تدخل قوى دولية من بينها الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية ، وقد يشكل مثل هذا التدخل عقبات فى وجه إسرائيل وأطماعها فى المنطقة .

٤ - ازدياد الصراع الدولى فى لبنان سواء كان هذا الصراع من قبل الشرق أو الغرب فإن وجوده فى دولة مثل لبنان وفى ظل الظروف والأوضاع التى كان يمر بها فى هذه المرحلة وجود مثل هذا الصراع يمثل عقبة فى وجه الخطط الإسرائيلية إذ أن الدول الأطراف فيه ستقف فى وجه المحاولات الإسرائيلية لذا فإن إسرائيل سعت إلى عدم وقوع لبنان فى نطاق استراتيجية الدول العظمى .

٥ - تفكك التضامن العربى وعدم وجود استراتيجية عربية موحدة قادرة على مواجهة الغزو الاسرائيلى ، شجع إسرائيل على انتهاز هذا الظرف التاريخى لتحقيق أهدافها الاستراتيجية فإن المنازعات والخلافات بين البلاد العربية بعضها مع بعض عطل فى الحقيقة تطبيق ما جاء فى معاهدة الدفاع العربى المشترك ، وسبق أن ذكرنا أكثر من نموذج تاريخى قامت إسرائيل باستغلاله لصالحها وتحملت الأمة العربية بعد ذلك نتائجه الوخيمة حتى وقتنا الحاضر ، حدث ذلك إبان الحرب سنة ١٩٤٨ وحرب سنة ١٩٥٦ وحرب سنة ١٩٦٧ ، وكما سبق وأن ذكرنا فإن نجاح إسرائيل فى ضرب المفاعل الذرى العراقى وعدم اتخاذ الدول العربية موقفا عمليا وحازما من تلك الغارة العدوانية واقتصار ردود فعلها على البيانات والتصريحات قد جعل إسرائيل أكثر ثقة بقوتها العسكرية وأكثر اطمئنانا بعدم اتخاذ إجراءات عربية تمنعها من تحقيق أهدافها ، يضاف إلى ذلك استمرار تصاعد الحرب بين العراق وإيران أتاح الفرصة لها لانشغال دولة عربية وقواتها فى جبهات بعيدة عن محور المواجهة معها .

٦ - توفر المناخ الدولى المناسب الذى ساعد إسرائيل على القيام بمثل هذا الغزو العدوانى وخاصة أن القوى الدولية العظمى ونعنى بها الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية مشغولة فى صراع استراتيجى فيما بينها فى أفغانستان وفى بولندا وفى منطقة الخليج العربى أيضا وفى مناطق أخرى من أفريقيا وأمريكا اللاتينية .

لا شك إن إسرائيل بخبرتها التاريخية ومؤسساتها المختلفة استطاعت أن ترصد

الظواهر المختلفة التى أشرنا إليها وأن تشعر بملائمة الأوضاع لتنفيذ خطتها وتحقيق أهدافها الاستراتيجية ، وهذا بالطبع يحتاج أول ما يحتاج إلى دراسة دقيقة للقوى المختلفة ومواقفها واحتمالات ردود فعلها كى تضمن نجاح العملية وقد كان لها بالفعل ما توقعت . وسنرى أن الغزو وقع واستمر إلى نهاية الشوط الذى سار فيه نحو غاياته المرسومة دون أن يحدث أى رد فعل حقيقى لا على المستوى العربى ، ولا على المستوى الدولى ، بل أن احتلالها لأجزاء واسعة من لبنان مازال قائما دون أن يتمكن مجلس الأمن الدولى من اتخاذ أى إجراءات رادعة لإجبارها على سحب قواتها .

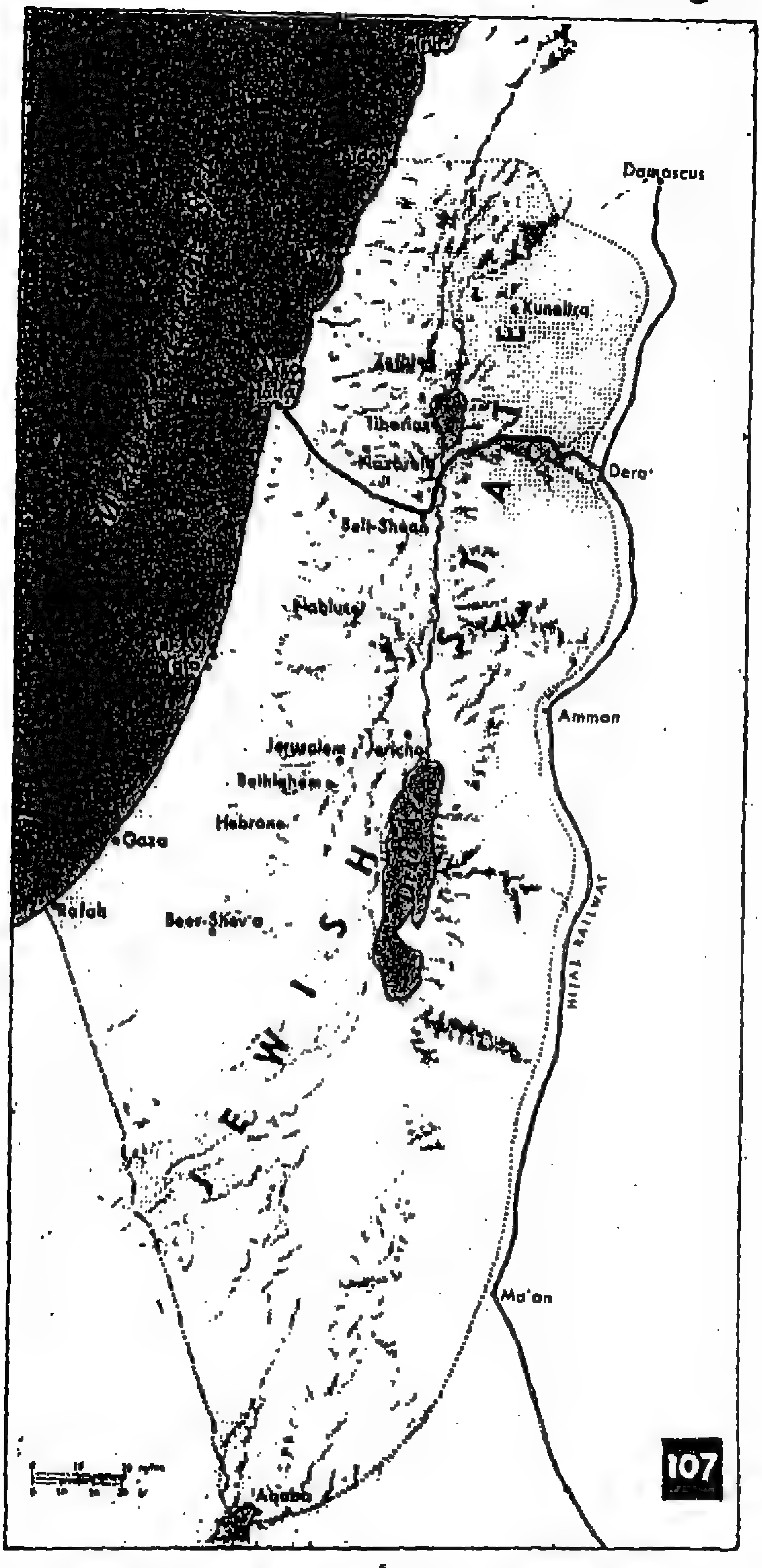
(ب) أهداف الغزو الإسرائيلى :

تذرعت إسرائيل فى غزوها للبنان بحجة حماية حدودها ومواطنيها من الهجمات الفدائية التى كان يقوم بها رجال المنظمات الفلسطينية . واتخذت من محاولة الاعتداء على سفيرها فى لندن سبباً مباشراً لبدء عملية الغزو . وقد اعتادت إسرائيل فى الماضى بالاكتفاء بقيامها ببعض العمليات الانتقامية . ولا شك أن هذه المبررات لها نصيبها فى تحديد أسباب الغزو وأهدافه ، ولكن فى إطار التحليل العلمى نجد أننا فى حاجة إلى التعمق فى تحليل ودراسة هذا الغزو كظاهرة من ظواهر السلوك العسكرى الإسرائيلى فى المنطقة العربية على ضوء الاستراتيجية الاسرائيلية العليا مدعمين رأينا بالوثائق الإسرائيلية والصهيونية الرسمية الثابتة ، فالأطماع الصهيونية فى لبنان ومصادر المياه فى جنوبه أقدم بكثير من تاريخ قيام إسرائيل كدولة على أرض فلسطين فقد حدث خلاف وصل إلى حد النزاع بين المنظمة الصهيونية العالمية ولجنة الانتدابات فى عصبة الأمم وذلك عند تحديد الحدود الشمالية لفلسطين ، فقد قدمت المنظمة الصهيونية مشروعا بهذا الخصوص تضمن أطماعها فى جنوب لبنان . ونظرة واحدة إلى خريطة فلسطين تبين أن الصهيونية فى ذلك الوقت سعت إلى جعل الأراضى التى تتوفر فيها مصادر المياه ضمن الأراضى التى تقع فى دائرة انتداب بريطانيا الدولة صاحبة وعد بالفور [1] » . انظر الخريطة رقم ٢٥ التى تتضمن مشروع المنظمة الصهيونية المقدم إلى مؤتمر الصلح الذى عقد فى باريس سنة ١٩١٩ » .

---

(١) جاء فى مذكرة وفد المنظمة الصهيونية إلى المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح المنعقد فى باريس بتاريخ ٣ / ٢ / ١٩١٩ ، الفقر الآتية : « إقامة حدود معينة لفلسطين على أن تضم الجزء الجنوبى من لبنان وجبل هرمون والعقبة والأردن » انظر الخريطة رقم ٢٥ . المصدر : الهيئة العامة للاستعلامات – ملف وثائق – فلسطين – الجزء الأول – القاهرة سنة ١٩٦٩ – ص ٢٤٧ .

المشروع الذى قدمته المنظمة الصهيونية إلى مؤتمر فرساى سنة ١٩١٩ .



المصدر : ملف وثائق فلسطين – الجزء الأول – الهيئة العامة للاستعلامات – القاهرة – ١٩٦٩ – صـ ٢٤٤ الخارطة رقم : ٢٥ .

هذا بالإضافة إلى أن زعماء الصهيونية سعوا منذ قيام إسرائيل كدولة إلى إثارة الطائفية والحروب الأهلية فى البلاد المحيطة بإسرائيل .

ولما كان لبنان بتكوينه السكانى والطائفى أكثر البلاد العربية المحيطة بإسرائيل استعداداً لتقبل مثل هذه المحاولات فقد وضعوا مخططاتهم لتنفيذها فيه فى الوقت المناسب . وفيما يلى نورد نصوصا من الرسائل المتبادلة حول هذا الموضوع بين كل من بن جوريون وموسى شاريت وهما من رؤساء الوزراء السابقين فى إسرائيل ، كما أنهما من زعماء الصهيونية . ففى ٢٧ / ٢ / ١٩٥٤ وجه بن جوريون رسالة إلى موسى شاريت جاء فيها : « أن هذه الساعة هى الساعة المواتية للعمل على إقامة دولة مسيحية بجوارنا فبدون مبادرتنا ومساعدتنا الفعالة لن يتم الأمر . ويبدو لى أن هذه هى المهمة الرئيسية الآن أو على الأقل إحدى المهمات الرئيسية لسياستنا الخارجية . ويجب بذل الامكانات والوقت والجهد والعمل بجميع السبل التى من شأنها أن تؤدى إلى تغيير جذرى فى لبنان » . وقد رد عليه موسى شاريت برسالة مؤرخة فى ١٨ / ٣ / ١٩٥٤ ، ومما جاء فيها : « ولكن على أثر الحديث قلت لنفسى أنه ينبغى دراسة الموضوع ، فعهدت إلى قسم البحوث بوزارتى ليضع دراسة أساسية خاصة بالمحاولات التى بذلت فى السباق من أجل أن تضفى على لبنان صفة جمهورية مسيحية وبالاحتمالات الماثلة الآن لحركة تنشأ إذا نشأت لإحراز هذا الهدف [1] » .

هذه ليست إلا مقتطفات موجزة لتأكيد ما ذهبنا إليه كى يتضح أن خطط إسرائيل منذ ذلك التاريخ وقبل ذلك التاريخ كانت ترسم سياستها وأهدافها نحو لبنان .

حاولت هنا أن ألقى هذا الضوء أو بمعنى أدق هذا الشعاع من الضوء على أبعاد عملية الغزو الإسرائيلى لتبين مدى عمق الأهداف التى سعت إلى تحقيقها ومدى ارتباطها باستراتيجية الردع المسبق . والآن نستعرض الأهداف المباشرة وغير المباشرة التى سعت إسرائيل للوصول إليها بغزوها للبنان .

١ – القضاء على الوجود السياسى والعسكرى للمنظمات الفلسطينية على أرض لبنان وذلك بهدف ظاهر وهو تحقيق أمن وسلامة منطقة الجليل من شمال فلسطين المحتلة . وهذا ما دأب المسئولون الإسرائيليون على ترديده منذ عدة سنوات وكرروا إعلانه

(١) مجلة الطليعة – العدد الثالث – مارس سنة ١٩٧٦ – القاهرة – مؤسسة الأهرام – ص ٢٢ – ٢٣ . نقلا عن جريدة دافار الاسرائيلية الصادرة فى ٢٩ / ١٠ / ١٩٧١ .

انظر أيضا مؤلف : Chaim Weizmann- Trial and Error- op, cit- p- 251,

قبل عملية الغزو التى أطلقوا عليها اسم « عملية سلامة الجليل » . أما الهدف غير المعلن فهو تفريغ منطقة جنوب لبنان من أى قوة عسكرية قادرة على مقاومة مخططات إسرائيل وقد كانت هذه القوة ممثلة فى الوجود الفلسطينى ، وفى الواقع فقد نجحت إسرائيل إلى حد كبير فى تحقيق هذا الهدف .

٢ – العمل على تدمير بطاريات الصواريخ السورية التى كانت منصوبة فى سهل البقاع ، والتى يصل مداها إلى حدود إسرائيل وبالتالى فإن هذه البطاريات كانت تحقق أمنا جويا استراتيجيا لعمق الأراضى السورية ، كما أنها كانت تقيد نشاط الطائرات الإسرائيلية فوق وسط لبنان وشماله . ومن المعروف أن مشكلة الصواريخ السورية هذه استنفذت وقتاً كبيراً من الوساطة الأمريكية التى كان يقوم بها السفير الأمريكى المتجول فيليب حبيب .

٣ – تقوية وترسيخ الصراعات الطائفية بين اللبنانيين أنفسهم وذلك بهدف إضعاف لبنان وتقسيمه حتى يكون من السهل على إسرائيل أن تضم إليها أجزاء منه كما هو حادث بالفعل فى جنوب لبنان . وفى نفس الوقت تعمل على القضاء على نموذج صيغة التعايش السلمى بين الطوائف المختلفة فى دولة واحدة لتحمى الطابع الدينى العنصرى للدولة الصهيونية . ولازال بالفعل الصراع مستمراً بين الطوائف اللبنانية المختلفة هذا الصراع هو فى الحقيقة الذى يساعد اسرائيل على استمرار احتلال قواتها لأجزاء من الأراضى اللبنانية ، كما أنه فى نفس الوقت يعرقل حل المشكلة اللبنانية التى أصبحت فى الواقع عقبة فى وجه حل المشكلة الأصلية وهى مشكلة فلسطين . وهكذا نرى كم تستفيد إسرائيل من استمرار مشكلة لبنان .

٤ – احتلال مواقع عسكرية استراتيجية تحقق لإسرائيل حزاما من الأمن يحمى حدودها ، ويحقق أطماعها ، ويجعلها قادرة على الإمساك بزمام المبادرة فى أى مواجهة عسكرية يمكن أن تقع بينها وبين سوريا ويكتمل هذا الحزام الأمنى الاستراتيجى باستمرار وجودها فى هضبة الجولان وهى بذلك تشرف على سهول لبنان وسهول سوريا ، كما أنها تهدد عاصمتين من العواصم العربية وهما دمشق وبيروت ، وفى نفس الوقت تهدد خطوط المواصلات البرية والجوية بين معظم دول المشرق العربى وتتمكن هى من تقييد حركة قوات الردع السورية على الأراضى اللبنانية .

٥ – إيجاد الصراع والانشقاق داخل المنظمات الفلسطينية وفقا لنظرية « طرق الحديد وهو ساخن » وذلك لإضعاف هذه المنظمات عسكريا وسياسيا وإظهارها أمام

المجتمع الدولى بأنها لاتعدو ان تكون منظمات « إرهابية » ولا تصلح لتمثيل الشعب الفلسطينى ، وللحقيقة فإن سلوك بعض هذه المنظمات قد ساعد إسرائيل على تحقيق ما أرادت . فبدلا من أن تكون عملية الغزو تجربة تستفيد منها المنظمات الفلسطينية وتعمل على تحقيق الوحدة بين فصائلها وتجنب الأخطاء التى وقعت فيها من قبل فإن العكس هو الذى حدث فأصبحت هذه المنظمات تقاتل بعضها بعضا وترمى بعضها بعضا بشتى التهم .

٦ – محاولة مواجهة تغلغل النفوذ السوفيتى فى لبنان وفى منطقة الشرق العربى عموما فمن المعروف أن النجاح الأول الذى حققته إسرائيل فى غزوها قد أثار كثيرا من الشكوك والتساؤلات حول موقف الاتحاد السوفيتى من هذا الغزو . وهل هو فى مستوى موقف التأييد الذى لاقته إسرائيل من الولايات المتحدة الأمريكية . يضاف إلى ذلك أن القضاء على الوجود العسكرى والسياسى للمنظمات الفلسطينية هو فى حد ذاته محاولة لمحاصرة النفوذ السوفييتى ، وغنى عن القول أن عدداً من هذه المنظمات اختار الانحياز إلى الاتحاد السوفييتى مقابل المساعدات التى يقدمها لها . وهذا الهدف الإسرائيلى يرتبط بهدف الاستراتيجية الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط[1] .

٧ – محاولة إيجاد صيغة سلمية للعلاقات بين إسرائيل وبين لبنان تكون بمثابة دعم للصيغة التى تقوم بينها وبين مصر . وهنا نذكر أن من أبرز أهداف الاستراتيجية العليا لاسرائيل هو توسيع دائرة اعتراف الدول العربية بها ومحاولة إقامة علاقات سلمية معها تشمل العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية والسياحية أيضا ، ولكن حتى الوقت الحاضر لم تستطع إسرائيل إقامة مثل هذه العلاقات الرسمية مع الدولة اللبنانية وإن كانت هناك علاقات من هذا القبيل بين إسرائيل وبين بعض مناطق لبنان وطوائفه .

هذه الأهداف التى سعت إليها إسرائيل كى تحقق استراتيجيتها العليا فى منطقة الشرق الأوسط وتجعل منها القوة العسكرية الفعلية القادرة على تقديم تسهيلات ذات قيمة حقيقية للولايات المتحدة الأمريكية .

ولو رجعنا بدقة وأمانة إلى مجريات الأحداث فى المنطقة العربية وعلى أرض لبنان منذ بدء الغزو فى ٦ يونيو سنة ١٩٨٢ وحتى الآن نجد أن معظم الأهداف التى ذكرناها قد

---

(١) Joseph J; Sisco- «Middle East: Progress or Lost Opportunity»- Foreign Affairs- Vol. 61-No. 3- 1983- p. 623, وما بعدها .

تحققت بشكل أو بآخر . وهكذا يكون الردع المسبق قد حقق ما سعت إليه إسرائيل فى حروبها الوقائية وكل منهما يكمل بعضه بعضا فى إطار استراتيجية إسرائيل العسكرية .

(جـ) العمليات العسكرية للغزو :

حاولت إسرائيل فى ٤ يونيو أن توهم المنظمات الفلسطينية أن رد فعلها على محاولة اغتيال سفيرها فى لندن سيقتصر على توجيه غارات جوية مكثفة على قواعد المنظمات ومخيمات الفلسطينيين والقيام بقصف مدفعى من البر والبحر والجو ، وبالفعل مهدت إسرائيل لغزوها بمثل هذه العمليات الانتقامية ولكن هذه الغارات كانت تهدف إلى إضعاف الروح المعنوية عند المنظمات وفى نفس الوقت إبعاد اهتمامها عن احتمال القيام بعمليات عسكرية واسعة النطاق . ثم قامت إسرائيل بعملية الغزو الفعلية فى ٦ يونيو مستخدمة بذلك عدداً كبيراً من قواتها الضاربة وقامت بالهجوم المباغت الذى اتسم بالسرعة على مختلف المحاور اللبنانية فى الجنوب من البر والبحر والجو وكانت هجماتها تتسم بالكثافة والسرعة . وتجدر الإشارة هنا إلى أنها اختارت أواخر فصل الربيع للقيام بتنفيذ خطتها الاستراتيجية لما هو معروف عن طبيعة تضاريس لبنان وما يمكن أن يعترضها من عقبات ميدانية لو قامت بغزوها هذا فى فصل الخريف أو الشتاء أو حتى أوائل فصل الربيع حيث تستمر الأمطار وتتساقط الثلوج أحيانا فتوقيت الغزو يتفق مع مناخ وتضاريس مسرح العمليات وهذا الاختيار كان له تأثيره فى نجاح عملية الغزو إلى حد كبير .

وإذا انتقلنا الآن إلى تتبع المحاور التى بدأت منها القوات الإسرائيلية غزوها للبنان نجد أنها تقدمت على ثلاثة محاور رئيسية :

١ – المحور الغربى : تقدمت فيه أرتال المدرعات والمجنزرات الإسرائيلية على الطريق الساحلى ابتداء من الناقورة وحتى بلدة الدامور قرب بيروت ومرورا بصور وصيدا وقد مهدت لهذه القوات البحرية الإسرائيلية والطيران بضربها المكثف لمخيمات اللاجئين وقواعد المنظمات الفلسطينية التى تصدت بدورها للقوات الإسرائيلية بقوة وشجاعة واستطاعت فى بعض المواقع أن توقف تقدم هذه القوات فقد قامت إسرائيل بإنزال بعض وحداتها من البحر ومن الجو أيضا ورغم المقاومة التى جابهتها إلا أنها تمكنت من التقدم واحتلال المواقع المقررة على هذا المحور .

٢ – محور الوسط : تقدمت فيه القوات الإسرائيلية أيضا تحت غطاء جوى كما استعانت بقوات سعد حداد وتقدمت على هذا المحور إلى أن وصلت النبطية واشتبكت مع القوات الفلسطينية فى معارك دامية ولكنها كانت متفوقة عليها من حيث الأسلحة

وعدد القوات والحماية الجوية ثم انقسمت القوات الإسرائيلية إلى شعبتين إحداهما اتجهت نحو الغرب والأخرى اتجهت نحو الشرق واستمر تقدمها إلى أن التقت كل منها بالقوات المتقدمة على المحور الشرقى وعلى المحور الغربى .

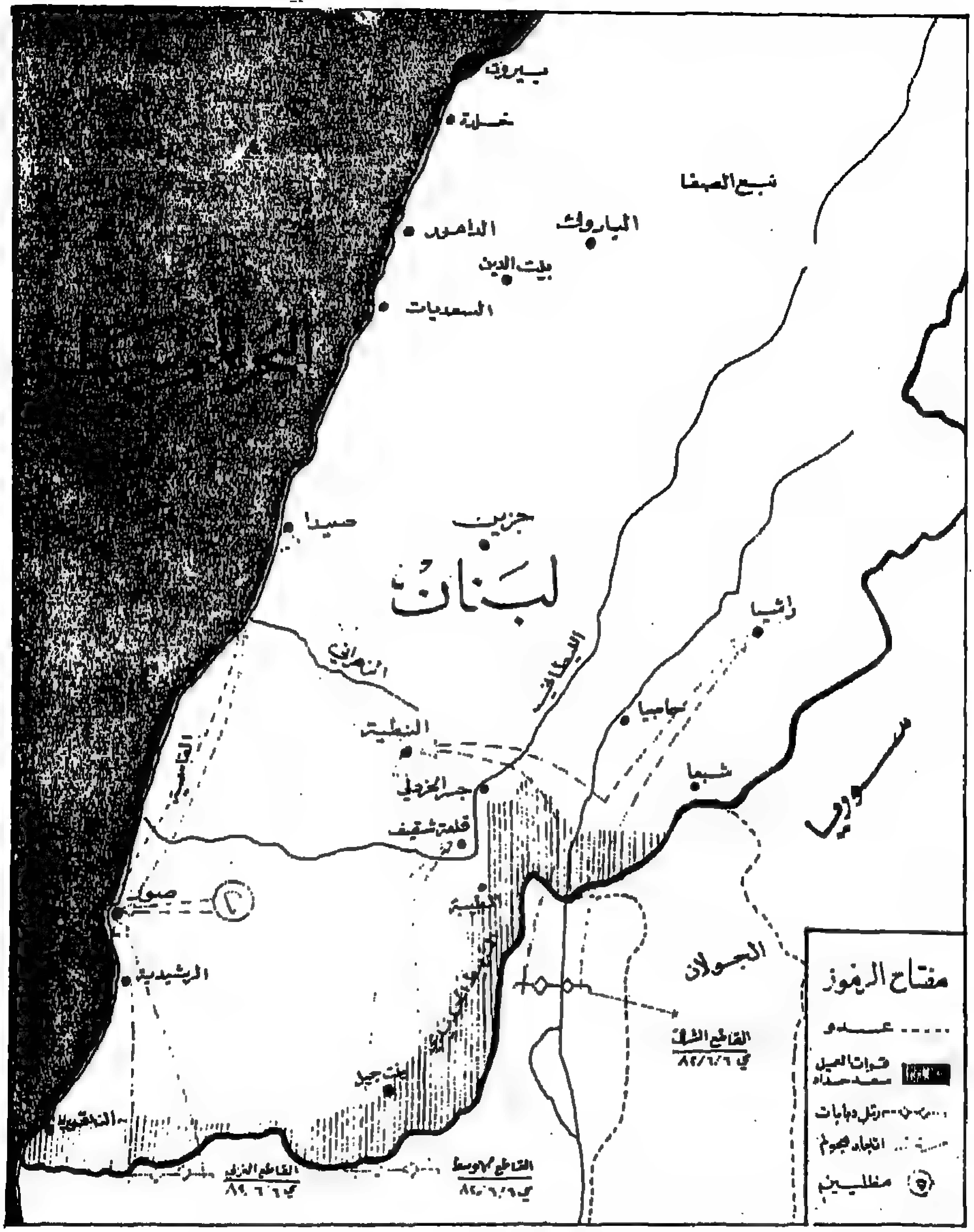
٣ - المحور الشرقى : حيث تقدمت فيه القوات فى اتجاه شبعا - حاصبيا - راشيا ، وقد كان موقف هذه القوات أكثر صعوبة نظرا للتضاريس الجبلية ونظراً لقرب ميدان القتال من تواجد قوات الردع السورية التى شاركت فى القتال . ولكن هذه القوات فى النهاية أيضا انقسمت إلى شعبتين إحداهما اتجهت نحو النبطية والثانية استمرت فى التقدم شمالا نحو سهل البقاع (١) .

ولا بد لنا من القول أن من أهم العوامل التى ساعدت على تقدم القوات الإسرائيلية نجاح القوات الجوية الإسرائيلية بتوجيه ضربة جوية خاطفة لقواعد الصواريخ السورية فى سهل البقاع وهذا ساعدها على حرية الحركة والمناورة فى تحقيق الحماية الجوية لقواتها وفى نفس الوقت متابعة غاراتها المكثفة على مواقع القوات الفلسطينية والسورية . ويلاحظ أن التكتيك الذي استخدمته القوات الإسرائيلية بالتقدم على المحاور الثلاثة ساعدها على تحقيق أهدافها العسكرية أولا فكانت هذه المحاور الثلاثة وكما هى مبينة على الخريطة رقم ٢٦ يساند بعضها البعض الآخر ، ويمكن أن نضيف إلى هذه المحاور محورين آخرين غير أرضين ونعنى بهما المحور البحرى الذى يعتبر فى الحقيقة تعزيز للمحور الأول أى المحور الغربى . وفى نفس الوقت محاصرة من البحر للقوات الفلسطينية ، ثم المحور الجوى الذى كانت أمامه سماء المعركة خالية من أى مقاومة فعلية .

وإذا انتقلنا إلى موقف القوات الفلسطينية والسورية واللبنانية من هذا الغزو نجد أنه اتسم بالمقاومة العنيدة والصمود واستطاع أن يكبد العدو خسائر فادحة ، ولكنه أمام ضغط قوات العدو المتزايد لم تجد القوات الفلسطينية مفراً من الانسحاب نحو بيروت وربما كانت تمهد لتوسيع نطاق العمليات العسكرية وتوريط القوات الإسرائيلية فى مواجهة المقاومة الشعبية . وفى نفس الوقت إظهار إسرائيل على أنها دولة معتدية . ولا شك أن انسحاب القوات الفلسطينية هذا كان يمكن أن يكون شرطا تقع فيه القوات الإسرائيلية المتقدمة على المحاور الثلاثة هذا فى حالة كون لبنان كلها ساحة قتال تعززها وتقويها القوات السورية فى سهل البقاع وفى الشرق ولكن واقع مسرح العمليات لم يكن كذلك فقد كانت بيروت محاصرة من جميع الجهات من الجنوب

---

(١) انظر تفاصيل ذلك فى مؤلف ... أبو الطيب - القاطع الثالث من زلزال بيروت - مطابع الدستور التجارية - عمان - سنة ١٩٨٣ م - ص ٨١ وما بعدها .



تبين الخارطة هنا تقدم العدو من الأراض المحتلة على ثلاثة محاور ودخوله للأراض اللبنانية بتاريخ ٨٢/٦/٦ خريطة رقم (٢٦)

المصدر : أبو الطيب – القاطع الثالث من زلزال بيروت – المصدر السابق ص ٨١ .

والشرق بالقوات الإسرائيلية ، ومن الشمال والشرق بالقوات الكتائبية ، ومن الغرب بالقوات البحرية الإسرائيلية [1] فبعد أن تمكنت القوات الإسرائيلية من محاصرة القوات الفلسطينية أو معظمها داخل بيروت بدأت فى توجيه ضربات جوية مكثفة وهددت بتدميرها وكان يمكن عندئذ أن يحدث تحرك عربى أو دولى يمنع إسرائيل من استمرار الضغط بقواتها وغاراتها الجوية على القوات المحاصرة فى بيروت ، ولكن شيئا من هذا القبيل لم يحدث بل على العكس استطاعت إسرائيل أن تفرض شروطها بخروج القوات الفلسطينية من بيروت مجردة من أسلحتها الثقيلة ، وكان التدخل الدولى لصالح هذه الشروط وبالفعل تم انسحاب القوات الفلسطينية مجردة من أسلحتها وتحقق لاسرائيل ما أرادت .

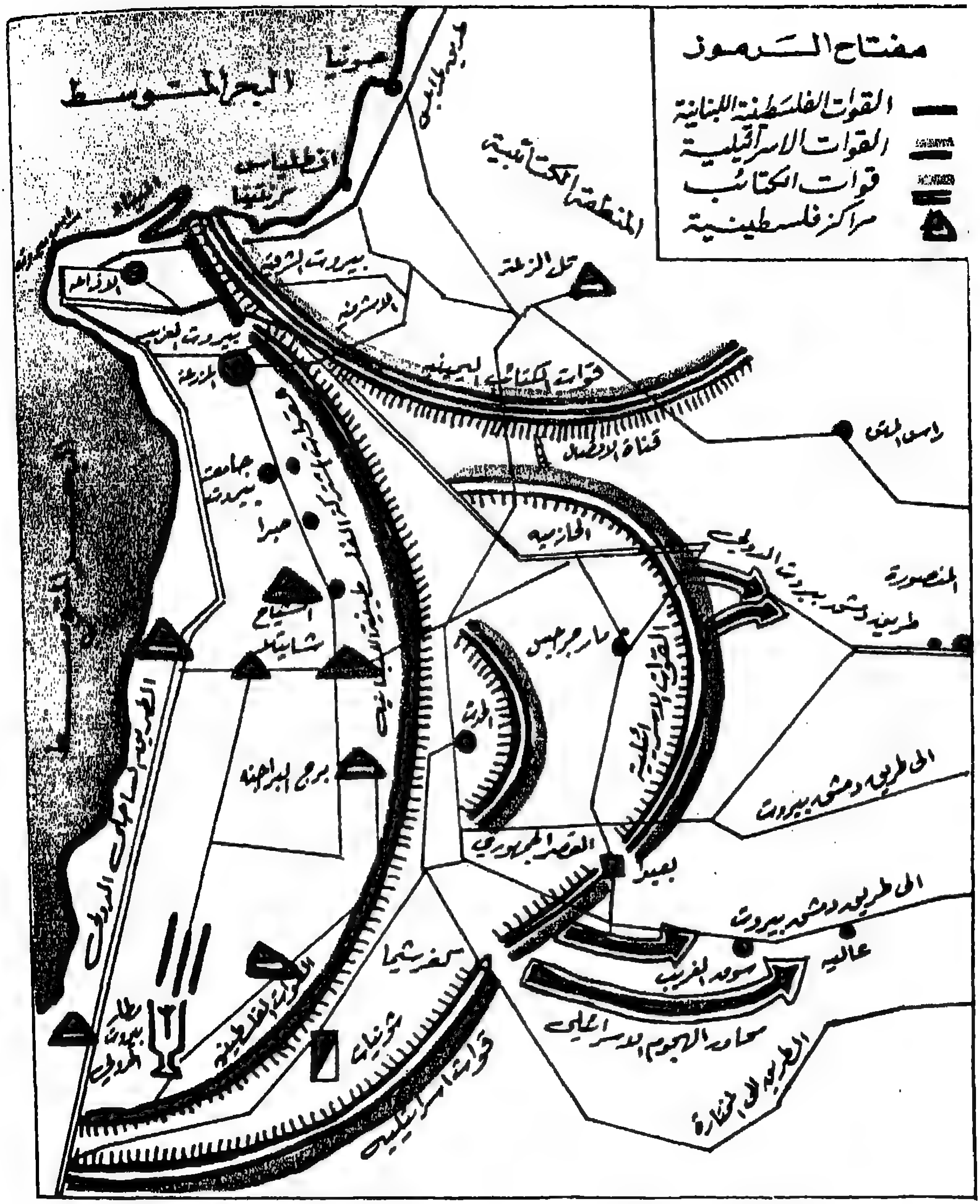
(د) تقييم نتائج عملية الغزو الإسرائيلى :

لم تتم عملية الغزو الإسرائيلى فى فراغ ، ولم تكن كما حاولت إسرائيل أن تصورها انتقاما لمحاولة اغتيال سفيرها فى لندن ، كما أنها لم تكن جزءاً من سياسة الانتقام من الشعبين الفلسطينى واللبنانى ، ولكنها كانت فى الحقيقة خطة استراتيجية سبق وضعها والإعداد لها وانتظار الوقت المناسب الذى يتم فيه وضعها موضع التطبيق . إن ما سبق وأن ذكرناه من اتجاه الصهيونية العالمية ثم إسرائيل فيما بعد للتفكير فى تنفيذ مخططاتها التوسعية فى اتجاه جنوب لبنان يؤكد أن خطة الغزو كانت تنتظر الفرصة التاريخية المناسبة وقد تحقق لها ذلك . وعند تقييم النتائج التى تمخضت عن تنفيذ هذه الخطة وفى إطار دراستنا لسلوك إسرائيل العسكرى واستخدامها استراتيجية الردع المسبق يتضح لنا ما يلى :

١ - من الناحية العسكرية المجردة نجد أن تفكك القيادات الفلسطينية ومن ثم المنظمات الفلسطينية أدى إلى ضياع الجهد العسكرى المبذول فى التصدى للقوات الإسرائيلية ومن الطبيعى أن الجهد الجماعى المنظم والمخطط لابد من أن يواجه بجهد مثله ، على سبيل التطبيق لا تستطيع قوات مبعثرة فى ميدان القتال ، وفى مسرح عمليات ضيق من الناحية الجغرافية أن تواجه قوات نظامية ضاربة ومزودة بأحدث الأسلحة . وكما سبق وأن قلنا أنه يمكن مواجهة هذه القوات لو كان لبنان كله ميدان قتال عندئذ فإن انتشار قوات العدو يضعفها ويسبب لها عقبات كثيرة فى التسليح والتموين والحماية على سبيل المثال : فقد حدث للقوات الألمانية التى قامت بغزو روسيا فى

---

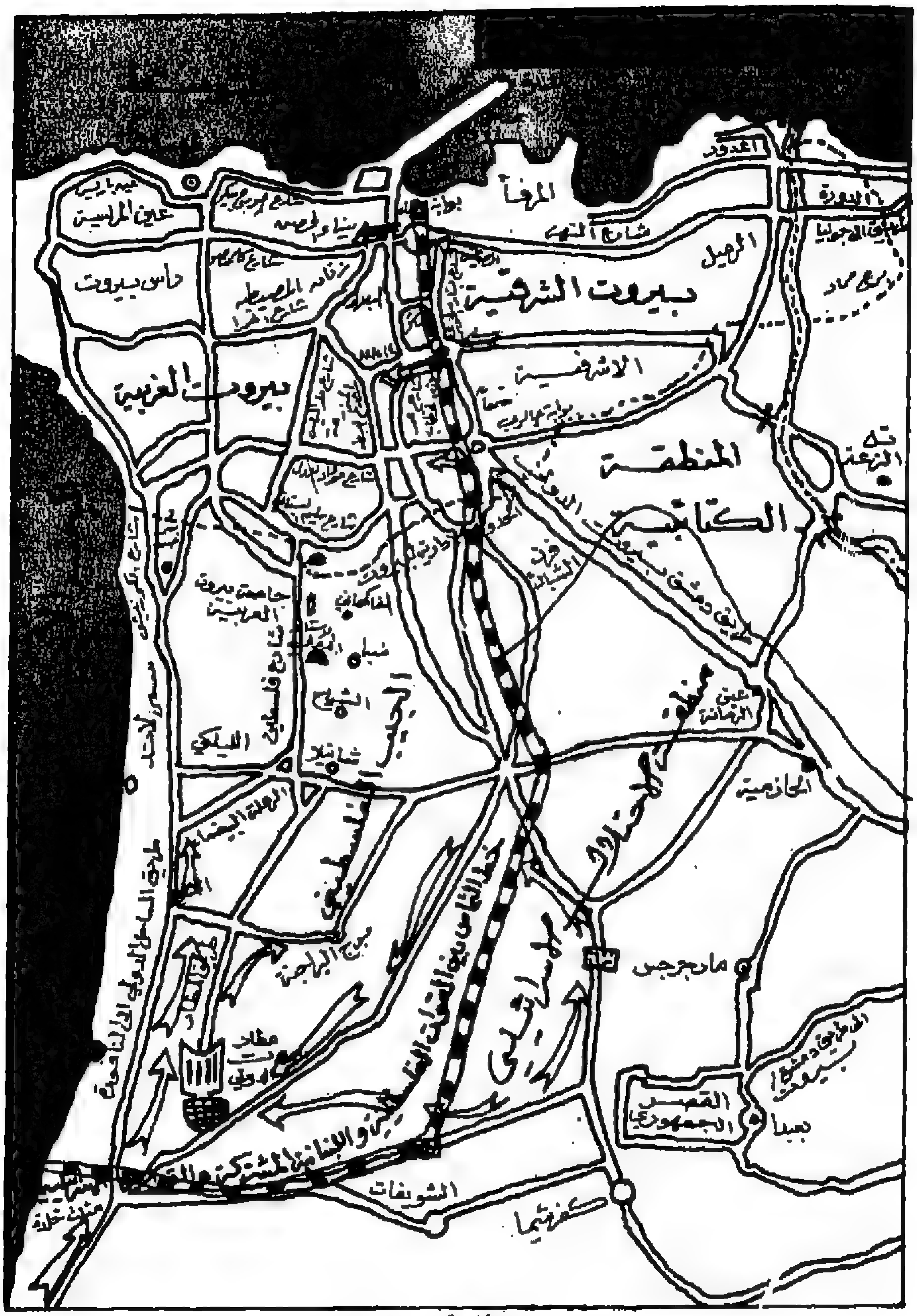
(١) انظر الخريطة رقم ٢٧ مؤلف أبو الطيب – نفس المرجع – ص ٩٩ .



هذه الخارطة تبين الوضع العسكري في بيروت وضواحيها بتاريخ ٢٧ / ٦ / ١٩٨٢ .

الخارطة رقم : ٢٧ .

المصدر : أبو الطيب – المصدر السابق – ص٩٩ .



خريطة رقم : (٢٨)

توضح هذه الخارطة الوضع العسكري فى بيروت في الفترة الواقعة بين ٢٣ - ٨٢/٧/٢٧

المصدر : أبو الطيب المصدر نفسه - ص ٢٣١/٢٣٠

الحرب العالمية الثانية هذا الانتشار الواسع فى مناخ وتضاريس قاسية ساعدت فى النهاية على هزيمتها . ونعود فنقول أن هذا الخطأ العسكرى هو نتيجة لعاملين أساسيين أولاهما عدم وجود قيادة فلسطينية عليا قادرة على تحقيق وحدة المنظمات الفلسطينية ، والثانى عدم وجود استراتيجية مسبقة لمواجهة مثل هذا الغزو .

٢ – الشلل الذى أصيبت به القوات السورية المتواجدة على أرض لبنان وهذا نتيجة للضربة الجوية الخاطفة التى قامت بها الطائرات الاسرائيلية لقواعد الصواريخ فى سهل البقاع . وهذا يعنى من الناحية العسكرية أن القوات السورية فى لبنان أصبحت بدون غطاء جوى ، وبالتالى تقيدت حركتها ولم تستطع أن تقوم بالدور الإيجابى فى تقديم الحماية والمساندة للقوات الفلسطينية وللمقاومة اللبنانية ، وأيضا هذا الخطأ فى التخطيط العسكرى يرجع إلى عدم وضع احتمال تمكن العدو من تدمير قواعد الصواريخ ووضع البديل الذى يمكن القوات السورية من القيام بدورها فى حالة حدوث ذلك ، وبالتالى استطاعت إسرائيل أن تستغل نقطة الضعف هذه لصالحها .

٣ – تعاون قوات الكتائب وقوات سعد حداد مع القوات الإسرائيلية هذا التعاون أوجد جبهتين إحداهما داخلية والأخرى خارجية واجهتها القوات الفلسطينية ، وقوات المقاومة اللبنانية بل أن عملية محاصرة بيروت لم تكن لتنجح لولا اشتراك القوات الكتائبية فيها ، وهى القوات التى كانت تحتل شرق بيروت وميناء بيروت وتقدم المساعدات الظاهرة والخفية للقوات الاسرائيلية فوجود هذين الجيبين داخل لبنان كان له أثره الكبير والفعال فى تحقيق الغزو لأهدافه العسكرية .

٤ – ضعف بل خمول وتخاذل الموقف العربى من عملية الغزو ذاتها فلم تتعد ردود الفعل البيانات والتصريحات هذا بالإضافة إلى استمرار التمثيل الدبلوماسى بين أكبر دولة عربية ونعنى بها مصر وبين إسرائيل أى أن إسرائيل ضمنت إلى جانبها بعض أعضاء الأسرة العربية . أما مواقف الدول العربية الأخرى فقد كان يتسم بالضعف والسلبية وهذا يرجع فى الأصل إلى انهيار المقاومة المسلحة للقوات الفلسطينية والسورية والوطنية اللبنانية فلو استمرت المقاومة بروح عالية وجهد مكثف وعمل منظم لتحول الموقف العربى كله ضد الغزو واستخدام العرب قوتهم لمنع الغزو من تحقيق أهدافه .

٥ – عجز الأمم المتحدة وخاصة مجلس الأمن من اتخاذ موقف عملى لمواجهة عملية

الغزو الإسرائيلى علما أنه من الواضح أن هذه العملية هى فى حد ذاتها عدوان صارخ على أراضى دولة عضو فى الأمم المتحدة ، بل كان هناك شاهد من الأمم المتحدة ذاتها على وحشية المعتدين ، ونعنى به القوات الدولية التى كانت مرابطة فى جنوب لبنان . ورغم ذلك فإن مجلس الأمن لم يستطع أن يتخذ قرارات رادعة لوقف القتال ولإجبار المعتدى على سحب قواته دون قيد أو شرط .

هكذا يتضح لنا من خلال هذا الفصل الذى استعرضنا فيه نموذجين تطبيقيين لاستراتيجية الردع المسبق التى قامت بتنفيذهما إسرائيل ، واستطاعت بالفعل أن تحقق من وراء ذلك بعض أهدافها العليا ، يتضح لنا أن القوة العسكرية الإسرائيلية مازالت هى وسيلتها الرئيسية لتنفيذ سياستها التوسعية والعدوانية ضد العرب ، وأن الحل الوحيد لمواجهة سياسة إسرائيل هذه وجود استراتيجية عربية موحدة قادرة على وضع ميثاق الضمان الجماعى العربى موضع التنفيذ .

الخاتمة

تقييم أسلوب الحرب الوقائية
واحتمالات استراتيجية اسرائيل المستقبلة

منذ أن قامت إسرائيل تبنت الحرب كوسيلة من وسائل تحقيق أهدافها فى المنطقة العربية . وقد استعرضنا فى هذه الكتاب نماذج الحروب التى شنتها إسرائيل منذ قيامها أى منذ حرب ١٩٤٨ وتبنيها لأسلوب الحرب الوقائية والمبادرة بالهجوم المسبق « أن إسرائيل لم يكتب لها البقاء ما لم تشن حربا وقائية على الدول العربية . وتعمل على مد حدودها داخل هذه الدول حتى تضمن سلامتها وحتى تحقق الحلم الذى طالما راود فلاسفة الصهيونية ، ألا وهو إقامة امبراطورية إسرائيلية ممتدة الأرجاء ، تفرض سلطانها قويا يخشاه الجميع[1] .

وكما اتضح ، كان يعتمد ذلك فى الأصل على ثلاثة عوامل أساسية وهى :

١ - النشأة الشاذة التى أوجدت إسرائيل فى هذه المنطقة وسط محيط عربى لا يمكن له أن يتقبل وجودها القائم على اغتصاب أرض عربية وحق شعبها فى تقرير مصيره ، هذا فضلا عن أن وجودها الشاذ يختلف فى مقوماته مع الوجود العربى ومقوماته .

٢ - الأهداف التوسعية التى وضعتها الصهيونية العالمية لوجود الدولة اليهودية فى هذه المنطقة من العالم وهى لا تنفصل عن أهداف الدول الاستعمارية التى سعت دوما إلى خلق هذا الكيان الغريب كى تتمكن من إيجاد حاجز بشرى طبيعى بين المشرق

---

(١) المهندس عبد الله عاصى - صراعنا مع إسرائيل - الطبعة الأولى - المكتب التجارى - بيروت - ١٩٦٩ - ص ٥٧ . (نقلا عن جريدة جيروز اليم بوست الإسرائيلية حديث لموسى شاريت رئيس وزراء إسرائيل السابق نشر هذا الحديث عام ١٩٥٥) .

والمغرب العربى ليحول دون استمرار الوحدة الجغرافية للوطن العربى(*) هذه الأهداف التوسعية هى التى دفعت إسرائيل – كما تبين – إلى انتهاك قرار التقسيم ذاته الذى أوجدها . وإلى الاستيلاء على مساحات واسعة من الأراضى العربية المخصصة للعرب . وهى التى دفعتها إلى شن حرب وقائية عام ١٩٥٦ ، وهى التى جعلتها تصر على الاستمرار فى احتلال الأراضى العربية .

٣ – المقومات الجغرافية والموارد البشرية والسكانية التى وجدت بها إسرائيل لا تجعلها تحتمل أى ضربة عسكرية عربية توجه إليها . لذلك اعتمدت على أن تبدأ هى بالهجوم ، جريا على القاعدة الأصولية فى الفكر العسكرى الاستراتيجى الإسرائيلى والتى تقول « إن الهجوم خير وسيلة للدفاع » . يوضح ذلك الجنرال البرت ميرجلين قائلا :

« إن وضع إسرائيل الجغرافى – برقعتها الصغيرة الكثيفة فى عدد السكان ، محاطة من كل الجهات بدول عربية كبيرة ، وأهدافها الحيوية موزعة على مساحات متباعدة لقيد خطير لإسرائيل وميزة لأعدائها .

إن التفوق الكبير فى عدد السكان لدى العرب سيجعلهم يتحملون خسائر أكبر بكثير فى الأرواح من إسرائيل »[1] .

لقد تفاعلت هذه العوامل مجتمعة وتأثر كل واحد منها بالآخر كى تؤثر جميعها فى وضع أسس التفكير العسكرى الاستراتيجى الإسرائيلى . والسؤال الآن هو : إلى أى مدى استطاعت إسرائيل أن تحقق من خلال استخدامها للحرب الوقائية أهدافها القومية التى سبق ذكرها ؟ .

لقد وصلت إسرائيل إلى قمة المنحنى الذى تصاعد منذ عام ١٩٤٨ فى استخدامها للحرب الوقائية فى حربها عام ١٩٦٧ ، بمعنى أنها فى أعقاب هذه الحرب تمكنت من تحقيق ما سبق وإن أطلقنا عليه بوضع الاسترخاء الجغرافى فبعد وقف إطلاق النار فى حزيران ١٩٦٧ ووقوف الجيش الإسرائيلى على خطوط جديدة هى خط الحدود الوحيد الفاصل بين العرب وإسرائيل – كما أوضح ذلك ايجال آلوان – وبناء إسرائيل لمنظومة دفاعية على هذه الخطوط تستند إلى موانع مائية وموانع طبيعية واصطناعيه تمثل ألغاما

(*) أنظر تفاصيل ذلك فى مؤلف : شفيق الرشيدات – فلسطين تاريخاً وعبرة ومصيراً الطبعة الثانية – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر – القاهرة – سنة ١٩٦٨ [نص تقرير كامبل بزمان ص ٣٧ – ٤٥] .

(١) الجنرال البرت ميرجلين – الندوة الدولية لحرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ – من ٢٧ – ٣١ اكتوبر سنة ١٩٧٥ – المجلد الأول – إدارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة – القاهرة – سنة ١٩٧٦ – ص ١٢٨ .

وأسلاكا أنفق عليها الجيش الإسرائيلى أموالا طائلة . واعتقاد إسرائيل بأنها قد امتلكت قوة الردع الكافية لأن العرب يحافظون على وقف إطلاق النار ليس حباً للسلام بل من خوفهم من إسرائيل .

ولتحقيق ذلك لم تنس إسرائيل أن تعبر عن قوتها الرادعة من حين لآخر بتوجيه ضربات إلى عمق دول المواجهة . سواء فى سوريا أو الأردن أو مصر . وقد ذكر موشى ديان بعد الحرب الاستنزاف بأن وقف إطلاق النار مع المصريين ناتج عن الغارات الجوية فى عمق مصر . أما حصيلة هذه السياسة التى يهدف إليها الإسرائيليون فتتلخص فى أن ارتداع العدو ولفترة زمنية طويلة من شأنه أن يؤدى إلى التسليم بالأمر الواقع والتسليم يؤدى بالتالى إلى السلام .

ولم يقتصر تذكير إسرائيل بقوتها على الدول العربية المجاورة ، بل تعداه إلى الدول العربية البعيدة . وقد تنبأ بذلك فكرى أباظة عندما كتب مقالة فى مجلة المصور المصرية سنة ١٩٥٠ بعنوان : إنذار لابد منه . قال فيه :

« يجب على الحكومات العربية ، والشعوب العربية أن تؤمن بأن « الخطر الصهيونى » لن يقتصر على فلسطين وحدها ، وإنما هو خطر على البلاد العربية عامة ، وكل عمل لوقفه إنما هو دفاع عن النفس والمال ، والحاضر ، والمستقبل ، قبل أن يكون دفاعا عن فلسطين أو أهل فلسطين »(١) وقد طالب ايجال آلون ببذل جهود مستمرة لتحسين مدى الطيران التنفيذى الذى تقوم به الطائرات التى تهاجم أهدافا أرضية وبحرية وإقامة قواعد جوية بعيدة المدى . وهكذا ونتيجة لحرب ١٩٦٧ اتسع دور إسرائيل كشرطى حامى للمصالح الاستعمارية فى المنطقة العربية .

عاشت إسرائيل عصرها الذهبى « خلال السنوات التى أعقبت حرب ١٩٦٧ وحتى حرب ٦ أكتوبر كمسيطرة تدير شئون المنطقة ، ويتدفق عليها سيل من المهاجرين يستوطنون مناطق جديدة واسعة ، ووصلت الثقة إلى حد بعيد عند قادتها ، فقد عبر موشى ديان قائلا : إن حدود إسرائيل ستبقى مجمدة خلال الأعوام العشرة المقبلة ، ولن تنشب حرب ، واطمأنت بالتجربة إلى عدم فاعلية الضغط الدولى عليها ، وبدأت تخطط لتدعيم وجودها واحتلالها للأراضى العربية »(٢) .

---

(١) فكرى أباظة – مجلة المصور العدد ١٣٢٧ – القاهرة ١٩٥٠/٣/١٧ – ص ٩ .

(٢) هشام عبد الله – مصدر سبق ذكره – ص ٦٦ – ٦٧ .

ولكن عند التقييم لمدى تحقيق الحروب الإسرائيلية لأهدافها القومية نجد أنها استطاعت أن تحقق الأهداف الآتية :

١ – التوسع الإقليمي .

٢ – جلب المزيد من المهاجرين الجدد وبناء المستعمرات فى المناطق المحتلة .

٣ – تقييد العمل العسكرى العربى إزاءها .

ومع ذلك فقد فشلت حتى الآن فى تحقيق هدفها الأساسى وهو السلام واعتراف العرب بها . ومن ثم فإن حالة الصراع مازالت مستمرة واحتمالات فشل سياستها فى المنطقة العربية قائمة . لذلك يمكن القول أن الحروب الإسرائيلية التى خاضتها ضد الدول العربية كانت ذات نتائج عسكرية ولم يكن لها مردود سياسى(*) وعليه فالنتائج العسكرية بطبيعتها تعتمد على توزان القوى . فإذا ما اختل هذا التوازن لصالح العرب فتكون إسرائيل معرضة لتخسر كل ما حققته فى ربع قرن أو يزيد فى ضربة عسكرية واحدة . تؤكد ذلك النتائج التى تمخضت عنها حرب عام ١٩٧٣ على الرغم من أن حرب ١٩٧٣ لم يهدف منها العرب إلى هزيمة إسرائيل هزيمة كاملة فى ميدان القتال وذلك لاعتبارات سياسية ودولية تحول دون ذلك . إلا أنهم أى العرب تمكنوا من كسر نظرية الأمن الإسرائيلية(*) وإبراز عجز إسرائيل عن تحمل خسائر حرب طويلة المدى يقول فى ذلك الهيثم الأيوبى :

(*) نظرا لأن حرب اكتوبر ١٩٧٣ لم تؤد إلى نتائج عسكرية حاسمة لذلك لم يتمكن أى طرف من أطراف الصراع من تحقيق أهدافه السياسية من الحرب وبالتالى فان احتمالات الصراع تبقى قائمة .

انظر في ذلك : الدكتور أحمد صدق الدجانى ماذا بعد حرب رمضان – الطبعة الأولى – الشركة المتحدة للتوزيع والنشر – بيروت – ١٩٧٤ – ص ١٣٤ – ٢٠٤ .

(*)١ – لقد اقتحمت قواتنا قناة السويس ، وحطمت دفاعات خط بارليف : وأوقعت الهزيمة العسكرية بالتجمع الرئيسى للعدو ، وكبدته خسائر فادحة ، وأجبرته على الانسحاب لأول مرة فى تاريخه تحت ضغط القوة العسكرية ، وتغيرت الموازين الاستراتيجية فى المنطقة ، نتيجة لهذه الحرب .

(٢) وتحطمت نظرية الأمن الإسرائيلى ، وثبت أن فكرتها عن الحدود الآمنة خاطئة وتعتبر مصدرا دائما للتوتر فى المنطقة ، فقد انتصرت إسرائيل عام ١٩٦٧ من حدود اعتبرتها غير آمنة ، وهزمت عام ١٩٧٣ على الجبهة المصرية من خطوط اعتبرتها آمنة .

* انظر : الفريق أول محمد عبد الغنى الجمسى (وزير الحربية المصرية) الندوة الدولية لحرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ من ٢٧ – ٣١ اكتوبر سنة ١٩٧٥ – المجلد الأول – إدارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة – القاهرة – سنة ١٩٧٦ – ٣١ .

« يتجابه فى الصراع العربى الإسرائيلى مذهبان قتاليان مختلفان إذ يتبنى العرب استراتيجية الحرب طويله الأمد ، على حين يفضل الإسرائيليون الحرب القصيرة الخاطفة . وتنبع رغبة العرب فى شن الحرب الطويلة من مساحة أراضيهم ، وضخامة قوتهم البشرية ، وحاجتهم لوقت كبير يعبئون به قواتهم ويزجونها فى المعركة . كما أنها تنبع من قناعتهم بأن الحرب الطويلة والبحر البشرى العربى ومساحات الأرض الشاسعة قادرة على احتواء أى هجوم معاد واستنزافه بمعارك متعددة لا تنتهى ، وإجباره على توزيع قواه التى لا يمكن أن تكون كافية لإخضاع الأمة العربية بأسرها ، ويرى الإسرائيليون على العكس أن طبيعة أرضهم الصغيرة ، وقلة عددهم ، تدفعهم إلى خلق جيش صغير ميكانيكى ، قادر على تحطيم القوة العسكرية العربية المحتشدة فى مكان محدد خلال فترة من الزمن ... ليس فقط للانتصار على العدو ، بل للانتصار السريع بأقل ضحايا ممكنة ... وكان الإسرائيليون يبنون خططهم على أساس عدم التوغل فى المساحات العربية الشاسعة إلا ضمن حدود إمكاناتهم وكانت مساحة الأراضى التى يقومون باحتلالها وفرض سيطرتهم عليها تتناسب دائما مع قدراتهم الفعلية للسيطرة على هذه الأراضى ومراقبتها بشدة »[1] .

من هنا كان التفوق الاستراتيجى العربى ولأول مرة قد وقع عام ١٩٧٣ وتمثل هذا التفوق فى النقاط الآتية :

١ – مبادرة العرب بالهجوم على جبهتين هما الجبهة المصرية السورية وفى وقت واحد . وهذا يعنى أن تتوزع جهود الدفاع الإسرائيلية ولأول مرة فى أقصى الشمال وفى أقصى الجنوب يقول فى ذلك الجنرال البرت مرجلين :

« وأمام دهشة العالم كله كانت المفاجأة العربية فى الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ تامة نتيجة للهجوم المنسق الشامل الذى قام به الجيشان المصرى والسورى على الجبهتين الشمالية والجنوبية فى آن واحد يوم ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ ضد إسرائيل . ولقد حدث ما كان غير متوقع ، على عكس التأكيدات المنافية من جانب كافة رجال السياسة والخبراء العسكريين والصحفيين والمتخصصين فى كافة البلاد ، وقد تخلصت إسرائيل بالكاد من هذه المباغتة ، كما يؤكد ذلك الارتباك الشديد والمخاوف التى

---

(١) الهيثم الأيوبى – دروس الحرب الرابعة – منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث – بيروت – ١٩٧٤ ص ٢٦ – ٢٧ .

سيطرت على هذا البلد فى الأيام الأولى . فإن المفاجأة التى زاد من خطورتها الإهمال والتردد ، هزت النفوس وفرضت على الأذهان هذه الحقيقة وهى أن المستحيل قد حدث فقد عبرت الجيوش العربية قناة السويس واستولت على جبل الشيخ واقتحمت المراكز الدفاعية فى الجولان[1] مما ترتب عليه تكبيد القوات الإسرائيلية خسائر فادحة فى الأرواح والمعدات . ونتيجة لذلك وضعت إسرائيل فى مأزق استراتيجى صعب لم تستطع الخروج منه إلا بمساعدة ومساندة أمريكا ، وهذا ما يؤيد المبدأ القائل « الهجوم خير وسيلة للدفاع » خاصة إذا أحسن المهاجم استغلال كل مزايا الهجوم لصالحه » .

٢ ـ التقدم التكنولوجى الذى حققه الجندى العربى فى قدرته على استخدام الأسلحة المتقدمة . وكان ذلك سببا فى رفع كفاءته القتالية فى الدفاع والهجوم معا مما أضاف إليه ميزة جديدة إلى مميزاته العسكرية الأساسية يشهد على ذلك أحد قادة العدو وهو الميجر جنرال بيليد قائلا : « إن الفضل فى التقدم الذى أحرزه الجيشان يرجع دون ريب إلى معنوياتهما فالعرب كانوا يقاتلون هذه المرة من أجل أرضهم . ومن أجل الثأر لشرفهم العسكرى ، ومن أجل « رمضان » الذى اختاروه لبدء هجومهم .. لكن هذه العوامل لا تكفى لتفسير الكفاءة غير المنتظرة ، التى لوحظت لدى العرب والتى لا يمكن مناقشتها : كفاءة فى صيانة واستخدام أسلحة دقيقة »[2] .

٣ ـ طول مدة القتال الذى استمر حاداً على جبهتين لمدة تزيد على أسبوعين . وقد كلف ذلك القوات الإسرائيلية خسائر كبيرة وخاصة فى الأفراد . وها هو ديان وزير الدفاع الإسرائيلى السابق يصف هذه الحرب قائلا :

« هذه حرب صعبة .. إنها حرب ثقيلة بأيامها ، وثقيلة بدمائها »[3] . إذن حرب عام ١٩٧٣ أثبتت صحة النظرية العسكرية الإسرائيلية التى كانت تقوم فى الأصل على تبنى فكرة الهجوم المضاد المسبق وهذا ما ذهب إليه قادة إسرائيل العسكريين ، ومن ثم فإن استمرار إسرائيل ووجودها كان مهدداً كله بالإنهيار لو لم تكن قواتها تقف على حدود الاسترخاء الجغرافى الذى حققته فى أعقاب حرب عام ١٩٦٧ هذا من ناحية .

(١) الجنرال البرت مرجلين - الندوة الدولية لحرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ . من ٢٧ - ٣١ أكتوبر سنة ١٩٧٥ - المجلد الأول - إدارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة - القاهرة - سنة ١٩٧٦ - ص ١١٨ .

(٢) م بيليد - مصدر سبق ذكره - ص ٤٠ .

(٣) الدكتور عبد الكريم درويش وليلى تكلا - حرب الساعات الست - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٧٤ ص ٣٨٣ .

توضح ذلك جولدا مائير قائلة : « انظروا ما الذى كان سيحدث لإسرائيل لو أنها انسحبت إلى خطوط ٤ يونيو .. إن هذه الحدود التى كنا عندها لم تمنع العرب من الهجوم علينا »(١) .

ومن ناحية أخرى فإن انتظارها لتلقى الضربة الأولى من العرب قد وضعها فى مأزق استراتيجى حرج لم يخرجها منه إلا الإمداد العسكرى الأمريكى . تؤكد ذلك جولدا مائير رئيسة الوزراء السابقة مخاطبة سفيرها فى أمريكا قائلة له : « لابد من السلاح . إن الموت يأكل جنودنا . إن كل ساعة تأخير تكلفنا الكثير جداً »(٢) .

... وقد أمر نيكسون بإرسال الطائرات العملاقة ووصلت هذه الطائرات إلى ميدان القتال يوم ١٤ أكتوبر بغزارة . ونتيجة لهذا الإمداد فقد تغير الموقف كله . أما طائرات الفانتوم ، وسكاى هوك فكانت تمون من الجو وكانت تصل بمعدل واحدة كل ربع ساعة ، ولما رأت جولدا مائير هذه الطائرات العملاقة حمدت الله على أنها لم توافق على قرار شن حرب وقائية ، وإلا ما كانت أمريكا قد أرسلت هذه الطائرات(٣) .

وبذلك فإن كل ما ادعته إسرائيل من تفوق فى التسليح ، والتكنولوجيا والتعبئة خلال ربع قرن ، لم يمكنها من الاعتماد الذاتى على نفسها أثناء سير العمليات الحربية .

لهذا كله تتضح أسس استراتيجية الحرب الوقائية التى اعتمدتها العسكرية الإسرائيلية ونجحت فى تطبيقها فى ثلاثة حروب هى حرب عام ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ وأى احتمالات لاستخدام إسرائيل للأداة العسكرية فى المستقبل لحسم الصراع العربى الإسرائيلى سوف تكون من جانب إسرائيل لتحقيق الهدف الأساسى وهو فرض الصلح والسلام الإسرائيلى على العرب وذلك من خلال تحقيق أهداف تكتيكية بالنسبة لهذا الهدف وهى :

١ ــ تدمير القوة العسكرية العربية وعلى وجه الخصوص للدول المحيطة بإسرائيل .

٢ ــ القضاء على الثورة الفلسطينية المسلحة وفكرة حقوق الشعب الفلسطينى المشروعة فى وطنه .

---

(١) جريدة أخبار اليوم العدد ١٦١٤ القاهرة ١١ - ١٠ - ١٩٧٥ ص ١٢ .

(٢) المصدر نفسه — ص ١٢ .

(٣) المصدر نفسه — ص ١٢ .

٣ ــ الوصول إلى تفوق عسكرى فى مستوى الردع بحيث تتمكن إسرائيل فى ظله من منع العرب ولفترة طويلة من التفكير فى القيام بحرب ضدها . وهذا لا يتأتى لها إلا بأحداث تغيير جذرى فى موازين التسلح التقليدى وتعديها لامتلاك أسلحة التدمير الشامل وهى : القنابل الذرية والأسلحة الصاروخية الحاملة لها .

إذن إسرائيل نجحت حتى الآن فى استنزاف كل مميزات الحرب الوقائية واستطاعت أن تحقق صلحاً منفرداً مع مصر . وبقى عليها أن تصل إلى هدفها النهائى من هذه الحرب وهو الصلح والسلام مع باقى العرب . وعند استرجاع الصراع العربى الإسرائيلى يتأكد أن هذا الهدف لا يمكن تحقيقه بالأسلحة التقليدية وذلك لسبب بسيط وهو التوازن الذى أثبتته حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ وغزوها للبنان سنة ١٩٨٢ م سواء من حيث الكم فى العتاد والأسلحة التقليدية ونوعية هذه الأسلحة وتقدمها التكنولوجى أو المميزات التى يتمتع بها العرب من حيث الاتساع الجغرافى والكم العددى . هذا فضلا عن أن الحروب الوقائية التى شنتها إسرائيل لم تمكنها من فرض إرادتها على العرب وهى الغاية النهائية لأى حرب والتى ترمى إلى تجريد الخصم من أسلحته استعدادا لفرض الإرادة عليه . وبذلك فإن حلقة الحروب المستمرة سوف لا تؤدى إلى النتيجة الحاسمة وبقى للردع الذرى دوره فى الصراع(*) . فإلى أى مدى تسعى إسرائيل لاستخدام هذا السلاح فى المستقبل ؟ وهل يمكن لها أن تحقق هدفها النهائى بردع العرب ذريا وفرض الصلح عليهم ؟ وما يجب على العرب أن يفعلوه كى لا يقعوا فريسة للخوف من الردع النووى .

وقد صرح افرايم كتسير رئيس دولة إسرائيل فى ٢ ديسمبر سنة ١٩٧٤ قائلا :

« بأن لدى إسرائيل القدرة على إنتاج أسلحة نووية . وإذا احتجنا لذلك سننفذه »[١] .

(*) « ومن المحتمل أن إسرائيل لديها فعلا أسلحة نووية . ولكى تحصل مصر على مثل هذه الأسلحة فإن ذلك يتطلب وقتا طويلا بالتأكيد ، وأنه لا يمكن نهائيا استبعاد احتال أن تصبح كل من مصر وإسرائيل عرضة لهجمة نووية ، ولهذا فإن عامل الردع المتبادل هو العامل الذى ستكون له اليد العليا » .. « انظر : الجنرال البرت مرجلين – الندوة الدولية لحرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ من ٢٧ – ٣١ أكتوبر سنة ١٩٧٥ – المجلد الأول – إدارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة – القاهرة – سنة ١٩٧٦ – ص ١٢٨ .

(١) محمد سيد أحمد – بعد أن تسكت المدافع – دار القضايا – القاهرة – سنة ١٩٧٥ – ص ٢٩٧ .

قد لا يكون هذا التصريح دليلا قاطعا على أن إسرائيل تمتلك بالفعل السلاح النووى ، ولكنه ينطوى على معنى أكيد أن ملكيتها لهذا السلاح أمر وارد ولم يعد إسقاطه من الحساب ممكنا(*) .

إذن هناك ربط واضح بين نية إسرائيل لامتلاك السلاح النووى وبين حاجتها الاستراتيجية لهذا السلاح كى تستخدمه هذه المرة فى تحقيق أهدافها السياسية . فالسلاح الذرى لا يقارن بأى سلاح تقليدى من حيث قدرته التدميرية . هذا بالإضافة إلى توفر الأسلحة الصاروخية القادرة على حمل رؤوس نووية ونقلها إلى أهدافها فى وقت قصير لا يتعدى الدقائق . ومن ثم يصبح كيان أى دولة تتعرض لهجمة نووية واحدة معرض للفناء .

ورغم كل هذه المميزات الاستراتيجية للسلاح النووى خاصة فى حالة احتكاره من جانب أحد أطراف الصراع ، إلا أن استخدامه يظل معلقا باعتبارات دولية وخاصة فى منطقة حساسة كمنطقة المشرق العربى .

وقد سبق لايجال آلون – باعتباره أبرز القادة الإسرائيليين الذين عبروا عن استراتيجية إسرائيل – أن حدد سياسة إسرائيل المعلنة بصدد موضوع الأسلحة النووية فقال :

« لو كان لنا الخيار بين امتلاك الجانبين للأسلحة النووية لاستخدامها كردع متبادل وبين حرمانهما من أن يضعا اليد عليها لوجب علينا أن نختار بصورة قاطعة توازنا للقوى يقوم على الأسلحة التقليدية ، ومع ذلك فقد كان هناك دائما الخطر فى أن يتمكن العدو آخر الأمر من إنتاج أسلحة غير تقليدية أو أن تزوده بها إحدى الدولة النووية . ولذلك فقد كان من الضرورى على إسرائيل أن تتابع عن كثب التطورات فى العالم العربى وفى

(*) « سوف تلجأ إسرائيل إلى التهديد باستخدام السلاح النووى فى أى صراع مقبل وذلك للأسباب الآتية :

١ ــ نتيجة لإخفاقها العسكرى والسياسى فى حرب أكتوبر .

٢ ــ لعدم استطاعتها تحقيق أهدافها القومية بالأسلحة التقليدية وخاصة بعد فشلها فى حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ .

٣ ــ اقتصادها لا يستطيع تحمل حالة التعبئة العامة واستمرار التسليح .

٤ ــ فشلها فى الدفاع عما تسميه الحدود بالأسلحة التقليدية .

٥ ــ لعدم إمكانيتها مواجهة قدرة العرب القتالية وتزايد عددهم ، وإمكانياتهم الاقتصادية والفنية والتكنولوجية .

٦ ــ لتصبح فى وضع أفضل بإعلانها عن امتلاك أسلحة نووية مما يسمح لها بالتخلى عن التزويد الأمريكى المستمر بالسلاح التقليدى » – « المصدر : معهد الدراسات الاستراتيجية فى اليابان – حرب اكتوبر والتنافس النووى فى الشرق الاوسط – جريدة الاهرام – العدد ٣٢٨١٠ .

مصر بصفة خاصة وأن تحافظ فى الوقت ذاته على مستوى عال من الأبحاث والتكنولوجيا فى الحقل النووى على الخطوط المتبعة فـى دول العالم المتقدمة . وقد كان هذا فى المقام الأول لازما لتطوير البلاد نفسها اقتصاديا وعلميا وسياسيا . ومن المعروف جيدا أن الخبرة العلمية والتكنولوجية لدولة ما هذه الأيام تشكل قدرتها على إنتاج الأسلحة النووية . وإذا كانت إسرائيل لا تريد أن تمسك وهى نائمة فليس أمامها خيار إلا أن تحافظ على قدرتها »(١) .

وقد أكدت الأبحاث الذرية التى تقوم بها إسرائيل فى المفاعلات التى تمتلكها أنها قادرة على صنع القنبلة الذرية(٢) . وقد كرر إيجال آلون مؤكدا « فان إسرائيل يجب ألا تسمح مهما كانت الظروف بأن تجعل وجودها يعتمد عسكريا على أى ضامنين له من الخارج لأسباب عديدة مقنعة :

١ ـــ لأن الاعتماد عليه يؤدى إلى إملاء سياسى حول طرق ووسائل حل النزاع العربى الإسرائيلى مما قد ينتهى فى صالح الأعداء .

٢ ـــ أن الدولة الضامنة قد لاتكون متفقة معنا دائما بالضرورة فى تقييمنا للموقف الفعلى .

٣ ـــ أنه فى يومنا وزماننا هذا تتحدد نتيجة الحرب فى الأيام القليلة الأولى وأحيانا فى ساعاتها الأولى وعليه فإن معونة حلفائنا قد تصل بعد أن يكون الأوان قد فات للاستفادة بها . وأخيراً فنحن نعيش فى عالم اصنعها بنفسك واستمرار بقاء دولتنا يعتمد على قدرتنا الخاصة فى الدفاع عن أنفسنا دون معلونة وكنت أثق بحزم أننا قادرون على الدفاع عن أنفسنا دون معونة عسكرية خارجية فيما عدا إمدادنا بالمواد الحربية »(٣) .

إن أقوال آلون هذه تتضمن ضرورة لجوء إسرائيل للخيار النووى ذلك لأن آلون يعرف قبل غيره أن اعتماد إسرائيل على الدول الخارجية فى استيراد الأسلحة التقليدية المتطورة مسألة لا غنى عنها بالنسبة للدول الصغيرة التى لا تملك ذلك الخط التصاعدى

---

(١) Allon Y. OP. Cit. P. 69 - 70.

(٢) انظر : فؤاد جابر – الأسلحة النووية واستراتيجية إسرائيل – مركز الدراسات الفلسطينية – بيروت سنة ١٩٧١

(٣) (1) Allon. Y. OP. Cit. P. 69.

من المؤسسات الصناعية الثقيلة . هذا فضلا عن افتقار مواردها الطبيعية للمواد الخام الهامة اللازمة لإقامة مثل تلك الصناعات . ولكن السلاح النووى وحده هو الذى يمكن أن يصنع محليا وكاف لإحداث ردع أو تدمير مروع وإخضاع إرادة الخصم نتيجة لاستخدامه لأول مرة .

وهنا لابد من التساؤل حول هذا الموضوع الحساس الذى يحتمل أن يغير تغييرا جذريا وسائل الصراع العربى الإسرائيلى ، هذا السؤال هو : لقد أكدت الأبحاث أن إسرائيل قادرة على صنع القنبلة الذرية كما تبين الوقائع أنها فى هذه المرحلة من الصراع فى حاجة إلى السلاح الذرى فلماذا لا تبادر بالإعلان عن امتلاكها القنبلة الذرية ؟ هناك عدة أسباب تمنعها من ذلك :

١ ــ إن الصراع العربى الإسرائيلى يدور فى منطقة حساسة من العالم تتصارع فيها قوى دولية مختلفة ذات مصالح استراتيجية متناقضة . والإعلان عن وجود أسلحة نووية لدى أى طرف من الأطراف المتصارعة سيخلق حتما وضعا بالغ الخطورة قد يؤدى إلى سباق بين الدول الكبرى على إمداد دول المنطقة بالأسلحة . وفى ذلك خطورة على الأمن الدولى .

٢ ــ أن الإعلان القاطع الصريح عن امتلاك إسرائيل للأسلحة النووية سيدفع الدول العربية وخاصة مصر إلى تطوير بحوثها الذرية وامتلاك الأسلحة الذرية(*) . وقد أكد ذلك الرئيس محمد أنور السادات قائلا : « إمكانية وجود قنبلة ذرية فى إسرائيل إمكانية واردة ، ولا يمكن أن تدخل إسرائيل السلاح الذرى إلى المنطقة ثم نقف نحن متفرجين ، إذا أدخلت إسرائيل السلاح الذرى ، فلنا الحق كل الحق أن نبحث ونحصل على السلاح الذرى وهذه الإمكانية موجودة »[1] . كما أكد هذه الإمكانية العربية الفريق سعد الدين الشاذلى سفير مصر فى لندن فى يوم ١٩٧٤/١٢/٢٧ أى بعد إعلان رئيس دولة إسرائيل

(*) يؤكد ذلك تقرير معهد الدراسات الاستراتيجية فى اليابان تحت عنوان : حرب اكتوبر والتنافس النووى فى الشرق الأوسط والذى نشر فى جريدة الأهرام – عدد : ٣٢٨١٠ فى ٩ – ١٠ – ١٩٧٦ ص ٤ قائلا :

« إن هذا الموقف الذى ستتخذه إسرائيل سوف يدفع الدول العربية لامتلاك السلاح النووى لمواجهة الخطر الاسرائيلى ، أن الدول العربية تستطيع أن تتفوق عليها فى هذا المجال لأن العرب يملكون من الثروة والقدرة البشرية والطاقة ما يسمح لهم بالتفوق عليها فى هذا بالإضافة إلى توفر المواد الخام وفى مقدمتها اليورانيوم الذى يسمح بإنتاج الأسلحة النووية

(١) محمد سيد أحمد – مصدر سابق – ص ٣٠٥ .

عن إمكانية تصنيع السلاح الذرى فى إسرائيل قائلا : « أن مصر تملك القدرة على صنع الأسلحة الذرية ومن حقنا الآن أن نستخدم هذه القدرة فى صنع السلاح الذرى بعد ما أعلنت إسرائيل أنها قادرة على صنع هذه الأسلحة »(١) .

٣ ــ أن الجيش الإسرائيلى كجهاز عسكرى مسلح بأسلحة تقليدية متطورة كان قادرا فى حرب عام ١٩٦٧ على تحقيق أهداف السياسية الإسرائيلية فى الأمن والتوسع . ومن خلال معارك اكتوبر عام ١٩٧٣ تمكن من استيعاب الهجوم المفاجىء والوصول إلى وضع التوازن على الجبهتين السورية والمصرية يؤكد ذلك الجنرال البرت مرجلين قائلا : « نجحت الحكومة الإسرائيلية وقيادتها العليا فى خلال بضعة أيام – وإن كان مقابل خسائر جسيمة – فى السيطرة على الموقف واستعادة المبادأة . وكانت هناك عوامل مساعدة فريدة فى نوعها أدت إلى هذا التعديل الغريب فى الموقف هى :

١ ــ كان ضيق مساحة البلد يسمح بتعبئة الوحدات المدرعة ووحدات المشاة الميكانيكية وتحركها السريع على الخطوط الداخلية .

٢ ــ كانت توجد جماعة من الاحتياط ذات مستوى عال جداً من التعليم وبارعة للغاية . وكانت تظهر فاعليتها بعد خدمة عسكرية إجبارية لمدة ثلاث سنوات تتبعها فترات طويلة من التدريب كل عام بهدف الحفاظ على مستوى الكفاءة وتحسينه .

٣ ــ كانت هناك قيادة عليا واحدة مخولة بجميع السلطات تعطى الأوامر بلا تردد ودون أن تضطر إلى التشاور مع هيئات أخرى .. وأيضا بفضل جيش مقاتل مدرب ومزود جيدا بالمعدات الحربية الحديثة »(٢) .

ولكن هذا لا يمنع من تفكير إسرائيل فى توقيت الإعلان عن امتلاكها للسلاح الذرى ، إن رئيس الأركان الإسرائيلى قد لمح إلى ذلك أمام طلاب معهد التخنيون فى حيفا ، فى أنه يمكن التنبؤ بتغيير ثورى فى الشرق الأوسط ، خلال عشرة إلى خمسة عشرة سنة ، مع انتشار السلاح الذرى ، وتطورا أشعة ليزر وأعرب رئيس الأركان عن أمله بأن يخلق هذا السلاح فى منطقتنا ميزان رعب يقلل من خطر الحرب . وليس من

---

(١) جريدة العمل التونسية فى ٢٧ – ١٢ – ١٩٧٤ – ص٦ .

(٢) الجنرال البرت مرجلين – مصدر سبق ذكره – ص ١١٨ – ١١٩ .

الصعب الافتراض أن انتشار السلاح الذرى فى الشرق الأوسط لابد أن يدخل تغييرا جذريا فى المنطقة(١) .

إذن هناك تهديد ذرى إسرائيلى ، وتهديد ذرى عربى مضاد ، يمكن أن ينقل الصراع العربى الإسرائيلى إلى مرحلة « الصراع الذرى » وهى أعلى مرحلة من مراحل الصراع التى تشهدها القوى العالمية فى العصر الحديث(٢) .

---

(١) ملحق نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية – العدد (١٧) – بيروت فى ١ – ٩ – ١٩٧٥ – ص ٤٦٧ .

(٢) ذكرت بعض الصحف العربية والعالمية عن امتلاك إسرائيل لعدة قنابل ذرية بالفعل وهذه بعض مقالات الصحف :

– قالت جريدة النهار اللبنانية فى يوم ٦ – ٤ – ١٩٧٦ نقلا عن مجلة « التايم » ما يلى :

أكدت مجلة تايم الأمريكية فى عددها الأخير أن إسرائيل تملك ١٣ قنبلة ذرية بدأ العمل على تطويرها منذ ولادة الدولة اليهودية . وأضافت بأن إسرائيل أطلعت فرنسا على أساليبها التقنية فى هذا المجال ، وأن السلطات الفرنسية سمحت فى مقابل ذلك للعلماء الإسرائيليين بدراسة البرنامج النووى الفرنسى والاشتراك فى تجاربها النووية فى الصحراء الكبرى .

وأوضحت أن فرنسا أمدت اسرائيل فى عام ١٩٥٧ بأول مفاعل نووى واشتركت فيما بعد فى الخطط الخاصة بانشاء مركز – ديمونة – للأبحاث الذرية وهو المركز الذى دخل طور الانتاج فى سنة ١٩٦٤ .

ونقلت تايم عن بعض خبراء الاستخبارات الغربية أن اسرائيل قامت فى عام ١٩٦٣ بتفجير نووى فى باطن الأرض فى صحراء النقب . وذكرت أن إسرائيل كانت على وشك تجهيز قنابلها الذرية خلال حرب تشرين – أكتوبر – سنة ١٩٧٣ عندما تدهور وضعها العسكرى أمام هجوم القوات العربية .

– وذكرت مجلة هيرالد تريبون فى ١٧ – ٣ – ١٩٧٦ بأن اسرائيل تمتلك من ١٠ – ٢٠ قنبلة ذرية .

– كما كتبت جريدة الأنوار اللبنانية فى يوم ١٦ – ٣ – ١٩٧٦ نقلا عن صحيفة – واشنطن بوست – الآتى :

أعلنت صحيفة – واشنطن بوست – أمس أن المسؤولين فى وكالة المخابرات الامريكية يعتقدون أن لدى إسرائيل ما يترواح بين ١٠ – ٢٠ قنبلة نووية .. وأوضحت الصحيفة أنه خلال اجتماع عقد هؤلاء المسئولين فى الأسبوع الماضى مع أعضاء مجموعات شركات الطيران صرح المسئولون بأن الدولة العبرية تملك ما بين ١٠ – ٢٠ قنبلة على استعداد لاستخدامها .

– ثم كتبت جريدة الحياة اللبنانية فى ١٤ – ٧ – ١٩٧٥ ما يأتى :

كشفت دراسة نشرها اثنان من العلماء بمعهد الأبحاث الأمريكى – أمريكان انتربرايز استيتيوت – وهو معهد ليس له انتماء سياسى محدد وإن كان ذا اتجاه محافظ عن أن إسرائيل ليس لديها فقط الوسائل الفنية لإنتاج أسلحة نووية ولكنها قد أنتجت الكثير من هذه الأسلحة بالفعل .

وقال روبرت براجر – خبير الشئون الخارجية – ودالى تاتيين – خبير الدفاع أنه من المؤكد حاليا أن إسرائيل لديها أسلحة نووية ، ولكنهما لم يوضحا عدد الأسلحة التى زودت بها القوات المسلحة الإسرائيلية .

وقال الباحثان : إنه من الممكن أن تستخدم الأسلحة النووية فى الشرق الأوسط فى المستقبل القريب بل وربما خلال الاشتباك القادم . ومن الممكن أن تمتد نيران الحرب النووية فى الشرق الأوسط وتتحول إلى حرب ذرية عالمية .

وخلاصة القول أن إسرائيل قد لجأت بالفعل إلى الخيار النووى من حيث امتلاك الأسلحة النووية بأعداد محدودة نسبيا لتقاتل بها إذا ما شعرت أنها تقف فى الخندق الاخير[1] . إلا أنها لم تعلن ذلك صراحة ومازالت تمارس سياسة الردع عن طريق الشك ، التى تراها ضرورية لخدمة أهدافها الاستراتيجية الراهنة . وهذا مايحتم على الدول العربية أن تسير بخطوات جادة فعالة عن طريق توفير القدرات العلمية والتقنية اللازمة لإنتاج الأسلحة النووية حتى لا تجازف بتحمل مخاطر أول مغامرة إسرائيلية فى هذا الصدد ، أو تسمح بخلق وضع يجمد الصراع العربى الإسرائيلى ويحقق اهداف إسرائيل السياسية التى سبق ذكرها[2] . وإذا لم توجد لدينا أدلة يقينية تؤيدها الوثائق الصريحة على إمتلاك إسرائيل للسلاح الذرى[3] . فإنه توجد الأدلة التى تؤكد امتلاكها الأسلحة الصاروخية القادرة على حمل رءوس نووية فقد جاء فى تقرير المعهد الأمريكى للأبحاث السياسية أن أمريكا على استعداد لتزويد إسرائيل بنظام الصواريخ الأمريكى أرض – أرض من طراز لانس ، وهذا السلاح يمكن تجهيزه برأس حربى عادي ذو قوة تفجيرية هائلة أو برأس حربى نووى[4] .

(١) كتبت جريدة القدس الكويتية – العدد : (١٤٠٦) فى ١٨ – ٤ – ١٩٧٦ – ص ٩ – نقلا عن نوفيل أو بسرفاتور – الفرنسية – ما يلى :

« .... إن جولد مائير انزعجت من أخبار سير المعارك على خط بارليف والجولان وأمرت بالاستعداد لتنفيذ عملية جريئة ضد الدول العربية بضربها بالقنبلة الذرية فى حالة تدهور الوضع بصورة تهدد أمن اسرائيل ذاتها . وتقول تايم الامريكية أنه كان بحوزة إسرائيل فى ذلك الحين – ١٣ – قنبلة ذرية ..

وكانت إسرائيل تستعد لشحنها على طائرات الفانتوم استعداد لإلقائها على بعض الدول العربية ..

ولكن قبل أن تقلع الطائرات بشحناتها المدمرة تغيرت صورة الأوضاع على الجبهتين الشمالية أولا ، ثم الجنوبية . وتمكن الجيش الاسرائيلى من إيقاف زحف الجيوش العربية وتأجلت بذلك أول حرب نووية فى التاريخ ،

(٢) محمود عزمى – الخيار النووى الإسرائيلى ضرورة استراتيجية – مجلة شئون فلسطينية العدد : ٤٣ – بيروت سنة ١٩٧٥ – ص ٩٨ – ٩٩ .

(٣) ذكرت صحيفة العمل التونسية فى عددها الصادر يوم ٢٧ – ١٢ – ١٩٧٤ – ص ٦ . إن الرئيس محمد أنور السادات قال : « أن الموقف الجديد الذى نشأ بعدما أكدت المخابرات المصرية امتلاك إسرائيل للأسلحة الذرية التكتيكية هو موضع دراسة من جانب مصر لأننا لابد من أن نتخذ من الإجراءات ما يكفل لنا مواجهته » .

(٤) ديل تاهيتنين – ميزان التسلح العربى الإسرائيلى منذ حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ – تقرير للمعهد الأمريكى للأبحاث السياسية – ترجمة نقولا صقلى – : دار القدس – بيروت – سنة ١٩٧٤ – ص ٣١ .

وقد واقفت أمريكا على تزويد إسرائيل بنحو ١٠٠ مائة صاروخ طراز لانس وذلك فى عام ١٩٧٣[١] . وقد تسلمت إسرائيل بالفعل صاروخ لانس وقام وزير دفاعها بافتتاح عدة قواعد معدة لاستخدامه[٢] . كما قام فريق من العسكريين الاسرائيليين الذين تلقوا تدريبهم منذ عام فى الولايات المتحدة الأمريكية بعرض صاروخ لانس أمام الصحفيين ، وصرح شمعون بيريز وزير الدفاع الإسرائيلى بأن الفرق العسكرية الإسرائيلية تستخدم هذا الصاروخ الآن[٣] . ولم تكتف إسرائيل بمطالبة أمريكا بتزويدها بهذا النوع من الصواريخ ولكنها تسعى للحصول على نوع أكثر تقدما وهو صاروخ بيرشنج وقد صرح وزير الدفاع الأمريكى السابق جيمس شلزنجر فى مؤتمر صحفى أن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تدرس بروح التعاطف مسألة إمداد إسرائيل بصواريخ بيرشنج وفى نية البنتاجون أن يمد تل أبيب بالسلاح بكميات متزايدة حتى يساعد عن طريق تعاطفه هذا على عدم تفاقم الصراع . وقد صرح « هيربيرت سكوفيل » الخبير الأمريكى المختص أنه يعتقد أن صاروخ بيرشنج لا معنى له كسلاح إن لم يكن مجهزا برؤوس نووية[٤] .

من هذا يتضح أن إسرائيل تمتلك أسلحة صاروخية قادرة على حمل رءوس نووية ، هذا بالإضافة إلى أنها قادرة على صنع القنبلة الذرية .

إذن احتمال مفاجأتها للعرب بامتلاكها الصاروخ بيرشنج وذلك لوضعهم أمام الأمر الواقع من الناحية الاستراتيجية العسكرية وتأكيد نظرية تفوقها هذه المرة باستخدام أسلحة الردع الشامل وذلك لتحقيق الهدف السياسى الأول وهو فرض الصلح والسلام الاسرائيلى على العرب بشروطها التى تحقق لها أهدافها الاستراتيجية التى سبق ذكرها .

ويمكن القول أن إسرائيل حتى لو استخدمت السلاح النووى فى تحقيق أهدافها القومية تكون قد حققتها باستخدام الأداة العسكرية ذلك أن السلاح النووى يمكن أن يحقق الأغراض السياسية من امتلاكه دون أن يلجأ الطرف الذى يملكه إلى استخدامه . كما أن الصراع العربى الإسرائيلى لا يوجد له مثيل فى الصراعات الدولية

---

(١) نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية – العدد : (٢٣) – بيروت – فى ١ – ١٢ – ١٩٧٤ – ص ٨٠٧ .
(٢) جريدة الدستور الأردنية الصادرة بتاريخ ١٤ – ٢ – ١٩٧٦ .
(٣) جريدة السياسة الكويتية الصادرة بتاريخ ١١ – ٢ – ١٩٧٦ .
(٤) المجلة السوفيتية – العدد : ٢٢ – فى ٢٠ – ١١ – ١٩٧٥ – ص ٢٢ .

المعاصرة ، ومن ثم لا سبيل إلى حله بالوسائل السياسية التى تفترض أصلا وجود علاقات طبيعية بين أطراف الصراع كما كان الحال بين فرنسا وألمانيا فى الحروب التى خاضتاها منذ عام ١٨٧٠ .

إذن لا محل لاعتراف العرب بما فيهم الشعب الفلسطينى بشرعية إسرائيل ووجودها على الأرض العربية . كما أنه لا محل لاعتراف إسرائيل بحق الشعب الفلسطينى فى وطنه لأن هذا يعنى نفى شرعية وجودها .

وإذن فتغلب أحد الأطراف على الطرف الآخر لا يكون إلا بالوسيلة العسكرية التى يعتبر السلاح النووى أحد أدواتها .

وبذلك يكون السلاح النووى فى حالة دخوله حلبة الصراع يؤدى إلى نشوء نوع من توازن الردع مما قد يدفع أطراف الصراع إلى القبول بغريزة البقاء(١) .

---

(١) Alizabeth Monro and A. H. Farmor - Hockley, The Arab - Israel war, October 1973. The international institute for studies; strategic survey - London, 1976. P. 35.

المراجع العربية

١ ـــ ابراهيم العابد – مدخل إلى الاستراتيجية الإسرائيلية – منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث – بيروت . ١٩٧١

٢ ـــ ابراهيم العابد – أسباب العدوان الإسرائيلي الأخير – فلسطينيات – منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث بيروت . ١٩٦٨

٣ ـــ الحكم دروزة – ملف القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي – منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث – بيروت . ١٩٧٣

٤ ـــ أدغار أوبلانس – الحرب الثالثة بين العرب وإسرائيل – ترجمة : مازن البندك – الطبعة الأولى – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت . ١٩٧٣

٥ ـــ أدولف هتلر – كفاحي – المكتبة الأهلية – بيروت د . ت .

٦ ـــ ارسكين تشيلدرز – الطريق إلى السويس – ترجمة : خيري حماد – الطبعة الأولى – الدار القومية – القاهرة . ١٩٦٢

٧ ـــ أكرم ديري ، والهيثم الأيوبي – نحو استراتيجية عربية جديدة – الطبعة الأولى – دار اليقظة العربية – بيروت . ١٩٦٩

٨ ـــ آلن تايلور – الرؤيا والقصد في الفكر الصهيوني – تهويد فلسطين – إعداد وتحرير : الدكتور ابراهيم أبو لغد – ترجمة : الدكتور أسعد رزوق – منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث – بيروت . ١٩٧٢

٩ ـــ الجنرال أندريه بوفر – الردع والاستراتيجية – ترجمة : أكرم ديري – الطبعة الأولى – دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت . ١٩٧٠

١٠ ـــ الدكتور أنيس صايغ – ميزان القوى العسكرية بين الدول العربية وإسرائيل – منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث – بيروت . ١٩٦٧

١١ ـــ المقدم الهيثم الأيوبي – دروس الحرب الرابعة – منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث – بيروت . ١٩٧٤

١٢ ـــ الدكتور ايلى سالم – النظام السياسى فى إسرائيل – فلسطينيات – المجموعة الثانية – منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث – بيروت . ١٩٦٩

١٣ ـــ ا . ل . كلود – النظام الدولى والسلام العالمى – دار النهضة العربية – القاهرة . ١٩٦٤

١٤ ـــ د . تيسير شوكت النابلسى – الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية – دراسة لواقع الاحتلال الاسرائيلى فى ضوء القانون الدولى العام – منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث – بيروت . ١٩٧٥

١٥ ـــ جاك كوبار – من حرب الأيام الستة إلى حرب الساعات الستة – ترجمة : كمال السيد – مكتبة الوطن العربى – بيروت . ١٩٧٣

١٦ ـــ جانيس تيرى – سياسة إسرائيل تجاه الدول العربية – تهويد فلسطين – إعداد وتحرير : الدكتور ابراهيم أبو لغد ترجمة : الدكتور أسعد رزوق – منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث – بيروت . ١٩٧٢

١٧ ـــ ج . ف . س . فوللـر – إدارة الحـرب – تعريـب : أكـرم ديـرى – دار اليقظة العربية – بيروت . ١٩٧١

١٨ ـــ ج . ل . ليدل هارت – الاستراتيجية وتاريخها فى العالم – ترجمة : أكرم ديرى والهيثم الأيوبى – الطبعة الأولى – دار الطليعة – بيروت . ١٩٦٧

١٩ ـــ الدكتور حامد سلطان – أحكام القانون الدولى فى الشريعة الإسلامية – دار النهضة العربية – القاهرة . ١٩٧٠

٢٠ ـــ الدكتور حسن صبرى الخولى – سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين فى النصف الأول من القرن العشرين – المجلد الأول – الطبعة الأولى – دار المعارف بمصر – القاهرة . ١٩٧٣

٢١ ـــ الدكتور حسن صبرى الخولى – سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين فى النصف الأول من القرن العشرين – المجلد الثانى – الطبعة الأولى – دار المعارف بمصر – القاهرة . ١٩٧٠

٢٢ ـــ حسين ذو الفقار صبرى – أضواء على ٥ يونيو – مؤسسة أخبار اليوم – القاهرة . ١٩٦٩

٢٣ — حركة التحرير الوطنى الفلسطينى – فتح – العاصفة – حرب الأيام الأربعة فى لبنان – مكتب الإعلام والعلاقات الخارجية – القاهرة . ١٩٧٢

٢٤ — حركة التحرير الوطنى الفلسطينى – فتح – العاصفة – فى الاستراتيجية – مكتب الاعلام والعلاقات الخارجية – القاهرة ، بيروت . ١٩٦٧

٢٥ — ديل تاهيتين – ميزان التسلح العربى الإسرائيلى منذ حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ – ترجمة : نقولا صيقلى – دار القدس – بيروت . ١٩٧٤

٢٦ — رسل . هـ . فيفيلد ، ج . اتزل بيرسى – الجيوبولتيكا – الجزء الأول – الكرنك – القاهرة – د . ت – ملاحظة : (صدرت الطبعة باللغة الانجليزية سنة ١٩٤٢) .

٢٧ — ريمون كارتيه – من أسرار الحرب – هتلر الغازى – ترجمة : باسيل دقاق – الطبعة الأولى – دار الكشوف – بيروت . ١٩٤٧

٢٨ — مذكرات : زوكوف – ترجمة : عمر أبو النصر – مطابع دار الغد – بيروت . ١٩٧٠

٢٩ — سامى هداوى – ملف القضية الفلسطينية – تحرير : الدكتور يوسف صايغ – منظم التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث – بيروت . ١٩٦٨

٣٠ — المارشال سوكولوفسكى – الاستراتيجية السوفيتية – ترجمة : خيرى حماد – عالم الكتب – بيروت . ١٩٦٨

٣١ — شمعون بيريز – يوم قريب ويوم بعيد – من الفكر الصهيونى المعاصر – منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث – بيروت . ١٩٦٨

٣٢ — شمعون بيريز – حروبنا مع العرب – دار الأمم للطباعة والنشر – بيروت . ١٩٧١

٣٣ — صالح مسعود بويصير – جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن (١٩١٧ – ١٩٤٨) – الطبعة الأولى – دار الفتح – بيروت . ١٩٦٨

٣٤ — الفريق صلاح الدين الحديدى – شاهد على حرب ١٩٦٧ – دار الشرق – بيروت . ١٩٧٤

٣٥ ـ الدكتور صلاح العقاد – قضية فلسطين فى المرحلة الحرجة – معهد البحوث والدراسات العربية العالية – القاهرة . ١٩٦٨

٣٦ ـ عارف العارف – النكبة – الجزء الثالث – المطبعة العصرية – صيدا ، بيروت – د . ت .

٣٧ ـ عباس محمود العقاد – حقائق الإسلام وأباطيل خصومه – الطبعة الثالثة – دار القلم القاهرة . ١٩٦٦

٣٨ ـ عبد الستار الطويلة – حرب الساعات الست واحتمالات الحرب الخامسة – الطبعة الثانية – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٧٤

٣٩ ـ مذكرات : العقيد عبدالله التل – كارثة فلسطين – الجزء الأول – الطبعة الأولى – دار القلم – القاهرة . ١٩٥٩

٤٠ ـ المهندس عبدالله عاصى – صراعنا مع اسرائيل – الطبعة الأولى – المكتب التجارى – بيروت . ١٩٦٩

٤١ ـ الدكتور عبد الكريم درويش وليلى تكلا – حرب الساعات الست – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة . ١٩٧٤

٤٢ ـ على ماهر – القانون الدولى العام – مجموعة محاضرات ألقيت على طلبة الليسانس بمدرسة الحقوق الملكية ١٩٢٣ – ١٩٢٤ – مطبعة الاعتماد – القاهرة – ١٩٢٤

٤٣ ـ فؤاد جابر – الأسلحة النووية واستراتيجية إسرائيل – مركز الدراسات الفلسطينية بيروت . ١٩٧١

٤٤ ـ الجنرال كارل فون كلاوزفيتز – فى الحرب – الجزء الأول – ترجمة : أكرم ديرى والهيثم الأيوبى – الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر – دار الكاتب العربى – القاهرة – د . ت .

٤٥ ـ الجنرال كارل فون كلاوزفيتز – فى الحرب – الجزء الثالث – ترجمة : أكرم ديرى والهيثم الأيوبى – الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر – دار الكاتب العربى – القاهرة . ١٩٦٩

٤٦ ـ الدكتور كمال الغالى – النظام السياسى الاسرائيلى – معهد البحوث والدراسات العربية العالية – القاهرة . ١٩٦٩

٤٧ ــ الجنرال كونثر بلمونتريت – أسرار الحرب العالمية الثانية – ترجمة : اللواء الركن محمود شيت خطاب – الطبعة الأولى – مكتبة النهضة – بغداد ١٩٦٠

٤٨ ــ كيدنت ماكسى – حرب المدرعات – ترجمة : كمال عصمت – الطبعة الأولى – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة بيروت . ١٩٧٤

٤٩ ــ المارشال لتوتسكى وآخرون – الجيش السوفييتى – ترجمة : خيرى الضامن – دار التقدم – موسكو . ١٩٦٩

٥٠ ــ محاضر جلسات الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧ – مركز الدراسات الفلسطينية – مؤسسة الأهرام – القاهرة . ١٩٧١

٥١ ــ العقيد محمد ابراهيم الشاعر – جرافية فلسطين العسكرية – معهد البحوث والدراسات العربية العالية – القاهرة . ١٩٧٠

٥٢ ــ الدكتور محمد حافظ غانم – مبادىء القانون الدولى العام – الطبعة الرابعة – مطبعة نهضة مصر بالفجالة – القاهرة . ١٩٦٤

٥٣ ــ محمد سيد أحمد – بعد أن تسكت المدافع – دار القضايا – القاهرة ١٩٧٥

٥٤ ــ محمد عزة دروزة – القضية الفلسطينية فى مختلف مراحلها – الجزء الثانى – الطبعة الثانية – المكتبة العصرية – صيدا ، بيروت . ١٩٦٠

٥٥ ــ محمد فيصل عبد المنعم – فلسطين والغزو الصهيونى – مكتبة القاهرة الحديثة – القاهرة . ١٩٧٠

٥٦ ــ محمد فيصل عبد المنعم – أسرار حرب سنة ١٩٤٨ – مكتبة القاهرة الحديثة – القاهرة . ١٩٦٨

٥٧ ــ محمد فيصل عبد المنعم وابراهيم كروان – التوسع الاسرائيلى – مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية – مؤسسة الأهرام – القاهرة – د . ت .

٥٨ ــ الدكتور محمد فاروق الهيثمى – فى الاستراتيجية الاسرائيلية – منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث – بيروت . ١٩٦٨

٥٩ ــ اللواء الركن محمود شيت خطاب – على طريق النصر فى معركة الثأر – دار الفتح – بيروت . ١٩٦٦

٦٠ — مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية — العسكرية الصهيونية — المجلد الأول — مؤسسة الأهرام — القاهرة ١٩٧٢

٦١ — مركز الدراسات السياسية والاستراتيجة — العسكرية الصهيونية — المجلد الثانى — مؤسسة الأهرام — القاهرة . ١٩٧٤

٦٢ — معين أحمد محمود — الجديد فى العسكرية الاسرائيلية — الطبعة الأولى — منشورات عويدات — بيروت . ١٩٧٢

٦٣ — ميثاق الأمم المتحدة — نيويورك ١٩٦٥

٦٤ — هانزجى مورجنتاو — السياسة بين الأمم — الجزء الأول — ترجمة : خير حماد — الدار القومية — القاهرة . ١٩٦٤

٦٥ — العميد هيثم الكيلانى — المذهب العسكرى الإسرائيلى — منظمة التحرير الفلسطينية — مركز الأبحاث — بيروت . ١٩٦٩

٦٦ — العميد هيثم الكيلانى — دراسة فى العسكرية الاسرائيلية — معهد البحوث والدراسات العربية العالية — القاهرة . ١٩٦٩

٦٧ — العميد هيثم الكيلانى — الموقع الاستراتيجى العربى — وزارة الثقافة والارشاد القومى — دمشق . ١٩٦٦

٦٨ — وزارة الدفاع الوطنى — الجيش اللبنانى — الأركان العامة — الشعبة الخامسة — القضية الفلسطينية والخطر الصهيونى — الطبعة الأولى — مؤسسة الدراسات الفلسطينية — بيروت . ١٩٧٣

٦٩ — يان جيجيك وتاديوش فالشونوفسكى — خفايا عدوان حزيران سنة ١٩٦٧ — ترجمة : محمود فلاحه — الطبعة الأولى — منشورات الشئون العامة لجيش التحرير الفلسطينى وقوات التحرير الشعبية — دمشق . ١٩٧٣

٧٠ — يشياهو بن فورات وآخرون — التقصير — ترجمة : مؤسسة الدراسات الفلسطينية — بيروت . ١٩٧٤

٧١ — المركز العربى للدراسات الاستراتيجية — دور الجيش العراقى فى حرب تشرين ١٩٧٣ — المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت . ١٩٧٥

٧٢ – ماى كوك – حروب نابليون فى أوروبا من ١٧٩٦ – ١٨١٥ – ترجمة : محمد شفيق أمين ومحمد سليمان هجرس – الطبعة الأولى – مطبعة داود – القاهرة ١٩٣١

٧٣ – د . أحمد صدقى الدجانى – ماذا بعد حرب رمضان – فلسطين والوطن العربى فى عالم الغد – الشركة المتحدة للتوزيع والنشر – الطبعة الأولى – بيروت ١٩٧٤

٧٤ – حسين حسنى – تاريخ القرن التاسع عشر – المطبعة الأميرية – القاهرة ١٩٥١

٧٥ – كتاب الهلال الذهبى – دار الهلال – القاهرة – ١٩٧٧

٧٦ – القطاع العسكرى – الندوة الدولية لحرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ من ٢٧ – ٣١ أكتوبر سنة ١٩٧٥ – المجلد الأول – إدارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة – القاهرة ١٩٧٥

٧٧ – حسن مصطفى (زعيم ركن) – اسرائيل والقنبلة الذرية – دار الطليعة – بيروت – ١٩٦١

٧٨ – د . يحيى محمد زكي عبد المتجلى – « الاختيارات المتاحة أمام الدول العربية لمقابلة التهديد النووي الاسرائيلى في ضوء تدمير المفاعل الذري العراقي » – مجلة شؤون عربية – عدد ٣٥ – يناير ١٩٨٤

٨٩ – الهيئة العامة للاستعلامات – ملف وثائق فلسطين – الجزء الأول – القاهرة – ١٩٦٩

٩٠ – أبو الطيب – القاطع الثالث من زلزال بيروت – مطابع الدستور التجارية – عمان – ١٩٨٣

المراجع الأجنبية

1. Allon, Yigal. The Making of Israel Army Vallentine, Mitchell-London — 1970.
2. Badi, J., Fundametal laws of the state of Israel NewYork 1961.
3. Begin, Menahim, The revolt, W. H.Allen and Co., Ltd., London—1951.
4. Bengurion, David, Rebirth and desting of Israel. Philosophical library, NewYork — 1954.
5. Cohen, A. Israel and the Arab World. Funk and Wagnails. New York — 1970.
6. Ha'am, Achad, Amscheide wege, translated by L.M.G. van der Hoeven leon hard, quote: Havent Conquest.
7. Hertz, Berg, A.T. The Zionist Idea. West Port, Green Wood Press, Publishe's 1970.
8. Herzl, Theodor, The Jewish State, Central of the Zionst orgenization, London, 1934.
9. Higins, R., The development of Israel national Law through the political Nations, New York, 1963.
10. Jon and David Kimche. Both sides of the hill Britain and the palestine war by secker and warburg London: 1960.
11. Nicholas. aj. Spykman, Americ's strategy in World Politics, Harcurt and World, New York 1942.
12. Taylor, Allen, Prelue to Israel, Philosophical Library. New York. 1959.
13. Raphael patai, The complete Diaries of Thoeder Herzl, Edited, by Herzl press and Thomas Yoseloff, volume. I. New York. 1960.
14. The Israel Government Year book 1950. Tel Aviv: Israel Publication Ltd.
15. The Israel Government year book 1952 Tel Avive Israel Publication Ltd.
16. The International institute for strategic studies strategic survey, London, 1975.
17. Elizabeth Monro and A.H. Farmor-Hockley The Arab-Israel War, October 1973. The international institute for strategic studies, strategic survey-London, 1976.
18. Tzhagen, Meiner, R. Middle east diory 1917 to 1956 the cresset Press-London, 1959.
19. Weizmann, chaim, Trial and Error schocken books. New York 1966.

20. Neville Brown - Strategic Mobility - Institute for strategic studies - London - 1963.
21. Henry Kissinger - Years of upheaval Boston - Little, Brown and company, 1982.
22. Walter laqueur - Confrontation: The Middle East war and world poltics - Butler and tanner ltd - London, 1974.
23. Ahmed R. Elkashef - United states policy towards the Arab-Israeli Arms Roce 195-1966 - P.L.O. Research Center - Beirut, 1969.
24. Joseph J. Sisco - "Middle East: Progress or lost opportunity" - Foreign Affairs - vol. 61 - No. 3 - 1983.

– الدّوريات

المجلات – الصحف اليومية

١	مجلة السياسة الدولية	العدد : ١٣ تموز	١٩٦٨
٢	مجلة شئون فلسطينية	العدد : ٢٧	١٩٧٣
٣	مجلة شئون فلسطينية	العدد : ٢٨	١٩٧٣
٤	مجلة شئون فلسطينية	العدد : ٤٣	١٩٧٥
٥	مجلة آخر ساعة	العدد : ٨٤٢	٥٠/١٢/١٣
٦	مجلة المصور	العدد : ١٣٢٧	٥٠/٣/١٧
٧	مجلة الحوادث اللبنانية	العدد : ٩٤٧	١٩٧٥
٨	مجلة الحوادث اللبنانية	العدد :	١٩٦٩/١/١٠
٩	مجلة فورين أفيرز الأمريكية	العدد :	صيف ١٩٦٥
١٠	مجلة العصر الحديث	العدد :	١٩٧٥/٥/٦
١١	المجلة السوفيتية	العدد : ١٠٩	مايو ١٩٧٥
١٢	المجلة السوفيتية	العدد : ٢٢	١٩٧٥/١١/٢٠
١٣	مجلة هيرالد تريبيون	العدد :	١٩٧٦/٣/١٧
١٤	مجلة باحمانية الاسرائيلية	العدد :	سبتمبر ١٩٤٩
١٥	جريدة الجيروز اليم بوست الإسرائيلية	العدد :	١٩٦٧/٢/١٠
١٦	جريدة الجيروز اليم بوست	العدد :	١٩٦٧/٨/١٠
١٧	جريد الجيروز اليم بوست	العدد :	١٩٦٧/٩/٣
١٨	جريد الجيروز اليم بوست	العدد :	١٩٦٧/٩/٢٧
١٩	جريدة الأهرام القاهرية	العدد :	١٩٦٧/٥/٢٩
٢٠	جريدة الأهرام القاهرية	العدد : ٢٩٨٢٧	١٩٦٨/٨/٩
٢١	جريدة الأهرام القاهرية	العدد :	١٩٧٣/١١/١٨
٢٢	جريدة الأهرام القاهرية	العدد :	١٩٧٥/١٠/٤
٢٣	جريدة أخبار اليوم القاهرية	العدد : ١٦١٤	١٩٧٥/١٠/١١

٢٤	جريدة العمل التونسية	العدد :	١٩٧٤/١٢/٢٧
٢٥	جريدة النهار اللبنانية	العدد :	١٩٧٦/٤/٦
٢٦	جريدة الأنوار اللبنانية	العدد :	١٩٧٦/٣/١٦
٢٧	جريدة الحياة اللبنانية	العدد :	١٩٧٥/٧/١٤
٢٨	جريدة القبس الكويتية	العدد : ١٤٠٦	١٩٧٦/٤/١٨
٢٩	جريدة السياسة الكويتية	العدد :	١٩٧٦/٢/١١
٣٠	جريدة الدستور الأردنية	العدد :	١٩٧٦/٢/١٤
٣١	جريدة نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية	العدد : ٢٣	١٩٧٤/١٢/١
٣٢	ملحق نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية	العدد : ١٧	١٩٧٥/٩/١
٣٣	جريدة الأهرام القاهرية	العدد : ٣٢٨١٠	١٩٧٦/١٠/٩
٣٤	جريدة الأهرام القاهرية	العدد : ٣٣١٤٠	١٩٧٧/٩/٤
٣٥	جريدة الأهرام القاهرية	العدد : ٣٣١٤٦	١٩٧٧/٩/١٠
٣٦	مجلة الحوادث اللبنانية		١٩٨١/٩/٢٥
٣٧	مجلة شؤون عربية	العدد : ٣٥	يناير/ ١٩٨٤
٣٨	مجلة الطليعة	العدد : ٣	مارس/ ١٩٧٦
٣٩	جريدة دافار الاسرائيلة		١٩٧١/١٠/٢٩

فهرس الخرائط

الفهرس

الفصل الرابع :

الفصل الخامس :

الفصل السادس :

الخاتمة :

هذا الكتاب

بدأ الصراع العربى ـ الصهيونى منذ مايقرب من قرن . من الزمان ، لاقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، بكافة الوسائل وفى مقدمتها العنف المسلح . وكانت الحرب هى وسيلتها لاقامة دولة إسرائيل واغتصاب حقوق الشعب الفلسطينى ، ثم توالت ثلاثة حروب ، على مدى ثلاثين سنة ، عام ١٩٥٦ ، و١٩٦٧ ، ثم حرب التحرير العربية عام ١٩٧٣ التى تمكنت فيها مصر وسوريا من تحقيق المفاجأة فى الهجوم ضد إسرائيل لأول مرة ، وأجبرتاها على موقف الدفاع لأول مرة . ولقد تبنت إسرائيل نظرية « الهجوم خير وسيلة للدفاع » ، وطبقتها فى الحروب الثلاثة الأولى ، بدوعى أنها « حرب وقائية » .

وهذا الكتاب يعرض الأسلوب الذى إتبعته إسرائيل فى « الحروب الوقائية » الذى كلف العرب الكثير من الدماء والأرواح ، وحقق المزيد من الاغتصاب للأرض وللحقوق . كذلك يهدف هذا الكتاب إلى إكتشاف العلاقات الارتباطية بين : السياسة العليا الاسرائيلية .. وأهدافها ، ونظرية الأمن الاسرائيلى ، ودور الأداة العسكرية فى تحقيق أهداف السياسة والأمن الاسرائيليين ، وعلاقة هذا كله بأسلوب « الحرب الوقائية » لتحقيق هذه الأهداف ، وشل القدرات العسكرية العربية .

وقد أضاف المؤلف فى هذه الطبعة الثانية من الكتاب فصلا جديدا ، عرض فيه نموذجين تطبيقيين جديدين للردع الاستراتيجى الاسرائيلى ، فى الهجوم الاسرائيلى الجوى على المفاعل الذرى العراقى ، والغزو الاسرائيلى للبنان . ولاشك أن علاقة إسرائيل بأسلوب الحرب الوقائية سوف تظل متبعة فى حروبها مع العرب ، وأن الاسلوب نفسه الذى إتبعته مصر وسوريا فى عام ١٩٧٣ يظل ماثلا . ولهذه الغاية نعيد نشر هذا الكتاب ، تذكرة للعرب ، وإستخلاصا للدروس المستفادة سياسيا وعسكريا .